عن الموسوعة النالط المالية الم

المصادر العربية مؤرخو القرن السادس (٣)

تأليف وَتحقيق وَرْجِهُ الأستا والدكورية بال ركار

دمشق ۱۹۹۰ ۱۹۱۲هـ الجزء الثالث عشر

المصادر العربية

مؤرخو القرن السادس

- من البرق الشامي للعماد الاصدفهاني - الفتح القسي في الفتح القدسي - للعماد الاصدفهاني

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

سالف لنا التعارف الى بعض المؤرخين المسالمين النين عاصر وا وصول الفزاة الفرنجة الى بلاد الشام ، ولدى استعراضنا لأخبار الصراع مع هؤلاء الفزاة ادركنا كم هي هامة السنوات التي تاولى فيها قيادة المسلمين كل من نور الدين وصلاح الدين ، وأرخ لأحداثها من جانب الفرنجة وليم الصوري ثم صاحب النيل على تاريخه ، وكان العماد الاصفهاني الموادي في ابن شداد المداد في صنعها والتأريخ لها ، وبناء عليه ان ما كتبه العماد فائق الاهمية ، لكن مما يؤسف له ان هذه الأهمية بددتها صنعة الكلام التي ابتلي بها العماد اكثر من سواه من معاصريه .

والعماد هو: محمد بن محمد بن حسامد الاصدفهاني ، ولد في اصدفهان سنة ٥٩٧هم ، ١٩٢٥ م ومسات بدمشق سسنة ٥٩٧ هـ ١٢٠١م ، وهو بعمره المديد كان شاهد القرن السسادس للهجرة الثاني عشر للميلاد .

انحدر العماد من اسرة رفيعة المكانة ، عمل رجال منها بالادارة ، وشهروا بسعة الثقافة ، واتقنوا العربية والفارسية ، وكان العماد قد نشأ في اصفهان ، وفيها تلقى علومه الاولى ، وفي سنة ٩٤٥ هـ ، ع ١١٥٥ ما التحق ببغداد حيث تولى بعض الأعمال الادارية ، وتمتع بالسلطة وعانى من تقلباتها ، وكانت كثيرة مفجعة أنذاك في بغداد ، وهكذا بعدما أمضى بالاعتقال قرابة العامين التحق بدمشق سنة ٢٠٥هـ ، وكان على معرفة بنجم الدين أيوب وبعدة شخصيات في دولة نور الدين ، مما هيأ له السبل للعمل في ادارة نور الدين ، وفي عام ٥٦٧ هـ ، ١٩٦٧ م ، تسلم ديوان الانشاء في دمشق ، وظل يعمل عام ٥٦٣ هـ ، وظل يعمل

به حتى وفاة نور الدين ، واثر هذا بامد وجيز استخدمه صلاح الدين ، وظل مرافقا لهذا السلطان العظيم وقريبا منه حتى وفاته .

وفي مواد موسوعتنا اشارات مفصلة للعماد وللادوار التي تولاها ، لابل حتى لاسماء بعض ما صنفه او ترجمه ، وكان العماد خصب الانتاج في ميداني الادب والتاريخ ، اهتم عبدكم كونه اتقسن نظم الشعر عبشعراء العربية في عالم الاسلام في ايامه شرقا وغربا ودون اخبارهم في كتابه « خرينة القصر وجرينة العصر » ونيولها له . وفي حقل التاريخ كان اهم ما صنفه :

١ ـ كتاب « نصرة الفترة وعصرة القطرة » أرخ به لسلاطين السلاجقة ووزرائهم وأعيان دولهم ورجالاتهم ، وبنى أصل هذا الكتاب على كتاب صنفه بالفارسية الوزير أدّو شروان بسن خالد ، وعنوانه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتر » ، ونظرا لصعوبة التعامل مع لغة العماد فقد قام الفتح البنداري في العصر الايوبي بتهنيبه ، مثلما هذب غيره من كتبه ، والمتداول المطبوع في الدي الناس ، هذبه البنداري ، علما ان هناك دسخة خطية من اصل العماد محفوظة بالكتبة الوطنية بباريس .

٧ - كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » ويقال « الفيح القسي « وهي الذي نقدم له اليوم ، وواضح من عنوانه أن العمساد استهدف من تصنيفه التأريخ لفتح القدس وازالة المملكة اللاتينية من الوجود ، وفي الحقيقة أرخ به العماد للفترة الممتدة من سنة ٩٨٨هـ / ١١٨٧ م حتى سنة ٩٨٩هـ / ١١٩٧ م ، السنة التي توفي بها صسلاح الدين ، وما دونه العماد في هذا الكتاب ، دونه بشكل او أخر في كتابه .

٣ ـ « البرق الشامي » ويفترض أن العماد جعل هـ ذا الكتاب في سبعة أجزاء ، أرخ فيها من تاريخ قدومه إلى الشام سنة ٢٣ ٥٥. ، ١٦٧ حتى وفاة صـلاح البين ، أي أرخ فيه للدولتين الذورية والصلاحية ، المهمة سيقوم بها بشكل أوسع أبدو شامة في كتابه الروضتين .

ولم يصلنا كتاب البرق الشامي باكمله ، با وصل الينا من أجزائه الثالث والخامس ، وقطعة كبيرة تتضمن جال المتبقى من الكتاب ، وجرى نشر الجزء الثالث في عمان ١٩٨٦ ، وكذلك الخامس في السنة نفسها والمكان نفسه ، وذلك اعتمادا على المخطوطة الوحيدة لهما المحفوظة في مكتبة البودليان في اكسفورد ، ووقفت على القطعة المتبقية في الخزانة العامة بالرباط ، وهاي مصورة على شريط ، كان قد أودعه فيها المرحوم المختار السوسي ، ولانعرف الآن مكان الاصل المصور ، ونشرت في مجلدنا هذا نمونجا من هدنه القطعة .

لم يكن من السهل التعامل مع كتاب العماد هذا لصعوبة لغته ، فقد تغيبت المعاني وتبدت أخبار الوقائع داخل صنعه السجع المل . مع ان بعض جمل هذا السجع رائعة التصوير ، دقيقة جدا ، لكن هذا نادر الوجود صعب التحصيل ، والاقدام على تحقيق هذا الكتاب مغامرة محفوفة بالمخاطر ، ربما سيكون الخطأ في قراءة النص اكثر من الصواب ، وبالنهاية أن المحصلات قليلة القيمة لاتسمن ولا تغني من جوع ، واضرب هنا مثلا أنني قمت بمقارنة سريعة للصفحات : ١٧٠ ص ١٧٩ من الجزء الخامس المنشور في عمان فوجدت فيها ، ١٧٠ لكمة صحفت ولم يحالف المحقق التوفيق في ضبطها مع انه بذل جهودا طيبة في هذا المجال .

وقديما واجه ابو شامة وسواه مثل ابن واصدل هدنه المصدعب فاقتصرا بالنقل بتصرف من نصوص العماد ، وحاول الفتح البنداري حل هذه المعضلة فهذب كتاب البرق الشامي ، ودعا الكتاب الجديد المهذب « سنا البرق الشامي » وسلف الباحث التركي رمضان ششن ان عثر منذ ثلاثة عقود من الزمن على مخطوطة غير كاملة مدن هدذا الكتاب فنشر الجزء الأول منها في بيروت عام ١٩٧١ ، ثم جرى نشر المخطوط كاملا في القاهرة عام ١٩٧٩ محققا بشكل معتدل من قبل فتحية نبراوى .

- OVAV -

وبناء على هذه المعطيات وجدت انني لن احقــق فــوائد تــذكر في تحقيق الموجود من كتاب البرق الشامي ، وان الاقتصار على الفتــع القسي فيه كفاية . والقارىء لما كتبه العماد يلاحــظ مــدى اعتداده بذفسه وبالادوار التي قام بها ، وافاد هذا حيث تولى وهــو كاتـب الانشاء ــ ايداع كتابيه عددا كبيرا من الوثائق ، ولحسن الحظ قام ابو شامة بنقل نصوص هــنه الوثــائق وغيرهــا واودعهـا في كتابه الروضتين كما اقتبس ماكتبه العماد عن الوقائع التي حـدثت بعد وفاة صلاح الدين وعليه لم نفقد شيئا بعـدم نشر كتـاب البـرق الشامى .

سيكون مفيدا مقارنة ما كتبه العماد بما كتبسه وليم الصدوري ، وصاحب النيل على تاريخه وايضا بما كتبه ميخائيل السدوري ، ففي هذا مجال لرسم الصورة بشكل اكمل واصبح ، وهذا ما تدوفره موسوعتنا هذه للمرة الاولى للقارىء العربي ، وسواه .

من الله أسأل العون والسداد ، وله جل وعلا المزيد من الحمد والشبكر والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى اله وصحبه اجمعين .

سهيل زكار

دمشق ۱۲ ـ ني القعدة ـ ۱٤۱٥ هـ ۱۵ نيسان ـ ۱۹۹۵ . من كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني الكاتب

ودخلت سنة ثلاث وثمانين

وهي السنة المحسنة ، والعام الذي عامت به في بحار الانعام بالاخلاص والحمد القلوب والألسنة ، والزمان التي تقضت على انتظار احسانه الأزمنة ، والعصر الذي أحسسنت به الأمسة المؤمنة ، وظهسر فيه المكان المقسدس الذي سلمت لسلامته الأمكنة ، وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة الممتحنة وتمكنت من رقاب أعداء الله به الأسنة بايدي أوليائه المتملكة المتمكنة ، وتبسمت من غرار الغرور باحتباء حبرات الحبور الاجفان المتوسنة .

وفي هذه السيئة نزل نص النصر، وكفيت كف الكفر، وعلت اعلام الأسلام وذفذت احكام الاحكام ، وكفى الله شر الشرك وحكم على دماء الكفرة واسارهم بالسفك ، والهتك ، وتمكنت فيهم أيدي الأيد بالفتك ، وضاقت بهم رحاب الملك ، وطمت للدين بالسواحل بحـــار الملك ، ونصرت الدولة الناصرية ، وخــــنات الملة النصرانية ، وحق الاعداء بالحق ، ودخل من قر فوق الأمرة من تلك الأسرة تحدت الرق، وطلسالت الوية الأولياء، وسلسالت أوبية الاوداء ، ونال الأحماء فضل رب السلماء ، وتجلت ملذا هب النعماء ، وظهر سر السراء ، وتميز الطيب من الخبيث ، وانتقدم التــوحيد مـن التثليث ، وبنت للدين اعانة العين ، واغاثــة المفيث ، وشاع في الدنيا بمحاسن الأيام الصلحية حسن الأحاددث ، ودلى الفرنج الفجرة بما أثاروه وأثروه في البلاء من التأثير والتأريث ، وأحسوا من المصيبات التي فجاتهم فعمتهم مالكسر الكريث ، وافتضت بالذكور اليمانية في الحرب العوان الفتوح الادكار ، وحلبت هدى الهدى ، في ندى الندى ، وحلبت بحلى الحلى وتلبت الاذكار ، واعترف من عادته الجحدود وأقدر مسن دأبسه

الاذكار ، وملكت من معاقل الكفر على من باض فيها وفارخ الأوكار ، واعترى ليلهم يوم الاعتراك الاعتكار .

وتناهت بالفتوحات الممنوحات في هذا العسام عشي ايامسه والابكار ، وكاذوا كما قال الله تعسالى :« وتسرى الناس سسكارى وماهم بسكارى » فبالله ذلك العناب الشسيد والاسسكار ، وقد وصدفت في الكتاب الموسوم بالفتح القدسي هذه الأحسوال ، ووسسعت ووشعت الأقسوال ، وحليت الفتوح ، وأمليت الشروح ، وأهسيت المنوح ، ونفخت في أجسام تلك الأيام باحياء ذكرها الروح

وانا اورد في هذا الكتاب مما اوردته جملته الجميلة وجلالته الجليلة ، وحالته الحالية ، وقيمته الغالية ، وفضالية ، الفاضلة ، وعدالته الشاهدة وشهادته العادلة .

ذكر مقدمة لذلك مباركة ومكرمة من لطف الله متداركة .

كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب واستدعت الفرائب بالرغائب وقرب جنحية الأقارب والأقاصي مظهرات مكرماته والجوهم على عادات علاء عداته (۱) . . . وسامات حسناته ، وواصل الموصل بالبر البري من المر ، وسنجار استجرى المذاكي الخلية الوهن ونصيبين للاسعاف نصيب الاسعاد ، وأمد ديار بكر بالامداد بعد الامداد ، واستدعى عساكر ممالك الشام من الأطراف والأوساط ، وأمرهم بالاحتياط ، وصانهم للاقتصاد في القضم من التفريط والافراط ، وبرز من دمشو يوم السبت أول محرم في العسكر العرمرم ، والعزم المصمم للفرض المحتم والرعب الى العدو والباس المقدم ، ومضى بأهل الجنة بالجهاد الى أهال جهذم ، فلما وصل الى رأس الماء (٢) اتخذها منبع نحو الهيجاء ومضمار خيل الاجراء ومثار العجاج المكرر على نهار الروع ليل

الظاماء ، وجعلها مسطلع فاق فيالقسة ، ومحيط مضارب سرادقة ، ومجال رواعده على بوارقه ، ومجرر سوابغه مجرى سوابقة ، ومجمع جموع خلائقه ، ومحمى حماة حقائقة ، ومحشر معاشرة ، ومربض آساده وقساوره ، ومخيم جيوشه ومجتم عساكره ، وأمر ولاه الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك ليستدني اليه الأمراء الواصلين والاملك ، ويجمسع الأعراب والاعاجم والأتراك ، ويداوم لما ، (٣) فرط الاستدراك ولايفارق لما يلزمه الاحساطة بعمله الادراك ، ويضحم لجمسع الاجناد الاشتات ، ويجم لموسم الجهاد الأوقات ، وسار السلطان الى بصرى ، وخيم على قصر السلامة ، وقسد استقبل مسن الله الكرامة ، والاستقامة .

ذكر السبب في ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنس الكرك و وفسخه للهدنة و واعتماده من قطع الطريق واخافة السبيل كل مافي المكنة وهدو على طريق العسكر المصري والحاج و شحيد الالتجاج و وفي بحرب اللجاج و وكان في الحج حسام الدين محمد بسن عمدر بسن اللجاج و وكان في الحج حسام الدين محمد بسن عمدر بالف لاجين و والدته اخت السلطان مصع جملة مسن الفوات المقربين ، واقام الى تلقي الحجيج و استقبل محيا لقائم البهيج وريا رؤاهم الأربيج و وخلا من منعلم سره و وتجلى البهيج وريا رؤاهم الأربيج وخلا من منعلم سره وتجلى البهيج وريا رؤاهم ألاربيج وخلا من منعلم سره وتجلى البشرى سلامتهم بشره و وذلك في أخر صدفر ووجه صابحته المساد صبيحة الظفر سفر و تم لما فرغ باله جمم الى الكرك استقلاله وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها نزول الحاص الحاص و واقمنا هناك نرعد ونبرق ونوقد ونودرق ونرمة ونومدق ونومدق وننمساكر عتى اجتثت أصولها وفروعها ، واستأصل كرومها ونمزق ، حتى اجتثت أصولها وفروعها ، واستأصل كرومها

وزروعها ، وقطع ماوجده من لينة ، وأذهب ماراقه من زينة ، وفرى وقرى وقصم العرى ، وابسط الذرى ، وهجم على ظهر الثرى ، وحلب حر النجح هدى ، وشب الشوبك نار الوعيد باشارة رأس الوليد ، وقطف ثمر النصر من ورق الحديد ، ووصل العسكر المصري متصل المدد ، محتفل العسدد والعسدد متضمح الجدد ، ومضطرم للهام ، ملتهم للضرام ، ملتهب الجمر ، ملتهم المجمع ، آخذة بوارقه ورواعده ، بالبصر والسمع ، فقوي الاستظهار واستظهرت القوى ، وساقت وراقت مرزاينه المجلوبة ومحاسنة المجلوة ، وأقمنا على الحالة الحالية والجالية ، والمهابة المرهبة ، والمحبة المرغبة .

ذكر ظفر السرية التي بعثها الملك الأفضل وعودها بالنصر الأكمل والغنم الأجزل.

أما الملك الأفضل فانه اجتمعت عنده الجذود من كل فريق ، وأتوه من كل فج عميق وضاق بوفودهم الفضاء ، وفاض بسوفورهم القضاء ، واجتمع من دجسى عتيرهسم ومشى بنورهسم الفلسلام والضياء ، واشتبكت الأرض والسماء ، وطفا على بحار الرحاب من القب والقباب الحباب ، وطما بأمواج العواملوأ فواج الجحافل من الكمت والكماء العباب ، وانقضى من السنة شهران ، وطال بهم انتظار السلطان ، والدين يتقاضاهم بدينه ، والكفر يتحاماهم على حينه ، فرأى الملك الأفضل ان يشهلهم بغروة يعسودون منهسا بحظوة ، فأنهض منهم سرية سرية نخية على ذوي البسالة والبأس والشدة والمراس ، ورتب على خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق وبيار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران الأغلب الأعز ، وعلى عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرم بن ياروق وهو الذي بحماسته يرتق من الاسلام بالفتوح الرتوق وعلى عسكر دمشو وبلادها صارم الدين قايماز و وهو يفوق عضاء مضاربه الصارم

الهرماز والعضب الجرراز • فسأسرجوا الخيل • وأدلجوا الليل . وجروا من السابريات النيل • وأجروا من الأعوجيات السيل • وجلبوا الى العداة الويل • وصبحوا صفورية في أواخر صدفر • وصباح النصر قد افتفر • فخرح اليهم الفرنج في حشود جهندم وريودياملهم • وجذود ابليس واسدود تحمسي العسريس، وسراحين على سراحيب • وأهــــاضيب تتحلحـــال أهـاضيب • وتعتقـل انابيب وتشــتمل شأبيب • في الداوية بـــادواتها • والاســـبتار بــاسوائها • والبـــارونية بضرضائها • ووثبوا في وثبات الآساد • وحملوا في ثبات الأجواد • فلولا أن الله قد أصحب أصحابنا التوفيق وهدى أهال هذه الطريق • لكاد الكفرينجو والاسلام لايعتر بالأجر • لكن أمــرائه الكرام اســتطابوا الحمــام • فــالاقوهم بقلوب الصخور • وحبور الصدقور • وياشروا بصدورهم صدور الأسنة • وغامروا بنحسورهم نحسور الأعنة ، فأتساهم الله النصر المني ، والظفر السني ، وسقوا منهم حنين الحنايا ، وأدركوا فيهم منى المنايا • وفازوا وظفروا • وحسازوا وانتصروا • وقتلوا وأسروا • وهلك مقدم الاسبتار • وحصل جماعة من فرسانهم في قبضة الأسار • وعادوا سالمين سالبين • غاذمين غالبين • وقد كبسوا وكسدوا و وسحبوا نيول الاختيال بصدق ماحسبوا وكانت تلك النوبــة الحلوة • والخـــطوة الصــفوة • بـاكوره البركات • ومقدمة مابعدها من ميامن الحدركات • واندرج أن الله يعلى لأوليائه الدرجـــات • ويســـوق زمـــر اعدائه الى الدركات • وجاءتنا البشري ونحن في نواحي الكرك والشويك ندور ونجول • ونجور ونثور وعلى الأعداء منا الدحور والتبور • فلمسا قرأنا الكتب بالاستنهاض والانبجاث حالنا حبلي اللباث وعقدنا عزم الاذبعاث * واستمهلنا مهول الأوعاث.

ذكر الاجتماع بالعساكر.

وعدنا واجتمعنا بـالعساكر ، وانتـظم عمـــل الأوائل والأواخر ، وخيمنا على عشترا ، والقدر يقول السلطان تعيش وترى ، وقد غصت بخيل الله الوهاد والذرى ، واشتمل المسكر على فرا سخ عرضا وطولا ، وملا بالملا حزونا وسهولا ، فما يرى الا خیل صفون رحص کانها حصون ، وزعف موضون ، وعضب مستنون ، وفيض مسكنون ، وحساركة وستسكون ، وركوب وركون ، وجنات وعيون ، وفلك في بحر من العسكر في البرر مشحون، وضاقت الأيام عن عرضها، وتقساضت الليالي بقرضها ، ونزلت جنود سرمائها الى جنود ارضها ، فللمقانب مناقب، والمواكب من الخرصان كواكب ، والكتائب من الشجعان مناكب ، والذوائل ذوائب ، والعصب من البيارق عصائب ، والربح سحائب ، وللوهيج مشارق ومفارب ، وللمراكب مراقب وللسلاهب جنائب. وللحقائق حقائب، والمواهب مناهب ، وفي كل يوم انفاق وارقاد وارفاق ، واشراف واشراق ، واعتلاء واعتلاق ، وأعتناء واعتناق ، واجتماع لاا فتراق ، وانطلاق واندلاق ، وامتراء وامتراق، وايلاف وائتلاف، واستباق والتحاق، واختفاق من ألوية الأولياء واصطفاق ، وضمر وعتاق ، وسمر ودقاق ، وبيض رقاق، وعطاء حساب، وكأس من الجود دهاق، وعرض العسكر في اثنى عشر الف مدجج ، في ليل العجاح مدلج ، يشتمل على عدة جنائب اسعاد أتت في الجرى شمائل ، وجنائب سواغب تجرى بها الرياح ، ورماح شــيلها المراح ، ورواسي ســواري ، وأعلام جوارى ، من كل كاف بلام ، وراء لعين حمام ، وضارب بضرام وهام لهام لهام ، وضلغم ضرغام ، ومصمم بصمصام ، وحساسم بحسام، ومقدام لهمام قمقام، وفارس للأسد فارس، وللروع ممار ممارس ، والصبح بما يثيره حابس ، وباشر بالكريهة غير عابس ، قادح لسنا السنابك قابس ، مناف لعداة الاسلام في الدين

منافس ، وكل مجاهد بسر الصدق مجاهر ، ومنظافر لأولياء الله مظاهر ، ولمعاشر ، وباسل للبناس بناسر ، والفتخ الكواسر كاسر ، ولكأس النجيع حسناس وعن سنناعد الجسسد حاسر ، ناصب لنصرة الدين ماله غير الله من ناصر .

ذكر الدخول الى الساحل للقاء الفرنج، وكان الرحيل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر

ولما انقضى العرض . اقتضى الفرض . وسالت بسأفلاك السماء الأرض . والتطم البحر . والتمدم الجمدم • والتهدب الجمدر . واضطرب المجر . واحتبس الفجر . واقتبس الأجر . وقدربت الضمر . وبرقت البيض والسمر . وردت بالردى العداة الزرق المنايا الحمر . وذشرت للأواء بني الأصدفر الألوبية الصدفر ، وراقت لنضرة ثمر النصرة أوراق الحديد الخضر . وأنارت بسالايامن الغسر الأيام الغبر . وتمكن في قلب الكفر من بأسنا الذعر . وانصف الدهدر. واسعف النصر . وكان السلطان قبل يوم رحيله . وعزم الجهاد لله في سبيله . اركب المسكر بعدته وعدته . وحديده وحدته . وبيضه ومجره ولجبه ، ورتبه اطلابا ، وحزبه احسزا با ، وعين رجسال القلب ومن يقسف بالقرب ، والميمنة وحماتها ، والميسرة وولاتها . والجناحين وقوادهما من ذوى الاقدام . والمقدمة والساقة على سنن النظام ، وعين مواقف الرجال ومواضع الأبطال . وعين الجاليشية من كل طلب ورماة احداقها وحداق رماتها . وعين لكل امير موضعه ، ولكل منير مطلعه ، ولكل اسك مسركزه ولكل سعبل منهزه . ولكل أسد عرينه . ولكل قدرن قدرينه . ولكل جحددم مقامه . ولكل مدرام مدرامه . ولكل عازم مدنهبه ولكل حدازم مــوكبه . وقـرر مــظانهن في الركوب والنزول والثبــوت والحلول . ومعارج الصفوف . ومسدارج الزحسوف . ومناهسج الحدوف . ومخارج المئين . وموالج الألوف .

وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر بالعساكر . والأسد القساور . والفتعة الكواسر . والقضعب البعواتر . والفلك المواخر • والسحب المواطر • والسحم الدياجير • والحمس ٠ والبيض الزواهـر ٠ والسـمر الزوائر • والغر السوافر الشواجر • والبيض المغافر • والقوم المعاشر • والبحاد والحاضر • والذف والحافر • والصالب والمساجر • والأكارم والأكاب___ر • والس___اعى والس___ائر • والع___الي والفاخر في عاديات سفره . رعن الرعن لعاديات كفره . حزن الحزن وهي . مغاوير هدى . دان لها التقدير الخمائر عدى . دنا منها التدمير . وسارت على ترتيبها وتعبئتها وتنقيبها محشورة عصائبها مذشورة ذوائبها . سائلة أوبيتها . جائلة ارضها . فهي تخرق الخرق . وتغرق الغــرق على الفـرق . تمـلا الوهـاد بهوائها . وتكلأ من العوادي بعواديها . وأناخت ليلة السابت على خسفين والكفر مخسوف . والشرك مكسوف . وكل جبل بلجبها منسوف ونسيم النصر من قوتها مسوف . وللاقدام في لج الاقدام رسوب ورسوف . والدين في فضله وعدله والكفر عسوف . وباتت تلك الليلة والرماح مركوزه والصفاح مهرزوزة . وللمقربات تصال . والمضر وبات صقال . والمنسوجات اجراء . والشريجيات اغراء . وللعصوج رنان . وللأعوجيات رهان ، وللقساطل اقساط . وللصواهل أصوات . وللسلامة امراط . وللا ستقامة صراط. ولأوراد المنايا فراط. ولأقطار الجو من جوانب الأسلة اقراط . ولحكم الظفر من مقتضييات القدر مناط . وللقيام اشتراط . والقتاد اختراط ، والعسكر بسلط . والعثير اضباط ، وللهمم اعباط . وللدهام ارتباط . وللبهام اختباط . وللأمــم احتياط ، والعــزم نشـاط ، والحــدزم يشاط . وللغماغم اختلاط . وللصوارم اشتطاط . وللنجــم مماط . وللأفق منه سماط .

فلما بكروا ركبوا وكبروا . واخذ بحرهم في الالتجاج . وبرهم في الارتجاج والجو في الارتياج . والدو في الامتراج . وقلب الكفر في

الانزعاج . وجند السماء والأرض في الامتزاج . والصبح في الانبلاج لولا معارضة العجاج . وخضرم الخضراء من غبرة الغبراء ذو الأمواج والأفواج . وتلتها افق العجاج . وقوس التسرائك لامعسة في الأبراج ، ومضايق الزحام داعية الى الانفراج ، والأسد سابحة في غاب القنا الى الهياج . وأجنة الحنايا مشر فــــــــة على الاحراج . وأسنة المنايا مشرعة للانشاج . وأعنة السرايا مسرعة للادلاج ، وليل الخيل داج ، وطرف الفرالة سياج ، ورعب الجيش يخامر الدهر أشاح أ ونقدود الرواحال منان عقدود الرواغي في رواج . والشهوارع نازعة الالجاء واسراء مهمن الجهام واسراج . ونزاوا بثغر الأقحوانة حدروض راء . وعقد غير واء . وعزم غير باء . وعز متباء ، وسعد متناء . وحكم أمسر ناء . وعيون ذات اسباء . ووجوه نضر ذي اتجاء . ومضاء للفضاء مضاء . وشفار بيض لها مدم الأعداء شافاء شاء . وضربت الخيام . وغصت الوهاد والآكام . واشتد الغارام . وامتاد الضرام، ووجد بالجد العدرام، وتقدمت المساعي وسدعت الأقدام . وعلت الأعلام الأعلام . وزها الاسلام . وأمكن من الكفر الانتقام، وحمى التحزب الحمام، وشد التخرم الحرزام، وأقهام الطيف، وطاب المقسام، وزاد في الكف اكفساء الكفساح مسراح الرماح ، وتصلف الصاف ، وعرف كيف ركوب الجبال للرياح . ووعدت الظباء الظلماء بإروائها من الأرواح .

وأقام السلطان هناك خمسة ايام الى يوم الخميس . في ذلك الخميس بضراغم الخيس . وقساور العريس . وبنات قاواعد التأسيس . وأساة المضايق بالتنفيس . وحماة الحقائق في طوري الايحاش والتانيس . وولاة الفيالق المباشرة بالبشر يوم التعبيس . ورماة المآزق في ادارة العناب البئيس من بالاد الشرك بدار الدربيس . واقتداح زناد الأفدراج . وانهاض جناح بدار الدربيس . واقتدا الجناح . وكيف واين ومتدى يكون النجاح . الى ارداء اهدا الجناح . وكيف واين ومتدى يكون اللقاء . وهل يفترق الأحباب . وقد اجتمع الأعداء . شم صدمنا

العزائم على تثبيت الأقدام للاقددام ، وسدلب لبس السدلامة من ملابس عداة الاسلام .

ذكر ما اعتمده الفرنج

أول ما سمع الفرنج باجتماع كلمة الاسلام . ووصدول امداد العساكر المصرية والجزيرية الى الشام فرغوا من هجوم حين حينهم . وشرعوا في اصلاح ذات بينهم . وزحفوا عن التفاير والتنافس الي التضافر والتوانس ، وقسالوا :نصسن انصسار النصرانية . واصلاب الملة الصليبية . وقيام القيام بها ، وعصب العصبية . وعمدة المعمودية . وداروا بدر افاويق الوفاق . ونزعوا الى نزع شدقق الشقاق. وأثار القوم صلح القومص (٤) ووصدلوا على مراده مطلع امانيه بالمخلص. ثم تزا وروا وتدوا زروا وتضافروا وتظاهروا ، وحشدوا وحشروا ، ونصروا واستنفروا ، والتاموا واشلاموا . وتذمروا وتذمموا ، وتخطوا وتدورطوا ، واخترموا واخترطوا . واشتطوا وافرطوا . وندموا على ما فرطوا . وخطبوا وخبطوا . وامتزجوا واختلطوا . وقبضوا وبسطوا وقسطوا وفي ايديهم اعطوا . وجمعوا عبدة الناسوت واللاهوت . ورفعوا صليب الصلبوت ، وثار اليه كل ملتاح الى الثار مدرتاح ، الى النار دار باللجب الجرار ، واريفلح الأوار ، ضار بلا ضرار ، مستمر مع اسرار . غمر من الأغمار . وكل مقو مقوار . وباد بادبار . وناز بزنار . وكافر فجار . وناكث غدار . وباسل ذي بأس • وفارس للأساد فراس • ودا وي داء خبيته عضال • واسبئاري له دون تباره نضال . وباروني يبارى البوار . وتركبولي لا يترك الغوار ، وينزع النزاع الى الاوتار الاوتسار . وكل متسدرع بجلد أرقسم يهسن أفعوانًا . وكل شيطان يجر لهتخ ماء الأرواح أشطانًا . وكل متميز في الوغى متمرن على الردى مترنم . بصليل الظبا مترنح . بـ كعوب القنا متوقح . بضراورة الشر على ضاربي الشرى متوقد . يغض

الجمع الجم كأنه حمر الغضا. مقتصم للطبيعة النارية شواظ لظى . ضرب كالعضب المنتضى . تنحت كالشبا ، وكل جحيمي جاحم ، وضرامي ضارم ، وجهنميي بجهامة ، وممتدري بصرامة . وناري يلفح ، وحجري يقدح ، ومسارد مسارج ، وصرف الشر ممازج . وسعري ذي استعار . كأس من عار . حاس من دم جار . عاس على العجم جاس في الهجم . خاس في الرجم . قاف اثر الغي . كاف بعين البغي . جاف على الذشر والطي . حاف في الزعف راد بالزحف . ساق بالحدف ناصب بالفعل جازم بالحذف، وشارب نجيع شار، وضريب قريع ضار، وكل مجترم مجترح محترف الموت مقترح ، حقيق بالروع مصطبح ملتفع ماشم القطوب ملتفح مصطلم لثلم الخطوب مصطلح ، وكالذي فضفاض وسيابغ ونضيناض لادغ ، وعاو ذائغ ، وعار في الدمياء والغ ، وسالب باسل ، وطالب باطل ، وعامل ناصب ، وعاسل لاسع بعاسل ، وكلب نابح وثعلب ضابح ، وسرحان سارح ، وذئب جارح ، وزرق تمتش بزرق الأسنة ، وشقر تعبسي الشقر بصرف الأعنة ، وكل رامح رام ، ونابسل ناب ، وراحض عاب ، وحساضر غاب ، ومرتكب كبائر ، ومرتبك جرائر ، ومبتكر جـرائم ومشرك عظائم رئبال ، وامعط مغتال ، وأمرط ضال ، فعاموا في بحدر العمى ، وحاموا من الردى حول الحمي ، وغاروا للاقتحام الوغى ، واصحروا بصحراء صفورية في غيل القنا ، وطلبوا في نهج المنايا نجح المنا ، ومشوا الى المداناة ، ونأوا عن الونى ، وطمى سيل خيلهم على الوهاد والثرى ، ودب راجلهم كرجل الدبا ، وحلوا لحب الموت الحبا، وقال الظلال في ظلام العجاج، وضاق الفضاء عن مجال الضحضاح ، وبدا خــرق الصــبح فــوقى النقــم بالوقع ، وشكا الترى الى التريا من الصواجر الصوافر شدة الوقع ، واحتابوا مواقع واجتنبوا سوابق ، والمعدوا والبوارق . واسمعوا الصواعق • وقسربوا السدوابق • وأبعدوا الخدواذق • وحملوا الطوراق الطوارق، وشدوا نار الفدرق، وأشادوا المفارق، واعتقلوا القنطاريات قناطر العبور العير، وانتزوا لحماية

السلب في العوامل كعاسلات النحل مسدساتها بالأبر، وطال الشر وطار الشرار، وشق الأمر، وسقت المرار، وأخضرت الغبراء من الصحيد، وأغبرت الغبراء من الصحيد، وأغبرت الخضراء مسن الصحيد، وسلت الشيول، وسالت الشيعاب، وتفايضت البحار، وتضايقت الرحاب، وتموج بضراغمة الفاب، وأرعبت ايماض البدروق واصعاد الرعود، فالكفر منهم ظلمات بعضها فوق بعض، وختام القتام بالفضاء في فض، وغدران الفران في فيض، والنجوم في انقاض، والدوابل في ارتفاض، والموامل أذقاض، والموامل في ارتفاض، والعوامل في ارتعاض، والعوامل في التعاض، والعواهل في اصطخاب والجيش شاك، والعيش شاك، والعراب، والمسراك ناصب واشراك وخاطب ادراك، وطالب بوار، وحاطب ليل خسار، وثائر ثار، ونيران

عاد الحديث الى افتتاح السلطان بفتح طبرية وذلك عشية الخميس ثالث عشر ربيع الأخر وذكر المشاورات

ومازال السلطان لله مستخيرا ، وبعونه مستجيرا ، ولاعوانه مستشيرا ، فأشار الأمراء ذووا الآراء بالصدود عن اللقاء والمحافظة على نضار الاسلام بصون النماء وحقان الدماء وقالوا : لم يسبقك أحد الى مضايقة القوم ، ومحاققة المزم في الرقم ، ومابلغ الأملاك قبلك الا مابلغت ، ولم يريغوا من هذا المراد ماأرغت ، وهذه جمرة الاسلام ، ونخبة رجال الشام فلا تفسركم تنقال المعركة ، ولاتلق بأيديهم الى التهلكة، وهذه بالادهم قد خلت منهم، ونأت بقربهم ضياعهم ، فنشتغل بالاغارة على بالادهم الخالية ونقدم بأقدا منا عطل احوالها الحالية ، ونرجع بالغنائم والسبايا والمرباع والصفايا ، ومانزال نزيدهم حتى نضعفهم بامداد والسبايا ، ونخلص من انسانهم عاجلا أو أجلا ، بالقود والسبايا .

فقال السلطان: ان الأيام غير مسامونة ، والأعمار غير مضمونة ، والجهاد فسرض فسرضه رسسال الله في أرضاه وسمائه ، وندبر بطوله وعرضه عرضه ، ولابد من هذا اللقاء أما وإمسا وإن الله الصسدق القسائلين: « ولينصرن الله مسن ينصره » فقالوا : خصك الله وأفردك بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة ، وحيث استخرت الله في الاقدام فانا نبذل المنح بين يديك للاسلام.

فلما أصبح يوم الخميس · سار الخميس · وزحـف بـأسده العريس, وطلبت اطلاب احباب لآله لقاء الأعداء • وجرت السوابق على الأردن أربيان الوبيان في الاجسراء واعتضدت أمسلاك الأرض بمــــلائكة الســــماء • ولوت أولياء الله على العــــــدى ألوية اللاواء • ورمدت عين الفلك من ملابسة الأقداء • وحسارت غزالة الفالق من أسد الفيلق وتقيد عنان الجو من عنان الجواد ولاح سنا الموت الأحمر في السنان الأزرق • واشرف على الفرنج في معسكرها العسكر • وقام الحشر • وعاث العير • وماج البيض والسنور • ومار المورد والمصدر • وغام اليوم الأغبر،وراغ الحديد الأخضر • وراق الأبيض والأسهم • ووقعف مهما المثير المعشر • وحسال المغيث وهسال المحضر • وهساب المنظسسر والمخبر • وظهر الحق وحـق المظهـر • وارتفعـت الأصـوات بقول: « الله الأكبر » فلو برزوا للمصاف لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم ربضوا وماذبضوا • وقعدوا وما نهضدوا وأخادوا الى الأرض • وشدوا نواجد العض • ولم يدعوا مرابضهم في ذلك المكان • ولم يشيموا ما في الأجفان • وثبتوا ونبتوا ، وسكنوا وسكتوا ٠ وأشفقوا في البروز من الخطر ٠ وفي الخروج مسن الغرر • وحذروا من القدر لو دفع القدر بالحذر.

فلما عرف السلطان أنهم لايبرحون • ومن قرب صدفورية لاينزحون وأنهم لايهيجون الى الهياج • ولايخوضون معه بحر العجاج • أمر أمراءه أن يقيموا على مقابلتهم • ويذموا على عزم

مقاتلتهم • ونزل هو في خواصه العبسية على مدينة طبرية • وعلم انه علموا بنزوله عليها بادروا بالوصول اليها • فحينذ يتمكن من قتالهم • ويجهد في استنصالهم • فحضر طبرية وحصرها • وابتدأ بها وابتدرها وجمع الرجال على أحد أبراجها وأخلاها مما حمى أهلها من أعلاجها • فوقع ذلك البرج • وانتزح عنه الفرنج • ونصبت عليه سلالم الاسلام • ويضلوها في جنح الظلام • فاستضاءوا بما أعلق من الضرام • وعاد ليله معدودة من الأيام • ووقعت النار في مخازن كتان واهراء غلال • فاحترقت أمتعة بأموال • وكبسوا رباعا وكسروا متاعا • وأرهجوا وأوهجوا مرضا وضرما • وأحسرجوا وأخسرجوا نعما • وبقيت الدور فارغة شاغرة • وأفواه الأطماع الى ازدراد ونعما • وبقيت الدور فارغة شاغرة • وأفواه الأطماع الى ازدراد وتعما • وبقيت الدور فارغة شاغرة • وأفواه الأطماع الى ازدراد ماتحويها فاغرة • وتحصينت القسومصية سيت طبرية في قلعتها • ومعها بذوها وحموها بوقاء وقصم قلعتها • ومعها بذوها ودقب جدارها وطم جوارها • وفصم سوارها .

فجاء من أخبر بأن الفرنج قد بكروا وركبوا و وأجلبوا بخيلهم ورجلهم وتحربوا وتحديوا وتصدلبوا وصدابوا وتحديوا وتصديوا وتصديوا وتصديوا وأروا وأروا وجداءوا واجئين وبالفجائع ماجئين وفي ليل القتام مدجين وفي بحدر اللام ملججين مدججين والى حدزب التدوحيد بحزب التثليث مخرجين ومن كل جبل تحدرته الريح ومشديح شدعاره المسيح ونمدر يخفدر الزمان ويبيح ونصدب الى الموت يستريح ومشتاق الى ملاقاة المنون قد حثه التبدريح ومخدرج الى المرق اللجج، ويوحشه الفضاء الفسديح ومدرتجج يؤنسه المارق اللجج، ويوحشه الفضاء الفسديح ومدرن كل بسطل المارة وكل مد مده وقرم قرم وضرغام ضرم وكل معاند البلاء معاق وكل حان لثمر العناء جان .

ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء .

فلما سمع السلطان بحركتهم • أيةن بهلكتهم • وقال: الحمد لله الذي انجـــن وعده • وأيد جنده وأدنا مــن مـــدرادنا القطاف • وأصعى من مسرامنا النطساف • وأسسنى لنا الالطساف ونهض بجباله الى جبالهم • وبرجاله الى رجالهم • وسار لقتالهم • وضيق عليهم سعة مجالهم • وأخذ عليهم بذوى الاقدام قدامهم • ووقف بصفوفه امامهم • وصد طرقهم • وسد فلقهم • ورد عن الزحف فيلقهم • وأغرى غرامهم • وأضرى ضرامهم ذاك والله ذاك ، والجيش شاك والقيظ عليهم فيض • وما للغيظ منهم غيض وقد وقد الحر، واستشرى الشر ووقع الكر والفر • وللأوار تأجج • وللارام توهيج ، والعدى شعل • والردى شغل • والسعير واقدد • والهجير عاقد • والآل شايط غرار • ومالآل الشيطان قرار • والسراب طافح • والظما لاقح، والجو محرق • والجوى مقلق • ولا ولئك الكلاب من اللهبب لهث • وبالعيث عبث ، وفي ظنهم أنهم يردون الماء • ويردون الذماء • ، فحالاتهم الحالة الحالية • وغالتهام الفلة الغائلة • واستقبلتهم جهذم بشرارها • واستظهرت عليهم الظهيرة بنظارها · وذلك يوم الجمعة بجموع اهلها الجتمعة · ووراء عسكرنا بحيرة طبرية • والورد عد وما فيه بعد • وقد قسطعت على الفرنج طــريق الورود • وبلوا مــن العــطش بـالنار « ذات الوقود » فوقفوا صابرين مصابرين مكابرين مضابرين ، فكلبوا على ضراوتهم • وشربوا مافي اداوتهم • وشفهوا ماحولهم من موارد المصانع • واستنزفوا حتى ماء المدامع • وأشر فوا على المصير الى المصارع • وبخل الليل وسكن السبيل • وباتوا على شغف البحيرة بحيرة • وحيقت ظنونهم • ولم يبق بهمم غير غيرة • وباتوا بقريحة وقرح • وظماء برح • وقووا أنفسهم على الشدة • واستعدوا بالعزائم والضرائم المحتدمة المحتدة • وارتووا من ماء الفرند • واكتفوا بمساء جسدا ول الأغمساد مسن الورد

العد • وقالوا غدا نصب عليهم مساء المواضى ونقساضيهم الى القواضيب القدواضي • ونقتضي بحقدوق الحقدود اشدد التقاضي • ونبليهم في برد الصباح بحر الكفاح • ونظهر لارواء الأرواح نجاح النجاح، وشدوا حرزم الانتخاء • وأعدوا حررم الغناء • وأجدوا عزم البلاء • وطلبوا البقاء بالتوسط في العناء • وأما عساكرنا فانها قد اجترأت • ومن كل مايعوقها برئت • وهذا اسنانه شاحذ • وهذا شهم مدوفق • وهدنا لحده ممه • وهذا لحده منه • وهذا لسهمه مقوق • وهدنا شهم موفق • وهذا مكثر التكبير • ومنتظر التبكير • وهذا مجدر ضامر • ومعر بائر • ومغر مؤمن بكافر • وهذا يقول: أنا المبارز المناجز • والمحاجز للحاجز • وهدنا ناج للسعادة • وهدنا راج السعادة • فيالله تلك من ليلة حراسها الملائكة ومن سحرة انعامها الطاف الله المتداركة • ومن دجنة أضاء بها نور الجنة • ومن دجية أنارت بها نجوم الأسنة • ومن هزيع تجره بالحق صديع • ومن ظلام ممله بالضياء جميع • ومن جنح كل جناح تحت مفافره مغفور ٠ ومن بيجور مابعده لاشراق سنا النصر بيجور ٠ ومن الوية اولياء الله عقدتها بخمرها الحور • وقد قابل بها فيها ظلمـة الكفر من الأيمان والذور · فهم ليلة القصدر « خير مسن الف شهر » تنزل فيها الملائكة والروح · وفي سحرها نشر الظفرر يفــوح • وفي صــباحها الفتـوح • فمـا ابهجنا بتلك الليلة الفاخرة ، فقد كنا ممن قال الله فيهم :« فأتـاهـم الله ثـواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » وبتنا والجنة معروضة · والسنة مفروضة والكوثر واقفة سقاته • والخلد قاطفة جناته • والسلسبيل واضحة سبيله • والاقبال ظاهر قبوله • والظهرور قائم دليله • والدين متقاضي بالشفا عليلة • راع رياض الرضا رعيله • والله ناصر الاسلام ومديله.

ذكر النشاب ووصفه.

وسهرا اسلطان ذلك الليلة • حتى عين الجاليشية صن كل طلب بأسماء رجالها ٠ وملا جعابها وكنائنها عريات نبالها ٠ ومريشات نصالها • وكان ما فرقه من النشاب أربعمائة حمال • فنزل نص النصر منها على كل نصل • ووقف سبعين جمازة في حومة الملتقي يأخذ منها من خلت جعابة • وفرغ نشابه من تغالق تفتح من باب الجنة المفالق • وتواضيح تخرق المضاعف النسيج • وناوكات ذوات نكايات • وزيارات وزنبوركات • ونبل عنده نبأ لكل تبل • ونشاب في الأحداق ذي انشاب • وجروخ الجروح • وخروج الروح • وسهام الأشهر سهام الحمام وتنفير اقرانها الثعام .ونصل وصالها تقطع ا وصال نا فق بكل حمس صال، ومطالق نطلق بها سراح الأرواح . ومعابل تكثر منها صعاب الجراح . ومهدرقات مدوفقات مسدات ...الحسمارق...(٥) المبسردات وصسمائيات الى المقسمل صابيات . وذواجــز تعيد الســباع قنافــذ . وتجعــل للنجيع مناجع . والمنون منافذ . وبوارق تمرزق اهب المارق ، وتطقم وتنتقم من المارد المارق. ومريشات اوكارها الحدق. وأوكائها الحلق. وفاصلات ناضحات اربية الردى. وناحلات فاضحات اوردة العدى . وقاضبات قاضيات بحكم الردى . وحارقات رقعات خروق النواظر . وفاتقات راتقات فتوق المصواطر . وراشقات را شفات شفاء المقالة المقالة وقالة والمنات والمنات منفاله المناب المناصل . وماضيات حاظيات بالاصابة . وساعيات داعيات للاجابة . وحفيفات ثقيلات الجناباة . ومخيفات قمينات النكابة . ومضميات مصممات للفتك . ومسدميات مسديمات البتك . وقدريبات بعيدات المطسار . وطسالعات مسطلعات على الأسرار . هاتكات للذماء . سافكات للدماء . مثريات للثرى ، مفريات للفرى ، جائرات بالجرى ، واثبات وثاب الجــراد. واريات ورى الزناد . طــائرات مـــن الأكناد الى الأكباد . مرهفات من الهيف . مرعبات بالهفيف . خارجات من

طلوع الحنايا الى احناء الضــــاوع مــارجات لدى الروع الراد الروع . قارعات ابواب القراع . قالعات انياب القلاع . بالغات الشعور . عالقات بالتامور . محلقات للدحور . غاربات الغروب في النحسور . ورادات الصحدور الى الصحدور . قصاطعات الحجاب . واقعات بالعذاب . مدمجات على الالتهاب. مغنيات بالدماء على الطعسان والضراب. ومسراسيل تسروى امسام العوالى . ومعاريض مالها مندوحة من التوالى من كل فريض يؤدى به فرض الجهاد . ورميض يعوض بياضمه من العين في السواد ومعتدل تحذو له العصوج . وبصرق خصاطف تحمس وراءهصا المهوج . ومنزع لنزع المهسج وقسطع الود اخسسطف مسسن الوميض . والحق من المريض . وأنظم من القريض . واشجى مسن الحريض . واشبى من الطرف الفضيض . وأعمل من السمر والبيض . والسـلطان يأمـر . والحنايا تـــوتر . والمنايا تـــؤثر . والأعنة تصرف . والأسـنة تــرهف . والحقـــائب تنعض . والمقانب تعرض . والجاليشية تشمر . والجاووشسية تنصر . والسهوابق تضهمر . والسهوابغ تنشر, والصهلادم تنضى . والصوارم تنتضى . والسللهب تجملع . والجنائب تمرح . وأيم الضراء تنساب . وغيم القمساء تنجساب . والنفوس مرتاحة الى التعب . والهمم مشتاقة الى النصب . والجد شاغل عن اللعب . والعزم غالب باللغب . وصب بالوصب .

ذكر يوم حطين وهدو يوم السبب الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر.

وأصبح الجيش على تعبيته . والنصر على تلبيته . ووقف العسكر في قلبه وجناحيه وميمنته وميسرته أطللابا متقلربة متباعدة . وأنجادا متعاهدة متساعدة و آلافا متضافرة . وأضعافا متضاعفة متظاهرة . وبرز رجال الجاليش . وارتجاز دعاء

التحريض والتحصريش . وصصفا لبساس الناس على الكمسى الكميش . وشرعت ثعبالب الشرع في رعى الحشباشات رعى الدشيش . وتطاير في الجو على سنابك الهمام جراد النصال المريش . وكان طيور النصال ضلت ركونها فخربت حجب الأرواح للتقييش . وقامت الحرب على ساقها . ووفت بميثاقها . وأسرعت اعنة عتاقها . واشرعت اسسنة دقساقها . وأطسالت رقساب رقالها . وابات غايات سالت الله وأعلت رياحات احتفىالها . وأحلت محانا ق محانا قها . وأغلت أوسحاق أوساقها . وأغرقت سهام اطلاقها أ. وأطلقت لهام اعراقها . ومدت ظـــلال رواقهــا . ودارت كؤوس اصــطباحها للاعتبــاط باغتباقها . وتحملت بفرم اجتماعها لغنم افتراقها . وأذهبت فرق مذهبنا لساعة افراقها . ذلك والفرنج راكبة الجرد . متراكبة المدد . متكاثفة العدد . أخنة طريق البحيرة، بطوارق الحيرة، قد احاط رجلها بخيلها . جارية الى القرار بسيلها . أمرواجها ملتطمة . وأفواجها مزدحمة ، وأطلابها منتظمة . ونيرانها ملتهبة ملتهمة . وذفعها مديد . ووقعها شديد . وحسدها حسديد . وجسدها جسيد . يأمذون المذون . ويجذون الجذون . ويجسرون الشسمول والحزون . فاعترضهم مدنا . واعتراهم صددنا . وردت سيولهم بيضاتنا . وخيولهم عرابنا . ووقعت لنا برمم حبالنا . وشوتهم بنيرانها نصالنا . فعرفوا انه لا سبيل الى الحياة الا سلوك نهج الموت . وأنه لا مسطمع في البقساء الا بسساستحلاء مسلطعم الفوت . والسلطان قد رفق قلبه . ووقدف الى الوثدوق بنصر الله قلبه . وهو يمضى بذفسه على الصدفوف . ويحضهم على حظهم من الفتوح أو الحتوف . ويعدهم من الله بنصره المألوف . ويغرى المئين يالألوف . وهم بمشاهدته أياهم يجيدون ويجدون . ويصدون العدو ويردون . وكان له مملوك اسمه مذكورس من اقمسار الفلك . ومسن شموس الترك ، وأسود الفتك ، ورماة الحدق ، وكماء الخلق . قد علقته الحور العين لحسنه واستبشر رضوان بيمنه . وقلوب القيول في رهنه . وعقود العقول في وهنه . والكواعب الأتـراب يشـتقنه في جهات عدة . وكان الله برأي الاقامة منته . والمقام في جنته . ودعاه

الى قصور الجنان والدور الدسان . وكان ظريفا طريفا . نظيفا عفيفا . طاهر النيل النزاهة . ظاهر الميل الى النباهة . قد كمل الله له حسن الخلق والخلق. وفضله في الفروسية والسبق • وركب عنقه في الرق • والهمه نصرة الحق • وهو راكب امام العسكر. شائم غمام العثير . نامق عرف الكوثر في مستعفر تحت المغفر مستنير في سنا الستور مشرق كالقمر الأزهر . وأراد أن تكون له فضيلة السبق في الأقدام ، فوتب بحصانه وثوب الضرغام . معتقلا الى الردى ربينيا . ومشـــتملا التــرف مشرفيا . وممتــطيا للاســتقامة اعوجيا . وحمل حملة جرى فيها عنانه . وفرس سنانه ، وماد فيها ميدانه . وشكر لها احسانه . وذكل عنهـا اقـرانه . وذفـذ طعانه ، وظن انه موافق في الركض اعوانه ، فجهذبه لقوة رأسه حصانه . وخلا خلانه . وخانه اخاوانه . فلمسا رأه الفارنج وحيداً . ووجدوا المدد عن نصرته بعيداً . عطفوا عليه . وزهفوا اليه . ورموه عن ظهر حصانه . وأحاطوا به في مكانه . فأثبت في مستنقع الموت رجله . وقاتل الى ان بلغوا قتله . فلما أخذوا رأسه ظنوا انه احد اولاد السلطان . وزعمهوا ظههور الكفهر على الأيمان . فأما الشهيد فإنه انتقل الى جوار الرحمن في غرفات الغفران . وأما عساكرنا فإنها لما شاهدت استشهاده وجلده وجلاده حميت حميتها . وأبت غير الغيرة ابيتها . وخلصت لله في ارداء اعدائه بنيتها . وصممت الجاليشية تصمى سهامها وتشوى اهل النار بنار ضرامهـا وتلفحهـم بلوا فحهـا . وتقـدحهم بقوا بحها . وتسقيهم بجدا ول مناصلها . وتدرميهم بجنادل صواهلها . وترديهم بأردية رداها . وتغريهم بما يغرون من المذون عن مناها . وقد قست عليهم قاوب القسى لا وتار ا وتارها . وتمور من الضوامر بجبالها . وتموج في البواتر في بحارها . وبرح بالفرنج العـــطش . وأبــت عثــرتها تنتعش . ولانت تتشــور وتتشوش . وتتحرى وتتحرش . وتتوشح بالضراء والضراب وتتوحش . وتنشط على أنها تبطش . فتجدد الطرق مصدودة . والسبل مسدودة . والمسالك محسدودة والمهالك مورودة . وكان النسيم أمامها . والحشيش تحت اقدامها . فرمي بعض مصطوعة المجساهدين النار في الحشسسيش . فتساجح استعارها . ودوهج اوارها . فبلوا وهم اهل التثليث من نار الدنيا بالثلاثة الأقسام : في الاصطلاء والاصصطلام نار الضرام ونار الأوام . ونار السهام . فخلصسوا مسن ورطسة الاحتسواء والاجترام . وضايقت ذمائهم دماء الضراغم . وعارضت صدقور بأستهم القشاءم . ولقيت العظائم العظائم . ودارت بمساعير الجحيم دوائر السعر الحواجم والجأناهم الى حملات اعجزوا بها وازعجوا . وهاجوا وأوهجوا . ومساجوا ومسوجوا وأجسوا وأججوا . وارهبوا وارهجوا . فما ضعضعوا رواسينا الرواسيخ ولا خلخلوا من مقامنا الشم الشوامخ .

ونظر القومص يومئذ الامر الى غايته . واراه غيه انه متــورط في غيايته وان القوم في عين الوقم . وان صحتهم مفضية الى الســقم . وانه تداعى بنيانهم ودعاهم خذلانهم ، وخانهم اخوانهم ، وا وهت اصلابها صلبانهم . فافكر القومص كيف ينجو ويتخلص . فقال لهم: انا اسبق بالحملة ، وا فصلهم من الجملة ، فاجتمع هسو وموازروه . وجملة من المقدمين هم مضا فروه . وصحبه صاحب صيدا وباليان بن بارزان . وتـوامروا على انهـم يحملون ويلفـون الطعان . فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر تقى الدين . وهو مؤيد من الله بالتوفيق والتمكن . ونجوا بنفوسهم . وخلصوا من باس القوم وبؤسهم . ولما عرفوا أن القومص أخدد بالعزيمة وذفذ في الهزيمة . وهذوا وهاذوا شم اشمتدوا ومما لاذوا . وثبدوا على ما كانوا . وقالوا : انما فر في شرنمــة هــم شر نمــة . وعصبة قليلة بغير عصبة . واستقبلوا واستقتلوا . واستلحموا وحملوا فما وجدوا للنجح نهجا . ولا اصابوا لمن جاء لمصابهم شجى . وحماوا حملات راضوا بها جماح الحرب . وخاضوا فيها غمار الطعن والضرب . وعدموا فيها استطاعة الغدر . بـل طـاعة القدر . واستعرنا النصر عليهم من النصل المستعر .

ووقعنا عليهم وقوع النار في الحلفاء . وصديبنا ماء الحديد

للاطفاء . فزاد في الاذكاء . وافترت مباسم البيض من استعبار عيون مقاتلهم في البكاء . وعبت دأماء الدماء . وشبت شبا الهندية في الفرنجية ضرام الضراء . وباح لنا سر السراء . فحطوا خيامهم على غارب حطين حين رأونا بهم محيطين . فاعجلناهم عن ضرب الخيام بضرب الهام . وازللنا اقدامهم عن مداحض الاقدام .

وخاطبناهم بكلام الكلام . وزحفنا زحفا مرتزا . وحفزنا زحفا ملتزا. ونقضنا من اطرا فهم. وحضضنا من اكنا فهـم. واحتست انية الظبا طلاء الطلى . وارتعت تعالب القنا كلا الكلا . واكتست عرائس الهدى للعلى من دم الكفر الحلى . وخسالطهم الفسريق المستطيل . والحريق المستطير . ومطروا وبل الوبيل . فالهب عليهم يومهم المطير . فما زالت اللجج تفيض . والمهج تفيظ . ومنابع الكفر تفيض . وملاحم الاسلام تغيظ . والنفوس تقع . والرؤوس تطير . والقضب تدير . والقب تغير . ورحى الحرب تدور . وقدوى الشرك تغور وتبور . واسد الوغى تجول وتجور . ومراجل الراجل والفارس تفور وتثور . حتى كست اشلاء مهلوكيهم عرى الهدراء . وحسدت شفاه الشفار من افلاذ مملوكيهم احساء الدماء . ورست منا الهضاب حول ذلك التل . ورضيت استنا الغضاب بظهور القتلي بطون الذمل . وتداعى جناب الاضطراب . وكشف الرائب شك الحجاب . وتفتحت ابواب الطعان والضراب . وكثر مسرعي الثعلب والذئاب . وتقطعت اشراك الاشراك . وتوزعت منه اكتاف الفتاك . وانكس من الصليبي صلبه . وبطل طلبه . وعليت وغلبت غلبه . وقلب قلبه . وخذل حزبه . وجرت الحرب عليه حزنه . وجيرت كماته وكمية وقبابه وقبه . واحتلات بملأهم جهذم . وملك عليهم الصليب الاعظم . وذاك مصابهم الاعظم . ولما شاهدوا الصدليب سدليبا . ورقيب الردى قريبا . ايقنوا بالهلاك . واثخذوا بالضرب الدراك . فما برحوا يؤسرون ويقتلون ويخمدون ويحملون وللوثوب يخفون . وبالجراح يثقلون . ومن مصارع القتل الي معاصر الاسر ينقلون . ويردون وهمم لايدرون . ويعقلون وهمم لايعقلون . وقمرم بقموي القواطع مطعون . وقوم بجوى الجوامع يوصدون . والحسيد تسارة

يحل الاعناق وتارة يغلها . واونه بالبرى يعسرها . ومسرة بالسبي يذلها . وذكبوا في ارواحهم وانفسهم . ووصلنا الى مقدمهم وملكهم وابرذسهم . فتم اسر الملك . وابرذس الكرك ، وأخي الملك جفري -وا وك صاحب جبيل، وهذفري بن هذفري ، وابن صاحب اسكندرونة وصاحب مرقية ، واسر من نجا من القتل من الدا وية ومقدمها . ومن الاسبتارية ومعظمها . ومن البارونية من اخطا به البال لما عز الدين . ودر الباس . ودارت عليهم بعقار عقرهم الكاس • وقوي بنا الرجاء ومنهم الياس • وعروا من ملابس العز . وضعفا عليهم من ملابس الصفار اللباس. وتعسرضت للسوء في السسوافي طلول حسومهم الادراس. ووجبت في اجناس غنائمهم الاجناس . ولما جد يهم حكم القضاء لم يجدهم الاحتراز والاحتراس. ورسدفت وارسفت الانفس والانفاس. وانعقد الاجماع بتحليل تدركيب جمعهم . ونص النصر وصبح القياس . وجبر الاسللام بكسرهم . وقتلوا واسروا باسرهم . فمن شاهد القتلى قال : ما هناك اسير . ومن عاين الاسرى قال: ما هناك قتيل . ومدد استولى الفرنج بساحل الشام ما شفى المسلمين كيوم حطين غليل . فالله عز وجل سلط السلطان واقدره على ما اعجز عنه الملوك . وهداه من التوفيق لامتثال أمره ، وأقامة فرضه النهج المسلوك . ونظم له في حتوف اعدائه والفتوح لاوليائه السلوك . وخصه بهذا اليوم الاغر . والنصر ألا مر . واليمن الاسر . والنجح الادر . وأو لم يكن له الا فضيلة هذا اليوم لكان متفردا على الملوك السالفة . فكيف ملوك العصر في السمو والسوم . غير ان هذه النوبة المباركة كانت الفتح القدسي مقدمة . ولمعاقد النصر وقواعده مبرمة محكمة .

ومن عجائب هذه الوقعة . وغرائب هذه الدفعة . ان فارسهم ما دام فرسه سالما لم يذل الصرعة . فانه من لبسه الزردي من قرنه الى قدمه كأنه قطعة حديد . ودراك الضرب والرمى اليه غير مفيد . لكن فرسه اذا هلك فرس وملك . فلم يغنم من خيلهم ودوا بهم – وكانت الوفا ب ما هو سالم . وما ترجل فارس الا والطعن والرمي لمركوبه كالم وثالم . فما سلمت لهم دابة ولا ذابة . ولامدورد الدروح سائبة

ولالنار الروح شابة . وغذمنا ما لا يحصى من بيض مدكذون وزغف موضون . وبلد وحصون وسهول وحزون . وابتذلنا منهم بهذا الفتح كل اقليم مصوف . وذلك سوى ما استبيح من مال مخسرون . واستخرج من كنز مدفون . و ... حاصلة . و ... (٢) تحقق اهله . ومصاحبة قديمة . ومناصحة كريمة . ومرا وحة في عمارة القلب .

واتفق انه سرقت لي في طريقنا الى حمص ثلاثة اجمال بما لها من عدة ورحال . وكنت قد سلوتها . وتمكن عني فوتها . فجاءنا هدنا الامير بعد يومين . وقد اتانا من الجمال المسروقة بقطارين . وقال : لل سرتم عرفت ان وراءكم لصوصا وانهم ان ظفروا بجناح غادروه محصوصا . ورتبت اصحابي على الطرق . وفي المواضع البعيدة من العمارة ليتوصلوا الخارجين من اهل الذعارة . فوجدوا هذه الجمال التي احضرتها . وقد حرمت على المفسيين الحدركة وحظرتها . فتاملتها واذا جمالي بأعيانها . فشكرت همته الكريمة على الحسانها . ونشد كل من له ضالة . فوجدها لاجل امن الطرق التي والخطوب بصدده مصدودة . والفلال باشتماله ممدودة . والرعايا بسياسته محروسة . والبلاد بحراسته مسدوسة . ورايات الكفر بنكاياته مذكوسة . وايات الكفر معمورة . والمانف عمورة . والمانف معمورة . والمنافع مصوفورة . والمسنائع مشهورة . والمنافع مصوفورة . والمسنائع مشهورة . والمنافع مصوفورة . والمسنائع مشهورة . والمنافع مشهورة .

وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم وعرفتهم وعرقتهم تذكرت معرفتهم . وتكدرت صفوتهم بعد الايام السلطانية . وانقلبست سجيتهم بعد الدولة الصلاحية . فهم صادقوني لصدق الحاجة . وصادفوني مقدما للذب عنهم تحت العجاجة . غائصا لاستخراج جواهر مقاصدهم لجج اللجاجة . فلما استغنوا عني جهلوا معرفتي وانكروا عارفتي . وهذه سنة اخلاء الدنيا في دين الاخلل . ومله الملال . واستحالة الحال . وتعريض عرض الود لذلة الزوال . فما ابدعوا غريبا وما ابعدوا قريبا ولا اعجبوا باديا ولا ابدوا عجيبا (٧) .

كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي للعماد الأصفهاني الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله من الحمد مايبلغ قضاء حقه وإن حقه لعظيم . ومن الرشد مايكتب سالامة نياتنا في الطريق إلى كرمه وإنه لكريم . ونشكر بسر القلب وجهر اللسان إحسانيه إلينا بانهما حادث وقديم . ونستزيده ونستنيمه نعمه وان يخيب على الشكر والرضا مستزيد ومستديم . ونستعين به على الدهر وقد فعل فاذا وهو الذي بيننا (وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (فصلت : ٣٤) . والحمد اله الذي بدأ بنعمه متطولا . وبمزيده متفضلا . وعامنا شكر فضاله الموقور . وقبل منا عفو خواطرنا المنزور . فلا يكلفنا من الشكر فوق الطاقة . ولايطلع من النعم الطليعة إلا وراءها من المزيد الساقه . وقد وصدف المشكور منه نفسه بأنه شاكر عليم . فرب غافل مناعن الشكر ما غفل عنه فضله العظيم . فلا عدمنا ينتاب منتابه راجيا وداعيا . ومستيقظا وساهيا . وصامتا ومتقاضيا . لنا منه على كل حال كل حال من مواهب ربما عطل عنها . لسان شكرنا وضمير ذكرنا، وباتت سارية إلينا لاطيفا بلحقيقة على ذوم فكرنا . شم إن الله سامحنا في حقه من الشكر فقبله من عيينا وبليغنا . ومتجرعنا ومسيغنا . فتارة يقبله ضميرا مجمجما . وتارة يحيط به قاولا مترجما . ومرة يعلمه نظرا من قلب ينفذ نور الذكر من ظلمات ضاوعه . ومرة يسمعه همسا من السان يناجي ملكه بنغمات مسموعه . وكيف لا (يعلم السر وأخفى) (طهه : ٧) من بعينه مسارحه . وكيف لايعلم الغيب من عنده مفاتحه . ونرغب إليه في أن يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى أله وسدام فإنا لانرضى بعفو استحقاقه من الوصف جهدنا . فنصل إليه صلاتنا وذوّدي إليه ودنا . ونعظم موقعه حين كان منه كقاب قوسين أو أدنى . ونشكره على أن فتح علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسري به . فانبعث صلى الله عليه وسلم سهما فكان كقاب قوسين في إقترابه .

ما كذب الفؤاد . ولا خاب المراد . ولاصدق المراد . وأين من أخبر عنه أنه رآه بالأفق الأعلى ممن امتن عليه بأنك بالواد . فمسن كان في روض القرآن يسرح . فرق بين المنزلتين من رب اشرح وألم نشرح . ونصلي على أله وأصحابه ولاة الحق. وقضاة الخلق. ورتقة الفتق . وغرر السبق . والسنة الفرق . وفتحة الغرب والشرق . منهم من رد ردة العرب عن اسلامها . ومنهم من استنزل أرجل العجم عن أسرتها وتيجانها عن هسامها . وأخمسد عبدة نيرانه أن يطعموها حطبا واو وصالت إليهم لأكالتهم . وأخمد عبدة أوثانه عن أن يقعوا لها سجدا ولو وقعت عليهم لقتلتهم . ومنهم من أنفق في سبيل الله وجهز . ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز . ومنهم الأشداء على الكفار . ومنهم الأسداء إذا زاغت الابصار . ومنهم الساجدون الراكعون . ومنهم السابقون ومنهم التابعون . ومنهـم نحـن أهـل الزمن الآخر . وقد سالم علينا سالام الله عليه في زمنه الحاضر . وسمانا أخوانا . واشتاق إلى أن يلقانا . فنحن الآن إنما نرد عليه تحيته والبادىء أكرم. وإنما نرجو شفاعته بالمودة التي قدمها والفضل للاقدم.

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون الى الفرر المتجلية . وبين المستخبرين الذين يستشر فون إلى السير المتحلية . يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول . ويكون حظ المستخبر أن يسمع والاديب أن يقول . فان فيه من الالفاظ ما صار معدنا من معادن الجواهر التي ذولدها . ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا من ألسنة العجائب التي ذوردها . وانما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لأن التواريخ معتادها إما أن تكون مستفتحة من بدء نشأة البشر الأولى . وإما مستفتحة بمعقب من الدول الأخرى . فلا أمة من الأمم ذوات المال . وذوات الدول . إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه . ويعولون عليه . ينقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الأيام . وتنصب به معالم وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الأيام . وتنصب به معالم الأعلام . ولولا ذلك لانقطعت الوصل . وجهلت الدول . ومات في أيام الأخر ذكر الأول . ولم يعلم الناس انهم لعرق الثرى . وأنهم نطف في

ظلمات الأصلاب طويلة السرى . وأن أعمارهم مبتدأة من العهد الذي تقادم . لأدم . وقد أخذ ربك مسن بني أدم مسن ظهــودهم . ذرياتهم . لما أراده من ظهورهم . فليعلم المرء قبل انقضاء عمره . وقبل نزول قبره . ما استبعده أهل الطي من حقيقة النشر . وتقبل في واحدة من الأطوار شهادة عشر . فقد قطع عمرا بعد عمدر . وسار دهرا بعد دهر . ودوى وأنشر في الف قبر . وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجسر . ولولا التساريخ لضساعت مساعى أهل السياسات الفاضلة . ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة . ولقل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقدوبتها . وجهل ماوراء صعوبة الأيام من سهولتها وماوراء سهولتها من صعوبتها . فأرخ بذو أدم بيومه . وكان أول من اشترى الموت نفسه وقدام النزع مقام سومه . ثم أرخ الأولون بالطوفان الذي بلل الأرض وأغرقها . ثم بالعام الذي بلبلل الألسن وفرقها ، وأرخت الفرس أربعة تواريخ لأربع طبقات من ماوكها أولهم كاشهاه ، ومعنى هدذا الاسم ملك الطين . فإليه ترجع الفرس بأنسابها . وعليه ينسق عقد حسابها . وهي الآن تؤرخ بيزدجرد أخر ماوكها وهو الذي بزه الاسلام تاج إيوانه . واطفأ ذور الله بيت نيرانه . وأرخ اليونان من فيلبس أبسى الاسكندر والى قاو بطره أخرهم وهولاء المسمون بالحنفاء وهمم الصابدون ، وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره . وشهرة أشره . وأرخ النبط بالعراق والقبط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التسي خلاوها . والازياج التي رصدوها . وأرخ اليه و بانبيائهم وخلفائهم . وبعمارة البيت المقدس وبخرابه على ما اقتضاه نقل أوائلهم وآبائهم . وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تـورخ بتواريخ كثيرة فكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بدنو ويسمى بقيل . وكانت غسان تؤرخ بعام السد حين ارسل الله عرم السيل . وأرخت العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه ، وارخت معد بغلبة جرهم للعماليق واخراجهم عن الحرم ، ثم ارخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العدرب تنازع في الديار فنقلوا منها . وافترقوا عنها . ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابنى وائل

وهي حرب البسوس ، ثم أرخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض وهي حرب داحس والغبراء ، وكانت قبل المبعث بستين سنة . ثم أرخوا بعام الخنان قال النابغة الذبياني :

فمن يك سائلا عني فإني من الفتيان في عام الخنان

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام المخالق وعام الننائب ويوم ذي قار وبحرب الفجار . وهي أربع حصروب ذكرها المؤرخون . وأسندها الراوون ، وأدنى ما أرخوا به قبل الاسلام بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع . وبحلف المطيبين وهو قبل حلف الفضول . ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى لتاريخ الاسلام . وبعده خرج امام الجمعة فطويت الصحف وجفت الأقلام . وأظهر الله على الأديان الدين القيم . وذسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم . فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الأمم .

وجبت الهجرة ما قبلها جب الأنوار للظلم . ودفع الله الناس بعضهم ببعض . واستدار الزمان كهيأته يوم خلق الله السموات والارض . وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من الأموال والأنفس ما يعيده إليهم مضاعفا من القرض . ووقت هذه الهجرة الوقت الذي ما أمر به أمر الاسلام . ويومها اليوم الذي ما ولدت الليالي مثله من بنيها الأيام . وعامها الخاص بالفضل وكل ما بعده يعدد من عوام الأعوام .

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد الهجرة الأولى بأن الأولى أمدها بالقيامة معذوق . وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير الممذوق . وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت المقدس وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق . وتسفر عن أهلتها دادىء المداد وتنشق . وهي وإن كانت هجرة الاسلام إلى القدس

ثانية . فقد كان انثنى عن وطنه منها لما ثنته يد الكفر ثانية . وهدده الهجرة أبقى الهجرتين . وهذه الكرة بقوة الله أبقسى الكرتين . فإن العرب كانت إذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر شم جير . والحق أن نقول إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات شم نشر . والعيان يشهد أن أمنع السورين ما عمر بعد أن ثغر . والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الامر . فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. فإن الشام فتعم أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير بعيد . والوحسي ماكاد يتعطل في طريقه من السماء إلى الأرض بريد . والعيون التسي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسل سيوفها من أجفانها . والقلوب التي شهدت مواقف معجـزاته أوثـق بخبـره في الفتح منها بعيانها . ورسل عالم الغيب إلى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفة . ونجدات السماء إلى الأرض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومردمه . وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم أن الارض زويت له مشارقها ومغاربها . وأنه سيبلغ ملك أمته المثوبة المرحومة ما ضمت عليه جوانبها . والروم حينئذ بغاث ما استنسر . والفسرس يومسئذ رخم ما استبصر . والحديد ما تنوعت أشكاله الرائعـة . ولاطبعـت سيوفه هذه القاطعة . ولانسجت ثيابه هذه المانعة ، والبروج لاتعرف إلا مشيدة لامجلدة . والمنجنيقات لايتوثب ما يتوثب اليوم من خشبها المسندة . والأقران لاتتراجم بالنيران المذكاه، والأسوار لاتتناطح بالكباش المشلام . ويصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا . والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون إلى الموقف حفاة عزلا . وكانوا أحسرص على الموت منا على البقاء . وكان شوقهم الى لقاء الله باعثهم على لقاء الأعداء بدلك اللقاء. والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العنظم منه واشتعل الرأس شيبا . وهريق شبابه واستشن أديمه وقد عاد غريبا كما بدأ غريبا . وقد أطلع شرف الستمائة وهسى الملك المعتسرك . وكثسرت معاثره بما نصب الشرك من الشرك . وأخلق الجديدان ثدويه وكان القشيب . وذوى غصنه وكان الرطيب . ونصلت كفسه وكانت الخضيب . وطال الأمد على القلوب فقست ورانت الفتسن على

البصائر فطمست . وعرض هذا الأدنى قد أعمى وأصم حبه . ومتاع هذه الحياة قليل قد شفل عن الحــظ الجــزيل في الآخــرة كسـبه . والكفار قد خشنت عرائكهم . واتسعت ممالكهم . واستبصروا في الضلال . واستبضعوا القتال . وخرجوا من بيارهم يخطبون غاشية الموت . وذفروا من وراء البحر يطلبون امامهم من البر ناشية الصوت . وقاتلوا جندا ورعية . واستباحوا الانفس متورعين فلا ترى أعجب من أن تري استباحة ورعيه . وزين لهم الشيطان ما كاذوا يعملون . وأمدهم في طغيانهم يعمهون . ورفعوا التكليفات فلا ينزع الحديد لوضوء ولامسح . واستشعروا لبوس البوس فلم يلبسوا وجها إلا مزرور الشفاه على القطوب بلا بشر ولامرزج . شقرا كأنما لفحت النار وجوههم وهم فيها كالحون . زرقها كأنمها عيونهم من فهم بقلوبهم وعيونهم يكافحون . قد نزع الله الرقة من قلوبهم ، وذقلها إلى غروبهم . وعذب بهم لما يريده من تعنيبهم . وا شتعلت نار جهلهم في فحم نذوبهم . تستعيذ المردة من مدردتهم . ويدعى النار بالعون على الاطلاع على أفئدتهم. فظاظ غلاظ. جهذميون كالأمهم شرر وأذفاسهم شواظ . (لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم أذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولدك هم الغافلون) (الأعراف : ١٧٩) . خلق الله الخلق من طين وخلقهم من حجارة فهم المكنى عنهم بوقود جهذم حين قال (وقودها الناس والحجارة) (البقرة : ٢٤) والا فالحجارة لاتستحق الوقود . إلا أن يراد بها القلوب التي هي كالجلمود في الجمود . ومضت ماوك الاسلام . ومضت أيامهم كالبارق وإن لم تخلع الاظلام . وزايت أيامهم الأيام خبالا فتنازع الناس طرائف الاحلام . وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم وكانوا محاربين كمسالمين . وبذاوا جهدهم فلا ذقول انهم منظلومون بالعجز ومنا نسميهم ظالمين . اللهم غفرا (لكل أجل كتاب) (الرعد : ٣٨) و(كل يوم هو في شان) (الرحمن : ٢٩) ولكل مقدور أجل ولكل ما خلق له تيسير . ولكل ما تقدم الكتاب الموقدوت تسأخير . والايام تمخض وتمطل بالزبدة . والسور تتلى إلى أن تاتى بالسجدة . والناس يريدون الخسروج ولكن مسا أعدوا له عدة . والعسدر على كل لسان لكل قوم مدة .

إذا عجزوا قالوا مقابير قدرت وما العجز إلا ما تجر المقابير .

وأبى الله من يقبل عذرا صحيحا . وكفسى بلفظة النبوة لومسا صريحا. فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها. وأظهر الآية التي لا اخت لها فذةول هي أكبر من أختها . أفضدت الليلة الماطلة إلى فجرها . ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها . وجماءت بواحدها الذي تضاف إليه الأعداد . ومالكها الذي له السماء خيمة والحيك أطناب والأرض بساط والجبال أوتاد ، والشمس بينار ، والقطر دراهم ، والأفسلاك خدم ، والنجوم أولاد ، صسلاح الدنيا والدين ومهما دعونا له فإن الله قد سبق اليه كونا . ورأينا بين منانا وبين كرمه بونا . فهو سبحانه أكرم بالنوال ، منا بالسؤال . والكريم بكرم الله مجزى . والساكت عن الدعاء له مكفى . فان قلنا أحسن الله إليه فقد قال (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) (الكهف : ٣٠) وأن قلنا جزاه الله بالاحسان فقد قال : (هال جزاء الاحسان إلا الاحسان) (الرحمن : ٦٠) وان قلنا هداه الله سبيله فقد قال: (والذين جـاهدوا فينا لنهـدينهم سـبلنا) (العنكبوت : ٦٩) وأن قلنا لاضيع الله عمله فقد قال (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل) (آل عمران : ١٩٥) وإن قلنا لاجعل الله لدهر عليه سبيلا فقد قال: (ما على المحسنين من سبيل) (التوبة : ٩١) وإن قلنا زاده الله هدى فقد قال : (والنين اهتدوا زادهم هدی) (محمد : ۱۷)

كل مسؤول سائل

في معاليه قد كمل

لايسل فيه سائل

سبق الجود ما سأل

وليصحح تأملا

يجد الله قد فعل

ونعود إلى ذكره أعز الله ذكره . فجاد إلى أن لم يبدق مال ولا أمل . وجاهد إلى أن لم يبق سيف ولا قلل . فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو إلا فتحان فتح والدم ذائب وفتح والذهب جامد . فما البلاد التي جمعها فاتحا . بأغرب من البلاد التي فرقها مانحا . فقد استوعب بأسه أكثر مما ولدت المعادن جديدا وزاد لأنه ضرب بالسيوف التي كسرها ثم ضربها . واستوعب جوده ما ولدت المعادن ذهبا وزاد لأنه نقل إلى الأعداء ثمن سلع تم نهبها فوهبها . فكل معاد معادى إلا هذا المعاد . وكل مداد يكتب به أسود إلا هذا المداد . (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون) (الطور : ٦٥) أما يرى الناس ما على وجه الصدق من قبول القرائح . وما على يد الجود من قبل المدائح .

الناس أكيس من أن يمدحوا ملكا . ولم يروا عنده آثار أحسان

وإنا لذرجو أن ذكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمسر الذين أمنوا أن يكونوا معهم ، وأن ذكون قد كتبنا مع المحسنين لأنا أحسنا وصف إحسان الله إلى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم ، وإنا وإن كنا رعاياه لذرى أذه سنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقه ، وإن القلم في أيدينا ليهتز طربا لذكره كأنه جان وكأن السيف يشنع بانه فروقه ، ولسنا نسميه قصيرا وإن جدع أذفه ، ولكنا ذركبه كما ركب قصير العصا إلى وصف هذا السلطان ليدرك وصفه ، وذقول القلم إذا فاخره السيف (إن شانئك هو الأبتر) (الكوثر : ٣) ، وذريد إذا أوردناه وصف مولانا (أنا اعطيناك الكوثر) (الكوثر) ، على أن هذا القلم يلزم الادب لذكره أعلاه الله فيذكس رأسه ، ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الأرض قرطاسه ، ولست ببعيد في تقييد هذه المفاخر ، وتشييد هذه المآثر ، من رجال الطعن والضرب الذين

فتحوا بين يديه . وا وجبوا الحق عليه . بل حقي من حقوقهم أ وجسه وأ وجب . وقلمي من سيوفهم أضرى وأضرب . ومن رماحهم أخطى وأخطب . ومن سيهم أكسى وأكسب . ومن قسيهم أكسى وأكسب . ومن جيادهم أسرى وأسرب . ومدادي من نقعهم أغلى وأغلب . وقرطاسي من راياتهم أجلى وأجلب . وسيوفهم قد أغمدت وجردت منه مالا يغمد ولا يعمد . وآثار السيف من الجراح قد رقا دمها وآثاري من الذكر لا تخمل ولا تخمد .

وما السيف أشوى ضربه من لسانيا .

فكل أثر خبر به غيرى يموت الخبر بموته ويذقسطع صسيت الأثسر بانقطاع صوته . والذي أخبر أنا به عنه روض يزهدو إذا أقلعت الأيام سحبا. ونجم يبدو إذا أفاض الشفق على فضة النجوم نهبا. فهو قول يذكر ويذسى كل فعل وفاعله . لا قول يؤثر مهما عاش اليوم عالمه ثم لا يأتي في غد إلا جاهله . فهذه الكتب نهب الأعمار الثانية . وتفاخر الألسنة القائلة بها الأيدي الكاتبة البانية . فانظروا إلى ايوان كسرى وسينية البحتري في وصدفه تجددوا الايوان قد خرت شعفاته . وعفرت شرفاته . وتجدوا سينية البحتري قد بقى بها اسم كسرى في ديوانه . أضعاف ما بقى شخصه في إيوانه . وإنما نراوح بين الأوصاف الغابية . ونناوب بين السمات السامية . للاشارة إلى من ينبه على مسماه . ويذوه بسيماه . فأما من يقول الله لا سمه أنت من معقبات حمدى . ويقول الدهر لذكره أنت الباقي من بعدى فسانما يلزم الأدب بوصدف فضله العظيم . ويرفع قدر القول بفضال وصدفه الكريم، ويسر الله هذه الفتوح. وأنزل بها الملائكة والروح. في أيام سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبسى العبساس أحمد بن الامام المستضىء بالله أبي محمد الحسن بن الامسام المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن الامام المقتدى بالله عبد الله بن الذخيرة محمد بن الامام القائم بأمر الله عبد الله بن الامام القادر بالله أبي العباس أحمد بن الامير اسحق بن الامام المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفسق

بالله أبي أحمد طلحة بن الامام المتوكل على الله أبي الفضل جعفر ابن الامام المعتصم بالله أبي اسحق محمد بن الامام الرشميد بالله أبي جعفر هرون بن الامام المهدى بالله أبي عبد الله محمد بن الامام المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين . وهسي الأيام التي زواهر أيامها ذواه ومضاء مضاريها القضاء مضاه . فما أجلها فضلا وأفضلها جلالا . وأقبلها جدا وأجدها قبالا وأقربها ندى وذوالا . وأبعدها مدى ومنالا . وما أعلى سنى مجدها . وأحلى جنى رفىدها . وأففه ريا رياض فضائلها . وأفعه حيا حياض فواضلها . واسم سماء سماحها أمطارا . وأصمح جناح نجماحها مطاراً . والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب ناصر دعوته . وداعي نصرته . ووليه الطائع . وسيفه القاطع والمحكم بأمره . والمؤمر بحكمه . فرأيت إبداء ميامن هذه الايام الفر على الآباد بفرر الآداب ، وقيدت شوارد معانيها وسيرت محامد معاليها بهذا الكتاب . وأودعته مسن فدوائد الكلام والفرائد الفدد والتوام در السحاب ودر السخاب . وسميته الفتح القدسي تنبها على جلالة قدره . وتنويها بدلالة فخره . وعرضته على القاضى الأجل الفاضل . وهو الذي في سوق فضله تعرض بضائع الفضائل . فقال لى سممه (الفتح القسى في الفتح القدسى) فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قس وبالاغته . وصاغت صييفة بيانك فيه ما يعجز ذوو القدرة في البيان عن صياغته . ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بدأت بها . وأنشات رياضي بسحبها . وما شهدت إلا بما شاهدته وشهدته . وما استمطرت إلا عهاد العهد الذي عهدته . وما عنيت إلا بايراد ما عاينته ، ولا بنيت القاعدة الا على أس ما تبينته فبينته وما توخيت إلا الصدق وما انهيت إلا الحق. ولا ذكرت كلمة تسقط . ولا اعتمدت إلا ما يرضى الله ولا يسخط . وبالله التوفيق والعصمة . وله الحمد ومنه النعمة

دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة: وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الاقطار والبلاد . يستدعى من جميع

الجهات جموع الجهاد . وأهـل للا سـتدعاء أهــل الا ســتعداد . واستحضر الغزو . من الحضر والبدو . وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد الجذود . واستحشاد الحشود . وإصحار الأسود . واحضار البيض والسدود . مضيء العدز مناضي العزم . صائب السهم ثائب الفهم . ثابت السعود . كابت الحسود . وخيم على قصر سلامة من بصرى وكفت يد رعبه الطولى من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب اقتراب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاد أفواجا على تلك الفجاج . لا سيما ابرنس الكرك . فانه كان حدريصا على الدرك . ناصب اشر الشرك نصب الشرك . فلما شم ذلك الذئب رائحة الأسد . عاود دخول حصنه حذا ر خروج روحه من الجسد . ووصل الحاج في أول صفر . وقد قضوا حاجهم ، ورضوا منهاجهم ، وخدرجوا عن قدرضهم ، ودخلوا إلى أرضهم . وقرغ القلب من شغلهم . وخف مالزم من ثقلهم . وانتهظر السلطان وصول العسكر المصري المستدعى . ورعى منه حصول العدد المسترعي . فأبطأ عليه وروده . واختلفت في الأسراع وعوده . فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل ذور الدين عليا . ولم يزل مكانه عنده علياً . أن يقيم على رأس الأمراء برأس الماء . وتجتمع العساكر الواصلة منه تحت اللواء ، وتقدم السلطان في اتباعه وأشياعه ، إلى الكرك وضياعه . فأقام عليها يرهق ويزهق . ويحرب . ويحرق . ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق حتى الحق الموجود بالمعدوم . وأتي بالقطع على البساتين والكروم . ورعى الزروع وعرى الضروع . واستأصل الأصول والفروع. حتى أقوت من الأقوات. واستعرت الغلة بفالاء ساعر الغالات . وحلت أجال الأرزاق . واندلت عرا الأرماق . واقفر بلد الشرك . وامتلأ من الكرد والترك . وسار إلى الشوبك فأسار به شوبا . وألحفه من عربه ثوبا . وأخلاه من زرع ونبات ، وفرغه من أقوات وقوات ، وأنهب ضياء ذلك الضياع . وأزال بقاء ذلك البقاع ، وجاس الخلل ، وداس الغلل ، وقشر الثرى وبشره . وحشر الردى ونشره . وسلب قرار القرى وسكون مسكونها ، وفجع الفرنج بـكرمها وزيتـونها ، فقـد عدم ليلهـا المصباح . وصباحها الاصباح . ووصل عسدكر مصر فتلقاه

بالقريتين . وفرقه على أعمال القلعتين . وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين . والملك الأفضل ولده مقيم برأ س الماء . في جمع عظيم من العظماء . وعنده الجحافل الحافلة . والحواصل الواصلة والعساكر الكاسره . والقساور القاسره . والبواتر الواتره . والخضرم الضرم ، والعرمرم العسرم ، واللهام الملتهم ، والجيش الجاءش ، والترك والأكادش ، والجنود والبنود ، والاسود السود . والفيالق الفوالق. والبيارق البوارق. وبنات الاغماد قد برزن مسن خدورها حبا لمعاذقة العدى . ظامئات إلى ورد الوريد وما احسان حلى نجيع الكفر على عرادًس الهدى . والعزم يستنهضه . والعـز يحرضه . والدين يستبطيه . والنصر يستعطيه . والقسدر يحسركه . والظفر يدركه . والكفر قد مات من ذعره . والاسلام قد مت بعذره . وهو ينتظر أمرا من أبيه يأتيه بما يأتيه . ويكتب إليه ويقتضيه من رأيه بما رأيه يقتضيه . ولما استمر تأخر الأمر إستمر التأخير وقدم في الاقدام التبكير والتكبير . وانتهاز الفرصة واحرز الحصة . وانتحى وانتخب الاجناد الانجاد . وجرد الجرد واستجاد الجياد . وسرى السرية السرية . وأمرها بالفارة على الفرة بأعمال طبرية . ومظفر الدين بن زين الدين على كوجك المقدم المقدام. والهمام الهمام . والأسد الأسد . والأرشد الأشد . وعلى عسكر دمشق قايماز النجمي ، وعلى عسكر حلب دلدرم الياروقي . فساروا مدججين . وسروا مدلجين . وصبحوا صفورية (فساء صباح المنذرين) (الصافات : ۱۷۷) . فخرح اليهـم الفـرنح في جمـع شاك . وجمر ذاك . وقنطاريات طائرات . وسابريات سابغات . والداوى دوى وللا سبتارى هـوى . والباروني يقدم على البوار والتركبولي يلقى نفسه على النار . وقد ثاروا والثار قد وقد والجــو قد عقد . وقد انصدع زجاج الزجاج . وارتجـز عجـام العجـاج . وانفض الفضاء وانقض القضاء . وكادوا يفلون الجمع ويجمعون الفل . ويحلون العقد ويعقدون ما انحل . فثبت قايمان النجمي في صدورهم . وأشرع الأسنة الى نحدورهم . وروى اللهازم مسن تامورهم . وعطف مظفر الدين يشلهم ويفلهم . ولايكترث بكثرتهم ويستقلهم . ولقيهم دلدرم بالوجه الأبيض ، والعزم الأنهض ، والجد الأجد . والحد الأحد . وانجلي الغبار . وقد عم الفرنح القتل والاسار. وفجع بقتل مقدمهم الاسببتار. وأ فلت مقدم الداوية وله حصاص . ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلك محاص . واخلفت رنة السراء أنة الاسراء . وكانت هذه النوبة بلا نبوة . والهبة بسلا هبوة . وسكنت القلوب بهذه الحركة . وركنت النفوس إلى هدنه البركة . وسارت البشرى وسرت . ودارت النعمسي ودرت . وعد ذلك من إقبال الملك الافضل . وفضل الملك المقبل . وحسنت السنة بالنصر ، وأحسنت الألسنة في الشكر . هذا المساكر في كل يوم يفدون ويفيدون . وفيما يجدون الطريق إليه من الذكاية في العدو يجدون ويجيدون . وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك . فأيقنت الآمال بالنجح والدرك . وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل السير بالسرى وخيم بعشاترا . فغصات بسيول الخيول الوهاد والذرى . واجتمع به ولده . وقر عينا بشبل العسرين اسسده . ومسا رأيت عسكرا أبرك منه ولا أكبر . ولا أكرث للكفر ولا أكثسر . وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض . وما شاهده الا من تلا (واله جذود السموات والأرض) (الفتح: ٤٠) . في الوية كأنما عقدتها حـور الجنان بخمرها ، وبيارق كأنما حبها أذف الرياض برزهرها . ويوم كالليل عجاجا ، وليل كاليوم ابتلاجا ، ومناصل بالمني صات . وقساطل بالقسى طلت . وفيلق لهام يفلق . وقلوب يمانية رقاق في صدور الاغماد تقلق . وطيور سهام من أوتنار الحنايا إلى أوكار المنايا تمرق . وسوابغ مفاضه . وسوابق مرتاضه . وهضاب راسيات ، وهواضب ساريات ، ولما تم العرض ، حم الفرض . وتعين الجهاد ، وتبين الاجتهاد ، واضطربت السهول والوعوث . وانبعثت الهمم وهمت البعوث . وسمع الفرنج بكثرة الجمع الجمم . وزخرة اليم الخضم . وبروز التوحيد إلى التثليث . وانتهاض الطيب لانحاض الخبيث . فخافوا وخابوا . وهبوا وهسابوا . وعرف وا أن حزبهم مخذول . وأن غربهم مفلول . وأن حدهم مثلوم . وأن جندهم مهزوم ، وأنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ، وأن الايمان كله برز إلى الشرك كله . وقد كان بينهم حيئذ خلف منبعث . وحلف منتكث . ووقوع نفار بين الأنفار ، ووقود شرار بين الشرار . ولما استندوا

حين حينهم . سعوا في إصلاح ذات بينهم . ودخسل الملك على القومص . ليتقمص له بالود الأخلص . ورمى عليه بنفسه . واستبدل وحشته بأنسة . فاصطحبا بعدما اصطلحا . وأصحبا بعد ما جمحا . وتزاور الفرنج وتوازروا . وتأمروا ما بينهم وتشاوروا . وقالوا هذا دين متى دنا منه الوها هوى . وعود إذا عاده الأذى ذوى . فالمسيح لنا . والصاليب معنا . والمعمدوبية عمدتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا مراحنا . وصحافنا صدفاحنا . وفي لوائنا اللاواء . ومع أودائنا الداوية الأدواء . وطوارقنا الطـوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاسبتار بتار . ولقدرن الباروني من مقارنته بوار . ومعنا الدلاص والصلاد . والصعاب والصدعاد . وفي كل قنطاري قنطار . ولكل سابري من اسنتنا مسبار . وقد عم بحرنا الساحل. وشدينا به المعاقد والمعاقل. وهذه الأرض تسمعنا نيفا وتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنة . وأرماحنا إلى هدذه الغاية من الأسواء أسوار هذه البقاع والامكنة . وسلاطين الاسلام ما صدقوا أن يسالموا إلينا ويسالمون . ويبسادوا لنا القسطائم ويقاطعونا . وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي وقعتنا تعويقهم . فقال القومص وكان محدربا مجربا . متدبر متدربا . هذا صلاح الدين لايقاس بسأحد من السلاطين لتسلطه ، واقدامه على المخاوف وتدورطه ، وإن كسركم مرة فلا يصح لكم الجبر . وليس إلا المراوغه والمفاورة والصبر . والصواب أن لا نخالطه ولا نباسطه . ولا نخالفه ونقبل شرائطه . فقال له الملك : أنت قد قلبتك الآفه . وفي قلبك المضافه . وأنت للخور رخو . وللخشية حشو . وأنا لابد أن أصدمه وأصده . وأكدمه وأكده . وأرادده حتى أرده . وأقيم صليب الصلبوت فلا يقعد عنه من أهل الأحد أحد . وأمديد الأيد لجمعي فلا تمتد لأهل الجمعة بد . فقبل القومص قوله على مضض وصبح ظاهره معمه على ما كان في الباطن من مسرض . ولما أحس منه الملك بسالوفاء والوفساق . وعدم الشقاء ما وجدوه بينهما من الشقاق . اشتقلوا بالدشد والدشر والطبي والذشر.

ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلف

لما هلك الملك أمارى بن فلك في آخر سنة تسمع وخمسمائة خلف ولدا مجذوما، وكان مع الوجود معدوما • قدد أعضد لداؤه • وأيس شفاؤه • وطال بلاؤه • فوضع الفرنج التاج على رأسه • وتمسكوا مع امراضه بامراسه • ونفذوا في ضرمه • وتسمنوا بورمه • وصدوا بسقمه ورقوا في سالمه ، ورضاوا بتقدمه • واكباروه وأركبوه • وأقدموا به وقدموه • وهم يكرثون بجذا (١)ملكهم هذا ولا يكترثون بجذامه • ويحمون حماه ان يحم حاول حمامه • وبقى بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا ٠ معارا من اشفاقهم واتفاقهم مراعى • فلما أحس بهلاكه • وسكون حراكه . احضر البطرك والقسوس • والمقدمين والرؤوس • وكان له ابن اخت صغير • عن التطاول الى الملك قصير • وقال لهم الملك في هذا ولكن القسومص (٢) يكفأه مدة سنى صغره • وهو يستقل بسه بعد كبره • فهرو الان لايستبد • ومن أمر القومص يستمد • فقبل القــومص الوصــبة • وجمع اليه الاطراف • الدانية والقاصية • وسكن بطبرية فان صاحبتها كانت تزوجت به ، وطمعت في قدوته وقدربه • وهاك الماك المجذوم • وظهر المكتوم وطمع القدومص في الملك استقلالا فعدم موافقة الداوية • وقالوا يلزمك العمل بشرط الوصية فكفل بالامر وهو مغلوب * وتفقد اختياره فاذا هو مسلوب * ورغب في مقارية السلطان صلاح الدين ليقوى بجانبه • ويحظى من مواهبه • فاشتد ازره واشتد امره • واستقل بنفسه ، واستولى على جنسه • حتى مات الملك الصغير • فانتقل الملك منه الى امه • وبسطل ما كان في عزم القومص برغمه • وانتقل الملك اليها • واجتمع الفرنج عليها • فقالت لهم رُوجي أقدر وهو احق بالملك واجدر • واخذت التاج من رأسها فوضعته على رأسه • وعاش رجاءه بعد يأسه • وراش غناه بعد افلاسه • وانتاش إبليسه بعد ابلاسه • وقامت قيامة القومص باجلاسه • وطالبه الملك الجنيد بحساب ما دولاه • فما اجاب دعوته مرتمى • ولكل نام منتمى • ولكل سام مسمى • ولكل اسمم مسمى • وعين لكل امير موقفا في الميمنة والميسرة لاينتقل عنه • ولايغيب جمعه ولايبرح احد منه • واخرج الجاليشية الرماة الكماة من كل طلب • ووصى كل حزب بما بقربه من حزب • وقال اذا دخلنا بلد العدوفهذه هيأة عساكرنا ، وصدورة مدواردنا ومصدادرنا ٠ ومواضع اطلابنا • ومطالع ابطالنا • ومصارع اسنتنا • وشوارع اعنتنا ٠ وميادين جردنا ٠ وبساتين وردنا ٠ ومـواقف صروفنا ٠ ومصارف وقوفنا • ومرامي مرامنا • ومجالي مجالنا • وقدوي الآمال بما بذله من الاماوال • وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال • وجمع العدد • وفرق العدد • ووهب الجياد واجاد المواهب ، ورغب في العطايا واعطى الرغائب ، ونترر الخزائن • ونثل الكنائن • وانفق النخائر • واستنفد كرائمها والاخاير وقسم احمال النشاب • فتفرق الناس منه بأكثر من مله الجعاب • واجرى الجرد واجنى الاجناد • واذكى المذاكى واشهد الاشهاد • واذال مناقب المناقب • واستمال معاطف المعاطب • وقــوى القــواطع • وروى الروائع • وعاد الى المخيم مسرورا محبورا • مقبولا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد رتب وربت • وقذب وكتب وثبت وذبت ٠ قد بر عمله وابدر امله ٠ وفاح نشره ٠ ولاح بشره • وتأرج رياه • وتبلج محياه • وايقسن بالظفر وظفر باليقين • وامن الى الدعوة المستدعية التأمين • وتيمن باوضاح عرابه الميامين • وايضاح اعرابه في اقتضاء دين الدين • واذس ببهجة الخيل ولهجـة الخير • وسر سره بمـا سرى له مـن وجــه السير • وشد حزم الحزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الاسراح للاسراء • وألجم العراب للعراء.

ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر والتوفيق مسايره • والتأييد مؤازره • والتمكين مضافره • والسعد مظاهره • والجد مكاثره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والاسلام شاكره • والله عز وجل ناصره • وسار على الهيأة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقنبة • والكتائب المكتبة • والمراتب

مرتمى • ولكل نام منتمسى • ولكل سام مسلمى • ولكل اسلم مسمى • وعين لكل امير موقفا في الميمنة والميسرة لاينتقل عنه • ولايغيب جمعه ولايبرح احد منه • واخرج الجاليشية الرماة الكماة من كل طلب • ووصى كل حزب بما بقربه من حزب • وقال اذا دخلنا بلد العدوفهذه هيأة عساكرنا ، وصدورة مدواردنا ومصدادرنا ٠ ومواضع اطلابنا • ومطالع ابطالنا • ومصارع اسنتنا • وشوارع اعنتنا ٠ وميادين جردنا ٠ وبساتين وردنا ٠ ومـواقف صروفنا ٠ ومصارف وقوفنا • ومرامي مرامنا • ومجالي مجالنا • وقدوي الآمال بما بذله من الاماوال • وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال • وجمع العدد • وفرق العدد • ووهب الجياد واجاد المواهب ، ورغب في العطايا واعطي الرغائب ، ونشر الخزائن • ونئل الكنائن • وانفق النخائر • واستنفد كرائمها والاخاير وقسم احمال النشاب • فتفرق الناس منه بأكثر من مسلم الجعاب • واجرى الجرد واجنى الاجناد • واذكى المذاكى واشهد الاشهاد • واذال مناقب المناقب • واستمال معاطف المعاطب • وقــوى القــواطع • وروى الروائع • وعاد الى المخيم مسرورا محبورا • مقبولا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد رتب وربت • وقنب وكتب وثبت ونبت • قد بر عمله وابدر امله • وفاح نشره • ولاح بشره • وتأرج رياه • وتبلج محياه • وايقسن بسالظفر وظفسر باليقين • وامن الى الدعوة المستدعية التأمين • وتيمسن بساوضاح عرابه الميامين • وايضاح اعرابه في اقتضماء دين الدين • واذس ببهجة الخيل ولهجـة الخير • وسر سره بمـا سرى له مـن وجــه السير • وشد حزم الحزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الاسراح للاسراء • وألجم العراب للعراء.

ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر والتوفيق مسايره • والتأييد مؤازره • والتمكين مضافره • والسعد مظاهره • والجد مكاثره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والاسلام شاكره • والله عز وجل ناصره • وسار على الهيأة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقنبة • والكتائب المكتبة • والراتب

المرتبة • والمذاهب المهدذية • والسدلاهب المجنبة • والصدوائب المجعبة • والقواضب المقدرية • والثعمالب المذريسة • واللهساذم الهاذمة • والصلادم اللازمة • والضراغم الضماغمة • وخيم على خسفين ، وقد الذي الله الخسف بالعدو وخسوفه • وكسف الكفر وكسوفه • وبات والوجوه سافرة • والعيون في سبيل الله ساهرة • والايدي لسيوف الايد شماهرة • والالسمن لانعم الله شماكرة • والقلوب بالاخلاص عامرة • والانفس للانس مسامرة • والاقدام بالاقدار متضافرة متظاهرة .

ثم اصبح سائرا ونزل على الارين بثغر الاقصوانة ، بعرم الصيال وعز الصيانة • واحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط • وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط • وبدرزت الارض في قشب ا توابها • وتفتحت السماء لتنزل الملائكة من ابوابها • ورست سفن المضارب على ذلك الانباح • وطمت الاطلاب امواجا على امرواج • وانعقدت سماء العجاج • وطلعت فيها انجم الخرصان والزجاج • واعاد الاقدوانة رياضا نضرة • وحدائق مزهرة • من فرس رد وفارس كالاسد الورد • ومشرفيات كبطاقات الرياحين • ويزنيات كأشجار البساتين • ورايات صفر تخفق بعدنا بات الياسمين • والوية حمر كشقائق النعمان • وموضوعة زغف كالغدران • ومصقولة بيض كالخلجان • ومريشة زرق كالاطيار • ومحنية عوج كالافنان • وبيض تلمع كثفور الاقدوان • وجبب ترائك على بدور الدارعين ٠ وعقبان صواهل تروق وتروع الناظرين والسامعين ٠ والفرنج قد صفوا راياتهم بصفورية ٠ ولووا الالوية على مدود الضوامر الزواخر قناطر القنطاريات • واوقدوا في ظللم القتسام الثائر سروج السريجيات • وصوبوا الى صوب قدرا الاقدران نيات اليزنيات • واحاطوا حـول مـراكزهم بـدوائرهم • وحـساطوا بوا شرهم • وجمعوا الاوشاب والاوباش • ورتبوا الجيش • وثبتوا الجاش ، وحشدوا الفارس والراجل • والرامح والنابـل • وذشروا الذوابل • وحشروا ابطال الباطل • ورفعوا صليب الصلبوت • فاجتمع اليه عباد الطاغوت • وضلال الناساوت واللاهوت • ونادوا في نوادي اقساليم اهسل الاقسانيم • وصسلبوا الصليب الاعظم بالتعظيم ، وماعصاهم من له عصا • وخرجوا عن العد والاحصا • وكاذوا عدد الحصى • وصاروا في زهاء خمسين الفا ويزيدون • ويكيدون مسايكيدون • قدد تدوا فوا على صدعيد • ووا فوا من قريب وبعيد ٠ وهم هناك مقيمـون ٠ لايرومـون حـركة ولايريمون • والسلطان مسلاح الدين في كل مسباح يسير اليهم ويشرف عليهم • ويراميهم • ويذكي فيهم • ويتعمرض لهمم ليتعرضوا له • ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله • فربضوا ومانبضوا • وقعدوا ومانهضوا • فاو برزوا لبرز اليهم القتل في مضاجعهم • وعايذوا مقام صارعهم • في ساوقهم الى مصارعهم • وفزعوا مما فيه وقعوا • وجبنوا عما له تشجعوا • فرأى السلطان ان يطيب ريه • من طبرية ويشرف على خطتها بالخطية والمشرفية • ويحوز حوزتها ويماك مملكتها • فجر على الاردن اردان الربينيات • واطلع الذقع المثار من البحر بحوا فر الاعوجيات • واستسهل عليها ولم يستوعر عربيات العربيات • فأمر عساكره • وامراء جيشه واكابره • ان يقيموا قبالة الفرنج • ويضيقوا عليهم واسع النهج • فان خرجوا للمصاف بادروا الى الانتقام منهم والانتصاف • وان تحركوا الى بعض الجوانب. وثبوا بهم وثوب الاسود بالارانب . وان قصدوا طبرية لصونها وان دكوذوا في عونها . عجاوا الاعلام ليعجل عليهم الاقدام .

ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خــواصه ، وذوي اســتخلاصه . واحضر الجاندارية والنقابين . والخراسانية . والحجارين . واطـاف بسورها • وشرع في هدم معمورها . وصدقها القتال . وماصدف عنها النزال . وكان ذلك يوم الخميس . وهـو يؤم الخميس . واخـذ النقابون النقب في برج فهدوه وهـدموه . وتسالقوا فيه وتسالموه .

ودخل الليل وصباح الفتح مسفر . ولديل الويل على العدو معتكر . وا متنعت القلعة بمن فيها . من القومصية . ست طبرية وبنيها . ولما سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلاه . سقط في يده . وخرج عن جلد جلده . وسمح الفرنج بسبده وابده . وقال لهم لا قعود بعد اليوم· ولابد لنا من وقم القوم • وإنا اخذت طبرية اخذت البلاد • وذهبت الطراف والتلاد • وما بقي لي من صدر . وما بعد هذا الكسر لي جبر وكان الملك قد حالفه . فما خالفه ، ووافقه . فما نافقه . وماحضه فما ماذقه ووادده فما رادده . وواعده فما عاوده . ورحل بجمعه . وبصره وسمعه . وثعابينه وشياطينه . وسراجينه وسراحينه . واتبساع غيه . وا شياع بغيه . فمادت الأرض بحركته . وغامت السماء من غبرته . ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا . وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبواء وعبوا وعبوا . ودبوا حتى يذبوا . وشدبوا النار . وليوا الثار . وقدموا للنزل بالدار البدار . وذلك يوم الجمعة رابع عشري ربيع الاخر، فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه . بما سبق به حكمه ، وسر حين احاط بمسيرهم علمه . وقال : قد حصل المطلوب . وكمل المخطوب . وجاءنا مانريد . ولنا بحمد الله الجدد الجديد . والحد الحديد . والبأس الشديد . والنصر العتيد . واذا صحت كسرتهم . وقتلت واسرت اسراتهم . فطبرية وجميع الساحل . مادونها مانع . ولاعن فتحها وازع ، واستخار الله وسار . وعدم القرار . وجاء يوم الجمعة رابع عشري شهر ربيع الاخر والفرنج سائرون الى طبرية بقضهم وقضيضهم . وكانهم على اليفاع في حضيضهم . وقد ماجت خضارمهم . وهاجت ضراغمهم وطارت قشاعمهم . وثارت غماغمهم وسدت الافاق غمائمهم. وشاقت ضاربيها جماجمهم. وهم كالجبال السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتطمة . وا فواجها مزيحمة، وفجاجها محتدمة . واعلاجها مصطامة . وقد جوى الجو . وضوى الضو . ودوى الدو . والفضاء مذفض . والقضاء مذقض . والثريا قد ا ستزار الثري . وجر نيل الخيل قد برى البرى . والحوا فر الحوا فز للارض حوا فر . والفوارس اللوابس في البيض سوا فر . وذئاب النياد واجلاد الجالاد قد حملوا كل عده . وكملوا كل عدة . فدرتب السلطان في مقابلتهم اطر اطلابه ، وقصر على مقاتلتهم ارابه .

وحصل بعسكره قدامهم. ورقب على الحملة اقدامهم. وحجز بينهم وبين الماء . ومنع نمامهم على النماء . وحلاهم عن الورد . وصدعهم بالصد . ذاك واليوم قيظ . والقوم غيظ . وقد وقدت الهاجرة . فوقدتها غير هاجرة . وشربت ماكان في اداوتها فهي على الظما غير صايرة . وحجز الليل بين الفريقين . وحجرت الخيل على الطريقين . وبات الاسلام الكفر مقابلا . والتوحيد التثليث مقاتلا . والهدى الضلال مراقبا . والايمان الشرك محساربا . وهيئت دركات النيران . وهنئت درجات الجنان . وانتظر مالك واستبشر رضوان . حتى اذا اسدفر الصباح . وسفر الصباح . وفجر الفجر انهار النهار . وذفر النفير غراب الغبار. وانتبهت في الجفون الصوارم. والتهبت في الضوامر الضوارم . وتيقظت الاوتار . وتغيظت النار . وسل الغرار. وسلب القرار . خرج الجاليشية تحرق بنيران النصال اهل النار . ورنت القسي وغنت الاوتار . ورقصت مران المراد . لجلاء عرادًس الجلاد . وبرزت البيض من مالائها في الملا عارية . ورتعت السامر لكلئها من الكلى راعية . فرجا الفرنج فرجا . وطلب طلبهـم المحـرج مخرجا . فكلما خرجوا جرحوا . وبرح بهم حر الحرب فما بدرحوا . وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى مابأيييهم من ماء الفرند ماء . فشوتهم نار السهام وأشوتهم. وصممت عليهم قلوب القسى القاسية واصمتهم، واعجزوا وازعجوا ، واحرجوا واخرجوا ، وكلما حملوا ردوا وارادوا . وكلما ساروا وشدوا اسروا وشدوا . ومادبت منهم نملة . ولاذبت عنهم حملة . واضرموا واضطربوا . والتهفوا والتهبواء ونا شبهم النشاب فعادت اسودهم تنفذ . وضايقتهم السهام . فوسعت فيهم الخرق النافئة . فأووا الى جبل حطين يعصمهم من طوفان الدمار . فأحاطت بحطين بوارق البوار . ورشفتهم الظبا . وفرشتهم على الربا . ورشقتهم الحنايا . وقشرتهسم المنايا . وقرشتهم البلايا . ورقشتهم الرزايا . وصاروا للردي درايا . والقضايا رمايا. ولما أحس القومص بالكسرة . حسر عن ذراع الحسرة . واقتال من العزيمة . واحتال في الهزيمة . وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام الجمر ، واحتداد الحرب واحتدام الحر . فخرج بطلبه يطلب الخروج . واعوج الى الوادى وماود أن يعوج .

ومضى كومض البرق. ووسع خطا خرقه قبل انساع الخدرق. وأفلت في عدة معدودة . ولم يلتفت الى ردة مردودة . وغاب حالة حضور الوعى . ونابه الرعب الذي ذوى الهزيمة به وماونى . ثم استجرت الحرب. واشتجر الطعن والضرب. واحيط بالفرنج من حواليهم بما حووا اليهم. ودارت دائرة الدوائر عليهم، وشرعوا في ضرب خيامهم وضم نظامهم . فحطوا على حطين مضاربهم . وفات حدود الرماة مضاربهم . واعجلوا عن نصب الخيم ورفعها . وشعفلوا عن اصل الحياة وفرعها ، وترجوا خيرا فتحصرجلوا عن الخيل ، وتجلدوا وتجالدوا فجرفهم السيف جرف السيل. واحاط بهم العسكر احاطة النار بأهلها . ولجأوا الى حزم الارض فبلغ حـزامهم الطبيين مـن سلمها . واسر الشليطان وجذوده . وملك الملك وكذوده . وجاس السلطان لعرض اكابر الاسارى . وهم يتهادون في القيود تهادي السكاري . فقدم بدائه مقدم الداوية . ومعمه عدة كثيرة منهم ومن الاسبتارية . واحضر الملك كي واخوه جفري . واوك صاحب جبيل وهذفرى . والابردس ارناط صاحب الكرك . وهو اول من وقع في الشرك. وكان السلطان نذر دمه. وقال لا عجلن عند وجدانه عدمه. فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجذبه . وقرعه على غدره وذكره بننبه وقال له: كم تحلف وتحنث. وتعهد وتنكث. وتبرم الميثاق وتنقض . وتقبل على الوفاق ثم تعرض . فقال التسرجمان عنه ان يقول قد جرت بذلك عادة الماوك. وماسلكت غير السنن المسلوك. وكان الملك يلهث ظميا . ويميل من سكرة الرعب منتشيا . فأنسه السلطان وحاوره . وفتأ سورة الوجل الذي ساوره . وسكن رعبه . وا من قلبه . واتي بماء مثلوج ازال لهثة وأزاح من العطش ماكرثه . وناوله الابردس ليخمد ايضا لهبه . فأخذه من يده وشربه. فقال السلطان الملك لم تأخذ منى في سقيه أننا • فلا يوجب ذلك له مني أمنا • ثم ركب وخلاهما • وبنار الوهل اصلاهما • ولم ينزل الى ضرب سرادقه • وركزت أعلامه وبيارقه • وعادت عن الحومة الى الحمى فيالقه • فلما بخل سرادقه • استحضر الأبردس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه • وحين صرع ، امر برأ سه فقطع وجـر برجله قدام الملك حين اخرج . فارتاع وانزعج . فعرف السلطان انه

خامره الفزع . وساوره الهلم وسامره الجزع . فاستدعاه واستدناه وأمنه وطمنه ، ومكنه من قربه وسكنه . وقسال ناك رداءته اودته . وغدرته كما تراه غادرته . وقد هلك بغيه وبغيه ونبازند حياته ووردها عن وريه وريه ، وصحت هدنه الكسرة ، وتمت هدنه النصرة يوم السبت وضربت ذلة أهل السبت على أهل الاحد. وكاذوا اسدودا فعادوا من الذقد . فما افلت من ذلك الالاف الا احاد . ومسانجا مسن اولئك الاعداء الا اعداد . وامتلا الملا بالاسرى والقتلى . وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى . وقيدت الاساري في الحبال واجبه القلوب. وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجنوب. وحطت حطين تلك الجيف عن متنها ٠ وطاب نشر النصر بنتنها ٠ وعبرت بها فلقيت أشلاء المشلولين في الملتقى ملقاه • بالعراء عراة • ممزقة بالمازق • مفصلة المفاصل • مفرقة المرافق • مفلقة المفارق • محذوفة الرقاب • مقصوفة الاصلاب • مقطعة الهام. موزعة الاقدام .مجدوعة الأناف • منزوعة الاطراف • معضاة الأعضاء • مجزأة الأجزاء • مفقوءة العيون مبعوجة البطون • مخصوبة الضفائر • معضوبة المرائر، مبرية البنان • مفرية اللبان مقصومة الاضالع . مفصومة الاشاجع . مرضوضة الصدور . مفضوضة الندور . منصفة الاجساد .مقصفة الأعضاد • مقلصة الشفاه • مضلصة الجباه • قانية الذوائب • دامية الترائب • مشكوكة الاضلع مفكوكة الاذرع • مكسورة العظام • محسورة اللثام • بائدة الوجوه • بانية المكروه • مبشورة الابشار • معشورة الاعشار • منشورة الشعور • مقشورة الظهور • مهدومة البنيان • مهتومة الاسنان • مهرقة الدماء • مرهقة الذماء • هـاوية الذرى • واهية العرى • سائلة الاحداق • مائلة الاعناق. مفتونة الافلاذ. مبتوتة الافخاذ . مشدوخة الهامات . مسلوخة اللبسات • عديمة الارواح • ه شيمة الأشباح . كالاحجار بين الاحجار . عبرة لا ولى الابصار . وصارت ذلك المعركة بالدماء أدماء • وعادت الغبرة حمراء . وجرت انهار الدم المنهمر . وسفر ذلك الخبائث المظلمة وجه الدين المطهر . فما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث • وما الهب عذا بات العداب في تلك الجنث • وما أحسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث • وما أجزى صلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث • هذاوحساب من قتل فقد حصرت السنة الأمم عن حصره وعده • وأما من أسر فلم تكف اطناب الخيم لقيده وشده • ولقد رأيت في حبل واحد ثلاثين وأربعين يقودهم فارس • وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس • وهنالك العتاة عناة • والعداة عراة • وذوو الاسرة أسرى • وأولو وهنالك العتاة عثرى • والقوامص قنائص • والفوارس فرائس • وغوالي الارواح رخائص • ووجوه الداوية الداوية عوابس والرؤوس تحت الاخامص . ومطالع الاجسام ذوات المقاطع والمخالص . فكم اصيد ميد . وقائد وقيد . ومشرك مكشر . وكافر مفكر . ومثلث منصف • ومكيف مكتف • وجارح مجروح • وقارح مقروح • وملك مملوك • وهاتك مهتوك • ومتبر مبتور • ومحسر محسور • وكاب مملوك • وهغتال في الغلول . وحر في الرق . ومبطل في يد المحق .

ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصلبوت . واهلك دونه اهل الطاغوت . وهو الذي اذا نصب واقيم ورفع . سلجد له كل نصراني وركع . وهم يزعمون انه من الخشبة التي يزعمون انه صلب عليها معبودهم ومسجودهم . وقد غلفوه بالذهب الاحمل . وكالوه بالدر والجوهر . واعدوه ليوم الروع المشهود . ولموسم عيدهم الموعود والجوهر . واعدوه ليوم الروع المشهود . ولموسم عيدهم الموعود فاذا اخرجته القسوس . وحملته الرؤوس . تبادروا اليه . وانثالوا عليه ولا يسع لأحدهم عنه التخلف ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه في نفسه التصرف . واخذه اعظم عندهم من اسر الملك وهو اشد مصاب نفسه التصرف . واخذه اعظم عندهم من اسر الملك وهو اشد مصاب لهم في ذلك المعترك . فإن الصليب السليب ماله عوض . ولا لهم في سواه غرض والتاله له عليهم مفترض . فهو إلههم وتعفر له جباههم . وتسبح له افواههم . يتغاشون عند احضاره . يتعاشون لابماره . ويتلشون لابنا المهم ويتفافون به الفرج بل ويتواجدون اذا وجدوه . ويبذاون دونه المهج . ويطلبون به الفرج بل ويتواجدون اذا وجدوه . ويبذاون دونه المهج . ويطلبون به الفرج بل صاغوا على مثاله صلبانا يعبدونها . ويخشدهون لها في بيوتهم

ويشهدونها • فلما اخذ هذا الصلييب الأعظم عظم مصابهم. ووهت اصلابهم، وكان الجمع المكسور عظيما، والموقف المنصور كريما، فكأنهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب لم يتخلف احد من يومهم العصيب، فهلكوا قتلا واسرا وملكوا قهرا وقسرا، ونزل السلطان على صحراء طبرية كالأسد المصحر، والقمر المبدر.

ذكر فتح حصن طبرية

وندب الي حصنها من تسلمه امانا . واسكنه بعد الكفر ايمانا . وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته . ونقلت اليه كل ما ملكته وحوته . فأمنها على اصحابها واموالها . وخرجت بنسائها ورجالها ورحالها . وسارت الى طرابلس بلد زوجها القومص بمالها وحالها . وغادرت طبرية آهلة آمنة باهل الايمان . وعين لولايتها صارم الدين قايماز النجمي ، وهو من الاكابر الاعيان . وهذا والملك الناصر نازل ظاهر طبرية . وقد طب البرية . وعسكره طبق البرية .

ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسسبتارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطابهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشري شهر ربيع الاخر بعد الفتح بيومين . طلب الاسارى من الدا وية والاسبتارية ، وقال : أنا أطهر الأرض من الجنسين النجسين . وجعل لكل من يحضر منهما اسيرا خمسين . فأحضر العسكر في الحال مئتين . وامر بضرب اعناقهم . واختار قتلهم على استرقاقهم . وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف . وعدة من ذوي التعفف والتعيف . فسأل كل واحد في قتل واحد . وسل سيفه . وحسر عن ساعد . والسلطان جالس . ووجه باشر والكفر عابس . والعساكر صفوف . والامراء في السماطين

وقوف . فمنهم من فرى وبرى وشكر . ومنهم من ابى ونبا وعذر . ومنهم من ابى ونبا وعذر . ومنهم من يضحك منه . ويذوب سواه عنه . وشاهدت هناك الضحوك القتال . ورأيت منه القوال الفعال . فكم وعد انجزه . وحمد احرزه . واجر استدامه بدم اجراه . وبر اعنق اليه بعنق براه . ونصل خضبه . لنصر خصطبه . واسل اعتقله . لا سد عقله . وداء داواه لداوى ادواه . وقوة اهداها لهداة قواها .

ولواء نشره للاواء طواها • وكفر اماته لا سسلام أحياه • وشرك هدمه لتوحيد بناه • وعزما مضاها • لأمة ارضاها • وعدو قصمه • لولي عصمة • وسير ملك الفرنج وأخساه وهنفري وصساحب جبيل ومقسدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشسق لدودعوا السجون • وتستبدل حركاتهم السكون • وتفرقت العساكر بما حوته أيديهم من السبي ايدي سبأ وخمد جمع جمع الكفر وخبا •

ذکر فتح عکا

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء ظاهرا على اهل التثليث مديلا الطيب مزيلا الخبث وسار عسكره وشار عثيره وظهرت راياته وبهرت آياته ونعرت كوساته وصاحت بوقاته وجالت خيوله وسالت سيوله وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصاته وقلعت قلائع ذلك الجبال جبال فرسانه وحفرت متوا فر المسلاد مأصلاب الصلاد الصلاب وفصحت باعراب الحماحم صواهل الجياد العراب والاسنة مشرعة والأعنة مسرعة وبحور السوابح متموجة وغدران السوابغ مترجرجة وبوارق البيارق متبرجة وأوضاح الجرد وغررها كأوضاح النصر وغرره متبلجة ونزل عشية بأرض لوبية لداعي الفتح ملبيا ولجيش النصر معبيا ولولود باللك العقيم بتلقيح الحرب العوان مربيا وبات بها معرسا بانيا على عروس الظفر البكر جانيا ثمار الاماني من غروس البيض

والسمر وأصبح وقد اصحب جماح الدهر وصبح نجاح الأمدر وحص جناح الكفر واسفر فجر الفرج وسفر وجه البهج وسار سارا سره بارا بأرباب الدين بره و زائرة أسوده و طائرة بذوده و ظاهرة جنوبه زاهرة جدوده • سامية أضوا ؤه • هامية أذوا ؤه • رائعة مواكيه ورائقة مراكيه مجنبة عتاقه فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سير الفقير الى نصرته من يتسري به وهدذا الأمير عز الدين أبو فليتة القاسم بن المهنا الحسنى قد وفد في ذلك السلة أوان عود الحاج • وهو ذو شيبة تقد كالسراج وما برح مع الملك الناصر • مأثور المأثر • ميمون الصحبة • مسأمون المحبسة • مبارك الطلعسة • مشاركا في الوقعة فما تم فتح تلك السنين الا يحضوره • ولا أشرق مطلع من النصر الا بذوره · فسرأيته ذلك اليوم السلطان مسايرا · ورأيت السلطان له مشاورا محاورا ٠ وأنا أسير معهما ٠ وقد بذوت منهما ليسمعاني واسمعهما ولاحت اعلام عكا وكأن بيارق الفرنج المركورة عليها السنة من الخوف تتشكى وكأن عنبات النيران تصاعدت لعذاب أهلها • وقد توا قرت عساكر الاسلام اليها من وعرها وسهلها * فلما قرب منها خيم وراء تلها * وأننت عروش معاشر الشرك بدلها • وعقود معاقدى الكفر بحلها • وأصبح يوم الخميس وركب في خميسه ووقف كالأسد في عريسه • فخرج اهــل البلد يطلبون الامان • ويبذلون الاذعان فامنهم وخيرهم بين المقسام والانتقال • ووهب لهم عصمة الانقس والاموال • وكان في ظنهم أنه يستبيح دماءهم • ويسبي ذريتهم ونسائهم • وأمهلهم أياما حتى يندقل من يختار الذقلة • واغتذماوا تلك المهلة • وفتح الباب الخاصة • واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوي الخصاصة، فأن القوم ما صدقوا من الخوف المزعج • والفرج المصرح • كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلمون • وعندهم أنهم إذا نجوا بانفسهم انهم يغنمون ٠ فترك معظمهم المدينة ٠ وعندهم انه ما كسب السكينة. الا من ركب السفينة • وذلك ان الجند لما بخلوها • استولوا على الدور ونزاوها وركز كل منهم بيرقه على دار • وقال صاحبها كيف يصح المقام مع الأسد في غابه ولا مقام على زار وكان السالطان جعل الفقيه عيسي الهكاري كل ما يتعلق بالدا وية من منازل وضياع • ومواضع ورباع • فأخذها بما فيها من غلال ومتاع. ووهب عكا الولده الملك الأفضل • فأجراها من نظره على الاحسن الاجمل • ودخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى فاقمنا بها الجمعسة • ووصلنا فريضتها المنقطعة • وأعدنا الكنيسة العظمى مسجدا جامعا • وعاد ذور الهدى الخافي بالضلالة لامعا • وحضر القاضي الاجل الفاضل فأمر بترتيب القبلة والمنبر، وتبسم بميامنه للاسلام بعد الاظلام سنى الصبح المسفر، وخطب جمال الدين عبد اللطبف ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي ، فإنه تولى بها القضاء والخطابة ، وملأنا بعد الذئاب بالآساد السادة السادة تلك الغابة ، وخلى سكان البلد دروهم ، ومخزونهم ومنخورهم وتركوها لمن أخذها ، ونبذوا ماحووه لمن حواها مانبذها ، وافتقر من الفرنج أغنياء ، واستغنى من أجنادنا فقراء ، ولونخسرت ذلك الحسواصل وحصات ذلك الذخائر ، وجماع لبيت المال ذلك المال المجماوع الوافر ، لكان عدة ليوم الشدائد ، وعمدة لنجح المقاصد ، فرتعت في خضرائها بل صفرائها وبيضائها سروج الأطماع ، وطال استحليها ومستحليها الأمتاع بذلك المتاع ، وأقام السلطان بباب عكا على التل مخيما ، وعلى فتح سائر بـلاد الساحل مصـــمما ، ولملكتهــا متمما ، وكان قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين أبسى بكر وهو بمصر ، بما أتاحه الله من النصر ، وقيضه له من ا فتضاض الفتح البكر، فوصلت البشري بوصوله باشرا، وللواء الحميد ناشرا ، ولا ستفتاح مافي طريقه من الحصون مباشرا ، وأنه فتـح حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة ، واغتذمها غزوة ، وتسلمها حظوة ، فقصده من عساكرنا القصاد ، ووفد اليه مسن عندنا الوفاد ، فحباهم بالحباء مسن السبايا ، وأتساهم المربساع والصفايا ، وخصهم من الحاصل بالذقود ، ووعدهم مما سيحصل بالنسايا ، وشرع يستضيف حصنا فحصنا ، ويستقيض حسنى وحسنا ، ويستزيد بلدا ، ويستزير مددا ، ويستزيل من الكفر يدا ، ويستميل الى الهسدى هسدى ، والدين بسسيف سسيفه منصدور ، والاسلام بنصر ناصره مسرور ، والملك العادل مسالك بعدله ، سالك نهج النجح بفضك ، فكائز العكريمة حكائز الغنيمة ، ماضي الضريبة قاضي الكتيبة ، ميمـون النقيبـة مـأمول الرغبة .

ذكر فتح عدة من البلاد

وأقام السلطان بمخيمه ، ظافرا بمغنمه ظاهرا بكرمه ، شاكرا عرام عرمرمه ، ملهبا ضرام مخذمه ، مدرويا أوار لهدنمه ، وأمدر أمراءه بقصد البلاد المجاورة ، وأمددهم بسالضراغم المراوغة المغاورة .

فتح الناصرة وصفورية

فسار مسظفر الدین کوکبسوري الی الناصرة فساستباح حماها ، واستبی دمساها ، وحلهسا واسستحلها ، وأزالهسا وازلها ، وخف الیها واستخفها ، واستشفها وشدفها ، وشافهها بشفار البواتر ، فشسفه منهسا مسوارد النخسائر ، واجتلی عرائسها ، واجتنی مغسارسها ، وجمسع نفسائسها ونزع ملابسها ، واستدر طبیها ، واسترد سبیها ، واستقل منها بمساستقل به مسن کل غانیة عانیة ، ورقیقسة رقیقسة ، ومصابة مصیبة ، ومسبیة ، ومجلوة مجلوبسة ، وسالبة مسلوبة ، ودمیة دامیة ، وجاریة لطیفة بالعنف جاریة ، واسیرة من اسره ، وحاسرة عن حسره ، وئساکلة لواحسدها ، واکلة لساعدها ، وعاضة علی یدیها ، وفاضة ختم الدمع علی خسیها ، وناهدة متنهدة ، وفریدة متفسردة ، وناعمسة شسقیة ، وقینة نقیة ، وعذراء مفترعة ، وحسناء منترزعة ، وغریرة غراء ، وظبیة ، مسستضعفة ، وعزیزة ذلیلة ، وصسحیحة علیلة ، وسساجیة عبسری ، وصساحیة سسستضعفة ، وغریرة غراء ، وظبیة

ظمياء ، وغضيضة غضسة ، وفضسة منفضسة ، وخمسسارة مخمورة ، وسحارة مسحورة ، ومخدرة مهتوكة ، ومسوقرة منهوكة ، وجاءوا بالأسارى بين يديه مقرنين في الأصفاد ، مقودين في الأقياد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الأعناق والسوق وصفرت صفورية من سكانها فلم يوجد بها صافر ، وكان بهسا مسن النخائر مبلغ وافر .

فتح قيسارية

وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قليج وجماعة من الأمراء الى قيسارية ، فافتتحوها بالسيف ، وسلطوا على الأذفس بها حساكمي الحتسف والحيف ، وسسدوا ، وحبسوا وسلبوا ، وجلبوا ، وجالوا ، ونالوا ووقذوا ، وأخذوا ، واحتووا وارتووا ، وربسطوا ، وضسبطوا واستقادوا ، وفسرسوا الفسوارس ، وكنسسوا الكنائس ، واستتبوا الأبسكار العرائس ، والعون العسوانس ، وتسلمت بعدها حيفا وأرسوف ، واستولى على تلك الشموس والأقمار الكسوف والخسوف ...

فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سامت نابلس حاسما بحسامه داء الشرك ، مالنًا بسسهام الفتاك جعاب الترك . تاليا أي الفتح ، ووصل الى سامسطية فتسلمها ، وتعجل مغنمها . ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد اتخذه القسوس كنيسة ، واعادوها بالصور والآلات الذفيسة أميسة . فاستخرح المصاونات والمصاوغات ، واستوعب العدد

والآلات . وأعاده مشهدا ، ورده مسجدا ، ووضع فيه من بدره بالاسلام منبرا ، واصبح الدين به مثريا والكفر مقتدرا ، شم أناخ على نايلس وناب حدم غير ناب ، وطرف جدم غير كاب ، وحد بأسه طرير . وناظر الدولة به قرير . وكان من قبل سلب ساكنوها من الفرنج والنصاري السكون . وأيقنوا أنهم أن أقاموا لايأمنون المذون ، فإن المسلمين بهسا وبساعمالها نهضهوا اليهسم في مواطنهم ، فأجفلوا من مساكنهم ، وانتقلوا من أماكنهم ، وخلوا دورهم وأخلوها ، وتسللوا منها وسلوها ، وتحدول الاقدوياء الى قلعتها ، وتحصدنوا بتلعتهــا . ونازلهــا حسـام الدين وحاصرها . وطال عليه حصرها وصابرها ، ولم يزل عليها مقيما. ولقتالها مسديما ، الى أن وثقهوا بسأمانه ، وعلقهوا باحسانه . وسلموا وساموا . واستأمنوا وأمنوا ، وخلصت له ناباس واعمالها . وحليت به احوالها . ولكون معظم اهلها وجميع سكان ذواحيها مسلمين ، لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم الا أن يكونوا لحصنهم مسامين ، فسأنمحى بسالسعود رسسم الندوس. ونزعنا عنها لبوس البوس، واستبشرت وجدوه اهلها بعد العبوس . وقام جاه الآذان واذكسر ناموس الناقوس .

فتح الفولة وغيرها

وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها . واملاها بالرجال والعدد واشحنها . وهي للداوية حصسن حصين . ومان ماكن ماكين وركن ركين . وفيها مشتاهم ومصيفهم . ومقراهم ومضيفهم . ومربط خيولهم . ومبر نيولهم . ومبرى سيولهم . ومجمع اخوانهم . ومشروع شيطانهم . ومدوضع صابانهم . ومدور حمتهم . وموقد جمرتهم . فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم الى مصرعهم . واثقين بأن الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم . فلما كسروا واسروا . وخسروا وتحسروا . خلت طلول الفولة . بحدود

اهلها المفاولة . وماء داويتها المطاولة . ولم يجتمع شمل غمرودها بالسيوف المسلولة . ولم يبق بهما الا رعايها رعاع . وغلمها واتباع . واشياع شعاع . فعدموا مكان حماية المكان . ووجدوا امنهم في الاسهة في المنان . وكانت فيه الحاير الذخائر . وذفائس الأعلاق . فوثقوا بما احكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين . وبخلوا في الذمام لاجين . والسلامة راجين . وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجينين وزرعين والطور واللجون . وبيسان والقيمون . وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات . والزيب ومعليا والبعنة واسكندورنة ومنوات .

فتح تبنين

ولما خلصت ذلك الممالك والأعمال ، وقلصت من الضلال ذلك الظلال ، وصفت الممالك ، ووفت المدارك ، أوعز السلطان الى ابن أخيه الماك المظفر عمر ابن شاهدشاه تقيى الدين بقصد حصن تبنين ، وأن يتوكل على الله فيه ويستعين ، فالقي عليه جران بأسه ، ولقى بالتذليل حــران ناســه ، وأخــذ في مضــايقته بأذفاسه ، ولم مالمع من قبس فتحه فشفعت باقتباسه ، وسسنح له قنصه فاشرأب باقتناصه وافتراسه ، وكتب الى السلطان يبعثه على الوصول اليه بعسكره ، والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره • فضرب الكوس ، وسمت النفوس ، والنهوض في ظلام القتام من الترك والترائك الأقمار والشموس، واشتعلت من شبيب البيارق في شعاع تلك الدوارق الرؤوس، وتحرك السواد كمهيل الذقا، واشتبك على الأساد غيل القنا، وسالت الاودية بالسابحات العتاق، وطالت على السير أعناق الاعناق، ومالت الى الرقاب الغلاظ من أهـل الكفـر رقاب الرقاق، وجرت الفجاج، وتماوجت الأفواج، وتفوجت الأمواج وتحركت غدران السوابغ ، من رياح السوابق ، وتدركت ضوامن الضوامر بالأرفاد في ارداف الحق اللاحق ، وأسفر من بريق

البيض والبيض فلق الفيالق، وترذمت الصواهل، وترنحت الذوابل وساح الساحل ، وراح الراحل ، ووصلنا الى تبنين في تسلاث مراحل ، فرمينا أهل التثليث فيها بثالثة الاثاقي ، وأوطأناهم بشفاه الشفار على حدود الاشافي ، ونزلنا عليها بالذوازل ، وبسطنا من المجانيق عليها أيدى الفوائل ، فتبلسدوا مسن الرعب ، وتجلدوا على الحرب ، ثم خاروا وحاروا ، وجساروا وجساروا ، ورغبسوا ورهبوا ، وصحوا من سكر الجماح واصبحوا ، وعجروا فجزعوا ، وفزهم الحصر وفزعوا ، وشكوا الندوب.وندبوا فسدادوا وبدوا ، وأذغذوا إذعنوا ، واعتدروا ممسا جنوا ، وراسسلوا السلطان ، وسألوا الأمان ، واستمهاوا خمسة ايام لينزلوا بأموالهم فأمهلوا ، وبذاوا رهائن من مقدميهم ووفوا بما بــذاوا ، واقلع مــن بالقلعة عن الجهلة ، وتعلق لبت العلق بسالمهلة ، وتقريوا بساطلاق الاسارى المسلمين ، فخرج المأسورون مسرورين ، وأصبح الصحب المكسورين مجبورين ، محبوين بالفرج بعد الشدة محبورين ، وسر بهم السلطان وسر بههم ، وأقهرهم وقهربهم ، وكسهم وحباهم ، وأتاهم بعد ردهم الى مغانيهم غناهم ، وهذا دابه في كل بلد يفتحه وملك يربحه ، أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها ، ويعيد بعد عدمها وجودها ، ويحيى بعد اليأس أمالها ، ويوسع أرزاقها بعدما أجال عليها ضيق الأسر أجالها ، فخلص ذلك السنة من الأسر أكثر من عشرين ألف اسير للقيود الف ، ووقع في اسرنا من الكفار مائة الف ، ولما خلوا القلعة ، واخلوا البقعة ، سيرهم ومعهم من العسكر المنصور ، من أوصلهم الى صور ، ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدووي ، فأرشد به ذلك الصقع الفوى ، فان اعمال جبال عاملة مجبولة على الشر ، وأهلها وان كاذوا مسلمين كاذوا أعوانا لأهل الكفر، فوصى سلمنقر بتسائدس النافسار، وتعليس الكافر، وتأليف الجافل، وتعريف الجاهل، وقال له تبني بتبنين ماهدم بالمنجنيق ، وتجد لسورها وخندقها كل مايمكن من التوثيق والتعميق ، ورحل ومعه رفيق التهوفيق ، وكان النزول على تبنين يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى وتسلمها يوم الأحد الثامن عشر منه .

فتح صيدا

يوم الأربعاء الحادى والعشرين من جمنادى الأولى يوم النزول عليها ، وسنحت له صيدا فتصدى لصيدها ، وكانت همته في قيدها وبادرها اشفاقا من مسكر العسداة وكيدهسا ، وسرنا وسرنا مرتاح ، ونصرنا متاح ، والجد جديد والمزاح مدزاح والعدرم جزم ، والحكم حدم ، ونفحات الفتوح لمناشوق اهمال الهسدى تفوح ، وذفحات الردى لأعين العدى تلوح ، ونص النصر قدد تنزل ، وقصد الصدق قد تعدل ، وفكر الكفر قد تروزع ، وشرك الشرك قد تقطع وتقلم ، وظهل الظفر ضاف ، وسر السرور غير خاف، والقدر عون والمعين قادر، والنظر سيعيد والسيعد ناظر ، وأوجهنا وأوجه البشائر باشر ، وقد جفت أجفانها البواتر الواترة ، وجلت بياجير الذقع من لمسان الحسبيد السسوافر الوا فرة ، واتصلت للمسالك من الملائك امداد النصرة المتواتية المتواترة ، ووصالنا في يومين الى صديداء الى منهال فتحها صابين ، وعن حمى الحق دونها لأهل البساطل صابين ، ولما نزلنا من الوعز الى السهل سهل ماتوعر ، وصدفا من الأمدر مساظن أنه تكدر ، فصر فنا الأعنة الى صر فند ، وأسهمنا في مسهارهها الجند ، وهي مدينة لطيفة على الساحل ، مدورودة المناهدل ، ذات بساتين ، وأزهار ورياحين ، وأشجار النارنج والأترنج ، تعرب مسراتها لجناتها عن أشجان الفرنج ، فجسنا خــلالها ، وكل قلب مشغول خلالها ، وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية ، وقرتنا بما ا شتهينا من فواكهها تلك القرية ، ولم نعرج عليها حتى خيمنا على صيدا وقد حصانا على صيدها ، وخلصنا من كيدها ، وانطاقت هممنا من قيدها ، فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها ، وانهبنا ظاماتها من العزائم الغر بمصابيحها وطلعت الراية الصفراء باليد البيضاء على سلورها ، وجلت غياهسب تلك المذاهسب بذوارها ، وفتحت أبوابها ، وأنجحت أرابها ، وعادت معالمها

مأهولة ، بعد أن كانت مقفرة مجهولة ، وصدح منبسرها ، وصددق مفضرها ، وربح متجرها ، ووضع منظرها ، وأقيمت بها الجمعة والجماعة ، واستديمت بها بعد العصيان لله الطاعة ،

فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس أاني عشري جمادي الأول وتسلمها يوم الخميس التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صديداء وتبنين ، وجمدع لهما التحصدين والتحسين ، قال لعصامة الله شايدي ما بصيدا وتبنين تبنين ، والدفيهما رداء الحماية فما يضيع ماتحفظين ، ولايط_رق ماتحمين ، ثم صرف عنانه ، وارهاف سنانه ، ورحال على سامت بيروت ، مالناً بعسكره الآكام والمروت ، وسار على الساحل ، بذلك الجحافل ، يجر على البحر مائج ، ومجر مجر الى الهياج هائج ، ونقد من عقد الجد رائج ، وعزم على صدق القصد عائج ، ووصل اليها ونزل عليها ، وبنيت القباب ، وطفا على خضم المعسكر مسن الخيم الحباب ، وزحسف الى الأعداء الاخباب، وضويق البلد، وفورق الجلد، وأحساط الرجسال بأرجائه ، ورجمت بشهب النصال شاطين الضال في سمائه ، وانقضت نجوم السهام من ابراجه ، وتلاطم عباب ذلك الجمع الجم بأمواج أ قواجه ، وترجل دونه الناس ، وتعجل نحدوه الباس ، واصعطفت التعدراس ، واشعد المراس ، واحتعد القتال ، واحتدم النزال ، وامتد المصاع والمصال ، واتصل خروج الجروخ للجروح ، ودام احتراق الروح على اقتراح القروح ، ومدت الجفاتي ، كأنها أعناق البخاتي ، وأتى العاتي وعتا الآتي ، وأحمد النصر الموافي المواتسى ، ودارت كؤوس المنايا للأرواح بخسني

وهاتي ، وطارت القوارير ، وتسارت المساعير ، واشستعل الذفط ، واشتفل الرهط ، والتهم الزارق والتهب الحراق ، ومسرق الشهم الكمي ، مروق السهم من الرمي ، وأتي الوادي فطم على القرى ، ودبت الدبابة بليوث الرجال ، وصببت الصبابة غيوث النبال ، وارتجـــزت رواعد الأبــطال ، وأنجـــزت مـــواعد الأجال ، وجالت في الضمائر ضوامر الأوجال ، وهالت بالنوازل ذوازى الأهـــوال ، ورعدت بــوارق البـــوار ، واســـعدت الأقدار ، بالأقدار ، وشغلت الرقاب، قواضي القدواضب ، وحملت الذواكب على المناكب ، وخفت للأثقال اكتاف الفتاك ، وهتكت سيتائر السيور فيوام ودام القتال اياما ، يتضاعف اصطلاء واصطلاما ، ويتظاهر اضطرابا واضطراما ، وبنات الحنايا هائجة ، وأمات المنايا ناتجة ، ورجمت بشهب الذفاطات شبياطين الداوية المردة ، وتعسادت الأسسود العابية ، على أولئك القربة ، حتى خرق الخندق وطرق ، وعلق الذقاب بالسور فذقب وعلق، وكاد الذقب يتسم ، والبسرج يقع ، والجدار ينقض ، والحجار بالحجار تنفض وترفض ، وسوار السوريذكسر، وقناع الذقع لايندسر، وخرج من البلد رجال، الي الموت عجال ، وقفوا دون الباشورة مباشرين ، ولمعاشر أصحابنا بمعاطاة كؤوس المذون معاشرين ، فتلاقوا بسلام السلام ، وكلام الكلام، وتصافحوا بالصفائح، وتجاروا بالجرائع ، وتـواصلوا بالقواطع ، وتعانقوا بالمقامع ، وتصارعوا على المصارع ، وتجلدوا وتجالدوا وتواقحوا وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا ، والبيض يقد ، والبيض تقد ، والباسل يرد ، والباس يرد ، والصقيل الصادى يصدأ بالدم ويروى ، وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام يقوى ، ثـم انحصروا في البلد ، وانحشروا على اللد ، وضافهم الرعب، وضاق بهــم الرحــب، وذاوا وخـاروا، وضــاوا وحاروا ، ولما خام المقاتلة وخذاوا ، ظن أهـل بيروت أن المسلمين بخلوا ، فأجفلوا الى البحر اذ عدمدوا سكينتهم ، ليركبدوا سفينتهم ، ويخلوا مدينتهم ، فضرج أحد المقدمين يسستدعي الأمان ، ويستعدي الايمان ، ويطلب مثالا يعصمهم ، وذماما

يحرمهم ، وعهدا يسلمون به ويسلمهم ، وعقدا في عقد الأمن ينظمهم ، وكنت يومئذ في مرض قد ازعجني وأعجدزني ، ومضض أجفاني ولعيون العدواد ابدرزني ، وانقطعت عن الحضدور عند السلطان وضعفت عن تحرير كتاب الأمان ، فطلب السلطان كل كاتب في بدواني ، وكل من يمسك قلمسا مسن أفساضل الملك وأعيانه ، فلم يرضه ماكتبوه ، ولم يكفه مارتبوه فجاءني في تلك الحالة من استملاه منى ومدرضت انهان الأصداء ولم يمدرض نهنى ، فتسلم بيروت بخطى وأصبحوا وأنا الآخذ والمعطى ، وكان الناس قد انسوا بما اسطره وازباره ، وأنساوا ساوى ماأذكره وأحبره ، وألفوا الصحة فيه فألفوه ، ولقوا السحقم في غيره فأذفوه ، فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق ، بال كله بتاوفيق من الله توثيق ، فما فتح الا بمفتاحه ، ولارتق فتق الا باصلاحه ، ولاجلى ظلام الا باصباحه ، ولا ورى زند الا باقتداحه ، وكانت يومئذ جمرة الحر متــوهجة ، ووقدة القيظ متساججة ، وضرم مــرضي ملتهب ، وروح روحى منتهبا ، وبقيت مضطربا ، ولقيت من ذلك الوصب نصبا • وحصلت من الاقامة أو السفر على الخطر أو الحذر ، وتعذر المقام لعذر السقام ، واشتغلت عن الاء شغلي بالآلام, وحماني اختلالي بنصبي ، على اخلالي بمنصبي ، وعزت على مفارقة السلطان ، وهو باعزازي على مواصلة الاحسان ، فمضيت على مضف وانصر فت بمضرة ومرض ، وحملت الى دمشة في محفة ، وحصات بفض لله م الله م طيب ه وائها بعد الثقل ، بخفة ، فتفضل الله بالشفاء ، وبدل الكدر بالصفاء ، وعدت الى السلطان يوم فتصح القصدس ، وانتهصت الوحشصة الى الأذس ، وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الأولى مطاع الأمر ، مذاع السر في تضوع النشر • وتوضيح البشر ، مستفيض الزيادة ، ناجح الارادة ، راجح العبادة ، رابع المتجر، واضح المفضر، قد شب غرب الهدى، وجب غارب العدى واستجدى من من الله منحا ، واستجد باستفتاحه فتحا ، واستفاد ملكا ، واستزاد ملكا ، وبسر بيروت اذ بسرت ، وحفلت له اخسلاف الفتوحات فدرت • واستمرى صوب من عزائمسه وصرائمسه فاستمرت .

فتح جبيل

يوم الثلاثاء سابع عشري جمادى الأولى

ووصل كتاب الصدفى ابن القابض . وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق الى الكافي الناهض . يتضمن أن أوك صاحب جبيل أسر أليه في أسره . واستشاره في أمره ، وقال له ان قنع منى بتسليم جبيل سلمت وسلمت . وابحتها لكم وتحرمت . واخرجتها من عصمتي وخرجت واعتصامت . فأنا اطلقها ان اطلقت . وأزيلها من وثاقي اذا وثقت . فاجيب باحترازه من كيده . واحضاره في قيده . فأحضر في صفده وسلمع ببلده . فخلص ناجيا وملص راجيا . وملكت مدينة جبيل وجرت عليها الفتوح النيل . ونحسن يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون . ولاعداء الله مصابرون مكابرون ، وكان معسطم اهسل صسيدا وبيروت وجبيل مسلمين . مساكين لساكنة الفرنج مستسلمين . فذا قوا العزة بعد الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة . وصدقت البشائر . وصدحت المنابر . وتـرنمت المحـاريب ، وتـرنحت المطـاريب ، وتليت الآيات . وجليت الغيايات . وخسربت الكنائس . وعمسرت المدارس وظهر غيب البيع . وشهر جمع اجمع . وقرىء القرآن . واستشاط الشيطان . ونطقت الأعواد . وحقت الأعياد . وخرست الذواقيس . وبطلت الذواميس . ورفع المسلمون رؤوسهم وعرف وا نفوسهم . وانتعشوا من شكاة عثارهم . وانتفشوا من شوكة عارهم . وقروا في سيارهم ، وقروا ابصار بانصارهم . وكان كل من استأمن من الكفار . يمضي الى صدور محمى الذمار . وصارت

صدور عش غشهم . ووكر ملكرهم . وملجلاً طلريدهم ، ومنجللاً شريدهم . ومأمن خاشيهم . ومكمن عاشليهم . وهلي ألتني فلر القومص اليها يوم كسرتهم . بل يوم حسرتهم .

ذكر هلاك القومص ودخول المركيس الى صور

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلاها . وأوى الي طرابلس وتوافى . فما متع بما ملك . وكان مما قيل :

راح يبغي نجوة من هلاك فهلك

فما انجاه الفرار من القضاء . وفر من البلاء الى بلاده فوقع في اليلاء. وظن ان صدور خلت . وان مجانيها حلت . وان جماحها اذعن . وان كفاحها امكن. وان فرصتها انتهازت . وأن حصاتها المرزت ، وأن قيادها أطاع ، وأن مرتادها استطاع لكنها تعدوضت عن القومص بالركيس . كما يتعوض عن الشيطان بابليس . فادرك ذماء الكفر يعدما اشفى . وايقظ روع الروع بعدما اغفى . وضبيط صدور بمن فيها . من مهزموى الفرنج وبمذفييها . وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر واغوى شياطينه . وأضرى سراحينه . وأخبث ذبَّابه . وانجس كلابه . وأنهش صلاله . واقحش ضلاله . وأعوى اعوانه . وأخون اخوانه ، وأبغى بغاته ، وأجفى جفاته ، وأرعى حماته . وأحمى رعاته ، وشر شراره . وأنكر نكاره ، وأفجسر فجــاره . وأروغ تعــالبه . والســـب عقــاربه . وأحذث معاهديه . وأذكث معاقديه . وهو الطاغية الداهية . الذي خاقت له ولأمثاله الهاوية . ولم يكن وصل الى بسلاد السساحل قبسل هسسذا العام . ولا خلف مقدمي الكفر غيره في الاقسدام على خسسلاف الاسلام ، واتفق وصوله الى ميناء عكا وهو بفتحها جاهل . وعمن فيها من المسلمين ذاهل . فعزم على ارساء الشعينى بالمينا . شعم

الموثقة ويبرمه . ويجمع المفرق وينظمه . وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته . وما فات من فرصه الامكان في دفع آفاته .

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتى ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادي الآخرة، ولما قرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل. ثنى عنانه يجر ويجـــرى مــن العســكر والعثير على الســـماء والأرض النيل والسيل. وعاد عابسرا على صسيدا وصرفند. وقد اورى فيهمسا باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صدور ناظرا اليها وعابسرا عليها . غير مكترث بأمرها . ولا متحدث في حصرها . ولا معتقد في تعقدها .ولا متئد في تـوردها . وعلم ايضـا انهـا ممتنعـة . وعن سومها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على أن محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس بالساحل بلد منها أحصن . فعطف الأعنة الى ما هـو منها أهـون . وكان قـد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية . متى تمكن باعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صور الي صور . والمركيس ما شكانه بها محسور محصور . فلما أرخى من وثاقه . واتساع ضايق خناقه . حلق في مطار اوطاره . وحارك لغاوته اوتارا أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طيي المراحل وذشر القساطل . وحل معاقد المعاقل ، وسال قاواصم القواصل . ونزل عسقلان . وشبيدها قد لان . وقد أتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت اسودها الخادرة من الاصحار . وتربصوا وتصبروا . وتترسوا وتستروا . وحاصوا وصاحوا . وحاذوا وناحوا . وابلسوا واسبلوا . واعولوا مما عليه عواوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت الموثقة ويبرمه ، ويجمع المفرق وينظمه ، وسنذكر ما تجدد منه في الوقاته . وما فات من فرصه الامكان في دفع آفاته .

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتى ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادي الآخرة، ولما فرغ السلطان من فتـح بيروت وجبيل. ثنى عنانه يجـر ويجـــرى مــن العســكر والعثير على الســماء والأرض النيل والسيل. وعاد عابدا على صديدا وصرفند. وقد اورى فيهما باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صدور ناظرا اليها وعابرا عليها . غير مكترث بأمرها . ولا متحدث في حصرها .ولا معتقد في تعقدها .ولا متئد في تـوردها . وعلم ايضـا انهـا ممتنعـة . وعن سومها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس بالساحل بلد منها أحصن . فعطف الأعنة الى ما هـو منهـا أهـون . وكان قـد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية . متى تمكن باعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صور الى صور . والمركيس ما شكانه بها محسور محصور . فلما أرخى من وثناقه . واتسمع ضييق خناقه ، حلق في مطار ا وطاره ، وحارك لغامانه أوتارا أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طلى المراحل وذشر القساطل . وحل معماقد المعماقل . وسمل قدوا صمم القواصل . ونزل عسقلان ، وشبيدها قد لان . وقد أتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت اسودها الخادرة من الاصحار . وتربصوا وتصبروا . وتترسوا وتستروا . وحاصوا وصاحوا . وحاذوا وناحوا . وابلسوا واسبلوا . واعولوا مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت

واستقتلوا . وتعقدوا على الفتح وماتحللوا . واحزنوا في الاباء وما اسهاوا . وجهدوا وجهاوا . فأقام السلطان عليها مجانيق مجت نيقها . وفرجت بسالحجار طسريقها ، ورجسست بسسالتفريق فريقها . ووسعت بالتضييق ضعيقها . وأضعفت بسالتوثيق ودوقها . وجمع شـمل الحجارة ب (النار التي وقدودها الناس والمجارة)(البقرة ٢٤)ولفحتهم نيرانها وتدوالت عليهم بعد الشرارة . وخربت منهم العمارة ، ووجبت بالجسارة منا لهم الخسارة . وتهدمت الصخور بالصخور ، ولزم عبث بدورهم بالثيور . وجسر النقاب فحسر النقاب ، وباشر الباشورة فسرفع الحجاب . واشتد القتال .واحتد المصال . ورا سلهم عند ذلك الملك الما سور . وقال قد بان عذركم حين نقب السور . وجسرت حالات . وتكررت حوالات . وتربدت رسالات . وقال لهم الملك الاسير . لا تخالفوا ما بــه اشــير . واطيعــوني مــا استطعتم . واسمعوا منى اذا سمعتم . واحفظوا رأسي فهدو رأس مالكم. وحلية حالكم. ولا تخطروا غيرى ببالكم، فاني اذا تخلصت خلصت . واذا استنفنت استنقنت . وخرج ، مقدمون وشاوروا الملك . ونهجوا في التسليم نهجا سلك . وسلموا عسمقلان على خروجهم بأموالهم سالمين . واستوفوا بسذلك الميشاق واليمين . وذلك يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة . وتلالات السعود في أوجها بالأوجه السافرة . وممن استشهد على عسقلان من الامراء الكبراء ابراهيم بن حسين المهراني وهو اول امير افتتح بالشهادة . واختتم بالسعادة . وكان السلطان قد أخد في طريقه اليها: الرملة، ويبنى، وبيت لحم، والخليل . واقام بها حتى تسلم حصون الداوية:غزة، والنطرون، وبيت جبريل . وكان قد استصحب معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلم معاقلهم اطلقه • فسالم هذه المواضع الوثيقة لما أخد مدوثقه . واجتمع بالسلطان ولاه صاحب مصر الملك العربيز عثمان . على عسامة المال . بشارة ويشارة ، وراية وأية . وهيأة وهيبة ، وثرة وثروه ، وهسزة وعده ، وجدة وجده . وشد وشدة . وحد وحدة . وضوغه ، وروعه ، ونخوه ، وسطوه . وصوت وصيت . ومصاعيب ومصاليت . ومساعير .

ومغاوير . ودهم . وذهم . وشهب وكمت وصلاب وصلاد . وانجاب وانجاد . وجلب ولجب • وبيض ويلب . وبيض وسدود واساود وسود . وجرد . ومرد . وكهـول . وفحـول . ورقـاق . وعتـاق . وقود . واطلاب وابطال ، وفسوارس ، ورجسال ، وخفساف وثقال . وعراب واعاريب . وسراحين وسراحيب . وحد لا يكل . وجد لا يمل. وجمر يتقى . وجمع لا يلتقي . ومعه رماة الاحداق كماة الاتراك . وهداة التوحيد عداة الاشراك . فقدرت عينه بولده . واعتضد بعضده . ووضع يده بتأييد الله . في يده . وكان قد استدعى الاساطيل المنصورة قواقت كالفتح الكواسر . بالفلك المواخر . وجاءت كأنها امواجا تلاطم امواجا . وافواجا تاحم افواجا . تدب على البحر عقراربها ، وتخرب كقرطع الليل سحائيها . وتجر بالذوابل ذوائبها . وتنزاحم مناكب الاطواد مناكبها . والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدامها • وضرغام غابها وهمامها • فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب . ويقطع الطدريق على سفن العدو ومدراكبه . ويقدف له في جدرائر البحدر على مذاهبه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه . ويظهـر في وقائعه حسـن موقعه .

فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان القدس طالبا . وبالعزم غالبا . والنصر مصاحبا ولنيل العز ساحبا . قد اصحب ريض مناه . واخصب روض غناه . واصبح رائج الرجاء . أرج الارجاء سيب العرف . طيب العرف . ظاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض بالفضاء فضاء . وملا الملا فأفاض الآلاء . وقد بسلط عتير فيلقله ملاءته على الفلق . وكأنما اعاد العجاح وأد الضلحى جنح الغسق . فالأرض شاكية من اجحاف الجحاف والسماء حاظية بأقساط القساطل و وسار سارا بالاحوال الحوالي . مروية

احاديث فتوحه العوالي من العوالي . مطوية مدارج مناجحة على ماتذشره الآمال من الامالي . وقد حلت وعلت من مفارس النصر ومطالعة المجاني والمجالي . والاسلام يضطب مسن القسدس عروسا . ويبذلها في المهر ذفوسا ويحمل اليها نعسي ليحمل عنها بوسى . ويهدي بشرا .

ليذهب عبوسا . ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية لاعدائها على اعدائها . واجابة دعائها . وتلبية ندائها . واطلاع زهر المصابيح في سمائها . واعادة الايممان الفريب منهما الى وطنه . ورده الى سكونه وسكنه . واقصاء النين اقصاهم الله يلعنته من الاقصى . وجذب قياد فتحمه الذي استعصى . واسمكات الناقوس منه بانطاق الانان . وكف كف الكفور عنه بسايمان الايمان . وتسطهيره من نجاس تلك الاجناس . والناس الذي الناس. واقحام الافهام باخراس الاجهراس، وطهار الخبورالي القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت . وهفقت افتدتهم خوفا من جيش الاسلام وجاشت . وتمنت الفرنج لما شاعت الأخبار انها ما عاشت . وكان به من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك الاعظم. ومن كلا الطائفتين الاسبتارية والداوية المقدم. فاشتعل بال باليان . واشتعل بالنيران . وخمدت نار بطر البطرك . وضاقت بالقوم منازلهم فكأن كل دار منها شرك للمشرك . وقاموا بالتدبير في مقام الادبار . وتقسمت افكار الكفار . وايس الفرنج مسن الفرح . واجمعوا على بذل المهج .

ذكر كنيسة قمامة

وقالوا ههنا نطرح الرؤوس . ونسبك النفوس . ونسسفك الدماء . ونهلك الدهماء . ونصبر على اقتراح القروح واجتراح الجروح . ونسمح بالارواح شحا بمحل الروح . فهنه قمامتنا فيها مقامتنا • ومنها قيامتنا • وتصييح هامتنا • وتصيح

ندامتنا . وتسيح علامتنا . وتسح عمامتنا . وبها غرامنا . وعليها غرامتنا . وباكرامها كرامتنا . وبسلامتها سلامتنا . وباستقامتها استقامتنا . وفي استدامتها استدامتنا . وان تخلينا عنها لزمت لامتنا ، ووجبت مسلامتنا . ففيهسا المصلب والمطلب . والمذبسح والمقرب . والمجمع والمعبد . والمهبسط والمصسعد . والمرقسي والمرقب ، والمشرب والملعب ، والمساوه والمذهب ، والمطلع والمقطع ، والمربسى والمربسم ، والمرخسم والمخسرم ، والمحلل والمحرم، والصور والاشكال، والانظار والامثال، والآساد والاشبال . والاشباه والاشباح . والاعمدة والالواح . والاجسام والارواح . وفيها صور الحواريين في حوارهم . والاحبار في احبارهم . والرهابين في صدوامعهم . والاقساء مجامعهم والسحرة وحبالها . والكهنة وخيالها . ومثال السيدة والسييد . والهيكل والمولد . والمائدة والحدوت . والمنعسوت والمنحوت . والتلميذ والمعلم . والمهد والصديي المتكلم . وصدورة الكبش والحمار . والجنة والنار . والنواقيس . والنواميس،قسالوا: وفيها صلب المسيح . وقرب الذبيح . وتجسسد اللاهدوت . وتسأله الناسوت . واستقام التركيب . وقام الصليب . ونزل النور . وزال الديجور . وازدوجت الطبيعة بـالاقذوم . وامترج الموجسود بالمعدوم . وعمدت معمسودية المعبسود . ومخضست البتسول بالمولود . وأضافوا الى متعبدهم من هذه الضلالات .ما ضداوا فيه بالشبه عن نهج الدلالات . وقالوا دون مقبرة ربنا نموت وعلى خوف فوتها منا نفوت . وعنها ندافع . وعليها نقارع . وما لنا لا نقاتل . وكيف لاننازع ولا ننازل . ولاي معنى نتركهم حتى يأخذوا . وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا . وتأهبوا وتباهوا . وماانتهوا بل تناهوا . ونصبوا المجانيق امات الأسواء على الاسوار . وسيستروا بسيظلمات السيستائر وجسوه الانوار . واستشاطت شياطينهم . وسرحت سراحينهم وطفت طواغيتهم . وأصلتت مصاليتهم . ونشرت طواميرهم . وتسعرت مساعيرهم . وهـاج هـائجهم . ومـاج مـائجهم . ودعت دوا عيهم ، وعدت عواديهم ، وسمسعت افساعيهم ، وحضمتهم قسوسهم ، وحرضتهم رؤرسهم ، وحركتهم نفوسهم ، وجاءتهم بجوى السوء جواسيسهم . واخبرتهم باقبال العساكر الناصرية منصورة الجذود . منشورة البنود . موصولة القواطع بالاشاجع مهجورة الغمود . مشهورة القواضب . مشهودة الكتائب . مقودة الضوامر الى نار العدى . موقعة الضمائر بنار الهدى . مشدوية العزائم ، مجذونة المسلادم . مسلولة الطبا . مسطاولة الربا . مجذوبة أجنة اغمادها . مسذونة اسنة صعادها . مطلقة اعنة جيادها . محققة مظنة طـرادها . قـد سـالت الوهـاد باكامها . وجالت الأعلام في اعلامها . وسدت الفجااج امواجها . وحجبت الغـزالة عقبانها . والهبت النبالة خرصانها . وجرت بالجبال رياحها . وجسرت كالحبسال رمساحها واشتمل على الضراغم غيلها . واقبل بالعظائم قبيلها . وواف كل واف بعهد ربه ، كاف لكف خطبه ، شاف لهم قلبه . ضاف بقيض شربه . خاف في لبوسه . باسل بباسه ، عاسل بأمراسه . ناسل بنت الغمد من جفنه . غاسل نبت الحد بدم قرنه . واصل بيض الهند بسوا عده . فاصل خطاب الخطوب ببوارقه وروا عده حاد بجده . جاد بحده . وكل شاب لنار الحرب شاب . ورب بين لبين الرب راب . وكل جيش كالبحر عباب . وكل سال ذي ذبياب عن الهدي ذاب. وكل قائل بالآخرة للحياة الدنيا قال. سائل من الله الشهائة عن حب البقاء سال . مائل في سبيل الله الي انفاق مسال . واقبسل السلطان باقبال سلطانه . وابسطال شسجعانه . واقيال أولانه واخوانه . واشبال مماليكه وغلمانه . وكرام امرائه . وعظمام أوليائه . في مقانب بـالمناقب مقنبـه . وكتـائب بـالمواكب مكتبة . وذوا بل بالكوا كب منصله . وجحا فل بمضاء المضارب محفله . وألوية صفر للاواء بني الأصفر . وبيض وسمر تزرق زرق العدا من الموت الأحمر . وقباب وقبائل . وقنا وقنايل . وصدوا فن صواهل . وعوامل وعواسل . وفوارس فوارس . وكل مسن يبدل الشع بدينه الذفوس والذفائس . وأصبح يسأل عن الاقصى وطسريقه الادنى • وفريقه الاسنى • يذكر مايقتح الله عليه بحسن فتحه من الدسني ٠

وصف البيت المقدس

وقال أن اسعدنا من الله على أخراج أعدائه من بيته المقدس فمسا اسعينا .واى يد له عنينا انا ايينا . فانه مكث في يد الكفر احدى وتسعين سنة ، لم يتقبل الله فيه من عابد حسنه ، ودامت هممم الملوك دونه متوسنة . وخلت القرون عنه متخلية . وحلت الفرنج بسه متولية . فما المخر الله فضيلة فتحه . الا لآل ايوب . ليجمـم لهـم بالقبول القلوب. وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الأعصار . ولتفخير بيه مصر وعسيكرها على سيائر الامصار . وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى . والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى . وهدو مقام الانبياء . ومدوقف الاولياء . ومعبد الاتقياء ومسازار ابسدال الأرض ومسلائكة السماء . ومنه المحشر والمنشر . ويتوا فد اليه من اولياء الله بعند المعشر . وفيه الصخرة التي صيبنت جدة ابهاجها مسن الانهاج . ومنها منهاج المعراج . ولهسا القبسة الشسماء التسي على راسها كالتاج . وفيه ومض البارق ومضى البدراق وأضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق. ومن ابوابه باب الرحمـة الذي يستوجب داخله الى الجنة بسالنخول الخلود . وفيه كرسي سليمان ومحراب داود . وله عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثــر الحــوض المورود . وهـاو القبلتين . وثـاني البيتين . وثالث الحرمين . وهو احد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوى انها تشد اليها الرحال . ويعقد الرجاء بها الرجال . ولعل الله يعيده بنا الى احسن صوره . كما شرفه بسذكره مع اشر ف خلقه في أول سورة . وقال عز من قائل : «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ». وله فضائل ومناقب لا تحصى . واليه ومنه كان الاسراء . ولأرضه فتحت السماء . وعنه تدؤثر انباء الأنبياء والاء الأولياء . ومشساهد الشهداء ، وكرامات الكرماء ، وعلامسات العلمساء ، وفيه مبسارك ِ المبار . ومسارح المسار . وصخرته الطولى . القبلة الاولى . ومنها

تعالت القدم النبوية . وتوالت البركة العلوية . وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالذبيين . وصحب الروح الامين . وصعد منها الى اعلى عليين . وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله فيه : « كلما نخال عليها زكريا » . ولنهاره التعباد واليله المحيا . وهو الذي اسسه داود واوصى ببنائه سليمان . ولأجل اجلاله انزل الله « سبحان ». وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت به سورة من الفرقان . فما اجله واعظمه . واشرفه وافخمسه . واعلاه واجلاه . واسماه واسناه . وايمن بركاته وابرك ميامنه . واحسن حالاته واحلى محاسنه . وازين مباهجه وابهج مزاينه . وقد اظهـر الله طوله وطوله . بقوله : «الذي باركنا حوله » . وكم فيه من الآيات التي اراها الله نبيه . وجعل مسموعنا من فضائله مرئية . ووصف السلطان من خصائصه ومازاياه . ما وثاق على استعادة الائه مواثيقه والاياه . واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه . ويرفسع بسأعلاه علمه . وتخطو الى زيارة موضع القدم النبوية قدمه . ويصفى الى صرخة الصخرة .ويبغى بالبشري بشر اسرة الاسرة . وسار واثقا بكمال النصرة وزوال العسرة . وحسر الفرنح قناع الحسرة ، ونزل على غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب . وقلب الكفر قد وجب . وحزب الشرك قد شارف الشجى والشحجب . والقدر قد اظهر العجب . وكان في القدس حينئذ من الفرنج سيدون الف مقاتل . من سائف ونابل . وبطل للباطل . وعاس عاسل بالعاسل . قد وقفوا دون البلديبارزون ويحساجزون ، ويعساجزون ويناجزون . ويرمون ويدماون . ويحماونه ويحماون . ويحتادون ويحتدمون ويضطربون ويضطرمون . ويذودون ويذبون . ويشـبون ويسبون ، ويصرخون ويحرضون ، ويلهذون ويتغروذون ، وياوذون وياوبون . ويجولون ويجوبون . ويقدمون ويحجمون . ويتململون ويألمون . ويتعاوون . ويتضاعون ويحترقون البسلايا . ويقترحون المنايا . وقاتلوا اشد قتال . وناضلوا أحد نضال . ونازلوا اجد نزال . وطافوا بصحاف الصفاح . لارواء الظبا الظماء من ماء الأرواح . وجالوا بالأوجال . وأجالوا قداح الآجال . وصالوا لقطع

الأوصال. والتهموا. والتهبوا. وتأشبوا وذشهبوا واستهدفوا للسهام. واستوقفوا للحمام، وقالوا كل واحد منا بعشرين، وكل عشرين بمئتين . ودون القمامة تقوم القيامة . ولحب سلامتها تقلى السلامة . ودامت الحرب ، واستمر الطعن والضرب ، فانتقل السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم هناك . وضيق على الفرنج المسالك . ووسع عليهم المهالك ونصب المجانيق . ومري من أفساتها الافساويق . واصرخ الصسخرة بالصخور . وحشر حشر السوء منهم وراء السور . فما عادوا يخرجون من السور الرؤوس . الا ويلقون البوس . واليوم العبوس . ويلقون على الردى الذفوس . فللدا وية دوي . وللبارونية من البوار في الهاوية هوى . وللا سبتار تبار . وما الفريرية من الموت فرار . وما بين الحجار المحلقة وبين المرمسى اليهسم حجاب . وفي كل قلب من الفئتين من نار حرصه التهاب . اذ الوجوه لقبل النصال مكشوفة . والقلوب الوجد بالقتال ملهوفة . والايدي على قوادم السيوف المفتوحة مضمومة . والذفوس لا ستبطاء الهمـم في الاهتمام مهمومة . وقواعد السور ونواجذ شراريفه بالاحجار الخارجة من الكفات مهدومة مهدومة . فحكائن المجانيق مجانين يرامون . ومناجيد لا يرامون . وجبال تجذبها حبال . ورجال تنجدها رجال. وأمات الدواهي والمنايا. وحوامل تلد البلايا. لا حجر عليها في حجر . ولا أمن عندها من حذر . ولا تخطر سهامها الا بالخطر . ولا خطر مرورها الا مرارات ذوى القطر . فكم نجم من سمائها يذقض . وصخر من ارضها يرفض . وجمر من شرارها يذفض . وما شيء كأفات كفاتها . وأيات ذكاياتها . وركات اد راكاتها . ولفتات فلتاتها وجدنبات عنباتها . فما زالت تقلع بمقالعها . وتقرع بمقارعها وتمتصح بسأ شطانها .وتمسرح في ارسانها . وتصدم . وتهدم . وتصرع . وتصددع . وتنهدز بدلائها . وتجهز ببلائها . وتحال تسركيب الجسلاميد بسأفراد جلاميدها . وتفل شمل المبانى بتفريقها وتبديدها وتقوض القدواعد بضربها من اساها . وتذقض المعاقد بجذبها في أمراسها . وتشهه

الموارد بشربها من كأسها . حتى تسركت السسور سسورا . وجعلت الذاب عنه محسورا . وعاد العدو من نظمه المبتور مبتورا . وخدرق الخندق وحفز الزحف . وظهر للاسلام الفتح والكفر الحتف . واخذ الذقب . وسهل الصعب . وبذل المجهود . وحصل المقصود . وكمل المراد ، وكلم المراد ، وثقر الثقدر ، وأمسدر الأمسدر ، وأريسي الأرب. واستتب السبب وخاف القوم الوقدم. واستعاضوا من الصحة السقم. واسلم البلد وقطع زنار خندقه. وبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان بموثقه . وطلب الامان لقومه . وتمنع السلطان وتسامى في سومه . وقال لا أمن لكم ولا أمان . وما هو الا أن نديم لكم الهوان . وغدا دملككم قسرا . ونوسعكم قتلا . ونسفك مسن الرجال الدماء . ونسلط على الذرية والنساء السباء . وابسى في تأمينهم الا الاباء . فتعرضوا التضرع . وتخوفوا وخدوفوا عاقبة التسرع وقالوا اذا آيسنا من أمانكم . وخفنا من سلطانكم . وخينا من احسانكم . وأيقنا أن لا نجاة ولا نجاح . ولا صلح ولا صلاح . ولا سلم ولا سلامة . ولا نعمة ولا كرامة . فانا نستقتل فنقاتل قتال الدم . ونقابل الوجود بالعدم ، ونقدم اقدام المستشري بالشر . ونقتحم اقتحام المستضري من الضر . ونلقى انفسانا على النار . ولا ذاقى بأيدينا الى التهلكة والعار . ولا يجدرح واحد منا حتى يجرح عشرة . ولا تضمنا يد الفتك حتى تدرى ايدينا بالفتك منتشرة . وانا نحرق الدروب ونخرب القبة . ونترك عليكم في سبينا السبه . ونقلم الصخرة . ونوجدكم عليها الحسرة . ونقتل كل من عندنا من اسارى المسلمين وهم الوف . وقد عرف أن كلامنا من الذل عزوف وللعـــز الوف . وامــا الامــوال فإنا تعـطبها ولا تعطيها . وإمسا الذراري قسانا نسسارع الى اعدامهسسا ولا نستبطيها . فأية فائدة لكم في هذا الشع وكل خسر لكم في هذا الربح . ورب خيبة جاءت من رجاء النجح . ولا يصلح السوء سوى الصلح . ورب مدلج اضله ظلام الليل قبل استفار الصبح . فعقد السالطان محضرا للمشاورة . وأحضر كباراء عساكرة المنصورة . وشاورهم في الأمسار . وحساورهم في السر

والجهر . واستطلع خبايا ضدمائرهم . واستشكف خفايا سرائرهم . واستورى زندهم . واستعلم ما عندهم . ورا وضهم على المصلحة المترجحة . وفاوضهم في المصالحة المربحة . وقال أن الفرصة قد امكنت فنحرص في انتهازها ، وأن الحصة قد حصالت ونستخير الله في احرازها . وأن فاتت لاتستدرك . وأن افلتت لا تملك . فقالوا قد خصيك الله بالسعادة . واخلصك لهدده العبادة . ورأيك حساشد . وكلنا لك في اغتنام فتسح هسذا الموضساح الشريف مناشد . واستقر بعد مراودات ومعاودات . ومفاوضات وتفويضات وضراعات من القوم وشفاعات . على قطيعة تكمل بها الغبطة . وتحصدل منها الحوطة اشتروا بها منا انفسهم وأمدوالهم وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم . على انه من اعجـز بعـد اربعين يوما عما لزمه . أو امتنع منه وما سامه . ضرب عليه الرق . وثبت في تملكه لنا الحق . وهـو عن كل رجـل عشرة بنانير وكل امراة خمسة وكل صفير او صفيرة بيناران . وبخل ابن بارزان والبطرك ومقدما الداوية والاسبتار في الضمان . وبذل ابن بارزان ثلاثين الف بينار عن الفقراء . وقام ابسالاداء ولم يذكل عن الوفاء . قمن سلم خصرح مصن بيتسمه أمنا . ولم يعصد اليه ساكنا. وسلموا الدلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة . وردوه بالرغم رد الفصب لا الوديعة . وكان فيه أكثر من مائة الف انسان . من رجال ونساء وصبيان . فأغلقت دونهم الأبواب. ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم الذواب. ووكل بكل باب أمير . ومقدم كبير . يحصر الخارجين ويحصي الوالجين فمن استخرج منه خرج . ومن لم يقم بمنا عليه قعند في الحبس وعدم الفرج. ولوحفظ هذا المال حق حفظه. لفاز منه بيت المال بأوفر حظه . لكنما تم التفريط . وعم التخليط . فسكل من رشسا مشى . وتذكب الامناء نهج الرشد بالرشا . فمنهم من ادلي من السوور بالحبال . ومنهم من حمل مخفيا في الرحال . ومنهم من غيرت لبسته فخرح بزي الجند . ومنهم من وقعت فيه شسفاعة مسطاعة لم تقابل بالرد . وكانت في القددس ملكة رومية متارهبة . في عبانة

الصليب متصابة . وعلى مصابها به متلهبة . وفي التمسك بملتها متعصبة . انفاسها متصاعدة للحزن . وعبراتها منحدرة تحدر القطرات من المزن ولها حال ومال واشسياء واشسياع ومتساع واتباع. فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج. وأذن في اخراج كل مالها في الاكياس والاخراج . فراحت فرحى ، وأن كانت من شجنها قرحى . وكانت زوجه الملك المأسدور ابنة الملك اماري . مقيمة في جوار القدس . مع مالها من الخدم والخول والجواري . فخلصت هي بمن معها ومن تبعها ، ومسن أدعى انه ممن صحبها وشيعها . وكذلك الابرنساسة ابنة فليب ام هذفري اعفيت من الوزن . وتوفر مالها عليها في الخزن . واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسمائة ارمنى ذكر انهم من بلاه . وان الواصل منهم الى القدس لأجل متعبده . وطلب مظفر الدين بن على كوجك زهاء الف ارمني ادعى انهم من الرها . فأجراه السلطان من اطلاقهم له على ما اشتهى . وكان السلطان قد رتب عدة دواوين . في كل ديوان منها عدة من النواب من المصريين ومنهم من الشاميين . فمن اخد من أحد الدوا وين خطا بالأداء انطاق مع الطلقاء . بعد عرض خسطه على من بالباب من الامناء والوكلاء . فنذكر لي من لا أشكك في مقاله . انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله . فدربما كتبوا خطا لمن نقده في كيسهم . ويلبس امر تلبيسهم . فكانوا شركاء بيت المال لا امناء . وخاذوه على ما حصل لكل من الغنى والذفع وبقي من بقي تحت رق واسار • ينتظر به انقضاء المدة المضروبة • والعجــن عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة •

ذكر يوم الفتح وهو سابع عشري رجب

واتفق فتسم البيت المقسدس في يوم كان في مثسل ليلتسه منه المعراج . وتم بما وضع من منهاج النصر الابتهاج . وزاد من الالسنة بالدعاء والابتهال الالتهاج . وجلس السلطان للهناء . للقاء الاكابر والأمراء والمتصدوفة والعلماء . وهدو جالس على هيأة

التواضع وهيبة الوقسار . بين الفقهساء واهسل العلم جلسائه الأبرار . ووجهه بذور البشر سافر . وأمله بعز النجح ظافر . وبابه مفتوح ورفده ممذوح . وحجابه مرفوع وخطابه مسموع . وذشساطه مقبل . ومحياه يلوح . ورياه يفوح . ومحبته تدروق ومهابته تروع . وأفساقه تضيء ، وأخسلاقه تضسوع . ويده لفيض احسواء السخاء . وفض أفواه العطاء ، ظاهرها قبلة القبل . وباطنها كعبة الأمل . قد حلت له حالة الظفــر . وكأن دســته بــه هـــالة القمر . والقراء جلوس يقرأون ويرشدون . والشعراء وقوف يذشدون وينشدون . والأعلام تبرز لتنشر . والاقسلام تسزبر لتيشر . والعيون من فرط المسرة تدمع . والقلوب للفسرح بالنصرة تخشم . والألسنة بالابتهال بالله تضرع . والكاتب يذشي ويوشي ويوشع . والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع . فما شبهت قلمسي الا بشائر اري البشائر . ولا وجهت كلمي الا لطائف وحسى اللطاؤف . وما ارسات يراعى الاليراعي الرسائل . ويشسيع الفواضل. ويشبع القول. ويسبغ الطول ويطول بالحجة وأن كان ف حجمه قصر . ويصول باللهجة وان كان في هجمه حصر . ويسمن الملك به وهو نحيف . ويثقل الجيش به وهو خفيف . ويبدى بياض الفرة من سواد . ويجلو بهجة الضياء من محجة الظلمة . ويجـري بالأجال والارزاق والمنع والاطلاق. والخلف والوفاق. والارقاق والاعناق. والعصدة والانجاز. والجدة والاعواز والفتق والرتق . والرقع والخرق . وهدو الذي يجمع الجيوش . ويرفع العروش . ويوحش المستأنس المستوحش . وينعش العماثر ويعتمر المتنعش • يجرى بالاعداء على الاعداء وبالايلاء للاولياء • . فبشرت باقلامي اقاليم البشر، وعبرت باعاجيبي عن عجائب العبر وملأت البروج بالدراري والدروج بالدرر . ورويت تلك البشر حتى اطابت ريا الري وسمر سمر قند . واطهربت وحلت حتى فاقت القنديد والقند . وعلقت بفتح القدس بلاد الاسلام وزينت . وشرحت فضيلتها وبينت ، واديت فريضة زيارتها وتعينت .

ذكر حالى في العود الى الخدمة

وكنت قد انقطعت من الصحية لما عرض لي في المرض من النوبة فاقمت بدمشق ادا وي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدبيري وادبر علاجي الى ان وصل الخبر بان السلطان نزل على القدس فوجدت خفة في الذفس وأنست بابلالي بعض الانس وامنت لو ثوقي بالصحة والاستقامة من الذكس، فاوجهت الى ذلك الجهة وسرت بطاعة النفس المتنزهة، وعصيان الطبيعة المنكرهة واخترت تعب السفر على راحة الاقامة ورأيت في ركوب طريق العطب وجه السلامة ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح فوصلني السلطان عند وصولي باجلى بشاشة واحلى هشاشة وسرى عنه وسر وابر وبر وقال اين كنت ولم ابطأت وحيث اصبت في الجيء فما اخطأت وقد كنا في انتظارك والسؤال عن اخبارك وهذا وان احسانك فاين احسان اوانك فاجر بنانك بجرأة بيانك واجر في ميدانك وما للبشائر الا واصفها والفرائد الا راصفها . وللفصاحة الاقسها . وللحصافة الاقسها .

وكان قد جمع امس كتاب دواوينه على انشاء كتب ما ارتضاها . واقتضاب معان وما اقتضاها ، وكاذوا سائوه في كتاب الديوان المعزيز. فقال لهذا من هو اقوم به وعناني . فلمسا رآني ناداني واستدناني • فصر فت الى امتثال أمره عناني • وسلم إلى الكتب التي كتدوها . بالالفاظ التي رتبوها . وقال :

غيرها . ولاتسيرها . وغرضه اني اعدل معوجها . وابدل مثبجها . وافترع المعنى البكر للفتح البكر . واوشح ذكر اياته بايات الذكر . فاستجديتها فملل السلم الله الملم شرك . فشرعت في افتضاض الابكار . واقتضاء الافكار . واقتراح القريحة . واقتراء رحاء الكلم

الفصيحة . وافتتحت في بشرى الفتح . وكتاب الديوان العزيز واوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز . ووشحت ووشعت وشعبت واشبعت . واطلت واطنبت . وصبت واصبت . واعجزت واعجبت . واطريت واطربت . وابعدت وابدعت ورصدعت وصرعت . وطابقت وجانست . ووافقت وانست وبينت فضل عصر الامام الناصر على الاعصار السابقة بالابصار الصادقة . وان هذا الفتح ادخره الله لزمانه ومكن منه لكانه . وسلط عليه بسلطانه ، وحسانه لنا بإحسانه . فقد عبرت القرون الماضية على حسرته . وظفر وهو واشياعه بمسرته . وما حصل لنا الا ببركة ايامه وحركة اعترامه . وذكرت من هذا كل ماراق وشاق . وذور الافاق . وان هدنه الفتوح تفوح بارج نشره . وتحيى بحيا برة . فما ايمن ايامنا بايامه . وماا سعد امالنا بانعامه . وكتبت الى كل ذي طرف بمعنى طريف . ولفظ فصيح حصيف . وسهرت ذلك الليالي حتى نظمت اللآلي . وحليت المعالي . وقدرحت المعادي . وفرحت الموالي . وسارت شواردي الى المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المعرب عن النصر المذهب . ويشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتاوت : (شرع لكم من الدين ماوصى) (الشورى ٤٢) وهذأت الحجر الاسود بالصخرة البيضاء . ومنزل الوحى بمحل الاسراء . ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء . ومقام ابراهيم بموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين . وادام اهل الاسلام بشرف بيتيه مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر الكريم. والفتح العظيم فوفدوا لزيارته من كل فج عميق. وسلكوا اليه في كل طريق . واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق . وتنزهوا من ازهار كراماته في الروض الانيق.

ذكر ماجرى عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الافرنج في بيع الامتعة واستخراج نخائرهم المودعة . وباعوا بالمجان في سوق الهوان . وتقاعد الناس بهم فابتاعوها

بارخص الاثمان . وباعوا بأقل من دينار كل مايساوي اكثر من عشرة . وجدوا في ضم ماوجدوا من امرور لهم منتشره. وكنسوا كنائسهم ، واخذوا منن نفيائسهم ، ونقلوا منها الذهبيات والفضيات . من الاواني والقناديل والحدريريات والمذهبات . من الستور والمناديل . ونقضوا من الكنائس الكنائن . واستخرجوا من الخزائن الدفائن . وجمع البطرك الكبير كل ماكان على القبر من صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصذوعات اللجين . وجمع ماكان في قمامة من الجنسين والنسجين . فقلت السسلطان ههذه امروال وا فره. واحــوال ظـاهرة ، تبلغ مـائتي الف دينار ، والامـان على ا امدوالهم لااموال الكنائس والاديار . فلا تتركها في ايدى هؤلاء الفجار . فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر وهم جاهاون بسر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولانتركهم يرمون اهل الايمان بذكث الايمان بل يتحدثون بما ا فضناه من الاحسان . فتركوا ما ثقل وحملوا ماعز . وخف ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف وانتقل معظمهم الى صور . وكتفوا بالديجور . وبقسى منهم زهاء خمسة عشر الفا امتنعوا من مشروع الحــق فــاختصوا بمشر وط الرق . فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة ألاف فانهم الفوا ذلا لم يكونوا به بالاف ، فاقتسمتهم ايدى السبى أيدي سبأ . وتفرق الغاذمون بجمعهم في الوهساد والربا . واحصيت النساء والصبيان ثمانية الاف نسمة . عادت بيننا مقتسمة • واصبحت ببكائها وجوه الدولة مبتسمة . فكم محجوبة هتكت . ومالكه ملكت . وعزباء نكحت . وعزيزة منحت . وبخيلة تسمحت . وخيبة توقحت . ومجدة مزجت . ومصونة ابتذلت . وفارغة شغلت • وعقيلة امتهنت . وجميلة امتحنت . وعذراء افترعت . وشماء فرعت . ولمياه رشفت . وظمياء فرشت . وريضة أصحبت . ورضية أصبحت . فكم تسرى منهن سرى . وتجرأ عليهن جري . وقضى وطره عزب . وذفى نهمسه سدفب • وفشأ سورته شدفب . وكم غانية استتخلصت . وغالية استرخصت . ووالية اعتزلت . وعالية استنزلت . ووحشية صيدت، وعرشية قيدت . ولما تقدس القدس من رجس الفرنج اهل الرجز .

وخلع لباس الذل ولبس خلع العز . ابى النصارى بعد اداء القصطيعة ان يخرجوا . وتضرعوا في ان يسكنوا ولايزعجوا . وبدناوا خدما وخدموا ببنول . وقابلوا كل مالزموا به بالتزام وقبول . واعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وشحت افواهم بما شاجاهم فاغرون . وبخلوا في الذمة . وخرجوا الى العصمه . وشاخلوا بالخدمه . واستعملوا في المهنه . وعدوا المنحة في تلك المحنة .

ذكر مااظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس امر باظهار المصراب . وحتم به أمر الايجاب . وكان الداوية قد بذوا في وجهه جدارا وتركوه للغلة هريا . وقيل كانوا اتخذوه مستراحا عدوانا وبغيا . وكانوا قد بذوا من غربي القبلة دارا وسيعة ، وكنيسة رفيعة ، فاوعز بدرفع ذلك الحجاب. وكشف النقاب. عن عروس المحراب. وهدم ماقدامه من الابنية . وتنظيف ماحوله من الافنية . بحيث يجتمسع الناس في الجمعة . في العرصة المتسعة . ونصب المنبر واظهر المحدراب المطهر • ونقض مااحدثوه بين السوارى . وفررشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري . وعلقت القناديل . وتلى التنزيل . وحق الحق وبطلت الاباطيل . وتدولي الفرقان وعزل الانجيل . وصفت السجادات . وصفت العبادات . واقيمات الصداوات ، واديمــت الدعوات ، وتجلت البــركات ، وانجلت الكربات • وانجابت الغيابات ، وانتابت الهدايات ، وتليت الايات . واعليت الرايات . ونطق الاذان وخرس الناقوس . وحضر المؤنذون وغاب القسوس . وزال العبوس والبوس . وطبابت الانفساس والذفوس . واقبلت السعود وادبرت النحوس . وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه . وطلب الفضل من دخدنه . وورد القدراء وقدريء

الاوراد ، واجتمع الزهاد والعباد والابدال والاوتاد ، وعبد الواحد ، ووحد العابد . وتدوا قد الراكع والساجد . والخاشع والواجد . والزاهي والزاهد ، والحاكم والشاهد . والجاهد والجاهد ، والقائم والقاعد • والمتهجد الساهد ، والزائر والوافد ، وصدح المنبر • وصددع المذكر ، وانبعث المعشر ، وذكر البعث والمحشر ، واملى الحفاظ . واسلى الوعاظ . وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء . وتحدث الرواة . وروى المحددون . وتحذف الهداة وهدى المتحذفون ، واخلص الداعوان ودعا المخلصون . واخذ بالعزيمة المتسرخصون . ولخص المفسرون • وفسر الملخصون . وانتدى الفضلاء وانتدب الخطباء . وكثر المترشدون الخطابة . المتوشدون بالاصابة . المعروفون بالفصاحة ١٠وصوفون بالحصافة فما فيهم الا من خطب الرتبة • ورتب الخطبة . وانشأ معنى شائقا . ووشى لفظا رائقا . وسوى كلاما بالموضع لائقا . وروى مبتكرا من البلاغة فائقا . وفيهم من عرض على خطبته . وطلب منى نصبته • وتمنى ان ترجح فضيلته . وتنجح وسيلته . وتسبق منيته فيها امنيته . وكلهم طال الى الالتهاء بها عذقه . وسال من الالتهاب عليها عرقه . ومامنهم الا من يتأهب ويدرقب . ويدوسل ويدقرب . وفيهم محن يدعدرض ويتضرع . ويتشوف ويتشفع . وكل قد لبس وقاره ووقدر لباسه . وضرب في اخماسه اسداسه . ورفع لهذه الرياسة راسه . والسلطان لايعين . ولايبين . ولايخص . ولاينص . ومنهم من يقول ليتني خطبت في الجمعة الاولى . فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان . اصبح الناس يساً لون في تعيين الخطيب السلطان • وامتللا الجامع • واحتفلت المجامع • وتوجست الابصار والمسامع • وفاضت لرقة القلوب المدامع • وراعت لحلية ذلك الحالة وبهاء ذلك البهجة الروائع • وشاعت من سر السرور بلبس حبدر الحبور الشوائع • وغصت بالسابقين اليها المواضع • وتوسعت العيون • وتقسمت الظنون • وقال الناس؛ هسذا يوم كريم • وفضل عميم • وموسم عظيم • هذا يوم تجاب فيه الدعوات • وتصاب البركات • وتسال العبرات • وتقال العثرات • ويتيقظ الغافلون • ويتعلظ العاملون • وطوبي لمن عاش • حتى حضر هدنا اليوم الذي فيه

انتعش الاسلام وارتاش • وماا فضل هذه الطائفة الصاضرة • والعصبة الطاهرة • والامة الظاهرة • ومااكرم هذه النصرة الناصرية • والاسرة الامـامية • والدعوة العبـاسية • والمملكة الايوبية • والدولة الصلاحية • وهل في بلاد الاسلام اشرف من هذه الجماعة • التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعة • وتكلموا فيمن يخطب • ولمن يكون المنصب • وتفاوضوا في التفويض • وتحدثوا بالتصريح والتعاريض • والاعلام تعلى • والمنبر يكسى ويجلى • والاصوات تـرتفع • والجماعات تجتمـع • والافـواج تزدحم • والامواج تلتطم • والعارفين من الضجيج • ما في عرفات الحجيج . حتىى حسان الزوال . وزال الاعتسدال • وحيعسل الداعي (١) • واعجل الساعي • فنصب السلطان الخطيب بنصه • وابان عن اختياره بعد فحصه • واوعز الى القاضي محيى الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين على القرشي بان يرقى ذلك المرقى • وترك جباه الباقين بتقديمه عرقى • فأعرته من عندى اهبة سوداء من تشريف الخلافة • حتى تكتمل له شرف الافلاف والاضافة . فرقى العود . ولقى السعود . واهتزيت اعطاف المنبر . واعترت اطراف المعشر . وخطب وانصتوا ، ونطق وسكتوا ، وافصح واعرب، وابدع واغرب، وابدع واغرب، واعجز واعجب. وا وجز وا سهب. ووعز في خطيتبه. وخطب بمدوعظتيه. وابدان عن فضل البيت المقدس وتقديسه . والمسجد الاقصى من اول تسأسيسه . وطهيره بعد تنجيسه . واخراس ناقوسه واخراج قسيسه . ودعا الخليفة والسلطان . وختم بقوله تعالى « أن الله يأمر بالعدل والاحسان . (النحل ٩٠) ونزل وصلى في المحراب . وافتتح ببسم الله من أم الكتاب . فائتم بتلك الامة . وثم نزول الرحمه . وكمل وصول النعمة. ولما قضيت الصللة انتشر الناس، واشتهر الايناس، وانعقد الاجتماع واطرد القياس، وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير . ليفرعه كبير . فجلس عليه زين الدين ابو الحسن على بن نجا . فذكر من خاف ومن رجا . ومن سعد ومن شقى ومن هلك ومن نجا. وخوف بالحجة ذوى الحجا. وجلا بذور عظاته من ظلمات الشبهات مادجا . واتى بكل عظه الراقدين موقظة . والظالمين

- 0AVY -

محفظة . ولا ولياء الله مرققة ولا عداء الله مغلظة . وضبح المتباكون . وعج المتشاكون . ورقات القلوب . وخفات الكروب . وتصاعدت النعرات . وتحدرت العبرات . وتاب المذبون . واناب المتحاوبون . وصاح التوابون . وناح الاوابون • وجارت حالات جلت . وجلوات حلت . ودعوات علت • وضراعات قبلت . وفرص مان الولاية الالهية انتهزت . وحصص من العناية الربانية احرزت . وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله . والاماة الى الله بدوام نصره مبتهلة . والوجود الموجهة الى القبلة عليه مقبلة . والايدي الى الله مرفوعة . والدعوات له مسموعة . ثم رتب في المسجد والاقصى خطيبا استمرت خطيته واستقرت نصيته .

وصدف الصخرة المعظمة عمرها الله

واما الصخرة فقد كان الفرنج قد بذوا عليها كنيسة ومذبحا . ولم يتركوا فيها للايدي المتبركة ولاالعيون المدركة ملمسا ولامطمحا . وقد زينوها بالصور والتماثيل . وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل . وكملوا بها اسباب التعظيم والتبجيل . وافردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة . باعمدة الرخام منصبه . وقالوا محل قدم المسيح . وهو مقام التقديس والتسبيح . وكانت فيها صور الانعام . مثبتة في الرخام . ورأيت في تلك التصاوير . اشباه الخنازير والصخرة المقصودة المزوره بما عليها من الابنية مستوره .

وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة • فامر السلطان بكشف ذقابها . ورفع حجابها . وحسر لتامها . وقشر رخامها . وكسر رجامها ونقض بنائها . وفض غطائها . وابرزها للزائرين . وأظهدرها للناظرين . ونزع لبوسها . وزفاف عروسها . واخراج درها من السدف . وهدم سجنها وقاك رهنها .

واراءة حسنها . واضاءة يمنها . وابداء وجهها الصبيح . وجلاء شرفها الصريح . وردها الى الحالة الحالية .

واشرقت القناديل من فوقها ذورا على ذور . وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد والاعتناء بها الى الان كل يوم في مديد، ورتبب السلطان في قبة الصخرة اماما من احسن القراء تللوة . وازينهم طلاوة . وانداهم صوتا . واسماهم في الديانة صيتا . واعرفهم بالقراءات السبع بل العشر . واطيبهم في العرف والذشر . واغناه واقتناه . واولاه لما ولاه . ووقف عليه دارا وارضا وبستانا . واسدى اليه معروفا دارا واحسانا . وحمل اليها والي محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات . وربعات معظمات . ولاترال بين ايدى الزائرين على كراسيها مرفوعة . وعلى اسرتها موضوعة . ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامه • قدومة تشمل مصالحها ضامه • فما ترتب الا العارفون العاكفون القائمون بالعبادة المواقفون ٠ فما ابهج ليلها وقد حضرت الجمدوع ٠ وزهدرت الشموع • وبان الخشوع ، ودان الخضوع . ودرت من المتقين الدموع • واستعرت من العارفين الضلوع. فهناك كل ولى يعبد ربه ويأمل بره. وكل اشعث اغبر لايوبه له او اقسم على الله لابره • وهناك كل من يحيى الليل ويقومه • ويسمو بالحق ويسومه • وهناك من يختم القرآن ويرتله ، ويطرد الشيطان ويبطله ، ومن عرفته لمعرفته الاسحار • ومن الفته لتهجده الاوراد والاذكار. وماا سعد نهارها • حين تستقبل الملائكة زوارها • وتلحف الشمس انوارها أنوراها • وتحمل القلوب اليها اسرارها • وتضع الجناة عندها اوزارها • وتستهدي صبيحة كل يوم منها اسفارها • ومااظهر من دولي اظهارها • واطهر من باشر اطهارها • وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها الى قسطنطينية . ونقلوا منها الى صقلية . وقيل باعوها بوزنها ذهبا . واتخذوا ذلك مكسبا . ولما ظهرت ظهرت مـواضعها . وقـطعها القلوب لما بـانت مقاطعها . فهي الان مبرزة للعيون بحزها . باقية على الايام بعزها .

مصونة للاسلام في خدرها وحرزها . وهدذا كله تدم بعد انفصدال السلطان. والشروع في العمران • وامر بدرخيم محراب الاقصى وان يبالغ فيه ويستقصى . وتنافس ملوك بنى ايوب فيما يؤثر بها من الاثار الحسنة . وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الالسنة . فما منهم الا من اجمل واحسن . وفعل ماامكن . وجلى وبين وحلى وزين. وا شــفق وانفـــق ، واغنى واقنى . واعتني وابتني . ووفى واوفي . واصدفي وأضدفي ، وأتى الملك العادل سيف الدين أبو بكر . بكل صنع بكر ، موجب لكل شكر ، وكل فعل جميل ورفد جزيل ، ومن جلى ومنح جليل . ومكرمة حميدة . ومحمدة كريمـة . وفضـيلة بهـا تـرجع . ووسيلة بها نجح . واتي الملك المظفر تقي الدين عمر . بكل ماعم به العرف وغمر . ونهى وا مـر . وبني وعمـر . ومــن جملة ا فعــاله المشكورة • ومكرماته المشهورة • انه حضر يوما في قبة الصحدرة . مع جماعة من السراة الاسرة ، ومعه من ماء الورد احمال ، ولاجل الصدقة والرفد مال. فانتهز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراض. وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص. ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت . ثم اتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت، وكذلك طهر حيطانها . وغسل جدرانها . ثم اتبي بمجامر الطيب فتبخرت . وتوضعت وتعرفت وفغمت مناشق أهل الهدى • وأرغمت أناف العدى • ومازال مع قوته • في تطهير البقعة المساركة طول يومه • حتى تيقنت طهـارتها • وبينت عمـارتها • وراقـب نضارتها ٠ ووقفت عليها الاستحسان نظارتها ٠ ثم فرق ذلك المال فيها على ذوى الاستحقاق • وافتخر بأن فاق الكرام بالانفاق • وجاء الملك الافضال نور الدين على . بكل نور جلى • وكرم ملى • واحسان سنى • وانعام هنى وعرف زكى وعرف ذكى • وعطاء مبتدع ٠ وانطاق بحمده الالسن ٠ وبسط بها الصنيعة وفرش فيها البسط الرفيعة • وهدى واهدى • واعاد بعد ماابدى • وانار واسدى • وافاض الندى • وفض الجدا • وذفض الاكياس • حتى خلنا به الاذفاض والافلاس • وسيأتي ذكر ماا عتمده من بناء ا سوا ر القدس وحفر خنادقه • واعجز بما اعجب من سوابق معروفة ولواحقة ، مالم يشق احد فيه غبارة ، ولاملك سابق فيه مضماره ، واما الملك العزيز عثمان ، فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به الايمان ، وذلك انه لما عاد الى مصر ، وقد شاهد الفتح والنصر ، ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها ، ولم ير بعد حصولها به نقلها ، وكانت احمالا باموال ، واثقالا كجبال ، ونخائر وافية ، وعددا واقية ودروعا سوابغ ، ونصولا دواصغ ، وضونا وتصرائك ، ورماحات ونيازك ، وقنا وقنابل ، وصواقل وذوابل ، وجروخا وقسيا ، ويمانيا وهنديا ، يزنيا ، وردينيا ومشر فيا ، وزيارات ، ونفاطات وقطاعات وعدد النقوب . وجميع ادوات الحروب . فاستظهرت بها المدينة . وتوثقت بها عراها المتينة . وكان من جملة ما شرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم . ويخرجوا قبل ان يستوفي الباقون في اداء القطيعة مدتهم . فتوفرت بدلك عدد البلد . يستوفي الباقون في اداء القطيعة مدتهم . فتوفرت بدلك عدد البلد .

ذكر محراب داو د عليه السلام . وغيره من المشاهد الكرام وتبطيل الكنائس . وانشاء المدارس

واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصدن عند باب المدينة منيع-وموضع عال رفيع . وهو الحصن الذي يقيم به الوالي . فاعتنى السلطان باحواله الحوالي ورتب له اماما . ومؤننين وقواما . وهو بمثابة الصالحين . ومارا الفاايين والرائحين . فاحياه وجده . ونهج لقاصديه جده . وامار بعمارة والرائحين . فاحياه وجده . ونهج لقاصديه جده . واصفاء الموارد جميع المساجد . وصون المشاهد وانجاح المقاصد . واصفاء الموارد القاصد والوارد . وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السلام . وكان ينتابهما فيها الانام . وكان الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون . واجناده على بابها مخيمون . وفاوض السلطان جلساؤه من العلماء الابرار والاتقياء الاخيار في مدرسة للفقهاء الشافعية . ورباط للصاحاءالصوفية . فعين للمدرسة الكنيسة

المعروفة يصند حنة عند باب اسباط ٠ وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة للرباط . ووقف عليهما وقدوفا . واسدى بذلك الى الطائفين معروفا . وارتاد ايضا مدارس للطوائف . ليضيفها الى ماا ولاه من العوارف . وامر باغلاق ابواب كنيسة قمامة • وحرم على النصارى زيارتها ولاالالمامة • وتفاوض الناس عنده فيها • فمنهم من اشار بهدم مبانيها .وتعفية اثارها . وتعمية نهسيج مزارها . وإزالة تماثيلها . وإزاحة أباطيلها . واطفحاء قنابيلهما . واعفاء اناجيلها ، وانهاب تساويلها . واكذاب اقاويلها . وقالوا اذا هدمت مبانيها . والحقت باسافلها اعاليها . ونبشت المقبرة وعفيت . وأخمدت نيرانها وأطفيت . ومحيت رسومها ونفيت . وحرثت أرضها . ودمر طولها وعرضها . انقطعت عنها امداد الزوار . وانحسمت عن قصدها مواد اطماع أهل النار . ومهما استمرت العمارة . استمرت الزيارة . وقال أكثر الناس لافائدة في هدمها ولا هدها . ولايؤنن بصد أبواب الزيارة عن الكفرة وسدها . فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لامايشاهد مسن البناء . ولايذقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولونسفت ارضاها في السماء . ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه القدس في صدر الاسلام أقرهم على هذا المكان . ولم يأمرهم بهدم البنيان .

ومما كتبته الى الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهر زوري من رسالة :

قد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم . والنصر العميم . والعرف الجسيم . والفضل الوسيم . واليوم الاغر الأعز الكريم . والشرف الذي نخره الله لهذا العصر ليفضل ليفضل . على الاعصار . وأراد تأخير فخاره الى هنه الايام ليكون بها تاريخ الفخار . فقد اعجز الملوك عن اقتضاء نصرته . وافتضاض عذرته . وخص من اجراه على يده بسمو قدره ونمو قدرته . وأعاد به القدس الى قدسه . وأظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه . وقد رجح

الاسلام الغريب منه إلى داره . وخرج قمر الهدى به من سراره . وذهبت ظلم الضلالة بأنواره . وعادت الأرض المقدسة الى ماكانت موصوفة به من التقديس . وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح السرى ومناخ التعريس. وقد اقصى عن المسجد الاقصى الاقصدون من الله الابعدون . وتـوافد اليه المصلفون الاقدربون . والملائكة المقربون . وخرس الناقوس بزجل المسبحين . وخسرج المفسدون ببخول المصلحين . وقال المصراب لأهله مسرحيا وأهسلا . وشسمل جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ماجمع للاسلام فيه شملا. ورفعت الأعلام العباسية على منبره فأخدت من بره أوف نصيب ، وتلت بالسنة عذبة : « نصر من الله وفتح قسريب» . (الصف ١٣) وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من بدس المشركين . وبعد أهل الأحد من قربها بقرب الموحدين . فذكر بها ما كاد يذسي من عهد المعراج النبوي . وقامت بدلالتها براهين الاعجاز المحمدي . وصافحت الايدي منها موضع القدم . وتجدد لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القدم ، فهو ثاني المسجدين ، بال ثالث الحرمين . فليهن البيت الحرام خلاص أخيه البيت المقدس من الأسر. واسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر. وتسطهير مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من ابناس الارجاس. وتضوع أرج الرجاء في أرجائه بعد اليأس . فالحمد لله الذي أبدل الايحاش بالايناس . ونزع عنه با فاضة خلع الرحمة عليه لباس الباس . وجعل عصر مدولانا أمير المؤمنين صداوات الله عليه على الاعصر مفضلا . وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فضر الدين والدنيا به مكملاً . ويسر ببركات أيامه فتح البلاد السلحلية بأسرها . وعجل هلاك هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها وأسرها . ولقد حسل الكفسر عروة عروة . وهسد ذروة ذروة وعادت حباله رثاثا . وعقوده انكاثا . ومساكنه اجداثا . وصار حديثا بعد أن شوهد اهل الذمة أحداثا . فالرتاج مستقتح . والرجاء مستنجح . والبلاد مستخلصه . والقيم الغوالي منها بسوم العوالي مسترخصة . والعقائل مفتضه . والمعاقل منفضة . ومناهل المنى

بمياه النجاح مرفضه . ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف أهل الايمان منقضه . والثفور مبتسمه ، والأمور منتسظمة . والحصون متسلمة . والخصوم مذعنة مستسلمة . وأرض الكفر ينقصها الاسلام كل يوم من أطرافها . بل يستولى على اوساطها وأكنافها ويعيد إلى الطاعة كرها مذهب خلافها . ولقد أينع زرعها وتمرها من رؤوس المشركين وهذا أوان حصادها وقطافها . والنعمة بحمد الله عظيمة . والموهبة وأن خصت هذا الاقليم فهي في جميع اقاليم المسلمين عميمة . فلو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة ودلالة المكرمة لكبا قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى : « قل او كان البحر مدادا اكلمات ربي لذفد البحر قبل أن تذفد كلمات ربيي ولو جننا بمثله مددا ٠» (ألكهف:١٠٩) والقاضي ضياء الدين القاسم الشهر زوري قد توجه لهذه النعمة واصفا . وعندما يأمر به من إنهاء البشرى بها واقفا . وأولى من وصف العدرف من كان بأوصافه عارفا . وأحق من شرح الحق والحقيقة من تفي بشرح الصدور مصادر شرحه . ويفتح على الاسلام ابواب الهناء بنانهاء ماتسنى من فتحه . ويحدث وهو الضياء بإسفار صبحه .

عادالحديث الى ما جرّى بعد فتح القدس

واقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بقربها من حصون واستباح كل ما للكفر بها من مصون ورحل ولده الملك الافضل قبله الى عكا عائدا وعن حوزتها بباسة وجوده ذائدا شم تبعه الملك المظفر فرحل وسار الى عكا وبها نزل ثم عمد السلطان الى ما جمعه ففرقه وأخرجه في ذوي الاستحقاق وأنفقه وفسرضه بعوارفه وفضه في مصارفه فسد خلة المعيل وأسهم منه ابن السبيل وحمل به عن الغارم واحيى به سنن المكارم ووضعه في أهله وأحله في محله وصرفه في حله وقدم التوسعة على ذوي الإضافة والإنفاق في أهل الفاقة واجنى الاجناد منه مقاطف .

وجعل المجاهدين منه وظائف . وابقاه بافنائه زخرا للاخرة . وكسبا المحامد الفاخرة . فاكثروا عذله على بذله . واستكثروا ما فضه بفضله . فقال كيف أمنع الحق مستحقيه . وهذا الذي أنفقه هو الذي أبقيه . وإذا قبله منى المستحق فالمنة له على فيه . فسانه يخلصني من الامانة ويطلقني من وثاقها . فان الذي في يدي وبيعة احفظها لذوى استحقاقها . فما عاد الوفد إلا بوفر ودثر . والافاضة في نظم من حمده ونثر . وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا . وتفيأ كل فئة ظلا . وكثر السائلون بالفضائل . والقائلون بسالوسائل . والقاصدون بالقصائد . والوافدون بالفوائد . والواردون بالفوارد . والسابقون بالشوافع والشافعون بالسوابق. والسالكون للطرادق. والمالكون الحقائق. فما ترى الا قارئا باالسان الفصيح. وراويا الكتاب الصحيح . ومتكلما في مسألة . ومتفحصا عن مشكلة وموردا لحديث نبوي . وذا كرا لحكم منهبى . وسائلا عن لفظ لفوى . ومعنى ندوى أو مقرضا بقريض . أو معرضا بتصريح أو مصرحا بتعريض أو جالبا لمدحه . أو طالبا لمنحه . أو مستضعفا بفاقه . أو مستسعفا بافاقه . أو ناشدا بنشيده . أو مسمعا بتغريب وتفسريد . وما فيهم الا من أحظى بسهم . أو ارضى بةسم . وأصبيب وأجيب . واجيز بتقرير وتقريب ، فقيل له لو نخرت هذا المال المأل . لشفيت به مايقع من الاعتلال . وكفيت بالحقيقة ما يسنح من الاختلال . فقال أملى قوي من الله الكافسل بنجسح الآمسال . وجمسع الاسراء المطلقين . وكانوا ألوفا من المسلمين . فكساهم واستاهم . وواساهم ، وأذهب أساهم ، فانطلق كل منههم إلى وطنه ووطهره ، ناجيا من ضرره . ووضره ومكث السلطان عليه مقيما . النظر في مصالحه مستديما . فقيل ما قعدودك عن صدور . فأنهض اليها عسكرك المنصور . وانت تدخلها يوم وصولك . وتحظى منها بمرادك وسؤالك ، فأذو السير ، وأخدو الخير ، وأحصر الخبدر ، وأحدظر التأخير . وفي تعجيل النهضة . تحصيلها في القبضة . وفي بـدار الالمام بدارها . بشرى أهلة الفتوح المقمسرة بابدارها . فسسأسر بالعسكر وأسرع ، واقطع عن الكفر ذلك الاعمال وأقطع ، وأكثر من كان يستحثه . وعلى النهوض يبعثه . الامير على أبو أحمد المعروف

بالمشطوب . وكان من أكابر الامراء الكافين للخصطوب . الكافين في الحروب . وكانت معه صيدا وبيروت . وهما بقرب صدور وقد أشفق أن فتحها يفوت . فرأى الحظ في الحض . وحرض على الفرض . ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل إليها وأنه يشق في هذا الوقت النزول عليها . وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس باحكام صور مشتغلا . وعلى الاستهتار بتحصينها مشتعلا . وقد استجد قدامها من البحر الى البحر خندقا . وجعسل الطسريق اليها مضيقا . واحدم اسباب الاحكام . وأخذ بالحزم في الاهتمام .

ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الضامس والعشرين مسن شعبان . وقد عنا لامره كل نابس ودان ودان . وودعه ولده عزيز مصر في اول منزله . وسايره لكراهية فراقه مقدار مسرحلة . شم ا وصاه وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه . مستظهرا بأخائه . ومستبشرا بآلائه . مستبصرا بآرائه . مستنصرا بمضائه مستغنيا بغنائه . وموفيا بوفائه . وهو بعقده يعقد وبحله يحل . وبشده يشد وبحلوله يحل . والعساكر بالفضاء فائضه . والخطوب الريضة رائضه . والى استنهاض النصر لانصارها ناهضة ، ومن هواها انها في داماء الدماء من أهل الكفر خائضة . فوصل الى عكا في أول شهر رمضان فخيم بظاهرها ظاهرا بخيمه . بساهرا بتساخيره وتقديمه . قاهرا بشباه المبير . زاهرا بسناه المنير . جاهرا بسره . فاهرا في بحره . وأقام أياما يتفكر ويتدبر . ويستشير ويستخير . وللشطوب يستعجله . ولا يمهله . ويحرض بالبعث . ويحدر مسن المكث . ويقول الفرصة تدرك بالحث . وتفوت باللبث . فسار لندائه ملبيا . ولجيش النصر معبيا . ولرايه مقلدا . وبسائله عز وجسل

متأيدا . فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة . بالجحافل المحتفلة والجموع المجتمعة . فنزل بعيدا من سرورها . سعيدا في ترتيب امورها . مضروبة قبابه . مجذوبة عرابه . محجوبة بالبذود والجنود ارضه وسماؤه . منشورة راياته منصورة آراؤه . خافقة على الاعداء عذبات عذابه . دافقة في ثرى النجح في الانحاء ثرات صوب صوابه قد كست خيامه عري العسراء . وفضت أشعة بيضه وسمره الفضة بالفضاء . واحتوت مضاربه المضيئة بالائه وارائه على مضارب المضاء . وباحث استباحه حمى المشركين للموحدين بسر السراء . فمكث أياما حتى تواصل المدد . وتدكامل العدد . واستحضر الات الحصار . واستكثر من المجانيق الصسفار والكبار . ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم الخميس . في خميس يسير في الوشيج كالأسيد في الخيس . ونزلت الذوازل المركسية مين نزوله ونزاله بسالمركيس .فيسوقع في الدردبيس . والعذاب البيدس . فكانما نفخ في صدور صدور . فحشر أهل جهنم وملأوا السور ٠. واتصـات زيارة الزيارات للجـروح بالجروخ . وتوافت مناجاة المجانيق بالخدوش والشدوخ . وارسلت الحجارات حاجرة جاجزه . والسنة أهل الرجس والرجز بالفحشاء راجزه . وكانت صور على السوء مستوية . وعلى كل من خرج مسن القدس وبلاد الساحل محتوية . فضحوا وارتجوا . وعاجسوا وعجوا . ولجأوا ولجوا . ونصبوا على كل نيق منجنيقا .وشدوا من كل جانب ركنا وثيقا . وشدوا في الجبال . ومدوا في الحبال . ورموا من الشرافات الشرفات . بالشرور والافات . وسلب الحجار حجاها . وامت الامة وجاءها وجاها . فكم من رؤوس اطار ت ٠ ونفوس ا بارت ، وبر خسفت ، وبدر كسفت ، وبحر نزفت ، وطود ذسفت . فحول السلطان الى قربها له خيمة صفيرة . وانهض بنات الحنايا بالمنايا عليها مغيرة . وصدف الجفاتي . فصدف اتيها الاتى . وعارض بحرها بعرض بحره . ورد كيد الكفر من المنجنيق بما نصبه من المنجنيق في نحره . فاحبط اعمالهم باعماله . واهبط رجالهم برجاله . وقابل الابراج بالابراج . وحاول بالردى علاج العلاج . ووالاها حجارات وصفورا . حتى جعلت سور صور

سورا . وجد في امرها . واجساد في حصرها . ووصل اليه في تلك الايام . من قوي به ظهر الاسلام . ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي . وهو الذي جل في سماحته وحماسته عن الموازن والموازى . فقدم مبارك القدم . متدارك النعم . عالى الهمم . غالى القيم . ومعه عسكر مجر لجب جلبه من حلب . قد استصحب البيض والسمر والبيض والبيلب. فظهر من الملك الظاهر منا ملك بنه قبول القلوب واغرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب ، ورأى نصب خيمته وراء خيمة ابيه المنصوبة ، وجد في استرجاع مدينة الاسكام المفصوبة ، وقدم بين ينيه كل حجار راجسح ، وكل نقساب ناجح ، لصم الصفاح مصافح ، وكل جاندار جان در الردى للكفار ، وكل زراق رزق الجسارة على أهل النار بالنار ، وكل منجنيقي من جناته تقتبس ذبالة البسالة ، وكل جرخى رخى البال بالهدى لأصماء أهـل الضلالة ، وكل رام رام النجم في الأفــق فراماه ، وكل همام هم بالخطب النازل فتحاماه ، وكل مقدام قدينه دام، وكل ضرغام صريعه في رغام - وكل قمقهام ضهارب بصمصام، وكل حام شارب بكأس حمام ، وكل ذمر مشيح ، لذمار الكفر مبيح ، ولروح الجدد مدريح ، ولذماء الزاح مزيح ، وكل فاتك لحبل الوريد باتك ، ولستر الحياة هاتك ، ولام العدداة سيافك ، وكل شيجاع الى الموت داع ، والى المجدد ساع ، والاسلام راع ، والاشراك ناع ، وكل فارس الفوارس فارس ، وللذوابال في النحاور غارس ، وفي اليوم العابس غير ناج ، وكل راجل لقهر العدو راج ، وبسر الباس مناج ، ومن شر الناس بشجاعته ناج، وبباغت المنون لمن يلاقيه شائح ، وكل عتال عات ، ونجار ونشار ونحات ، وحداد وقین و کل زائر للعدی بحین . فاجتمعوا وزحفوا . وجفوا على القوم ورجفوا واصموا وصمموا . وأوقدوا نارا واضرموا . وأطاروا من اعشاش الأقدواس الى أوكار الاحداق أفراها . واستصرخوا الاقدار لاقدارهم فحبتهم حين أحبتهم اصراحًا . وغلظوا على الرقاب الغسلاظ بسالرقاق . وأولوا الشقاء لأولى الشقاق. وتساعدوا وتناصروا وتطاولوا وماتقاصروا وما فيهم الا من أبان عن جد . وأبان بجد . والان الشديد . وأعان

السييد . وأقلح فقلح الحديد بالحديد . أوجد الجديد ومد المديد وصدور مرتجة أبوابها. مرتجة أربابها. مغتصة جدوانبها . ومدرتصة عصائبها . مشحونة أبراجها مسجونة أعلاجها محصورة كلابها . مدسورة ذئابها مدشورة ثعالبها مدشونة كتائبها والمركيس بها متجهم . وأبليس عليه متحكم . وقد سقط في يده . وسحفط لبلده . وارتبط بجلاه واختلط بكمده . وغلت مدراجل غلوائه وعدت غوائل عدوانه . وطاش وجاش وأوخش الأوباش والأوخاش (٢) . وتوشح بالشر وتوهش . وترشح للردى وتحرش . وا شتعل بجمره . وبعل بأمره وضرى بضره . وجال بوجله في مكر مكره . وكر في وكره وعشا عشه . وثبت على لجاجه . ونبت في اجاجه ، وتعسر وتسعر . وتربص وتصبر . والسلطان مصيب حكمه . صائب سهمه . ماض عزمه . قاض حزمه بار حده . ساطع سنى ايناسـه . قـد اتسـقت اسبابه . واتسعت رحابه . واجتمع اصحابة . فارتحم على بابه وحول قبابه كل مبارز بار . وكل ضارب ضار . وكل حجار جار . وكل رامح ورام . وكل حامل سلاح وحام . وكل سائف حائف . وكل عاصدف قاصدف وكل أكل للحرب شارب . وكل طالم بالضرب غارب . وكل هاجم هائج . وكل راجم رائح . وكل معتقل متقلد . وكل مجرب مجرد وكل ذكر مذكور . وكل غضنفر مشكور . وكل ليث ملاث . وكل غيث غياث . وكل سفاك لدم الكفر سفاح . وكل جسراد لسسيف الفتك جراح وكل مكتتم في درعه . مكتمن في نقعه .ملتم بزغفه . مثلم بحرفه ،مقنع بلامه ، ملفع بقتامه ، سابح في بحر الموت بسابحة . سامع في الصباح صوت صائحه . فجمع اليه أمراءه . واستحضر عظماء ملكه وكبراءه ، وقالوا هذا بلد حصين ، ومكانه من الارض مكين . في البحر ثلاثة ارباعه . وفي السماء ارتفاع بقاعه . وطريقه الذي يسلك من البر اليه . قد احاط به البحر من جانبيه .. وقد قطعو بخندق في عرضه . وعمقوا ونزلوا في أرضه . وكان من احكام الحزم ، واتمام العرزم . تكميل الآلات وتتميمها ، وتحصيل المنجنيقات وتقديمها . وتركيب الأبراج والدبابات وتأليفها . وتقريب الجفاتي وتصفيفها ، وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها ، وتنحية أثقال العســـكر وتخفيفهــا ، وتنخية نخــب الرجــال وتصريفها ، وتسنية الأسباب ، وتهيئة الأخشاب ، واستحضار كل مايراد للحصار ، واستنفار كل من يرام من الانصار ، فاذا حضرت هذه الأشياء والأشياع ، وتيسرت وتدوفرت الأصدول والأتباع ، رحب الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع ، واذا حالت الاحوال وضاعت الأوضاع، واختسل واعتسل النزال والنزاع ، وأمر السلطان بازاحة العلل ، وازاله الخلل ، وشفل الصناع بالعمل . وذقل الأمل الى طريق الأجل . وتقدم بقطع اشجار الغياض . وحمل مابتك النواحي من الانقاض ، فاجتمع هناك كل الله والله ، وذباب وذباالة ، وقضييب ومقضيب ، ومجرب ومحرب ، وسم وشهم وشهب ودهم وأحمال ، وأثقال ، ونظمت الستائر من التضيب ، وصفت مسن سسور صسور بسالكان القريب، وكمنت من ورائها الكماة، واستترت بالجفاتي قدامها الرماة ، واشتغل كل صانع بصنعه ، وكل جامع بجمعه ، وكل دا فم مانع بمنعه ودفعه ، فمن جان بمنجنيق ، ودان الى نيق ، وداب بدبابة ، وذاب بنبابة ، ونازع في حنيه ، وناز بمنيه ، وقسادف بشراره ، وحاذف بحجاره ، وهاتك مسن سستاره ، وفساتك بجساره ، وجاذب في حبال ، وجالب لوبال ، ومدرو في قلع ومسو لمقلاع ، ومدبر بايجاف ومدمر بايجاع . ولم ترل المنجنية ات ترمى ، والحجارات تدمر وتسدمى ، والدبسابات تسطير مسن أوكارهاعقبان الجسروخ ، واطبساق البسرج تبنى وتفسيطي بالسلوخ ، حتى امتد الزمان ، واشتد الحران ، وضاق الحصر واعتاق النصر ، وكان العسكر قد الف تيسر الفتح ، وتسرع النجح . فصعب عليه حين صعب ، وتبع هواه لما تعب ، ولم يألف الناس الا ارواء ظمأهم بنهله والحصول على اكساب سهله ، وفتسح مايقصدونه من البلاد بغير مهله ، فلمسا تــوقف هــنا الفتــح توقفوا ، وملوا وضجروا وتأففوا والسلطان مسع ذلك يزداد في حسده وجده ، وفي شده شدة ، وفي جده جدة ، يثبتهم بحثه ويحثهم على الثبات ، ويقويهم بجوده ويوجدهم القدوات ، ويقدول أن الله أمدر بالمصابرة . ولامصابرة الا بالمثابرة ، فاصبروا تفلحوا وصابروا تفتحوا .

ذكر ماتم على الاسطول

وكان السلطان قد ذفذ من صور ، واحضر اليها من عكا ماكان يها من مراكب الاسطول المنصور، فوصلت منها عشر شوان، على العدى جوان والردى لهم جوان ، فعمرها بالرجال ، وجهزها القتال واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل ، فاستشعر المركيس واشياعه منها الويل ، وعمروا لهم مسراكب ، ورفعسوا بهسا مناكب ، وسفننا بالساحل عندنا مربوطة ، وبحفظنا مضبوطة محوطة ، ودامت تدب عقاربها ، وتذب سواريها ، وتجرى سواريها وتسرى جـواريها ، وتــماير القنص بــزاتها ، وتغير الفــرس غَزَآتَها ، وتكسر بكوا سرها ، وتدور بدوائرها ، وتلاطم الأماواح بأمواجها ، وتزاهم الأثباج باثباجها ، وتسرفع شرع الهسداة بشراعها ، وتقلع عرش الفواه باقلاعها ، وتنقض على شاطين الكفر شهبها ، وترفض بشأبيب الذعر سحبها ، فكأنها الاساود والسود، وركبتها الاسكود، مكن كل المسوان يحمله المعوان ، وشجاع امتاطته شاجعان ، وغراب بشات العادي ناعق ، وسحاب بوميض الهدى بارق ، فيالها من اغربة دارت بعقبان . وأجنحة طارت بـظلمان . ورواس سـوار ، وغواز بغوار ، وقد ملئت برماة الحدق وحماة الحلق ، وزراقي النار وطراقي الثار، والخاطفين بالخطاطيف، والقاذفين بالثقانيف والكالمين بالكلاليب . والسالبين بالأساليب والماربين بالمحاريب والراجمين بالرجام ، والمعلمين على الأعلام فانشقت مرائر الفرنج وازاحت سفنها عن النهج وقرنصت بزاة البيزانية . وتقلصت جناة الجذوية ، وكرثت ادواء الدا وية وكثرت اسواء الاسبتارية . وزانت آلام الألمانية، وعادت أسقام الافرنسيسية . وصارت مراكبهم في المينا لاتبين ، وشدتهم بشد شوانينا تكاد تلين . وقد ربطوا عندهم السفن فأو خسرجت كانت جبالا تسافن . وأنس امسامانا بعلو الأمر ، وخلوا البحر وامنوا من الخوف ، وادمنوا على الطوف ودام

تطوا فهم واستقام أيجافهم . واغتروا بالسلامة وسروا بالاستقامة -وباتت لنا شوان خمس . لها بزوال الوحشة انس ورباحت بقرب مينا صور راصدة ، ولأخذ مايخرج من شوانيها قاصدة ، والسياجي مدلهمة والدواهي ملتمة وعيون الزهرر راقدة وعيون الكفرر ساهدة ، وللمكايد مصايد وللعوادي عوائد وللفوائل طوائل. وللمسائل دلائل ، وللمقادير مقادر، ولا ولئك المراد مراد ، فصفط اصحابنا الى السحر الحرس، وسهروا الى أن شارفوا الغلس وكل منهم لما استأذس نعس وغاص في النوم وما تنفس فما انتبهوا الا وسفن الفرنج بهم محدقة ونيرانهم محرقة . فولجوا ف البحر والتجوا . وتطافروا (٤)الى الماء لينجوا وعدت العداة وأخذت تلك الشواني الشناة واسروا منها عدة ولقسى الباقون شدة فساغتم السلطان بسبب هذه النكبة وفرح الكفار بدلك الضربة وكانت تلك اولى حادثة كرثت،وكارثة حدثت.ونائبة رابت،ورائبة نابت،فضاقت القلوب، وضافت الكروب، وحصلت تجربة الفارين. واتصلت حسركة القارين . واستيقظ الناعس، واستوحش الآدس . وهب الراقد، ودب الراكد ، وذاب الجامد . وشب الخامد، وهاح الزائر، ومساج الزابخسر، وتحرك الساكن، وتورك الراكن, وعقل من غفل وذهن من ذهل. وتيقط من غفا ، وتحفظ من هفا وتقبض من انبسط وتقيد من نشط وهسم من عف وألم من كف ورجفت الآفاق بالرجفين وطالت السنة المعذفين. فمنهم من يؤنب ويذنب، ومنهم من يقول ويطنب ، والعاقل ينجنب . ويقيم العذر لمن يذنب،ويقول هذه مسن الله مسوعظة وآية لنا

واشار الناس بانفاذ الشواني البواقي، وقطعوا بان هذه القطع لاتكفي لملاقاة في يلاقي ، فجهزوها نهارا وصديروا سرها جهاد الله الله في يلاقي ، فجهزوها نهارا وصديروا سرها جهاد الله بيروت ، ورجوا ان تسبق وتفوت ، وركب العسكر في الساحل يباريها ، وهي بالقرب تجارية في البحر وهاو في الباريها ، فابصر ملاحوها شاواني الفارنج لبارزتها مبارزة ، يجاريها ، مجمعه ، وللاجهاز وراءها مجهزة ، وكانوا رجالا من بحرية مصر مجمعه ،

واصبحت قلوبهم بما جرى على انظارهم مدروعه . فتدوا قعوا الى الماء . وخافوا على دمائهم في الداماء (٥) . وخرجوا الى البر على وجوههم . وخافوا مكرهم في مكروههم . وفروا وفاروا . وطاروا وثاروا . ولم يلفت احد منهم لبتا . ولم يزدهم دعاؤهم الى التجمــم الا تشتيتا . فظهر بهذه النوبة الواقعة . والنبوة الرائعة . ان نواب مصر لم يجر منهم بالا سطول احتفال . ولم يرتب فيه على ما يراد رجال. وانما حشدوا اليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة . ومستضعفة غير ألفة ولا مسألوفة . فسلا جسرم لما شساهدوا الروع ارتاعوا . ولما الزموا بالطاعة ما استطاعوا . وكان في جملة شوانينا قطعة يتولاها رئيس جبيل . وفيها بصرية من ذوى التجربة والتجري والتجرية ما لها حين ولا ميل . فطال بأسلحة الدفاع . وطار بأجنحة الشراع ، وفاز بالسبق وفات ، وهيهات ان يدرك هيهات ، فنجا النجباء . وأب بهم الآباء . فبقيت المراكب الباقية . وقد اخسلاها حماتها الواقيه . فدرفعناها الى البدر . ورأينا الصححة منها في الكسر ، وفرغنا من شغل المراكب في البحسر ، وهسذا والمنجنيقسات ترميهم . والمفوقات الموفقات تعميهم وتصميهم . والقتسال قائم، والنزال دائم، والصخور تفلق، والصدور تقلق، والاحجار تقلقل . والاسوار تحلحل . والاطوار تضعضع ، والابراج القيام تسجد وتركع . والاصلاد تقدح . والاجسلاد تقسرح . والالواح تصدع . والارواح بين أكفاء الكفاح مقسومة . والقروح بها قوارح القوارع مسوسومة . والحنايا واتسرة مسوترة . والمنايا مساثورة مؤثرة . وظعائن الضغائن تحدي بصدايل البدواتر . وصحهيل الضوامر . وحقوق الحقود تقتضي بالسنة الاسنة وعنت الاعنة من الغريم الكافر . والاوداج شاخبة كالعيون البواكي . والابشار دامية من الزنبوركات والناوكات النواكي . وهناك العقل معزول بالتهور . والرأي مشفول عن التدبر . والعلم والحلم خالطهما الجهل والسفاه والجرخي يبتدىء ببسم الله . والمنجنيقي يختم بلا اله الا الله . والزراق بالنار يطيب القاروره . ويحسروق الساتورة . والسباق الى المضمار يسماور السمور ويباشر الباشورة .

ذكر خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على ذلك العشرة . ظنوا فينا الفتسور لأجل تلك الفترة . وقالوا مراكبهم انصل تسركيبها . وكتسائبهم اختسل ترتيبها . وستجرى بها عنا الندامة التي يحدثها تجسريبها . وهسم الآن على صوت لهم مخيف . وفوت بهم مطيف . فلا معنى لتقاعينا عنهم . ولا وجه لتباعدنا منهم . فلوخرجنا صدمناهم . وأقدمنا عليهم وهـزمناهم . وخدرجوا يوما قبل العصر . في عدة كالليل خارجة عن الحصر . قد التأموا واستلاموا وانضدموا والتظموا وتقدموا . وأقدموا للطوارق حاملين . وللجمالات معطرقين . وعلى الفرق مجتمعين، وللجماعات مفرقين . وبالرهق جانين . وبالجد مرهقين . والعقود حالين . ومن الغمود سالين . والمناصل منتصبين . وللطوائل مقتضين ، وللسيوف مجربين . وللسيول مجرين ، وبالزغف ملتئمين . وفي الحتف مقتحمين . وبالقنطاريات طائرین . وبالزیارات زائرین . من کل مفوار وار . ومحضار ضار . وفجار جار . وجبار بار بار وعدو عنود ، وكند کنود . ودا وی ذی دوی . وبارونی غوی . ومن کل مصمم اذا وتر . مصم اذا اوتر . مصم اذا نعسر . مصر اذا ذعر . هسائج اذا استعر . مسائج اذا نخسر . متنمسر اذا زأر . متسخمر اذا زجر . فتناوبوا وتواثبوا . وتجاولوا وتجاوبوا . وبدوا من متارس المنجنيقات . وجنوا من مغارس الجنويات . وبنوا امسرهم على ان الناس ناسون غارون . وأن أهل البأس في خيمهم هساجعون قارون. فتلقاهم منا كل ضارب للهام. ضار بالحمام، وجارالي الأقدام . ملب للصوت . محب للموت . مشتهر باغناء . مشته القاء . مستهتر بالبلاء . ماض بالمواضى . متقاض بالقواضب القواضي، وكل ابيض بالبيض ضراب وللبيض رضاض . واغلب المغلب قضقاض والى الحرب نهاض . وكل معتقل رماحه . معتقد مرحه . معتقد مزاحه . مهتز لطـرب الشـهادة . معتــز بــأرب

السعادة . متمن للمذون . متجن على الحذون . مضرم نار الحديد في ماء الوريد . مفرم في تفريق العدى بجمع العديد . مفرغ ماء الظباء على نار النجيع . مبلغ تلبية الهدى الى الصريخ السريع . قد تلثم باللام. وتلفع باللثام. وتقنع بالزرد. وتدرع بالجلد. وتجوشن بالصير . وتخشن بالزبر . وصال بالقضب .وجال بالهضب .وطال بالهندي على الفرنجي . وخاص من دم الشرك في البحر اللجي . فلم يسمع الا انين الحنية . لحنين المنية . ورنين الأوتار . من كنين الأوتار . وهفيف السمهام . لذفيف اللهمام . وصمليل بنات الفمود . من غليل ابناء الحقود . وهمهمة الابطال، وغمفمسة الأقيال . وزئير الضرغام . وزفير الضرام . وقسرع الطبسسا بالظبا . ووقع الشبا على الشببا . وضبحة الحسديد مست الحديد . وعجة الشديد . وجعجعة رحسى الحسرب ، وقعقعسة اداة الطعن . والضرب . وجرجرة الفحول . وزمجرة النحول . وهديل حمسام الحمسام ، وهسسير قسسروم الايدام ، ووعوعة ذئاب الوغى . ومعمعة التهاب اللظى . ودعدعة صاع المصاع . وجلجلة سباع القراع . وصلصلة الزبر . وولولة الزمر . وحيعلة دعاة النصر . وهيضـــلة رعاة الكفـــر . ورفــرفة المريشــات الراشقة . وهسهسة الطعنات الفهاهقة . وهسهزهزة اعطسهاف المران . وزهزهة اصوات الشجعان . ونعير الفالبين . وصحب السالبين . ولجب الجالبين . وزحير الطالبين . ونهيت (٦) الأســود . وقصــيف الرعود . وهــدة الأركان . ودهــدهة الرعان . وقهقهة الأقران . وقرقرة كوم البكاء . وصرصرة بزاة الغزاة . وكشيش مسلاص الضللال . ونشيش مسراجل الرجال ، وهازيز ريح الياس ، وهازيم رعد المراس ، وارنان المعاجس، وارزام القناعس، وهيعة الصارخ، وصبيحة النافخ . وزعقة المستفزع . ونعقه المستنزع . وشهمة الخرصان . وزهزمة النيران . وهينمة الاجل . وجمجمة الزجل وتسسكبير المؤمنين . وتهليل المؤمنين . وصرير ابسواب الجنان الشــــــــهداء . وصريف انياب الجنان للاعداء . والدعاء الى اللقاء ، والنداء الى الارداء ، وارتفعت الاصوات ، واشتبهت الاحياء والاموات . ووقسع اصصحابنا فيهسم وقسوع النار في الحطب . واروهسم في مسرايا البيض وجسوه العسطب . وولوا مدبرين . بعد ماتولوا مدبرين وجذوبنا تشسلهم . وجسدوبنا تفلهم . ولتسوتنا تسرضهم . وليوثنا تفضسهم . وعادوا الى تفلهم . ولتسوتنا تسرضهم . وليوثنا تفضسهم . وعادوا الى البلد . عادمي الجلد . وفيهم ندوب وعليهم نوادب . وايدي الردى بهم لواعب ومنهم لواغب . وبخسل الليل . وعمهم الويل . واسرنا منهم مقدمين . ثبتوا على الموت مقدمين ، وممن اسر فخسر قومص عظيم . بل شيطان رجيم ، فترك في قيد اسار ، ليكشف عن حاله بالنهار . وكان الملك الظاهر غازي . لم يحضر فيما تقدم من المفازي . فرأى ان يحقق اسسمه بقتله . فضرب عنقسه بحسد نصله . وكان المركيس شبيها وفي الفرنج وجيها . فنظنوا انه هو للشبه . وبات اهل الكفر بالعمى والعمه . شم عرف ان المركيس في نفسه لم ينكأ ولم ينكب . ولما عطب اشسياعه لم يعسطب . وندم على ماقدم . ومن تقدم على غرة تندم .

ذكر مادبروه من الرأي ورأوه من التدبير

ولما امتنع البلد ، وارتدع الجلد ، وارتسج العدو ولج ، ضحر العسكر وضح ، واجتمع امراء ، يحبون الافسلات ، ولا يكرهسون الفوات ، وقالوا مطاولة ما نقصر عنه تتعب ، ومسزا ولة مسالايزول تصعب ، ومحاولة الممتنع محسال ، ومسطال غريم هسسنا الفتست مطال ، وما يتسع لنا في هذه الحلبة الضيقة مجال ، وهذا السلطان جلد على المصابرة ، مجد في المكابرة ، لايكترث بالكارث ، ولا يدخل سمعه حديث الحادث ، ولا يبالي بمن بلى ، ولا يفكر فيمسن ولي أو ولى ، ولا راحة له الا في التعب ، ولا يعلم له نصيب سلامة الا مسن النصب ، وكل مسا جسرى الى اليوم منا ومسن القسوم لم يرعه ولم يردعه ، وقد قيل انا لم تستطم شيئا ، فدعه ، فكيف السبيل الى

استعطافه ، وما التسدبير في اسستسعافه . وبسم نتسسوسل ونتـوصل . واذا عرفناه ان الداء يعضـل . والخـطب يشـكل لعله يحدوي الاقامة ويرحل. فاطلع على ما اسروه ، ومر به مسا امروه ، وهمه ما به هموا .والله ما يسه الموا ، فسرا سلهم بسالهيبات وواصلهم بالصلات ورغبهم فيما عند الله من الزافي ووعدهم بكل ما على أملهم اوف . وقال لهم كيف نخلي هذا المكان . وما استفرغنا في شغله الامكان . وما استنفينا في مضايقته الوسع ، ولا احسنا بعد في محاصرته الصنع ، ولا زحدف اليه الجمع . ولا حفر منه المنع ، ولا اصابنا من مكر اهله مكروه ، ولا ورد الصبر منه دشفاه شفاهه مشفوه ، وكيف تجري بنا الخيل عنه قبل التجريب ، وهــذا الارب ما يخطر بخاطر الاريب ، وما عذرنا الى الله والى السامين اذا تركناه ، وكيف نقول فاتنا هذا القنص وما ادركناه . والفرصة اذا فاتت لا تدرك ، والبغية اذا واتت فحقها تملك ، وذواظر الناس الى ما سيكون منا في صدور صدور ، وهذه الظلمة المدلهمة لا يجلوها الا نور . ومن لا يتعب لا يسترح ، ومن لا يحتسرق مسن الوجسد لا يقترح ، وأن تجدوا تجدوا ، وأن تسردوا عن المنهال العدي تردوا ، وأن تصبروا تصيبوا ، فارجعوا الي الله وأنبيوا ، وهنا الراجل متواصل . والغرض به حاصل ، ونحن نقسمه على المجانيق ونوبها . وذلام كلا منهم ملازمة البقعة التي هو بها . وهذا البسرج قد اردفع . والوسع قد ادسع . وقد امتلات بالرجال طبقاته . ودوالت منها في الكفر شقاته . والنصر قد أن أن تطيب نشقاته . والمركيس ابعده الله قد قرب أن تخونه ثقاته ، ورأينا طول الارواح ، لاالتطاول الى الرواح . وفي التثبيت على المقام . التوثب على المرام . ثم اخرج المال وصبه من اكياسه . وفرقه على ناسه . وانفقه في اهل بساسه . وواصل البذل وهجر العذل . وملأ الايدي بالغنى . وروح الرجاء نجح المنى . وامر فسامتثل وقسال فقبل . ونادى فسسمع . وحشر قجمع . وعادت عادة الحصار . واسعدت سعادة الانصار .

ذكر فتح حصن هونين

وورد الخبر عن هونين انها هانت . ودنا امرها ودانت . وان طريق فتحها بانت . وانها عنت فان الطاف الله اعانت . وانها بذلت ماصانت . ولم تبق للكفر على مساكانت وان شدتها لانت . وكان السلطان قد وكل بها بعض امرائه . وامده بمددي جنده وعطائه . فلبث الى هذه الغاية . يصبها بسهام الذكاية حتى طلب اهلها الامان على الوفاء بما يشترطون . ويشطون منها ولايشتطون ، فاول ماقالوا امهلونا حتى نعلم مايكون من صور . ونكتشف هدنه الامور ، فان اخذتموها اخذتم هذه . وشفعنا امر السلطان بنفاذه . وان خليتموها فياهوان هونين . ونحن نجعل على هذا عدة من الاصحاب مرهونين ، فندب السلطان بدر الدين دلدردم الياروقي وهو من اكابر عظمائه ، واكارم امرائه ، وامره باستنزالهم واستزلالهم ، والامان لنسائهم ورجالهم ، قمضى ورغبهم في الامن والسلامة ، وخوفهم عقبي الحسرة والندامة ، وقال لهـم انتـم بين حصنين هما تبنين وبانياس ، وماذا تصنعون اذا خاب رجاؤكم وبان الياس ، وإذا ابيتم التسليم عدمته سلامتكم ، واقمتهم قيامتكم . واستباحكم السلطان واستباكم . وكرهكم واباكم . وهل بالقتل حباكم . وفل شباكم . فما زال يرغب ويرهب حتى رغبوا ورهدوا . واخذوا الامان على أن يذهبوا . ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم . ولمقاتلة اهلها مستديم . والى ماعند الله من نصره مستنيم . وتسلمت هونين بما فيها من عدة ونخيرة . وقوة وميرة . والات وادوات كثيرة . وتسلمها بيرم اخو صاحب بانياس . واستشعر الفرنج منها الياس ، وكانت قد بقيت من الحصدون التي تعذر فتحها . وبرح بالقلوب برحها من عمل صيدا: قلعة ابي الحسن. وشقيف ارذون . ومن عمل طبرية والغدور: صفد وكوكب وهما من احكم الحصون وقد وكل بهما اميرين • من خواصه كبيرين . وقد ضيقا على من بهما من العلوج ، ومنعا من

الدخول والخروج . واقام السلطان على صدور مصاصرا . والدين الحنيف ناصرا . وليد الشرك بمطاولته قاصرا . يقاتلها بكل سلاح . ويقابلها بكل كفاح . حتى كادت تستكين . وشدتها تلين وابيتها تدين وسريرها يبين . وكان قد بخل كانون . وظهر من سر الشــتاء الكنون . ووقبض البرد الايدي عن الانبساط . واعدم الهمم دواعي النشاط . وعادت العرزائم المتوهجة تبرد . والصرائم المتاججة تخمد . والنخوات المتصركة تجمع . والحميات المتيقظة تعرقد . والضرام المحتدم يخبو . والحسام المخذم ينبو . والطباع تتكره . والسباع تتأوه . ومناوبة القتال تختل . ومعاقدة النزال تنحل . فلحاهم السلطان على مالاح . وعرفهم أن في الصبر الفلاح . وأمرهم بالمقام والاستقامة على الامر . وانه لاظفر الا مدع الصبر . وان الظلم تنجلي عند تجلى الفجر . وكان في الأماراء جماعة منتجون منتخون . أبت أمانتهم في حمية البين أن تخون مقيمون على الكريهة ولاكراهة منهم المقام. ويحبون ان تقام وظيفة الانتقام ويؤثدرون بانفسهم في طاعة الله وموا فقة السلطان . وعصيان الشيطان في مفارقة المكان . فاذا ارجف بالرحيل رجفوا . وسخفوا راى المسير به وضعفوا . واضطربوا واضطرموا وتذمموا وتلوموا . وقالوا كيف نترك ماحويناه . ونعوج ما سويناه . وننشر كفرا طرويناه ونهجر خيرا ذويناه . ونداوى توحيدا شفيناه . ونشفى اشراكا ادويناه . وماللراحة اليوم طالب . الا وهو غدا بالتعب مطلوب . ومن امسى وهو الآن غالب . يوشك اذا ولى ان يصبح وهو مغلوب . وهده صورة صور قد تشوهت . وموارد قوتها شفهت . واذا تخلينا عنها وخايناها ترفهت واستفرهت . واذا حلمنا عنها سفهت . وهبت من غشية خشيتها وتنبهت ، وتارك المصابرة مصاب . والاخذ بالمثابرة مثاب . فمنهم الامير طمان بن غازي مااطمأن يوما في الفرزو ولا سكن . وعز الدين جرديك النوري كم جرد على اعناق المشركين سيفه الذي به تمكن . وهما همامان مقدمان مقدامان . من عادتهما الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولايريمان . وجماعة اخـر بهما يتشبهون . وبالكريهة لايتكرهون . واما الباقون فانهم احبوا البقاء . وابغضوا اللقاء . واتقوا الاتقاء . وابو الا الاباء . وقالوا قد

لفبنا . ومابلفنا . وجرحنا ، ومارجحنا . فلورحناا سـترحنا . ثـم عجنا ورجعنا . ومانحن باول واضع للاصر . راجع عن الحصر . معتف للعقل . مستعف من الثقل عامل بمحض الحزم . عالم بوقت العزم . هذا وقد علم ماعرا من ضروب الكروب . وذلم مابري من غروب الحروب. وبقدر ماهدم من مبانى البلد هدم اكثر منه مبانى الجلد . فقال السلطان بل نجد في القتال اياما . ونقدم بأسا واقداما . ونزحف بجميع رجالنا . ونصدقهم في نزالنا . ونقاتلهم من جميع الذواحي . فان تعذر لاح العذر للاحسى . واحسبح العسكر وقسد ا ستعد . وامتد قبالة البلد من البحدر الى البحدر والنصر استمد . وركب الامراء باجنادهم ووقفوا . واثمر لهم ورق الصديد الاخضر فقطفوا . وتناوبوا في الزحف . وتعاقبوا على الحدف . وكلما ترجلت طائفة قاتلت ثم رجعت . وجاءت الطائفة الاخرى فصدقت وقرعت . وصارعت وصرعت . فلم ير اشد من ذلك اليوم . في وقدم القدوم . واجترأ اصحابنا . وراض جماحهم المسحابنا . وخساضت خيلنا في البحر خلف منهزميهم . واقدم من احجام منا لاحجام مقدميهم . فحينئذ طارت للحين من السهام زنابيرها . واسعرت الحرب بضرام الضراب مساعيرها . وامتلات السعير بقتالاهم وقالت هال من مزيد . وفتحت الجنة لن باع نفسه بها فقالت هال من شهيد . واذقضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة . وملت الاجنحة . وانهاضت قوادم الانهاض . وانفضت الجموع من اقواء القوى والانقاض . وبات الناس على ضبجر وضجاج . ولجب ولجاج . فاو عاوينا البلد بمثل ذلك اليوم اياما . لذلنا من فتحة مراما لكنهم اصبحوا على سأم. والموا بابداء الم. وقالوا: قلت كثرتنا ، فلو اقيلت عثرتنا لانجبرت كسرتنا . وفينا الجريح والطليح . وحتى متى لانستريح . وقد توالت الامطار فلامطار . وعلينا هذا الحصار مسار ، وكانت الجسراحات كثيرة . والاحتياجات بها مثيرة . ومنع البرد من العمل . وامتنع سد الخلة وتسديد الخلل . ومازالوا يرا سالون السالطان ويشيرون بالرحيل . ويقولون لاتتعب على تحصيل المستحيل . ولاتذهب الايام في ابرام المستحيل . ودعنا نستجد دعه . ونسترد قوى عند لطف الله مودعه . ونشتغل بفتح الايسر وهو اكثر . ونؤخر التشاغل بما لعله

يتمسر . وكان السلطان في تلك المدة . انفق امتوالا كثيرة على تلك الالة والعدة . وماامكن نقلها . ولامكن من نقلها ثقلها . ولو ابقاها لقوى بها الكفر . واشتغل بسببها الفكر . فـرأى نقضـها . وفـك بعضها . واحرق منها ماتعذر حملها . وشتت بعد التجمع شـملها . وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا . وجرت اعاجيب ماتكاد تحكى . وسر ذلك الرحيل قوما وساء قوما فأضحك وابكى . وتسأخر السلطان وتباعد عن قدرب صدور الى المنزلة الاولى ويدايده على جميع الاحوال طولى . فشرع العسكر في الانصراف. وتزود للانفكاء والانكفاف . واخذ الجمع في الافتراق . وانتشر في الافاق . وذهب من ذهب على مدواعدة في المساوده . ومسارعة في الرجدوع الى المساعدة . وودع الملك المظفر تقسى الدين مسن هناك . وا وعد بسوعد عوده الاشراك . وسار على طريق هونين الى دمشق مغذا . وسارت معه عساكر الموصل وسنجار وديار بكر ، وكل طير منهم اشتاق الى وكره . وماعرفوا ان هذه الراحة القليلة تعقبهم تعبا كثيرا . وان هذا الهدو الذي مالوا اليه يصير لحثيث حركتهم مثيرا . وبقي السلطان يتلهف على ماتركه . ويتأسف على الفتح الذي ماادركه . والنين اشاروا بهذا الراي يسهلون الصعب . ويهوذون الخطب . ويقولون نمضى ونعود . وتساعدنا السعود . وتنجدنا الجذود . وتتجدد الجدود . ويورق العود . وتصدق الوعود . واذا اقبل الربيع . اقبل الجميع . وطلب الزمان . ووفي الضمان . وامكن الاستعاد وستاعد الامكان . ومازالوا بنا حتى رحلنا . وعلى الرأي الرائب منهم احلنا . ولو اقمنا لقمنا . وقمعنا العدو ووقمنا . لكن الله قدر وقدره محدوم ، وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ مكتوم ، واراد ولامرد لمراده . وقضى ولامحيد لما قضاه في عباده . وان تبقيى صدور في تلك الحالة الكفر وكرا . والمكر مكرا والشرك شركا . ولنار جهنم دركا . وقدمنا عن صور الارتحال . آخر شوال . غرة كانون الثاني وعم البرد في القاصي والداني . وتـوحمت السـماء مـن حــوامل السحائب . وتوحلت الارض من سوائل المذانب . والنكب الرياح عواصدف عوا سف. قدواصدم قدواصدف . والسحب الدلاح (٧) هوا مل هوا مر روا عد روا عف ، والبرد قارس ، والماء جامد جامس . والشتاء شتات بتات . وما مع مقامه وثباته مقام وثبات . وسرنا عباييد في ابابيد . وبين جليد وجلاميد . على الناقدورة وطدريقها . والاثقال قد ازبحمت في مضيقها . والاحمال تتواقع . والاجمال تتقاطع . والسبل تذسد . والسابلة ترتد . وسلكت الخيل الجبل . وقطع العسكر طريقه الى المخيم ووصل . وتأخر الثقل ، الى ان تخلص . وتقدم من سبق وتملص . ووصلنا الى عكا في تلاث مراحل . وقد غطى بحر عسكرنا الساحل . وخيم السلطان على باب البلد بجانب التل . نامي الفضل . دائم الفكر في تدبير الأمر وتدمير الكفر . واثقا من الله بانجاز النصر

ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخي جاولي حتى استشهد هو وأصحابه

ويوم رحيلنا من صور نعي محمود اخو جاولي . وكان ما جملة الامراء اعف ولي ولي . وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد . وقضي صابرا مصابرا وهو سعيد شهيد . وسبب ذلك ان السلطان لعلمه بيانته وأمانته . وبأسه وبسالته . ويقظته ونهضته وحزامته . وكله بحصن كوكب الذي على الفور . وكانت فيها جمرة الاسبتارية القريبة المجور البعيدة الغور . وقد تمنعوا بشدتهم . واشتدوا بمنعتهم . وهو حصن لايرام . وركن لايضام . ومعقل لايسامى ولايسام . وذروة لاتفرع . ومروة لاتقرع . وعقيلة لاتفترع . وبكر لاتخطب . وقلعة لاتطلب . ولما ملك الساحل . وهدك الباطل . ونظمت الحصون في سلك الحصول . وظفر الاسلام بالفتح المأمول . وافتتحت طبرية وأعمالها . وتمالكت أغوار تلك البلاد وجبالها . تمنعت قلعتا صفد بالدا وية . وكوكب بالاسبتارية . وتعذر فتحهما . وتعسر منحهما . وقف أمرهما . وأعدى البلاد ضرهما . فرتب على صفد جماعة يعرفون بالناصرية . من أهل الابية والنخوة والحمية . ومقدمهم مسعود الصالتي أصالت ساعدته منه سيفا

إصليتًا . لايلفت عن لقاء العدو ليتا . ورتب على كوكب هدذا محمودا . وكان بهما أمر الحفظ محمودا . وذلك بعد الكسرة . وصحة النصرة . فأحاطا بالحصنين واحتاطا . وظهرت كفاية كليهما بما تعاطى . وكان الدفظ مستمرا . والاحتياط مستقرا . حتى أنس محمود بضعف أهل الحصن . وظن أنهم في غاية الوهن . وسكن إلى سكونهم . وأغمضت عينه لتوهم إغماض عيونهم . واسترسل فيما حزب . واستسهل ما صعب . وأخل بالحزم . وخلا من العرم . واحتقر عدوه . وحسب من العجز هدوه . وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفر بلا . وقد أقام به جاما جامعا فيه ماأمر وحلا . وكان ذا دين متين . ومكان من النسك مكين . وهـو يسهر أكثر ليله متهجدا . وقد جعل منزله مسجدا . وأصحابه من حسوله . يحفظونه بقوة الله وحوله . فلما كان آخر ليلة من شوال . وهي ليلة ذات أهوال . مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة . ليلاء قتماء . بارية مقشعرة . أنوارها بائدة . وأنوا وُها جائدة . وهازيم جنحها دجوجي . وهزيم ودقها لحي . وسحبها سحم ، وأقلطارها دهم . وصبيرها صيب . وصنبرها مشيب . لايفرق فيها السماء من الارض . ظلمات بعضها فدوق بعض . خدرح أهدل كوكب وقدت السحر . والناس رقود والحراس هجود . والجذود جمسود . والانفاس خمود . والهمم ركود . والسيوف اسرار . أضمرتها القمود • والعدم قد دنا منه الوجود • فما أحس محمود المحمود • وأصحابه الهمود الا بالفرنج وقد سلكوا اليهم . وبسركوا عليههم . فقصروا عن الامتناع . ولم يقدروا على الدفاع . فجاءتهم السعادة . وفجأتهم الشهادة . وبقي الامير حتى استشهد محصورا . وكان أمر الله قدرا مقدورا . ونقلوا الى القلعـة مـاوجدوه مـن سـالاح ومتاع ، وخيل وكراع فلما عرف السلطان ماأصابهم . احتسب عند الله مصابهم . وأحمد الى الجنة مآبهم، فندب الى كوكب صارم النين قايماز النجمي الصارم المخدم ، والحازم المقدم والعضب البتار ، والندب المفوار ، والأسد الأسد ، والأحمى الأحمد . في خمسمائة فارس من ذوي النجدة . والبأس والشدة . فسد الطريق بمضايقتها عنها . ومنع من الدخول اليها والخروج منها . ولم يزل

عليها مقيما . ولحصرها مستديما . إلى أن يسر الله فتحها . وسهل للأمال فيها نجحها . وسنذكر ذلك في موضعه . وكيف أشرق صبح النصر من مطلعه .

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده من صور

استأنن الملك الظاهر والده في العود إلى حلب فأنن له وودعه . بعدما أمره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثله واتبعه . وودع الملك العادل وأوجه إلى مصر . مستقبل الظفر والنصر . وأقام الملك الافضل بعكا مستقلا بالأراء . ومستهلا بالآلاء . مستبدا بتدبير اسباب الهدى . مستعدا لتدمير أحسزاب العسدى . وأقمنا بالمخيم لخدمة السلطان ملازمين . ولاقامة شرائطها مدا ومين . وكاليطلب اننا في الانصراف. ويستقيم على نهج الانحراف. حتى خدف من عنينا من الجند . وثقل علينا عبه البرد وتنا وحت الهوج . وترا وحت الثلوج . ورجت الدروج . ونجت الذؤوج . وارتجاح عجاج الودق . (٨) وارتجس نجاح البرق . وجفت الحرجف . وطفح الاوطف. وتقطعت الخيام وتقلعت الاوتاد. وتجللت بابراد الجليد من البرد الآكام والوهاد . ومال بل وقع عمدود السرادق . ودام تواصل البوارح والبوارق. ودخل السلطان الى المدينة. وسكن بها في كنف السكينة . مستقيما على المحجة المستبينة . مقيما للحجـة المتينة . وشرع في إعداد العدد . واستمداد المدد . وابرام معاقد الحل والعقد ، واحكام قواعد الدين والمجد ، واحياء سنة السماح والفضل . واعلاء سناء الاحسان والعدل . وافسانة الكرام واكرام الوفود . واعادة ما بدأ به من افاضة الجود . واجازة الراجين . واجارة اللاجين . واسعاف العانين ، وابعاد العادين ، وانناء أهل العلم . واغناء ذوى العدم . وانجاح المقاصد . وانجاز المواعد .

ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل آفاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه . قاطفين جني جنابه ، واقفين لرفع حجابه . مستسعفين لنعمائه . مستعطفين لابائه ، متعرضين لثوابه ، متضرعين في خطابه . وكلهم يهنئه بما أفرده الله بفضيلته . وخصه بنجع وسيلته .

وأقدره عليه وقد عجز عنه الملوك . وهداه الى سبيله وقد تعذر بهم اليه السلوك . وهو فتح القدس الذي درج على حسرته القرون الاولى . وتقاصرت عنه أيديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولى . فما منهم إلا من يعترف بيمنه ويغترف من يمه . ويقر بحكم النزيل له وينزل على حكمه ، ويخطب الصداقة في الصدق ، ويحقق المظاهرة لاظهار الحق . ويتقرب بالوفاء والوفاق . ويتباعد عن الشقاء والشقاق . ومن جملتهم رسول صاحب الري قتلغ اينانج بسن بهلوان . ورسول قزل ارسلان المستولي على ممسالك همسذان. وانربيجان, واران . وهو عز الدين الطالبي الطالب للعز . الراغب في الفوز . فما من يوم يمضي . وشهر ينقضي . الا ويصل منهم رسول . ویتصل به سـول ، وتتجلی غمـة ، وتتجلی نعمـة ، وتتجـه بشری وتستبشر وجوه . ويكف مكر ويكفي مكروه . ونظر في احروال عكا فرتبها . وفي أمورها فهذبها . وفي مضارها فأذهبها . وفي منافعها فقربها . وولى عز الدين جرد بك بها واليا . وأعاد عطلها بفضل ولده الملك الافضل حاليا . حاليا . ووقف بها وقوفا . واجنى المستحقين منها قطوفا . وأسدى معروفا . وأعطى ألوفا . وأرغم من الاعداء أذوفا . وكانت فتوحه لهم حتوفا . ووقف نصف دار الاسبتار رباطا للمتصوفه . وللوا قدين من أهل الطريقة والمعرفة . ونصفها مدرسة للمتفقهه . وللطلبة المتعففة المتنزهـة . فجمع بين العلم والعمـل . والنجح والأمل . وكتب الرزق لهم إلى كتاب الأجل . واتخد لطلب مرضاة الله دار الاسقف بيمارستان المرضى . وأتى بكل مايحبه الله وبه يرضي . فلم يبق سنة الا خلاها . ولامنة الا قلاها ، ولا أجراه . ولاهدى الا أهداه . ولا أمرا الا أمره . ولا دارا الا أحره ، ولا فريضة الا أداها . ولا فضيلة الا اتساها . ولا فرصة أدره ، ولا فريضة الا أداها . ولا فضيلة الا اتساها . ولا فراف أدره صواب الا انتهزها ولاحصة ثواب الا احرزها . ولارمم فواضل الا انشرها ونشرها . ولا أمم فضائل الا حشدها وحشرها . وماترك قارئا الا قراه . ولاراويا الا أشبعه وأرواه . ولاحافظ حديث الاحمان مدائح . الا نظم له المنائح . ولاموافيا بقريض إلا وف قروضه . وأعجز عن القيام بحملي حمده نهوضه وتقدم إلى الوالي بالتردد في الاعمال . وتفقد الأحوال ، وسد الخلة وتسديد الاختلال وتعليل السقم وتستقيم المعتل ، وتحليل العقد وتعقيد المنحل . فاستقرت بولايته الولاية . واستمرت لرعيته الرعاية . ودرت أفاريق فاستقرت ودارت أسواق الارزاق .

ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من دار الخلافة الرسالة في العتب على احداث ثقلت . وأحاديث نقلت . ووشايات أثرت وأرثت . وسعايات في السلطان عثت . في الاحوال وشعثت وذلك في شوال . ونحن على حصار صور ونزاع ونزال .

لما تم الفتح الاكبر . وخص وعم النجع الاظهر . وقطع دا بر المشركين . وحط اقبال المسلمين أوزار إدبار الكفر بحطين . أمرني السلطان بانشاء كتب البشائر الى الافاق . وتقديم البشرى به إلى العراق . فقلت هذا فتح كريم . ومنح من الله عظيم . وملك عقيم . وسمو وسيم . فلا يجب ان يكون مبشر دار الخلافة . بما انزله الله لنا من الرحمة والرآفة . الا من هو عندنا أجل وأجلى . وأعلم

وأعلى . وأجمع لفذون الفضائل . وأعرف بأداء الرسائل . فلا يوجه بهذه الكرامة الا الكريم الوجيه . ولاينبه لهنه المقامة الا القديم النبيه . ولايرقع العظيم الا بالعظيم الرفيع . فان الشريف يتضم شرفه بمقارنة الوضيع . فقال هذه نصرة مبتكرة بكرت . وموهبة ميسرة بدرت وندرت . فنحن نعجل بها بشيرا ، وذؤخر للاجلال كما ذكرت سفيرا . وكان في الخدمة شاب بغدادي من الاجناد . قد هاجر للاسترفاد . وتوجه بعد وصوله . ونبه بعد خموله . فسال في البشارة الى بغداد . وزعم انه يدا وم اليها الاغذاذ . وشفع له جماعة من الاكابر حتى خص بأشرف البشائر . فقلت هــذا لايحصــل له وقع. ولايصل اليه نفع. والواجب ان يسير في هذا الخطير خطير. وفي هذه النصرة الكبرى كبير . فان الرساول من يندب التفهيم والتفضيم . ويرتب في الامر العظيم للتعظيم . شم سار المندوب . وشغلت عن ارسال سواه الفتوح والحروب. ولما فتح البيت المقدس أرسل ببشارته نجاب . وذفذ بها كتاب . ووصل البشير الجندي . فلم تجل به على كفؤ الجلالة من الهدى الهدي . وحقروه . وما وقروه . فانه كان عندهم بعين فنظروه بدلك العين وحبوه بما يليق به من الرقة والعين . ونقم على السلطان ارسال مثله . وانه لم يعصب المنصب في ذلك الرسالة باهله . وتسمج المندوب بكلام اخد عليه . وبدرت منه أحاديث نسبت اليه . وقال في سكره ، وحالة نكره ، ما يعرض عن ذكره . فخيل ومدوه . وتذكر وتدكره . وظدن أن لكلامه أصلا . ولقطعه منا وصلا . وانهيت الى العرض الاشرف مقالاته . وعامت جهالاته . وتجنى على السلطان بارساله . وطرق الى هداه ماأنكروه من مقال المذكور وضلاله . ووجد الاعداء حينئذ الى السعاية طريقا ، وطلبوا لشمل استسعاده بالخدمة تفريقا ، واختلقوا اضاليل . ولفقوا ابساطيل . وقسالوا هسذا يزعم انه يقلب الدولة . ويغلب الصولة . وانه ينعت بالملك الناصر نعت الامام الناصر . ويدل بما له من قوة والعساكر . فاشفق الديوان العـزيز على السلطان من هذه . وبرز الامر المطاع بارسال اخي وانفانه . وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد . يكفسل لنا في كشف سر الامسر بالمراد فان اخاه هناك . مطلع على الاسرار . وهو منتخام في سلك

الاولياء الابرار . وعول عليه الديوان العزيز في السفارة . ورد معه جواب البشارة . وكتبت له تنكرة بموجبات مقاصد العتبب . ومكرات موارد القرب . والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنه . والمعاتبة مع شدتها للعواطف الامامية لينه . ونشر الاعتاب في طبي العتاب . وروح الارضاء في شخص الاغضاب . وبرد الموهبة في برد المهابة يرد ظن الخطأ الى يقين الاصابة .

وشرف من الديوان الآخ ، فســار وهــــو يبـــذخ وقـــد اصحب خيلا ، وأسحب من التشريف والانعام نيلا ، والحـف مـن ذور الاهبة العباسية نهارا وليلا ، فوصل السبير بالسرى وقسطم الوهاد والذرا وجاء الى دمشق بشارة رائقة وبشارة رائعة واشارة رادعة وشعار مهيب . وشرع مصيب . وهيبة روعة امامية ، وهيأة عصمة عصامية وفرند نبوي لاينبو ، وزند وري لايكبو ، ولسان في الصرامة جرى ، وجنان بالشهامة حرى وبلاغة بابلاغ . ماليس بلاغ ، وفئة وافية وصِيفة بصياغة كل غريبة قول ، ورغيبة طول . وكافلة كافية وسنى نور وقار يستعير منه سنير . وثبات خلق يتخلق به ثبير ، وكان قد عاد المندوب نادبا عاديا . جاحدا للنعمة شاكيا . ذاكرا أنه عدم الحفاظ . ووجد الاحفاظ . وأكثر الكلام فما حدرك شمام. وقال أخو العماد قد وصل بكل عتب ممض. وخطب مقض. وغضب مفض . ولفظ فظ . وهض على غير حظ . ومعه الملامات المؤلمات . والظلامات المظلمات . فقلت له : اسكت واصمت ، وبمالك من وسم الوصم مت ، ولاتدخل هذا الباب واخسرج ، وليس هذا بعشك فادرج وقلت للسلطان سمعا وطاعة لأمر الديوان فان اظهار سر العتب لك من غاية الاحسان ، فقال : نعم ما قلت ، وقد طلت بارسال أخيك وطلت وماأ سعنني أذا شرفت بالعتاب . وأسعفت بالخطاب ، والمملوك يذفعه التأبيب . ويزعه التهنيب . على أننا لم نأت الا بكل ماوقي الهدى . وأضعف العدى ، وكف الكفسر ، وأبنى الدين . ومازلنا في طاعة أمير المؤمنين مجدين . أما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعي وفرخت . أما استأذفنا بها تاريخ الدولة العباسية بعد أن كانت سنين بسواها أرخت ، أما استخلصت اليمن

وللدعى بها داع ، وللهدى فيها ناع . وللضلال منها راع ، أما أرحت من رق الشرك السساحل . أمسا ازحست عن حسق الملك الباطل ، أما فتحت البيت المقدس والحقتة بالبيت الحرام ، والحفته رداء الأكرام، واعدت الى الوطن منه غريب الاسلام . أما رعت الغرب بغدرب عزمي . ووزعت الشرق بشرع حكمي ، ومساتعبدت الا بالعبوبية للدار العزيزة . وهذه الفطرة منسكنة منى في الغريزة . فأهلا وسهلا بالرسول. وبالسول وحبسا ومسرحبا بسالاقبال والقدول . ومااتي الا بالحب والحبور ، ولامرار الأمور ، ولاظهار سر السرور . والبارق يشاع اذا رعد ، والمسادق يرام اذا وعد ، وما اسرنا بالواصل وأوصلنا بالسرة ، وأبرنا بالجد واجلنا بالبرة . وسمعت منه كل ماهدى سمعى . وابدى لمسى . وجمسع شملي . وشمل بالعز جمعي ، ولما قرب اخبي واصبحت لقدومه انتخى فأمر السلطان الأمسراء على مسراتبهم بساستقباله ، وتقسم لجلالة قدومه باجلاله ، ثم ركب وتلقاه بذهسه ، وخصه من تقريبة بأذسه ، ولم يزل حتسى اراه مسواضع الحصسار ، ومضسار الكفار ، ومواطىء اقدام ذوى الاقدام . ومدواطن بسسالة اهسل الاسلام . ثم نزل وانزله بسالقرب وعقسد له بسالحباء حبسسي الحب ، وسفر وجهه لوجاهة السهفير . وأحسل محسل التسوقير والتوفير ، وتبلج له صبح التبجيل . وتأمل منه نجح التساميل . ثسم حضر عنده . وقد اخلى مجلسه لى وله وحدده ؛ وأدى الأمانة في مشافهته ، ووجه مقاصده في مواجهته واحضر التذكرة وقد جمعت المعرفة والذكرة ، فقرأتها عليه بفصولها وفصوصها والزمته حكمي عمومها وخصوصها ٠ ووقفته على ظواهرها ونمسوصها ٠ وكانت في الكتب غلظة عدت من الكاتب غلطة وخيلت سقطه ، وجلبت سخطه ، وقال أن الأمام أجل أن يأمر بهدنه الألفاظ الفظاظ ٠ والأسجاع الفلاظ فقد أمكن ابداع هذه المعاني في أرق منها لفظا وارفق وأوفى منها فضللا وارفسق ومعساد الله ان يحبسط عملى ، ويهبط أملى، وأمتعض وأرتمض، شم أعرض عما عرض ورجع الى الاستعطاف • وانتجع بارق الاستسعاف • وقال اما ماتمحله الاعداء وعدا به المتمحلون • وتذفق به المنقدولون وتسدوق

المبطلون • فما عرف منى الا الاعتراف بالعارفة • وماهزرت منذ اعتززت اعطاف العزالا لما يعزني من العاطفة ، وان شرقي بالنعمة السالفة ، يوجب أذفي من هذه الآذفة ، وأما النعت الذي انكر ونبسه على موضع الخطاء فيه وذكر • فهذا من عهد الأمام الستضيء رضوان الله عليه وجرى لتحققه منى على الالسنة . ومتى عد سيئة ماعد من الحسنة ، والآن كل مايشرفني به امير المؤمنين من السمة فانه اسمى الذي هو اسمى واشرف. واطرا واطرف وارفسم وأعرف . ومازانه ذلك العتب الاخلوص ولاء ، وخصوص اعتزاز واعتزاء . ثم قال كل ما عتمده من نصرة الدين وقهر اعداء امير المؤمنين فإنما طلبت به وجه الله ورضاه وماتعبت به سواه . قاني ا فترض الطاعة الامامية الدين لا الدنيا، ومسااتقوى فيهسا الا بالتقوى . وما في عزمي الا استكمال الفتدوح لأمير المؤمنين وقسطم دا بر المنافقين والمشركين . وإذا عادت عواطفه عطفت على في الحسن العوائد وقطفت الفوائد، وصفت الموارد، ووفت المقساصد، وبعد الأباعد ، وبعد الحاسد الحاشد ، وهجر هجر الساعي ، واجسرى اجر الداعي . وعلم جهل الواشي ، وعذر ذعر الخاشي . وجرب غش الغاشي . وخرب عش العشي . وذوت همدوم ذوي الهمدم ، وأوليت كرامة أولى الكرم ، ومازال السلطان منة مقام أخسى عنده ، يوري في اعظامه زنده ، ويأمر بإكرامه جنده ، فكنت اشفق من تكدر ذات البين بعود الانس والوصلة والى الوحشة والبين ، وأن جماعة من الأكابر اجتمعوا بالسلطان وقالوا له;قد نسب حقك الى البطلان. ورميت بالبهتان ولحت طاعتك بعين العصايان . فكيف خفست وماعفت والفييين ومييا انفييت ، ورغت ومييا غرت ، وصديرت وماسبرت • وأغضيت لما اغضبت • وأعتبت لما عوتبت • فقال تذللي للنيوان العزيز تعزز به أنين . وتدوسلي إلى مدرضاته توصل بالله فيه استعين . فتسواضعي تسرفع ، وتخشسعي تورع ، وحبل حبي متين ، ومكان قدربي مكين . ومما قلت له وا وضحت له سبله ، انا كنا بسطاعة امير المؤمنين نطول ونصول

ونزاول بها الماوك وعنها لانزول ، وهذه فضعيلتنا التي رجحت . ووسيلتنا التي نجحت وكنابها مسعوبين . وعليها محسوبين . وقد شمات بها بــركاتها . وكملت حسسناتها . وصــفت مشـارع يمنها ، وضفت مدارع حسنها ، فلا تلتفت الى من يلفتك ، ولا تتثبت لمن لاينبتك ، واعرض عمن تعرض لمذهب الخسلاف ، ولنوره اجتلى واجتنى ، ثم ندب مع أخى من سار في خدمته لزيارة القدس ، وامر بأن يقف به على مواقف الطهر التي طهدرت من أهدل الرجدز والرجس ، ثم ودعه وأودعه من شهاهه كل مهافي الذفس وبهالغ في ابداء التضرع والتذرع واظهار التخشى والتخشع، وانشأت عنه الى الديوان كتبا معه وبعده ضمنتها كل ماحلا وجلا جدة وجسده ، وكل مايبطل سوق المتنفقين ويعمطل نفاق المتسموقين . ويهجمن خلق المختلفين . ويزيل تلفيق الساعين . ويزيح سعاية الملفقين . ويتعرف الى العوارف الغزر بسالشكر ، ويسستعطف العسواطف الغسر بالعذر، ويجتهد في استفراغ المجهود للاستغفار، وينفض عن وجه البشر ماعليه من الغبار ، وظهرت بعد ذلك بالقبول أثار الرضا ومضى ماأمضى وقضى من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى .

وفي هذه السنة استشهد الأمير شمس الدين بن المقد م بالموقف في عرفة لابداعه رسما ماعرفه ، فذهب غلطا وعطب فرطا وذلك ان امير الحاح طاشتكين انكر عليه ضرب الطبل فامتتع ، فندب اليه من به بأصحابه أوقع ، فتمت من هذه الفتنة فترة ونمت نفره ، ولما نمي الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال لا شاك ان طاشتكين طاش ، وقصد بعد الايناس الايحاش ، وعد الديوان العزيز هذا من نذوب طاشتكين حتى عزله واعتقله بجدائمه بعد سنين .

ذسخة كتاب جامع للفتح القدسي الأيمن انشاتها الى سيف الاسلام اخى السلطان باليمن ،

صدرت هنه الكاتبة الى المجلس السنامي ضناعف الله علاءه ، وظاهر الاءه وضافر نعماءه ، وأظفر بالنجح رجاءه ، وأضعف حساده وأعز أولياءه وأذل أعداءه ولا زالت أيامه بالايامن مسفرة ، ولياليه بالمهاسن مقمرة ، ومكارمه يالمهامد مثمرة ، وعهود مواليه بشكر النعم محكمة ، ومعاهد معاليه بقهر الذقم مقفرة ، ودالة على البشرى بالفتح الأكبر، والنجرح الأزهر ، والنصر الأشهر . والعصر الأبهسر . والقضال الأكثار . والافضال الأوقر ، واليوم الأذور ، واليمن الأنضر ، والفجر الأسفر، والفخر الأظهر والجد الأشم الأشمخ، والمجد الابلج الابلخ (٩)، والعز الأسمق الأسمى . والنور الأنم الأنمسى . والظفر الأجل الأجلى . والوطر الأحل الأحلى ، والشرف الأسلم الأسنى . والعزم الأغنم الأغنى ، والسعد الأجد الأجدى . والصيت الابدى الابدى ، وهو الفتح الذي تفوح بمحابه مهاب الفتوح . وتبوح بسر روحه وملكه سرائر الملائكة والروح . وتسروح وتفدو غوادى النعم وروائحها الى روض الهدى المروح ، وتلوح تباشير بشراه وفي لوح الدهر لكل مؤمن يتلقساها بسالوجه السسافر والصسدر المشروح ، وتنوح ناعية الكفسر في كل ناحية ولكل نادبسة للأسي على قتيلها واسيرها ندوب في القلب المقروح ، وهو فتح بيت الله المقدس الذي غلق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنة ، وطال في اسره سبجنه واستحكم وهنه ، وقدوى ذكره وضعف ركنه ، وزاد حرنه وزال حسنة ، وأجدبت من الهدى ارضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خوفة وفارقه امنه ، واشتغل خاطر الاسلام أسببه وساء ظنه ، وذكر فيه الواحد الأحد ، الذي تعالى عن الولد ، وان المسيح ابنه وأربع فيه التثليت فعز صليبه وصلبه ، وأفرد عنه التوحيد فكاديهي متنه ودرج الملوك الاقدمون على تمنى استنقائه فأبى الشعيطان غير استيلائه باسفار صبح امرنا واشراق مطالع نفانه ، ونخر الله هذه الفضيلة

لنا ولهدنا العصر . وأنزل على نصدانا نص النصر . وأطلع الليل عزمنا فجر الفخر، ووفقنا لوصل اسباب الاسلام وقطع دابر الكفر، وذلك انا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقماع اهال التتليث ، وأصرخنا الاسلام بالجد المنجد والعزم المغيث ، وخرجنا من دمشق في المحرم ، في العزم المصمم . والرعب المجهر الى الكفـر والناس القدم. وكنا اشفقنا على طريق الحج. من قصد الفرنج القصد بقصدهم . وتصدينا لجهادهم بردهم عن فشفلناهم عن المراد وصدهم ، واقمنا بنظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك ، وقدمنا الطللائع الى المناهلل ونظمنا سللك المسدادهم في ذلك المسلك ، حتى وصل الحاج سالما . وذل الكفر عن قصيده راغما ، ولما فرغ القلب من شفله وفاز كل بجمع شمله بأهله ، سرنا الى الكرك في الامراء والمفردين الخواص . وشفعنا للجهاد في سبيل الله الفاتحة بالاخلاص ، وقد كنا استدعينا العساكر والجموع للجهاد من جميع الجهات . وترقبنا توا فيهم للميقات ، وأمرنا ولننا الملك الافضل أن يقيم برأس الماء ، ويكون في خدمته جميع الامراء ، وسرنا الى الكرك والشوبك فساخربنا عمساراتها ، وأحسرقنا غلاتها ، وقطعنا ثمراتها ، وازعجنا سكنيها ، وأخفنا امينها ، وأجلينا عنها فسلا حياء . وأقمنا النوائح عليها في نواحيها ، ووصل الينا ونحن بالقريتين العسكر المستدعى من البيار المصرية ، فقويت به قلوب الأمة المحمدية ، واجتمع بالمخيم الافضلي برأس الماء من وصل من العساكر الشامية والفراتية ، والجرزية والموصيلية والديار بكرية ، فيانتهز ولدنا هناك فيرصة الامكان ، وانهض الى الكفر سرية سرية من اهل الايمان ، فساروا سارين . واغاروا غارين ، واخذوا ونهبوا . وسـبوا وسـلبوا فلم يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطريق ، واخدت دون خروجهم الى السعة المضيق ، فثبتوا ثبوت الجبال للرياح العــواصف، وشرعوا الى عرانين الكفــر اســنة الرمــاح القواصيف، وكان مقدم عسكرنا مظفر النين بن زين النين ومعه مماوكنا قايماز النجمي صارم الدين ، فلقيا بصدريهما صدور العوامل، وحملا في عسكرنا على الفارس والراجل، وحصل

الفرنج منهم في دائرة الردى ، وخذل الضلال ونصر الهدى وكثر من الفرنج القتلي والأسرى ، وعاد المسلمون بالمسرة العطمي والمسرة الكبرى ، واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشرى ، وشكرنا الله على نصرته الأولى وقلنا هذه مقدمة الاخرى ، ولما قضينا الوطر من تلك البلاد ، ووفينا باحراق اقسوات اهسل النار بسالنار حسق الجهاد . فاجتمعنا بأصحابنا القادمين من مصر وتناصرت لدينا دلائل الظهور وتظاهرت امسارات النصر . عدنا الى الشسام . وقسد تكاملت به جموع الاسلام . وزخسر بحسر الفضساء بسأمواج الاعلام . وطفا على اتباع لجه حباب الخيام وقد فض الفضاء ختام الفتسام وعلق بالفلق من ذلك الفيلق غرام الرغام. فحيمنا بعشرا (١٠) شهرا . وقـد أعدنا دشهر بنات الغمهود سرههها جهرا . وخطبنا من الله الكريم فتح بكر جعلنا بذل المهج لها مهرا . وقد سمم الفرنج بجمعنا فجمعوا . ونادوا في بسلامهم فأسمعوا . واجتمعوا على صفورية من صفر . وحشروا في تلك ت الاشهر من جمعهم في المحشر جموع سقر . وأخرجوا صليب الصلبوت . وقائد اهمل الجبروت . فتهمافت الى شعملة ناره فراشهم. وتوافى الى ظلة ضلاله خشاشهم. وقاموا وقيامة رعبهم قائمة . وسوابح جردهم في بحر العجاح عائمة . وطلائعهم سارية وسراياهم طالعه . ومقدمات رعيهم منا السائرة لجنوبهم وقلوبهم مقضة خالعة . فلما تكامل منا الجمع . وأخذ بعجاجه وعجيجه على الآفاق البصر والسمع . عرضنا عسماكرنا في يوم يذكر بيوم العسرض . ويتلو مشساهده لتنزل الملائكة (ولله جنود السسسموات والأرض) (الفتح ٤٧) في رايات خافقة كقلوب الأعداء . عالية كهمم الاولياء . وسرنا في جموع ضاق بها واسم الفضاء . وسار في كتائبها نازل القضاء . وسحب نيل الأرض بمثار نقعها . على السماء ، وقطعنا الأردن ، وتأييد الله مواصل ، وقدره باقدارنا على الأعداء كافل . فمسا المنا بسطيرية حتسسى فتحناهسسا بالسيف . وبذلناها بخول المغير لا بخول الضييف . وتسلمنا المدينة . ونازلنا قلعتها البكر الحصينة . وذلك يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأخسر والخميس يؤم الخميس . وأسد

الوغى قد اتخنت من وشيجها العدريس . هدنا والملك العادل عنا غائب. ومعه ايضا بمصر كتائب. وتوفيق الله له مصاحب. وكنا عزمنا قبل قصد طبرية . أن ثلاقي الفرنج على صدفورية . في مركزهم ومجتمعهم . ونلابسهم في مخيمهم . فحين نزلنا من الثفر بالاقحوانة (١١). وتمسكنا مسن الله بسالاستنجاد والاستعانة . ركبنا قب ل قصد طب رية الى الفريج في مجمعهم . واشرفنا عليهم في مدوضعهم . فمسا بسرحوا مسن مكانهم . ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم . وارتدنا في صحراء لوبية مـــوضعا للمصـاف واسـعا . وفضـاء لمازق الجمعين جامعا . وبتنا هناك باطلاب الابطال ميمنة وميسرة . ووجدنا بتأييد الله اســـباب الظهـــور ميسرة • وجــينا في خــواصنا والجاندارية ، ونزلنا في العدة المجردة على طبرية ، واخذ النقابون ساعة النزول في الذقب . فصرع قائم سورها للجنب . وبخل الناس اليها ليلا للنهب وكانت ليلة مبدلهمة معتمسه . وارجساء المبينة مظلمة . فأشعلوا وأوقدوا . وبخلوا الدور وتفقدوا مالم يفقدوا وكانت بها حواصل من زفت وكتان علقت بها النار . فاحترقت تلك المساكن والديار . وتحصين اهلها بقلعتها . وتمنعيوا بمنعها . فأصبحنا على حصرها . وساكنا جسد الجسد في امرها ، فجاءت رسل الأمراء ، أن الفرنج قد تحركت ، وانزعجت اكون عقيلتهم من طبرية تملكت . وادركهــم الندم كيف تــركت ومـا ادركت . وأنها قد عبت جنودها . وشبت وقودها . ولبت نداء جموعها . وصبت عليها ماء دروعها . وغاضت في غدران سوايفها السابرية . وفاضت ببحار سوابحها الأعوجية . وان جمسرهم قسد استعر . وان بحرهم قد زخر . وانهم قدد اتدوا في عدهدم وعديدهم . وحدهم وحديدهم . وخيلهم ورجلهم . وطلهم ووا بلهم . وفارسهم وراجلهم . وأحسزاب ضللالهم وابسطال باطلهم . وانهم حين عرفوا استيلاءنا على طبرية . وسبقنا بفضيلة فتحها البرية . غاروا على العقيلة السبيه . واشعلت نخدواتهم نار الحمية . وساقوا الى معترك الردى وملتقى المنية . ولما عرفنا قربهم . قصدنا حربهم . وزحفنا اليهم . واشرفنا عليهم . واللجب

الساري كالجبل الراسي . وقد افاض الحديد من قلبه على الحجر القاسي . ولمعت بوارق بيارقه . وراعت طوارق طوارفه . وبرقت قوادس قوامصه ، وارتعدت فرائص فرافصه ، وأمكنت فرادس فوارسه . وباح الحديد على عوابسه بـوساوسه . وماجت بحـار سلاهبه . وا شتعلت نيران قواضبه . وشدت الأجادل دون صدوار صوارمه . وسنت بعرض افواجه فجاج مخارمه ، وقرنت الالفات بلاماته . وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته . فاغتنما الفرصة ف اللقاء . وهجنا الى الهيجاء . واسرعت الاعنة . واشرعت الأسنة . وذقع الذقع . (١٢) أوام الجو . واجاب الصدى دوي الدو . وجال الجاليش . وطار السهم المريش . وعصفت رياح السوابق . واستعبرت عيون البوارق ، ولقيناهم في عرمررم عارم ، ومجر جــارم ، وعوامـــل جــدوازم ، وصــدواهل صلادم . وضراغم ضوار ، وجوارح جدوار . واسدود قد اعتقلت اساود . وجياد قد حملت اجساود . وسسسوابح قسد أقلت بحورا . وصدقور قد ركبت صدقورا . وا وقفناهم نهار يوم الجمعة وساكنهم لا يتحرك . وبازلهم لا يبسرك . وصدفهم لا يذفض وجدارهم لا ينقض وبنيانهم مسرصوص . وطائرهم عن الطيران محصوص . حتى دخل الليل . وقر في الوادي ذلك السيل . وبات الفريقان على تعبيتهما . واجابة داعى الموت بتلبيتهما . واحسبحنا يوم السبت واهل الأحسد على حسالهم ولم يريمسوا مسسوضع قتالهم . ومازالت الحملات تتناوب . والاسلات (١٣)تتواثب وتتثاوب. والسواعد بقرع الظبي سواع. والرواعف في زرع الطلى رواع . والمنايا تئن . والبيض تصافح البيض مسفاحها . والذكور لنتاج الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقاء لقاحها . والذوابل في ا شــاجم الشــجعان ذواب . والصــوارم لجــوامح النيران شواب . وضمائر الغمود قد باحث باسرارها . ونواظر الجفون قد تخلت عن غرارها . ولما احساوا بأسنا . وامسارار أمساراسنا والهجير يتلظى وقد وقد عليهم بناره ، والأ وام يتوقد ولايتوقى احرا قهم باواره . ما اوا الى طلب الماء . وأخدوا طريق البحيرة للارتواء • فاخننا عدامهم ووقفنا امامهم • وحالأناهم عن

الورد . والجساناهم الى الردى بسالرد . فساعتصموا بتسل حطين . وصرنا بهــم محيطين . وتحــكمت فيهـم قــواضي القواضب . وذشبت من الذشاب بهم نيوب الذوائب . وكان جمعهم جمرا وقد وقد . قصب عليهم السييف نهسرا فخمسد ، وفضسوا بالفضاء . وفرشوا بالعراء . وعب داماء الدماء . وغصت الفجاج بالقتلى والاسراء . واسر الملك واخدوه . والابسدرنس الكركي ومؤازروه . ووجدوه الكفدر ومقددموه . ومقددم الداوية وأعوانه . وصاحب جبيل واعيانه . وهنفري بن هنفري وابن صاحب اسكندرونة ومساهب مسرقية . ولم يفلت الا ابسن بسارزان والقومص (١٤). وتم لهما من الورطة المخلص وكان كلاهما ملهما عند اللقاء بالقتال . وعند الفرار بالاحتيال . فاما القومص فانه لما مر بطرا بلس ادركه الموت في برجه المشيد . ونقله القدر المبيد الى عذا به المؤبد . وذل ذلك اليوم اهمل الجبروت . وحيز صليب الصلبوت . وبار وباد اولياء الطاغوت . وهلك عبدة الناسوت واللاهوت . وملك عليهم القدر كتاب الاجل الموقدوت . وقدمنا الابردس وضربنا رقبته وفاء بالنذر . وعجلنا به الى النار مأوى أهل الغدر . والحقنا به الداوية والاسبتارية . وادرنا عليهم صبرا كؤوس المنية . وروينا ظماء الظبي من نجيعهم . وقربنا سيد الفالا من صريعهم . وعدنا الى طبرية فتسلمنا قلعتها . وحالنا عقدتها وفرعنا ذروتها . وافترعنا عذرتها . ثـم سرنا الى عكا ففتحناهـا بالامان . وأعلنا بها شعار الايمان . واستقربنا بعدها البلاد الساحلية من جبيل وحد طرا بلس الى الداروم غير صرور فانها امتنعت بسورها . ولم يبق في كأس الكفر غير سرورها . وانها وجدت فسحة في ايام اشتغالنا بفتـح اخـواتها . وكثفـت مـن عدد المحاصرة آلاتها . وكنا لما فتحنا عسقلان بدأنا بالنزول على القدس وذلك يوم الجمع ___ ت ___الث عشر رجـــب • فـــرجف بها قلب الكفر ووجب ، وظن اهلها انهم يعتصدمون ، وانهدم مدن بأسنا يسلمون . فنصبنا عليهم منجنيقات هدت احجار السور بسورة احجارها . وانن ركوعها بستجود الابتراج في اجبتارها .

ووفت الصخور باصراخ الصخرة . وعثرت تلك القلل لاقالة مادام مها من العترة . وكشف الذقب وثقب الاستوار ، ورمت الجنادل حوانب ذلك الجدار . وعلم الكفار لمن عقبسي الدار ، وأيقنوا بالقتل والاسار . فخرج مقدموهم متدالين بالاذعان ، مبتهلين في طلب الامان. فأبينا كل الاباء. الاسفك الدماء من الرجال وسبى الذراري والدساء . فخوفوا بقتل الاسراء . واخراب العمران وهددم البناء . فأمناهم على قطيعة موازية لا تمانهم لو اسروا او سبوا . فأمذوا . من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا . ومن وف منهم بالقطيعة خرج بحكم العتق . ومن عجز عن ادائه بخل تحت الرق . وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه مسن التقوى الى تأسيسه . وزال ناموس ناقوسه وبطل بنص النصر قياس قسيسه . وفتح باب الرحمة لاهلها ودخلت قبة الصحره لفضلها . وباشرت الحياة بها مواضع سـجودها ، وصافحت أيدي الاولياء اثار القدم النبوية بتجديد عهودها . وشوهد مقام المعراج وموطىء براقه . ورئى نور الاسراء ومطلع اشراقه . وبنا المسجد الاقصى للراكع والساجد . وامتلأ ذلك الفضاء بالاتقياء الاساجد . وطنت اوطانه بقراءة القرآن ورواية الصديث وذكر الدروس. وجليت هدى الهدي من الصخرة المقدسة جلوة العروس ، وزارها شهر رمضان مضدفا لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح . وشفى الله بسقيا هذا الفتح ماكان دهم القلوب لاجلها من تبار التباريح . فالبيت الحرام مساو للبيت المقدس . مفدى منا كلاهما من المهج والانفس بالانفس . وانه من المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال والرجال. ويضيق عن وصنف شرفها في حلبة البيان المجال. وهو للحرمين ثالث ولاتثليث في حرم توحيده. فتجسد جسد الاسلام بتجديده . ولما فرغ البال من تدبيره . وقضينا حق تقديسه وتطهيره . صرنا الى صور . ونازلناها بعسكرنا المنصور . وفي صدور سؤر الكفر وبقيته . وقد تحصن بسورها ومنعته شر ذمته . وهي مدينة حصينة . متوسطة في البحر كأنها سفينة . وقد نصبنا عليها المنجنيقات فنكأت فيها . ورمت من اعاليها وهدمت من مبانيها . ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشايها . وان جمحت علينا

فنصرة الله وعوائد تأييده لنا تـؤنن باصحابها . واذا تسلمناها تسلمنا بأذن الله كل بلد للفرنج باق . ومالهم من عذاب الله الواقدع بهم واق . ثم رأينا أن حصار صور يطول . وأن مسالة بيكار (١٥) المسكر فيها تعول وان فتحها لايفوت . وله وقته الموعود ووعده الموقوت . وكان العسكر قد ضجر ومل وأعيا وكل . وقد بخل الشتاء . ويرد الهواء . وجاءت السماء وتواترت الاذواء ، وتواصلت الانداء . ولابد من استئناف جمع العساكر في ايام الربيع . واستمداد النصر الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع . ورحلنا عنها بعد أن رتبنا حولها . في الثغور المجاورة لها . من يديم شن الغارات عليها . ويواظب على النهوض اليها، وفسحنا لاجناننا في الاستراحة مدة شهرين الى النيروز . فان في تلك الايام تتوفر العزائم على المبارزة والبروز . وقد جسرت المواعدة على المعساودة . والمعاقدة للمعاضدة . والمعاهدة للمساعدة . فليس في الفرنج من يقاتل الآن على الخيل . والنهار عليهم في اظلام الليل . والعرز متقلص الظل عنهم والذل صافي النيل. وقد حزب حزبهم من حدربنا مثير للحرب والويل. وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة. والمعاقل المبينة ، وهسي طبرية . عكا . الزيب . معليا . اسسكندرونة . تبنين ، هونين ، الناصرة ، الطور ، صدفورية . الفولة ، جينين . زرعين . دبورية ، عقربلا . بيسان . حيفا . صرفند . صيدا . قلعة ابي الحسن . جبل جليل . بيروت . جبيل . مجدل يابا . مجدل حباب . الداروم . غزة . عسقلان . تل الصافية . التـل الاحمـر . الاطرون ، بيت جبريل ، جبل الخليل ، بيت لحم ، لد ، الرملة . قديتا ، القدس ، صوبا ، هرمس ، السلع ، عفرا ، الشـقيف ، ولم نذكر ماتخالها من القرى والضياع والابدراج الحصينة الجارية مجرى الحصون والقلاع . ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها اعمال وقرى ومزارع . واماكن ومواضع . وقسد جساس المسلمون خلالها . واسترعوا ثمارها وغلالها . وقد كنا عند قصدنا البلاد . وعرضنا للجهاد الاجناد . كاتبنا اخانا الملك العادل سيف الدين ان يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب . وينتظر كتابنا بنصر هذه الكتائب ، فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا . والظفر الذي اضحك الاولياء وازعج الاعداء وابكى . وتلا عليه (قد ا فلح المؤمنون) (المؤمنون ١) وقد (ا فلح من تزكي) (الاعلى ١٤) كان وصل الى السواد في سواده وبياضه . وبحار جيشه وبراضة . وورد من مورد النصر الى حياضه . فجاش بجيوشه . وجاز العريش بعريشه . وزار دار الداروم بدمورها . واجفلت قدامه البلاد في كل من اعتمد عليه بامورها . ووصل الى يافسا ففتحها عنوه . ونال العسكر منها بالنهب والسباء حظوه . تسم حضر مجسدل يابسا وحصرها . وطلبت منه الامان فانظرها . وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك الجانب . ماضي العزادم قاضي القواضب . وان يستفتح مسن البلاد مايتعجل فتحه . ويقدم من الرجاء مايتيسر نجحه . الى ان ذفتح مافي جانبنا من البلاد ونتسلمه وننتهن فرحمة الاهكان فيما نحن بصدده ونغتذمه . وقد كنا انهضانا الى كل بلد من الناصرة وصافورية . وحيفا وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي سلما . ورأى من كان فيها سلامته غذما . ورضي بالغرم رغما . وتسالمنا نحن تبنين وبيروت بالامان . بعد أن قاتلنا أهلهما قتالا شديدا الجاهم إلى الاذعان . فاما صيدا فان صاحبها اذعن الى التسليم . بعد ان بات منا بليلة السليم . واما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر . ورأى خالاصه فيما تعجله من الخسر . وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك العادل على عسقلان . وهان لنا كل ماا ستصعب منها ودان . وظهر لنا منها وجه الفتح وبان . واصبنا فوائدها لمارميناها بمصائب . واصمينا مقاتل الاسوار بسهام قسيها . وعاقبناها بحيالها وعصيها . واقتدنا بخزائم الكرة انف الطاعة من عصيها . وصافحنا ببيض الصفائح يد الرضا من أبيها . وباشرت سهام المجانيق بسواكها ثنايا الشرافات فهتمتها . ونهضت احجار الرماه الى احجار البناء فهدتها وهدمتها . وغنى فيها معول النقاب . ولما ايقن اهلها بالعطب . لاذوا بالضراعة والطلب . وخرجوا مسامين مستسلمين . وانقادوا مستكينين مذعنين . واسلم البلد واسلم وجدع انف الكفر وارغم . وعاد منه الايمان الغريب الى وطنه . وقر منه الاسلام القريب في مسكنه . وعند ذلك تسلمنا غزة . واعدنا اليها العزة . واتينا على الرملة ولد والنطرون . وفتحنا بيت جبريل وجبل الخليل وجميع تلك المعاقل والحصون . ثم ختمنا فتوحات هذه السنة بفتح الارض المقدسة . والحمد لله على نعمه المفرجة الكروب والطافه المذفسة . وقد جعلنا هذه البشارة القدسية . بما هناه الله من الموهبة السنيه . وسناه من المنحة الهنية . لملوكنا حسام الدين سنقر الخلاطي وامرناه أن يسير فيها من اصحابه . من يقوم فيها بحق منابه . والمجلس السامى يشيع ميامنها ببلاد اليمن . ويجلو عروسها البكر في حسنها الحالي وحليها الحسن . ويشكر نعمة الله التي خصنا بها وعمت الامة . ويديم شكرها فأن دوام الشكر يديم النعمه . لازال المجلس مشكور الشئمه عالى الهمه . منصور العزمه . أن شاء الله .

ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بعكا وربيب الربيع رضيع . ووشي الروض وشيع . وصنيع القدر نصيع . وشمل الظفر جميع . وفضاء الروض وشيع . ومراد المراد مصريع . ونسسيم الاستحار لاسرار الازهار منيع . واريج الجو العليل في شفاء غليل الجوي شفيع . والدهر قد ثمل وافاق . والزهر قد شمل الافاق . وللمحاب مهاب . وفي الشعاب اعشاب . وخدود الشقادق محمره ، وثغور الاقاحي مفتره . وعيون النرجس مصفره . وشعاه المنابع مخضرة . واحداق الحدادق الناضرة ناظره . ووجنات المنابع مخضرة . واحداق المدادق متموجه . وحافات المناهل متدبجة . وجباه الغدران متغضنه . وجفون الذوار متوسنة . والافنان مصورقة والورق متفننه . وخد الخبري مورد . وحد العراد مجرد . وعرف البهار قد تأرج . ووجه الجلنار قد تضرج . وعذار البنفسج قد بقل . وعدر الزمان قد قبل . وشارب النبت قد طر . وهارب البرد قد فر . وسر الصيف قدد سرى وسر . وطبي الطيب قد حفل ودر . وتقاضي السلطان غريم عزمه

بنين النين . وأن أن يصحر ليث بأسه الخادر من العدرين . فأبرز مضاربه . وجهز كتائبه . وضرب سرادقه . وعرض فيالقه ، وذشر بيارقه . وحشر رواعده وبوارقه . وانفق خزائنه . وانفد دفائنه . وبذل في صدون الدين ديناره . واشعل في حفظ ماء الهدى على العدى ناره . وسار على سمت حصن كوكب ، وعن قصده ماتذكب . ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم. ومامنا الا من له بقتال العدى فيه لهيم المحب المفرم، ولعزمه وهيج اللهيب المضرم، ووجدنا كوكب ف سمائها كأنها الكوكب . وظن الفرنج انها لاتنكأ ولاتنكب . وهسى من المصاعيب التي لاتبرك ولاتسركب . فسأحطنا بسالمصن وخيمنا حوله . واستمدينا قوة الله وحوله . وزحف اليه الرجال . وتناوب عليه القتال . وركب اليه السلطان ورازه . واستصعب احتيازه . ورأى ان مقاتلته تسطول . وان مسئالته تعدول . وان محاولته في مطاولته . ومصابه في مصابرته . واضاقته في مضايقته . وان مافي هذه الحال اقتضى تعذر افتضاض عذرته . ولامطمع الآن في فرع ذروته . ولا قرع مروته . وكان في خواصه . وا هل استخلاصه . لم تتجمع عساكره ، ولم تتموج زوا خره ، فاقام هناك بالتدابير مستغلا وللا شغال مدبرا . وبالا ستظهار متأيدا . وبتأييد الله مستظهرا . حتى رتب على قلعة صفد خمسمائة فارس . من كل محرب للحدرب ممارس ، وسلمهم الى طغرل الجاندار ، لمرابطها بالليل والنهار ، ووكل بكوكب قايماز النجمي في خمسمائة مقاتل . من كل ناصر للحق وللباطل خاذل . وكان سعد الدين كمشبه الاسدي بقلعة الكرك موكلا . وبحفظها مكفلا .

ذكر حال الكرك من اول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرنس الكرك في الشرك . بمعتكر يومه في المعترك . وافتتاح الفتح بحتفه . وبسط كتف الانتقام عليه بقبضه وكفه . وانه اخذ راسه . وقطعت انفاسه وقلعت اساسه . وكانت

زوجته ابنة فليب صاحب الكرك بالقدس مقيمة . ولحفظ معاقلها مستديمة . وحصل ولدها هذفري بن هذفري في قبض الاسار وقيد الخسار . وغمه الاذكساف والاذكسار . فلما يسر الله فتـح البيت المقدس . واصبح الاسلام عالى اليد والكفر راغم المعطس . خرجت صاحبة الكرك متعرضة للخضدوع . متضرعة بالخشوع . وبرزت مسكينة مستكينة . متعطفة مسراهم السسلطان مستلينة . را فعسة عقيرتها بالابتهال. شافعة في فك ولدها من الاعتقال. معفرة خدا من شأنه التصعر . مسفرة عن وجه من عادته التخدر . حاسرة خسرى . ماسرة لحزنها بأسرى . والدة تنشد ولدها والهمة بخل الرعب خلدها . مطلقة ميسورها . مستطلقة مأسورها . ثانية عطف العطف لواحدها . رانية بعين الذل في خلاص ساعدها ، سائلة في فالنة كبدها . جائلة بجذوة كمدها . باسطة يدها . ناثرة خرزات دموعها . عاثرة بحزازات ولوعها . خافضة جناح استعطافها . ناهضة في نجاح استسعافها ، راجزة بنوحها ، عاجزة عن بوحها ، وخرجت معها زوجة ابنها ابنة الملك . كأنها من بنات الفلك . باليا صبح وجهها اليقـق (١٦) في ليل شـعرها الحلك . مشرقـة مـن اوجها . مشفقة على زوجها . محترقة على فداء الحليل . مقترحة به شفاء الغليل . خادرة قد اصفرت من مطالعها واصحرت . حادرة عبرة في مدامعها طحرت (١٧) . ناهدة متنهدة . واجدة متواجدة . معتزة متذللة . مهتزة متململة . باكية متلهفة . شاكية متا سفة . مستدعية مستعدية . عاطية مستعطية . ساكبة عبدراتها . راكبة عثراتها . خامشة وجناتها . خادشة بشراتها . وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة ولقرمها الندب نادبة . قد أذعنت وعنت لفكك عانيها . وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها وبانيها . فاكرم السلطان وفادتهن . ووفر افسادتهن . وقسرب ارادتهسن . وقسسرر زيادتهن . ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال القطيعة . ووصلهن بصلاتة الرفيعة . وخصهن بمالاق بكرمه من حسن الصنيعة . ووذقهن بنجح الذريعة . وأما الملكة فانه مكن محلها . وجمع بالملك شملها . وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الشوبك والكرك . ودخولهما في معاقلنا وخدروج

اصحابهما منهما في الدرك . فاستحضر ابنها هذفسري مسن دمشسق اليها واقر برؤيته عينيها . وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعاقل . ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقائل ، فمضت اليها مع ولدها . حسنة الظن بأهل بلدها . فلما وصات قاطعوها . ودا فعوها عن حصونها ومانعوها . واخلفوا ظنها وخالفوها . حيث ما الفوها كما الفوها . وجنحوا وجمحوا . واجترا وا عليها واجترحوا . وعصوها واقصوها . وعددوا عليها النذوب واحصوها . وأفدشوا لها في خطأ الخسطاب . وأوحشوها بالتنحي عن صدوب الصدواب. وسبعوها وسدبوها. والى مدوا فقة الاسلام نسبوها . وكلما لاينتهم خاشنوها، وكلما قاربتهم بساينوها فوجدت ذبوة ذوابها . وعدمت إصحاب اصحابها وذكرتهم بحقوقها . وحذرتهم من عقوقها . ولاطفتهم فغلظوا . واسترضتهم فاحفظوا واسترعتهم العهد فما حفظوا . وذبهتهم لأمرها فما استيقظوا . وانفصالت عنهم خائبة مخفقة . هائبة مشفقة . تخشى من رد ولدها الى السجن . وعودها من الاصحاء الى الدجن ومضبت الى الحصن الاخر . فحصات منه على صدفقة الخاسر ، فانها لما المت بالشوبك ألمت من شوب كدرها واملت نفعها فعادت بضررها . ولقيت من نوابها ذوائب . وفي موارد المراد منها اقذاء وشوائب ، فآبت بالأمل الخائب والعمل العائب . والخوف الصادق والرجاء الكاذب . فلما رجعت قبل السلطان عذرها . وازال ذعرها . وأعلمها بان ولدها محقوظ . وبالرعاية ملحوظ . وبالعناية به محظوظ ، وهو في حصن السلامة الى أن تتسلم الحصون . وأذا بذل مصدونها بذلنا لك منه المصدون . فسكنت الى الوعد . وسكنت بعكا في ظل الرفد والرفد . ثم انتقلت قبل خروجنا من عكا ٠ الى صدور ٠ واستودعت السلطان ابنها الماسور. وأمد السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشودك بامراء يساعدونه في الحفظ واليزك. فأقام على كل قلعة من يكفى لمحاصرتها . ويفسى بمصابرتها . ويلبث في مقابلتها . ولايعبث بمقاتلتها . فانها تبقى على قوتها مسالم تقسو (١٨)مسن قوتها . وتدوم على طغيانها مالم يذل عز طساغوتها . فلما رتب

السلطان هذه المراتب . ورب هدنه المآرب . أقدام حتى وثدق باستمرارها وتحقق حق استقرارها .

ذكر ماديره في عمارة عكا

اختلفت الاراء في امر عكا فانها كانت مدينة متضرقة . وبيوتها متفرقة . وسورها غير معمور . ومعظمها بلا سور . ورأوا أن في ابقائها خطرا . وأن في اخلائها ضررا فمن اصلحابنا من اشار بخرابها وحفظ الحصون . وبناء قلعة القيمون . ومنهم من قال اذا صينت عكا ملك البحر . وهلك الكفر . وكانت على البلاد الساحلية قفلا . وكانت بها بلاد الكفر غفلا . فمن قائل بابقاء برج الداوية لحفظ ميناها . ومن قائل نختصرها من أبناها . ومن قائل نجدد سورها . ونحكم أمورها . ونبقيها بحالها . ونعمرها بكمالها . على أن أسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح اقفالها . وأجالوا الفكر فيمن يجلي غوائلها . ويحلي عواطلها . ويتوحد بتعميرها ، ويجتهد في تسويرها .

ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

فقال السلطان: ماأرى لكفاية الامر المهم . وكف الخطب المام . غير الشهم الماضي السهم . المضيء الفهم . الهمام المحرب . النقساب المجرب . المهذب الالوذعي . المرجب الالمعيي . الراجب الرابح الناجح السعي . الكافي الكافل بتذليل الجوامح . وتعديل الجوانح . وهو الثبت الذي لايتزلزل . والطود الذي لايتحلصل . بهاء الدين قراقوش الذي يكفل جاشه بما لاتكفل به الجيوش . وهو الذي ادار السور على مصر والقاهرة وفات وفاق الفحول باثار مساعية الظاهرة . فنامره ان يستنيب هناك من يستكفيه لتمام ذلك العمارة .

وذؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والامارة . وكوتب بالحضور . لتولى الامور . وعمارة السور . فوصل متكفلا بالشغل . متحملا الثقل منشرح الصدربالعمل . منفسح السر والامل . مبتهجا بالأمر . ملتهجا بالشكر . وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب العمارة وآلاتها وأدواتها . وانفارها وأبقارها . ورجالها وعمالها وعمارها . ومهندسيها وموسيها . وحجارتها ومعماريها . والاسارى والصناع. والنحات والقطاع والمال الكثير للنفقة والذهب الابريز والرقة • ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب. وحضر الموكب وشرف باسنى الخلع وأعطسي المليس والمركب وفسوض اليه وقلاه • واسعفه من عنده واسعده • وقوى جانبه • واعذب مشاربه وأوضيح مذاهبه ٠ وانجح مأربه ٠ وأجد جده . وكثر مدده ٠ ووفدر عدده وعدده ٠ وخصه بعطاياه ٠ واستخلصه لوصاياه ٠ فتوجه الي عكا وشغله متوجه ٠ وعزمه متنبه وسره مترقه ٠ وفكره في رياض الهدى متنزه ٠ وامره ماض وحكمه قاض ٠ والله عنه راض ٠ وقام بما أقيم له • ونهض بالعبء وحمله • ومشى بكفايته عمله • وشرع في التعمير والتسوير • وتسوية الأمور بحسن التدبير • وسياتي شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه • وما ظهـر مـن حسـن ايالتــه واحسانه .

ذكر وصدول رسول سلطان الروم قليج أرسالان وغيره من الرسل .

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد . واستعلائه في الجهاد . وتارجت الارجاء بعرف عرفه . وأرخت السير بمحاسن وصفه . عنت الامصار لمصره . وأعنت الامسلاك لملكه وانقادت الامراء القادة لأمره . وعادت مهاب المحاب تقوح بما له من الفتوح . وشروح ايراده واصداره تحل في صدر الزمان المشروح فتهيبه بالضراعة كل عظيم . وتاهب له بالطاعة كل اقليم . ورهبه ملوك الاطراف . وتعلق باستزادة المشرف منه إهل الاشراف . فحكاتبوه

مستسعفين . وخاطبوه مستعطفين . وراسلوه بالتحايا . وواصلوه بالهدايا . ورغبوا في امتراء خلف الامتزاج . والاتشاح والالتحاف بحلف الاتشاح . وخطبوا الوصلة . وطلبوا الصلة . وكل يطلب لبلاه منه امانا . وليده وقدمه من تمكينه وتاييده امكانا ومكانا . ويتوصل ويتوسل . وبتلطف ويتطفل ، ويرسل ويسترسل ، ويترجى مواهبه . ويتخشى عواقبه . ويديم التردد التودد . والقصد لبلوغ المقصد . فما يعود رسوله الا بسوله . ولايقبل عليه منه الا بقب وله . ومـن جملة الملوك المتقربين بالوداد . المتسببين الي حصول الانتصاد . سلطان الروم قليج ارسلان بن مسعود بسن قليج ارسسلان . فسانه بسنال الاذعان . وسأل الاحسان . وأدى في المودة الامانة . وأبدى للرغبة الاستكانة . واستنهض في سهارته السهير الالب . وندب الندب . وانفذ اكبر أمرائه . وأعظم سفرائه . وهو اختيار الدين حسن بن غفراس . وكان في دولته مقدما . وفي مملكته محكما . وعند اهك ولايته معظما . وقد استعلى عليه واستولى . واستبد بالتدابير عليه كأنه بملكه أولى ، ولاتصرف له في ملك ولامسال الا بتصريفسه -ولاتعرف له عن حادث وحال الا بتعريفه ، فوصل هذا الكبير بذفسه لتمهيد القواعد . وتشييد المقاصد . وتجديد العهود . وتاكيد العقود . وقدم مكرما وأكرم قادما . وخدم حاضرا وحضر خادما . وقبل البساط وبسط وجه القبول. وتمثل له الشرف فتشرف بالمثول. وحيا تحية المماليك الماوك . وحفظ الادب ولم يتذكب فيه عن النهج المسلوك . فتلقاه السلطان بالبشر والتدرجيب . والبدر والتقدريب، وأعزه بنزوله في ذراه . وأوعز بنزله وقراه . ووسع عليه من الانعام بما ضاق عنه أمله . وواصله من الجميل بما را قت تفاصيله وجمله . وشفع رسالته بالاصغاء . ورفع مقالته عن الالغاء . وسمع ما جاء به وأجابه . وابعد بانناء مآربه مارابه . وشافهه بشدفائه . وأرواه بروائه ، وأولاه لولائه ، وعرفه بالتعريف الى آلائه ، ونصابت له خيمة مسردقه . شهادات الاقبال الناصري لها مصدقة . ووجدوه الكرامات بها محدقة ، وسحب المبرات لها مفدقة . فأقام أياما بايامن مقيمه . ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مشيمه . فلما استقام أمره استقل . واستدر له بارق البر من سماء السماح

واستهل . ومارام حتى نال مارام . ووثق لاحكام المواثيق الاحكام . ووصل في ذلك المدة أيضا الصلاح قتلغ أبه . وهو اتابك قسطب الدين سكمان بن محمد بن قرا أرسلان وافيا موافيا • باحسان الخطبة وخطبة الاحسان • راغبا في تتميم الوصلة • وتعميم الصلة • اخذا لصاحبه ملك بيار بكر عهدا محكما ٠ وعقدا من الميثاق مبرما ٠ وقد أحضر قضاة بلاده شهودا ٠ وا قتضى لصاحبهم بحضورهم عهودا ٠ وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل ٠ ومـت بـكثرة الشوافع والوسائل • وكان خادُّها على أمد فانها مدن فتدوح السلطان • ووهبها لأبيه نور الدين بن قر ارسلان • فسأشفق مسن استرجاعها بالحق بعد وفاة والده . ورأى الامن عليها وعلى جميع بلاده من أكبر مقاصده . ورغب في المصاهرة المظاهرة . وأن يفتسح بها باب المزاورة للمدوازرة . فأواه الملك العدادل الي فلدل هدده المواشجة . وثبت بعقد المزا وجسة حكم المسازجة . فتسم أمنه . وعم يمنه . وزاد قربه . وزال رعبه . وجاس السلطان ، وحضر عنده الاماثل والاعيان . ووكلني وكان وكيل أخيه الغائب . في انشاء العقد مم وكيل الزوج الراغب . فلما تم العقد باركانه . اعتضد ملك بيار يكر بمكانه . وسار صاحبه بالمسار مصحوبا . وعاد نيله بالفخار مسحوباً . وقال له:قد وجدت الحزن فلا تحزن . واشتد ركذك فالى سواه لاتركن . ومامن كبير أو أمير الا وقد وصل منه أكبر أمرائه . لينتظم بعهد السلطان في زمرة أوليائه .

ذكر رحيل السلطان صوب دمشق

واقمنا على كوكب الى اخر صدفر . ننتظر منها بمن كفر الظفر . ثم رأينا انه يطول حصرها . ولايقوت أمرها • وان الفتح يبطىء . وان كان السهم لايخطىء . فأمر الامراء الموكلين بها وبغيرها من الحصدون . بالمقام عليها وابتذال سرها المصدون . ورحدل السلطان نحو دمشق طاهر الشيمة ظاهر العربيمة . سامي اللواء . هامي الانواء • نامي الانوار في مطالع المضاء . وبخل اليها يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول . بالصدر الارحب والباع الاطول . وتلقاه أهل البلد يوجوه لاقباله متهالة . والسنة بسالدعاء له مبتهلة . وعيون وأيد إلى الله في نصره مردّفعة . وصدور بايامه مذشرحة . وأمسال في انعامه مذفسحة . وذفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة ٠ واعمال في رضا الله لمراضيه مبرورة مقبولة . وبخل المدينة . وانخل اليها السكينة • فوجدت الروح بسلطانها . وعادت الروح الى جذمانها · وقرت به عيون أعيانها . واقرت له بحسنها واحسانها . وابتدأ بالجاوس في دار العدل. وبحضرة القضاة والعلماء من اهـل الفضل. واسترفع قصص المتظلمين. واستمع غصص المتالمين. وكشف الظلامات المظلمة . وفصل الحكومات المستحكمة • وقرأ كل قصة . وقرأها بكل حصة . وحقق الحقوق . ورتق الفتوق • وأقسام الشرع السوق. وأتم لرجال الرجاء بعدله الوثوق. وحسل بانصافه كل مشكلة ، وطب باسعافه كل معضلة . واصحت سماء السماح . وأصحب جماح النجاح • وأعدى المستعدي • وأروى الصددي . وحيا الحي واورى الردي . ومجد المجدى • ومهد الحــ قحتــ قيل هو المهدى ، فما انقضى ذلك اليوم ، وانفض اولئك القدوم • الاعن مظاوم أجير بالحق ، ومعلوم أجرى من الرزق . وعالم أعين . وظالم أهين ، وهاد زين ، وعاد شين ، ومختل سدد ومنحل عقد ومعتل شفى ومعتر كفي ٠ وما حل جيد ٠ وأمـل زيد ٠ وركن حــ ق شــد وشيد ، وخدن باطل أبير وأبيد ، وراح أدنى فدوزه . ولاح أسلني عزه • وجاس يوما أخر للاكابر والامسائل. والاكارم والافساضل. فاضاء النادي وفاضت الآيادي • وغدق الندى وصدق الهدى . وكر الكرم . وقر العدم ، وحفل الدر ودر الحفل ، وشمل النظام وانتظم الشمل • وصان العلماء بالبذل . واعان بافضاله أعيان اهـل الفضل . وفاز بالحمد وحاز الثناء . واجاز الشاعواء واكرم الكرماء . وروح الرجاء . وأولى النعماء . ونعم الأولياء وتقساضاه عزمه بالحركة لا ستفاضه البركة . واستضافة الملكة الي الملكة . فلم تستقر به دار * ولم يدر به قرار . ولم يثبت في جفنيه غرار . ولم

يبت الأوبين جنبية لحب لقاء العدى اهل النار نار • وكان الصفى ابن القابض قد استجد للسلطان على بعض أبراج القلعة دارا. وأنهب في نضارتها ذهبا ونضارا . وهي متطاولة بين البروج مطلة على المروج ، مشرفة على موازاة الشرفين ، كاشفة غطاء النظر عن الغوطتين • صحيحة البناء ، فسيحة الفناء . بهية البهـو . شـهية الزهور . مجدة لأهل الجدد ذكرى اللهدو . فدرشها بماء الورد . وفرشها بالورد . وبسط بسطها وعلق ستورها . واعلى ذورها . وحبر حبورها . وسرى سرورها . وسنى انواع نمارقها . واسمى انوار مشارقها . وتوصل الى حضور السلطان بها وجاوسه . وذهبت تباشير بشره بقطوب الزمان وعبوسه . واحضره كل مقرط بقريض . وكل مؤمل بتصريح وتعريض . وكل نا شد ضالة رجائه بذشيد . وكل قاصد جلالة ارجائه بقصيد . وكل مفرد مفرب • وكل مطر مطرب . وظن أن السلطان تسروقه تلك الحلية والحسالة . وتلك الجلوة والجلالة . وذلك البقعة المؤسسة . وتلك الرقعة المقدسة . وذلك المشرف العالى . وذلك المشرف الحالى . وانتنظر نظرر ا ستحسانه لاحسانه . وتوقع تمكينه لموقع مكانه . فما اعاره لحظا . ولا لمحة بطرف استطراف. ولامنحه حرف استعطاف. بال اعرض بنظرة عن ذلك النضارة . وأغضى عن ذلك الغضارة . وغض عن ذلك الغضاضة . واشتغل عن تلك الرياض بالرياضة . فالعاقل من لايتخذ من دار الدوائر معقلا . ولا يجد في منازل النوازل منزلا . ولا يركن الى فناء الفناء لبيب . ولا يسكن في غار الغرور اريب . وكيف يبني العمران والعمر الى الهدم . والغم في الدنيا الدنيئة عين الغرم . وقال السعيد من يبنى دار الآخرة . وينجو من امرواج الدنيا الزاخرة .

ثم صرف في تلك الايام الصفي عن ديوانه . وابقاه في شغل الخيزانة على مكانه . وسمعته يقول في بعض محافله . وقد اجيرى له حييث مين يفرح بمنازله; كان مين نذوب الصفي عندي انه بنى لي تلك البنية . فدل على انه لم يوا فق منه الامنية . وقال مايعمل بالدار مين يتوقع المنيه . وماخلقنا الا للعبادة . والسعى للسعاده . ومايخطر

لنا في هذه الدار خلود بالخلد . ومالنا وللمقام في البلاد والبلا . ومساجئنا لذقيم . ومسانروم (الا) ان لانريم . ومسساتحركنا الا السكون . وما اسهانا الا العود الى الحزون . فما يجنى ثمر الراحة الا من مغرس التعب . ومايجني نصيب المغنم الا من مغرم النصب . فأين الأين ، الذي تقربه العين . ومايحصل السكون في المسكن . ولايكمل الوطر في الوطن . لاسيما والدين يطالبنا بعينه . والكفر يستقرب منا حين حينه . والبلاد سائبه . وللبلاء هائبه . فلا تفوح الفتوح الا بهبوبنا . ولاينزل النصر الا بركوبنا . وغدا للصرم متمما . والعزم مصمما . ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق بالغرب الماضي ، والحد القاضي . والجمع الوافر الوافسد . والجمسر اللا فح الواقد . وان عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكي قد اقبل بقبيله. ووصل برعيله . وقدم بجده ، واقدم بحده . وانه حل بحلب ثم سار عنها مسارعا . وجاء معه الجيش النجدة والجدة جامعا . فأرهف العزم السلطاني خبر وصوله . وحال بالشد للرحيل عقد حلوله . وكان القاضي الآجل الفاضل ذو الجلالة والفضل . والنباهة والذبل . متأخرا في بيته بدمشق لشكاة اقام في غبرها . واستقام مزاجه الكريم منها وهو في ترقب زوال السرها ، والسلطان بنجـح سعيه متبرك . وبنصح رأيه متمسك . وبطوله عالم وبقوله عامل . وبعبارته قائل . ولا شارته قابل . فأراد السلطان أن يقدم بلقائه الاجتماع . وبرأيه الانتفاع . ويستنير بنوره ، ويستشيره في اموره . ويفاوضه في تفويضاته . ويقلده في تقليداته . ويتبرك بميامنه ويتيمن ببركاته . فانه طالما اجتلى سني السعاده من مطالعه . واجتنى جنى الأرادة من صنائعه . وافتتح الاقاليم بمفاتيح اقلامه . وجاءه بالوجاهة في دينه ودنياه باسعافه واسعاده . وكان قد خسرج الى جوسو الشرف الغربي الاعلى . ليتفرغ هناك للعبادة ويتخلى . فأصبح السلطان بسكرة يوم الشلاثاء حسادي عشر ربيع الاول على الرحيل . فقصده لابرام ما وجده في مملكته من الامر السحيل . واقام عنده في الجوسق الى الظهر . مستظهرا به على الدهر . حتى كشف مهمات مهماته ورشف شفاه مشافهاته، وانتجى معه في الاراء والاراب ، وانتجع لربه من رأيه صدوب الصواب ، وارتجع سر الغيب

ممن عنده علم من الكتاب . ثم استودعه الله وودعه . ودعا له الاجل الفاضل وشيعه . وبات تلك الليلة مخيما بالعرادة . محتما بالسعادة راجح السيادة . ناجح الارادة . ثم سلك في جبل يبوس الى عين الجر الى الدلهمية . على البقاع . وهو مطيع امر الخسالق ومتبعسه والخلق تابع امره المطاع . واتى بعلبك المصروسة . وخيم بمسرج عدوسه . واقام حتى امر امرها . وادر درها . وقسم لها من عدله . وعدل بها من قسمه . وحكم فيها بفضله . وأفضل عليها بحكمه . وكشف الظلم والمظالم . وصرف الكاره . وصرف المكارم . ورفع من المعالى المعالم . وأجرى رسوم الاجر والمراسم ، وأمر الرعاة برعاية امر الرعية . وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالجهة الشرعية المرعية . ثم رحل على سمت اللبوة . معصوم النبوه . مصون الكتيبة من الكبة والكبوة . ثم اوجه الى الزراعة وزرع الظفر قد توجه . وشرع النصر الصافي الشرعة من الكدر قد تنزه ، وقد كحل عتير العسكر طرف الجو الامره ، (١٩) وقد آن لعين الشمس الراقدة من الهبوة أن تعاد الهبوة وتتنبه ، وزرع من الزراعة من السمر المركوزة والبيض المهزوزة نبات الخط . وقتاد الخرط وضاق ذلك الفضاء الواسع بحط رحال الرهط.

ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زذكي وصل جامع من الاداني والاقاصي ، ونزل طائعا على العاصي . وخيم على قددس (٢٠) وخيمه قد تقدس ، والدين بدنوه تانس ، والكفر بقدومه تعكس ، وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه ، على قهر الشرك ونصر الايمان ، فركبنا وابن ذكاء في اسفاره ، والصبح قد زحدف على الليل برايات انواره ، والفجر قد فجر انهاره نهاره ، وسرنا بصدق النزاع ، وقصد الاجتماع ، فلقيناه قد ركب مستقبلا ، وقرب مقبلا ، ولما رأه السلطان حياه ، ولقيه بالكرامة واكرم ملقاه ، ونزلا

فتعانقا ثم ركبا وتوافقا وتساوقا ، وخيمنا بقرب مخيمه ، وجثمنا وحططنا هناك رجالنا ، وخلطنا برجاله رجالنا ، وتساعد الجندان ، وسعد الجدان. وجد السعدان ، وانتظم الجمعان ، واجتمع النظمان واتحدت الكم ، وأتأدت الهم ، وسأل السلطان أن يوازره ويزوره ، ويحضره بحضوره حبوره ، فساق معه الى سرادقه وارتفع في صدره . ورفع من قدره . وصار العسكران مختطلين . وجلسا منبسطين . ووقف الأمراء والعظماء سماطين كالسمطين . وقدرا القراء واورد الشعراء ، وتجاذب بينههم اطهراف الطهرف والاداب الفضلاء والعلماء . وكان مع عماد الدين شاعره السنجاري ابن الهائم ، ومن عادته ايراد المدائح في مثل تلك المواسم ، فأذشد مدحا . وذشد منحا ثم بسط السماط . وسمط البساط . ومدت الموائد . وعادت العوائد ونضد الخدوان . وكونت الالوان . ولونت الالوان . وصدفت الجفان . واحضر الطهاة من كل حساجة وبساجه . وخروف ودجاجة . وحاو حامت (٢١) وحامز وحسامض ، وتفسه (۲۲) وقابض ، ومطبوخ ومشوي ، ومصدوع ومقلي . ماطاب مذا ق مذقه ومحضه . وطالت الايدى في بسطه وقبضه . فلما رفع من ناديه القرى ، وفرع بأياديه الذرى ، قدم مااعده للهدايا ، والتحـف السنايا ، من الجياد المقربة ، والثياب المذهبة ، والعدد المعجبة ، والاسلحة المذربة . وكل مايروق ويروع . ويضىء ويضوع . تم انفض النادي عن ندي مذفض . وسدى لبكر الشــكر مفتض . وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده . وانه يستضيف فيه خواصه وامرائه وجنده . فوسع سرادقه . ووشع نمسارقة . وضرب بيت الخشب له لحسب بيته . واسميت الحسمني بحسس سامته وسمته ، واحتفل بحفله ، واجل لاجله ، وارجت ارجاء النادي بالند . وراق مد النواظر النواضر في ذلك الرواق الممتد . وبسط على البسط ملحضر من الياسمين والورد ، وفاح الذشر ، ولاح البشر ، وفرش الثرى ، وشرف البرى ، ورقع الحجاب ، واشرعت القباب . وتوجهت الأسباب . وتنزهت الالباب . وتضوعت نوا فع النوا فـج . ووضحت مناهج المباهج ، ووضعت المطارح والساند ، والاسرة والوسائد . وجاء عماد الدين في خواصه وامرائه وصحبه . فتلقاه السلطان برحبه ، وقرب له السرير وسر بقربه ، واجلسه الى جنبه . وحباه بحبه . واقبل عليه بوجهه وقلبه . وجلس من جرى بالجلوس رسمه . وسما في الرؤوس اسمه . ووقف الامراء والحجاب . والعظماء والاصحاب . على مراتبهم في مواقفهم . ودب الاعتراز في معاطفهم . وكان النادي مهيبا . والندي مجيبًا . والذرا رحيبًا . والقرى قريبا . والظل ممدودا . والفضل مورودا . والحفل حسافلا . والشمل شاملا . والبساط مقبلا . والنشاط مقبلا . والمرئى عاليا . والمسموع مطربا . والمجموع مقربا . والمنظر والمخبر جليلا جميلا . والمطلع والمطلب منيرا منيلا . والمكان عليا . والزمــــان جليا . والربيع في انتهائه . والصنيع في اشتهائه . والمسيف في ابتدائه . والمضيف في انتدائه والنعيم في نضرته . والاريب في اربه . والطروب في طربه . والضريب مسن الخلق المسسن في ضربه . وكانت أيام المشمش وقدد وصدلت مصن دمشية احمالها . وحلت في ذلك الحالة حالها . واقدم الجاذل قدومها . وطلعت في ابراج الاطباق نجومها . كأنها كرات من التبر مصوغة . أو باورس مصبوغة . صفر كأنها ثمار الرايات الناصرية حلاوذوقا . واحل شوقا . ولو نظم جوهره لكان طوقا . وهو احلى من السكر . واعبق مسن العبير .واحسن هيأة مسن النارنج الأحمر . والليمون المركب المدور . وقد زفت عروسه في الثوب المعصدفر ، والخمار المزعفر ، كأنما خرط من الصندل ، وخلط بالمندل . وجمد من الثلج والعسل . فهو الذي يضرب بضربه مثل الدُّمل . ويقضب من قضبه لقب القبل . ونظر منه ما نضر . وما حظر ما حضر . ورئى هناك لقسطوفه قسطاف . ولطسوا فيره طواف. ولعقوده مصارف. ولذقدوده صيارف. فكأنها وجدوه العشاق اكتست اصفرارا . أو جمرات تشتعل نارا وتبدي شرارا . وقد اعاد لجينها صواغ القدرة الالهية نضارا . بل هلي احداق الحدائق . وقاوب البوارق . ووجنات الجنات صبفها بلونه البرق وصفرها من خوفه الرعد ودورها بوقده الودق . لابل اصفرت من مهاابة الجنات الجناه . وانتاطمت مان جاوهر الحيا الحياة ، واضطرمت لهاها شوقا الى فتح اللهاة . ثم صرفت

الاطباق. ونظفت الأفاق وبسط المكان. وسمط الخوان. ونبهت اجفان الجفان القدور الرقود . وشبهت المراجل لغليانها بصدور ذوي الحقود . وتزيد مقال المقالي النشاشة . وتزينت مقار المقاري بالبشاشة . ومادت اعطاف الموائد بالالطاف . وتهادت اكناف السرادق بموشى الافواف . وهناك المسموط والمسلوخ . والمخطوب المطبوخ . والمقلو المقلوب . والمحبو المحبوب . والاغنية واللحمان . والا شوية والحملان . والالبان والالوان . والجوابي والروابي . والصواني والاواني . وقد صفت البوارد . وصفت الموارد . وتنوقت الطهاة . وتنوعت المشادة . وحلت الاطعمة . وعلت الاستمة . وجاش جاش الجاشنكير الرابط . وعاش اخوان الخوانسلار الفابط . وتدا ولوا وتنا ولوا النوالات والحوالات . والحلاوات والحالات . وكان يوما مشهودا . وحوضا مورودا . وروضا معهودا . ورواقا ممدودا ورواء مودودا . وجمعا مسعودا . وصنعا محمدودا . ولما فدرغت الموائد . وبلغدت المقاصد . أحضر السلطان لعماد الدين هداياه . وحياه بأحسن من تحاياه . من خيل صدفون . وحصن كحصدون . وعراب جياد من طوائف الطريفيات . وســوابق سـوابح مــن العتـاق الأعوجيات . والمذاكي المنسوبات . مسن كل مسطهم مسطهر الخيم . وكريم من ذسل الكريم . وصافن صافي الانيم . ومعرب مقرب . ومجنب مكرب . وسكب مشذب ، وفيض سلهب ، وبحسر جموم . وطرف لهموم . وسرحوب شيظم ، ويعبوب صلام ، واجرد قؤود . وضامر قيدود . وأقب نهد . وجواد ورد ، ومسع رفل طمر . واشق امــق غمـر . ومفـرع طمــوح . وعتيق غير جموح . وهدكل عال . وعنجوج نيال . فاختار منها كل طرف . قد حط من قدره اذا قوم بالف . من كل اشهب قدرطاسي . واشعل سوسني . واغر صنابي . وادهم غيهبي . واحم احوى . واشـقر مدمى . وابرش مدبر . وكمين مضمر . واخضر وادبس ، وسامند اغيس. ثم احضر له ما يناسبها من التحف اللائقة. والطرف الرائقة . والعدد الرائعة . والاسلحة المانعة والسابريات السابغات والدروع والزربيات . والرؤوس والرانات . والخصصصصود

والترائك . والبواتر البواتك . والدلاص الموضونه . والنصال المسنونة . ومن المستعملات المصرية الذهبية والحريرية . والملحم والدبيقي . والمصمت والمغربي والعراقي . ومن نسسج تسونة وتندس . كل ثمين ونفيس . وما شاكله من انواع الطيب . على النمط والترتيب. ثم انصرف وعرف حمده متضوع. وعرف جده متذوع . وشدو شكره وعطف فخره مترنم مترنح . وامدره متحبدر متربح . ووده مترج مترجح . ودعاؤه صالح . وثناؤه صادح . ولسانه داع . وجنانه واع . وعهده راع . وسلعده ساع. وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس. والتناجسي بما في الذفوس ، والتدبر فيما يقدم ويؤخر . ويقرب ويقسرر . ويورد ويصدر . وتكررت المشاورة في الموضع الذي يبتدأ بقصده . ويوفي العزم فيها الجهاد حق جهده . واتفقوا على عرقا وعرقها وعقدرها . والنزول بعقدرها ، وانهلسا اذا ملكت ملكت طراباس. واسفر عن صبح فتحها الغلس. واقام العسكر ايامسا على قدس . ويقبس النصر قد تأنس . واسسناء الظفسر قسد توجس . واتبى العبرب . وواتبي الارب . واجتمعت الجيوش وجاشت الجموع . وأن لليل العـزم المدلج مـن صـبح النجــح الطلوع . وذبعت الفيوض من النعيم وفاض الينبوع . واينعت ثمار المبار وطابت الينوع . ثم رحلنا اول شهر ربيع الآخر الى البقيعة تحت حصن الاكراد وخيمنا على الربا والوهاد . وصوبنا الى الجهاد هوادي الجياد . وادنينا قصطاف الطصاف الله لاجتناء الاجناد . وكانت الاعشاب بالشعاب واصبية . والشروائب من المشارب قاصية . والقضب القرب في طاعة الله عاصية . وطار الرعب . وثار العجم والعرب . وخاف الكفر ، وطاف الذعر ، وقسال ذفر الشرك ذفر . ولانستقر . وتشوروا وتشاوروا . وحاوروا وتحاوروا . كأنهم في قبور حصونهم اموات . لا تسرتفع لهم من الوهدل والوله اصدوات . واجمعنا على دخدول بلد الساحل على التجريد للتجريب . وجوس خلال البعيد والقريب . ثم تجرد العسكر عن الاثقال . وتجرأ على اخذ أهبة القتال . وسار السلطان ومعه عماد الدين زنكي . وسيفه بصــقاله يضــحك وبـدم الكفــدر

يبكي . ومظفر الدين كوكبوري . وهدو الذي حين يوارى صدارمه المشهور في نجيع العدى لزنذ الظفر يوري . وصحبه من فرسان العرب كل فارس معررب . ومسن شسيجعان الاكراد كل فساتك محرب ، ومن فتاك الادراك كل قسور قاسر ، ومن صيد الصنابيد كل كسروي كاسر . وكل كمي كميش . واكنيش على اكنيش . وقارح على قارح . وخضم على سابح . وجدري جار جارح . وبهمة وبطل . وجبل على جبل ، وفحل على فحل . وذمر نكل وورد على ورد ومرد على جرد . وحلس وحلبس . وباشر بالموت معبس . واهيس اليس ، واحمى احمس ، وغشمشم همام ، وايهم مقدام ، وباسل ذي باس . وعاسل عاس . ورئبال على رئبال . ومشتمل على شكال . وبحر على بحــر . وصــقر على صــقر . وركيــوا سلاهبهم . وجذبوا جنائبهم . وجروا على الساحل سيولا . وجروا بالذوا بل نيولا . وطار ابليس طرا بلس بخروافي الخروف . ودام الجوى في رعب اهلها بدم الجوف. وما سار الا مسن خسف في نهضته . ونهض بذفته . واحس حصن الاكراد بالاكدار . وصفت على صافيتا بوارق البوار ، وقطع عرق عرقا وعقدرت ، وتعدرمت العريمة وتعرقت ، ومرزعت ذلك الاعمسال ومسرزقت ، وارهقست وازهاقت . وذفرت اذفارها . وبقسارت ابقسارها . وملئت بسالدوائر ديارها ، وسيقت ماواشيها ، وحشيت بالنيران اوساطها وحوا شيها . ونزل السلطان على حصت يحمور فمسا قسدروا يحمونه . وابتذل مصــونه واســتخرج مـكذونه . وفتحــه ومتحه . ومساه بالدمار وصبحه . واقام في ذلك البيار عشرة ايام يجوسها ويدوسها . وقد حيزت له ذفادًسها وذفوسها . شم رحل بمغنمسه ، وقفسل الى مخيمسسه ، وعاد العسسسكر مسرورا منصورا ، محبورا مسوفورا ، قسيد اطلع مسين تلك البسيلاد على العورات ، و اضطلع بالغنائم في ذلك الغارات ، وذكا منها في الاعمار والعمارات . وانقضى شهر ربيع الآخر وذلك المرج يمدوج بالعساكر موج البحر الزاخر . وقسد وصسل قساضي جبلة يحسمت على قصدها .ويحض على انجاز وعدها . ويحسرض على اعذاب وردها . ويحقق أن الظفر في هذه السنة يبتدىء من عندها . ويقول ان الاشتغال بطرا بلس مع احترازها واحترا سها . وكثرة ناسها . وتدرعها بلباس باسها . واستعدادها للحصار . وتجنبها عن الاصحار . يذهب الزمان . ويفوت الامكان . وهده جبلة وما وراءها من المعاقل . قنيصة الحابل . وفرصة المتناول . ولهنة للآكل . ونغبة الناهال . وامنية العاقل . لم يفتارع عذرة امنها ذعر . ولم يفتأ سورة ذفعها ضر . ولم يقرع باب يسرها عسر . فان سلكنا سبيلها . ملكنا سالسبيلها . وان جازنا ساحتها . حازنا راحتها . وان استقدنا ملكها ملكنا قيادها . وان اعتدنا حواءها حوينا عتادها . وان افتتحنا بها فتحناها والمسالمون بجبلة مجبولون على التسليم . مؤملون ان يتبدل شقاؤهم مذكم بالنعيم . فعرفناه بصحة نصحه . ورفعناه بحجة نجحه • واصغى السلطان الى قوله . واصفى له ورد طوله . واقبال عليه وقبله . واجازل له العطاء واكمله . وكان قد وصل له مقدمو جبل بهدرا . فوفر لهم رواتبهم واجرى . وخلع عليهم وشرقهم . واستعدهم بالمواهب واسعفهم . فندبوا الى اتباعهم . وكتبوا الى اشــياعهم . واجمــم السلطان على دخول الساحل بذلك العساكر الجحافل. ورحل يوم الجمعة رابع جمادي الأول . حافل الجحفل سامي القسطل . ماضي المنصل . فسرنا في أجام مــؤدشبه . وأكام معشــبه وحــزن وسيهول . وشيعاب ودلول . ومعالم ومجيعاهل . ورواب وهواجل. ومغايض وغياض. وارتفاع وانخفاض. حتى خرجنا الى ساحة الساحل. ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحى رسوم تلك النواحي المواحسل . ومعنا احمسال واوسسساق . واثقسسال واسواق . وازواد وامداد وعدد واعداد . والخيل عرمرم . والسيل عرم ، والمجر لجب ، والغيل اشب ، والاسد في عريس من الاسل العراص . والفوارس الصلاد في غدران من السوابغ الدلاص . وقد نشأ العجاج كعجـــاج النشـــاص . فــانحلت بحلولنا معــاقد المعاقل . واعتلت باستيلاء فحولنا عقائد العقائل . وحلت لخطبه سيوفنا كرادم الحــوالى والعــواطل. ونحـن في اســتباحة واستباء . واصطلام واصطلاء . وارتياد وارتياء . وفتك باعداء . وسفك لدماء . وبتك لرقاب ذوى الفجور ، وهتك لحجاب

ذوات الخدور ، ننال من العدو كل نيل وتدبير عليه في داره دائرة كل ويل • فما نقطع الا وابيا يغيظ الكفار ، ولانحضر الا نابيا نزيدهم به الدمار ، وسرنا الساحل الساحل ، في ثلاث مدراحل ، حتى وصلنا الى أنطرطوس يوم الأحد سادس الشهر ، فاحدقنا بها من البحر الى البحر ، وزحدف اليهدا الناس ، وحفدز عليهدا الباس ، وخاب رجاء رجالها وخدب نحدوها الياس ، وقابلتنا ساعة ، فلم يجد اهلها للدفاع استطاعة ، وودخلت من جوانبها وتخللت من مذاهبها واصابتها نوائبها ، ونابتها مصائبها وفال غريبها وجب غلالها ، وسبى مــن أخـــذ مــن نسـائها وأطفالها ، واعتصم من نجا ببرجين اعتصدما بالامتناع ، وهما هناك من أحكم القلاع ، وفي أحدهما الداوية جمرة الكفر ، ومعهم مقدمهم الذي اطلق من الأسر، وفي البرج الأخدر المنهدزمون الناجون ، والفارون اليه اللاجون ، فنزل على هــذا البـرج مـظفر الدين بن زين الدين ، فأبدى لمن استتر فيه وجه التأمين ، وحركهم الى الخروح بالتسكين ووثقوا بأمانه ، وأمنوا بميثاقه • ومكن كل منهم لسلامته من تسلم مكانه ، فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هــدمه وهده ، وحل من احكامه ماالكفر شده ، وركب النقب على ركنه العالى ، وذكبة في ذلك اليوم بما تذكبت عنه ذواكب الليالي ، وخسرب الى اساسه سوره ، ورمى الى البحر صخوره ، وامتنع برج الداوية بدائها الدوى • واتبع مــردتهم في التمــرد هــوى طـاغوتهم الغوى ، وأقام العسكر حتى نقض اسروار انطرطوس وقوضها . وربضنا بها الى أن عفينا ربضها . ولما امتنع البرج تركناه ، وماكانت فيه فرصه لو ادركناه ، وكيف كنا نشتغل بفتـح برج عن البلاد ، وللفرص أوقات هي لها بالمرصاد ، ومن يسلك الجدد اللاحب لايعرج على بنيات الطرق، ولايستفنى مسدلج الليل بالدراري عن الفلق ، ورحلنا عنها رابع عشر الشهر ، شاهرين على الأعداء سيوف القهر، ونزلنا على مرقية وقد خلت من أهلها وتخلت • وتشعثت عمارتها واختلت ، وكان جوازنا الى جبلة على الساحل تحت حصن المرقب ، وهدو معقدل للاسدبتارية عالى المذكب، سامي المرقى والمرقب، ضبيق المذهب عسر المطلب، فلم

يكن بد من عبور ذلك المضيق ، وسلوك تلك الطريق ، وقد صفت الفرنج في البحدر المراكب ، وسندوا المذاهب ، وردوا الراجيال والراكب، وفوقوا الجرخ للجسرح، وسعدوا الزندورك للقسارح والطرح ، فعسر العبور ، وكثر العثور ، وامتنع الجواز ، ووجب الاحتراز، وأعوز الظهرور وظهر الأعواز، وذلك أن صلحب صدقلية ، رام أن يكشف عن الفرنح البلية ، فجهز اسطولا بجهازه مستطيلاً ، وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبنًا تقيلاً ، واتفق وصوله في تلك الأيام في ستين قطعة ، تحسب كل واحدة منها قلعة أو تلعة ، من كل شيني من شأنه شن الغارة ومن عادته العادية تشعيث العمارة ، مع طاغية يقال له المرغريط • قد عرف منه التوريط ، من أرجس الطواغيت ، وانجس العفاريت فوصل الى طراباس بطوله واسطوله ، وصوله وصوله ، فمسا أحلى ولاأمسر • ولانقسم ولاضر ، ولا استقل ولا استقر ، ولانقض ولا أمر بل صار على الفرنج وبالا ، واحدث لهم بما يسومهم من مؤونته امحالا ، وماخفف عنهم بل زادهم على الثقل اثقالا ، ووجد الكفر في اوان توانيه فلم ينتفسع ولم يردقع شان شوانيه ، وصار الى صور ثم رجع الى طرابلس وتـردد في البحـر ودلدد وأباس ، ودفـرقت جمـاعته ، وتجبنت شجاعته ، واضطرب في البحر اشهرا ، ولايظهر له رأى ولايرى له مظهرا ، فتقطت اقطاعه • وتتابعت في الفرار اتباعه ، حتى عاد في عدة يسيرة ، وشدة عسيرة ، وكان هنذا الطساغية قسد حضر يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه ، مصفوفة في البحر من جـوانبه ، قـد ضيق الطريق ، ولم يطرق المضيق ، فأمر السلطان بحمل الجفاتي الى هناك وتصـفيفها ، والسـتائر وتـأليفها ، والتـراس وترصيفها ، واقعد من ورائها على مقابلة سافن القاوم وازائها ، الكماة النخية • والرماة الجرخية ، حتى تباعدت تلك السفن ، ودب اليها الوهن ، وتمت عليها المحسن ، وأنحست الأحن ، ورحل العسكر فعير آمنا وأمن عابرا ، وسار ظاهرا وظهر سائرا ، وجزنا على مدينة يقال لها بلنياس ، وقد أجفال عنها الناس ، ونزلنا في ارضها ، وخيمنا في طولها وعرضها ، وأنسسنا بنهرها وزهرها في الأرواء والرواء ، وحبسنا على ذواضر رياضها

نواظر الارتضاء ، وبتنا ونفحات النادي مريضة ، وجنبات الوادي مريضة ، والنسيم العليل بليل ، والعـزم الصحيح دليل ، ورسم العدو محيل ، ولقدح الفوز من تأييد الله لنا مجيل ، واصبحنا على الرحيل مبكرين ، (فساء صباح المنذرين) ، (الصافات ١٧٧) وسرنا وسرنا في سرور ، وســـفرنا في ســــفور وجمعنا في اجتماع ، وجلنا في ارتفاع ، ونهجنا في اتسلاع ، وركننا في امتناع ، وعارضنا نهر عريض عميق ، مانيه طريق ، وهــو مـطرد من الجبل الى البحر، فازدحم العسكر عند ذلك النهر، وتدوا قعت الإحمال والاثقال عند العبر، وليس عليه الا قنطررة واحسية فتصادموا على ذلك الجسر ، وسار السلطان من فسوق على ســفح الجبل وعبر ، واستتبع من عسكره بعد الزمر والزمر ، وذزل عشية الخميس على بلده • وعانت الأثقال في تخلصها مسن الشسدة الشدة ، وتكامل نزولها حين انتصدف الليل ، ووصدل الى القدرار السيل ، وهذه بلاة كاسمها بلاة على شاطىء هذا النهر ، وساحل البحر ، حصينة البناء ، مصيونة الفناء قصيد حصينها الاسبتار ، وحسنها الاستظهار وقسطعوا عنهسا سلوك الطرق، بتعميق ذلك النهر المخترق، والفينا بلاة خاوية على العروش • حاوية الوحوش • خالية من الأنس والأنس ، (وكأن لم تغن بالأمس) (يودس ٢٤)، وقد انزعج اهلها ، وتشات شملها ، وتخوف آمذوها وعدم السكون ساكذوها .

ذكر فتح جبلة

وأشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ، وقد اشتهر موسم النصر ، واشتد على الكفر رهق القهر ، وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابقة وسبق في المقدمة ، وأقدم على قصدها بالعزيمة المصممة ، فلما بصر مسلمو البلد بما وضح في الجد من الجدد وسنح من الظفر المتضافر المدد ، خرجوا مستسلمين مسلمين مستمسكين

بعز الاسلام معتصمين ، وعلت على السور الرايات الناصرية المنصورة ، والتهجت بحمد الله الألسن الشاكرة وابتهجت القلوب المحبورة ، وتحصن الكفرة من الحين ، ولجناوا في التحين الى الحصين ، فمن لاذ بالحصن الذي على المينا ، قال انه بحصانته ومنعته يحمينا ، وعاذ معظمهم الأكثر بحصت البلد وهو المعقل الأكبر ، وتوسط لهم قاضى جبلة في أخدد الأمدان بعد قبض الرهائن ، على أن يعيدوا من استرهنوه ، في أنطاكية منن أهله ، ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا الينا كل مالهم من سلاح وعده ، وخيل ونخيرة وغلة ، وتســــامنا الحصـــين يوم الخميس ، وعادوا مأهولين من الاسلام بالأنس ، وكرمت بالكرام جبلة جبلة ، وذفت عنها بالفئة المقبلة ، الفئة الشقية المختبلة ، وسعد أهلها بعد الشـــقاء وتعــوضوا مـن الشــدة بــالرخاء ، وافضى اليأس بهــم الى الرجـاء ، وفـاؤوا الى الوفاء ، واندقل أهـــل الجبــل الي جبلة طــائعين بعـــد العصيان ، مصافحين بـالمصافاة بـالايمان ايمـان اهــل الإيمان ، وكان حصن بكسرائيل قد تسلم من قبل ، واتصل بفتحه الحبل ، فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا لقاضي جبلة مذعنين بايمانه ماؤمنين ولدعائه ملبين ، ولبقائه محيين • ونجوا من العار والتبار، وضيم الكفار، وتناجدوا بالاستبصار والاستغفار والاستذفار، وأضت تلك الولاية لاحسانها والية، وتلك الناحية على سكانها حـانية ، وتلك المدينة لأهـــل الدين دائنة دانية ، وذلك الجنة العدنبة الجنى لورد دم الجناة من شوك القنا جانية ، وذلك البنية لمعالم المعالى في هـــدم ا ســاس الا سـاءة بانية ، وذلك الهضبة راسية ، والتسرية كاسسية والرتبسة سامية ، والربوة رابية والذروة عالية ، والحالة حالية ، واقام السلطان بها اياما حتى أزال شاعتها • وأزاع خبثها ، ورأب صدعها ورب ربعها ، وشاد ركنها ، وشد حصنها ، حتى أزال كفرها ، وجبر كسرها ، وجــد بهـا جـدبها ، وحض بهـا خصبها ، وبالعدل عمرها ، وبالفضل غمرها ، وبالرعاية مالها والرعية كلاها ، وبجل قاضي جبلة وشرفه · وحبس عليه ملكا نفيسا ووقفة ، وصرفه في املاك آبائه ، وحكمه في ولاية حكمه وقضائه .

ذكر فتح اللاذقية

ورحل ثالث عشرى الشهر يوم الأربعاء منشور اللواء ، منصور الأولياء • مشكور المضاد ، عالى القدر قادر العلاء ، ناجح الآراب راجم الآراء ، وسار برعب الى العدويقدمه • وعزم على الغرو يصممه ، وأمر لأمرار الأحكام يحكمه ، وجد على تدبير الدين يقفة ، وحد في تدمير الماردين يرهفة ، وسعادة تؤيده وتأييد من الله يسعده ، وسطوة على الكفسار يرسسلها ، وجندوة في أهسل النار يشعلها ، وجيش للوثبات يذشطه ، وجاش بالثبات يربطة ، وهيبة تروع الخواطر، وهيأة تروق النواظر، وبتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين ، ويات الكفرة ميلسين ، قدد لاذوا من حصن اللاذقية بجبل عاصم • وعروة كل قلب لهـم مـن الرعب في يد فاصم ، والخوف عليهم مستول • والذعر فيهم مستعل • والأفسئدة منهم خافقة والاندية بهم متضايقة ، والمهج في سحوق الردى نافقة ، ونحن طول الليل من السوابغ في جر الذيل ، ومن السوابق ف اجراء الخيل ، ومن نشاط العزم في اهتزاز ، ومن احتياط الحزم في احتزاز ، ومن انتخاب الأجواء والجياد في انتخاء ، ومن انتقاد العتاق والرقاق في انتقاء ، ومن انتهاض الرياح بالهواضيب في انتهاء ، ومن اقتضاب الأرواح بالقواضيب في اقتضاء ، والمقربات تسرج والسريجيات تقرب ، والمقانب تكتب والكتائب تقنب والصوارم تنتضى • والصرائم تقتضى ، والقوارح تضمر ، والقرائح تخمر ، والضوامر تجرى • والبواتر تعدى ، والصلاد تلجم • والدلاص تستلام • والحنايا توتر • والمنايا تــؤثر • والجـاليشية تعبى ، والجاوشية تلبى .

حتى أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح . والمتجر مربح .

والمفخر متوضع . وللجاش فرح . وللجيش مدرح . وقدرم العدو مقترح . وزند الفتح مقتدح • وباب السماء لنزول ملائكة النصر مفتتح . وأحدقنا بالقلاع وقلعنا الاحداق . وخطنا بابر السهام من موقها أماق . وأخرجنا منهم بالارهاق الارماق . وانهضنا اليهسا الحجار والنقاب والزراق . وأطرنا النشاب الى أوكار المقل . وأزرناهم رسل النصال بكتاب الاجل . وسمعنا من ضوضائهم زجل الوجل . ورأيناهم تغلى من صدورهم بنار الحقود مراجل الغلل . وأشر فوا من الشراريف قلقين متقلقلين مابين تلك القلل. وجدوا في القتال. وشدوا على الرجال. وسدوا مذاهب الاهدواء بسالاهوال. وهناك في الزندورك بورك . فانه بالجرخ دورك . وقلنا الكفر اخسرج لندخل الى دورك . وأي دار فيها التوحيد بأهل الشرك شورك . وطالما سكنت دارنا فاخرج . ودرجت اليها فادرج . ومازلنا نقاتلهم بسوائنا بياض النهار . ونغطى سنى يومنا بليل الغبار . ونرفع من السور حجابه بالحجار . حتى فرنا بتمكن النقاب والحجار . وأخذت عليهم الذقوب . ووقدت منهم القلوب . وبلغ النقب مسن الشمال في الطول ستين ذراعا ، واربعة أذرع في العرض اتساعا ، وهي ثلاث قلاع متلاصقات . على طول الدّل متنا سقات . كأنهن على رأس رأس راسخ . وذروة أشم شامخ . فسهل الله لذا فرعها . وشرعنا نستاصل أصلها وفرعها . وناوبنا عليه القتال . وجاوبنا بالنصال النصال . وأوضعت بنات الكنائن بظعائن الضفائن . وأثارت من مكامن الاحقاد كوامن الدفائن • ودام الرماء • ومريت الدماء • وانتجم النجيم • ووقع ذلك الرفيم • فاستبطىء السريم . وتخطى الصريع ، وأبصروا مالا عهد لهم بمثله ، وعايدوا ماعادوه من غريم الموت المطل في مطله • وفتح الحدّف بابه . وحفز الزحــف أصحابه . وكشر الشرك نابه . وصادف الكفر لدمـه المطلول مصـبه ومصابه . وذفر الناس اليهم • واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم . والاجل يظهرهم والوجل يخفيهم. وهم من وراء أسوارهم • بدواء في بوارهم . ووبل الذبل هسام . وأهسل الجهسد في ضراب وضرام . وجمر الجمع في التهاب والتهام. ووقع منهم الزمع • ومنافيهم الطمع . حتى ازدهم على التل الصغار والكبار . واستشعرا منا

وزال منا الاستشعار . وكان لي مملوك صنغير قد زحدف . وأرهدق وارهف فقبل خده سهم . فدرجع واذا وجهه طلق لاجههم • وهدو بقرحه فرح ، والفرح بالشهائة مقترح ، وقد عدله الجرح ، وحسنه القبح • فلما عرفوا أنهم مدركون . وأنهـم يؤخــذون ولايتــركون . صاحوا الامان . واستماحوا الايمان . وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الأولى عشية . وكان فتح ذلك المعقل مسن الله مشيه . قانه موضع ما قيه مطمع • ولم يكن للكفر غيره مفرع • وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت غدوه . وكان ذلك الفتح صلحا أشبه عنوه • وطلع السنجق المنصور . وانجلت الظلمة وتجلى النور . وأشرق الفلق وزهق الديجور . وبدا الفجر وباد الفجور ٠ وسرت المقلوب وأقبل السرور . وسلموا القلاع بما فيها من عدة ونخيرة . وأســـلحة وخيل ودواب كثيرة . وأمنوا على أنفســهم وأموالهم • وانصرفوا بنسائهم ورجالهم . وذريتهم وأطفالهم . وخفوا من أثقالهم، ودخل جماعة منهم في عقد الذمـة. وتمسـكوا بحبل العصمة . وانتقل الباقون الى انطاكية . وايقنوا انهم وجدوا بعد رسوم السلامة العافية العافية . ورتب السلطان جمساعة مسن خواص مماليكه • وأخرج من القلاع أهل الكفر وأسكنها التوحيد مصونا من الاشراك وتشريكه • تـم ولى بهما سمنقر الخمسلاطي مملوكه • وقد عرف حسن سيرته وأحمد سالوكه • فتولى الرعية كافة بالرعاية والكفاية · وانتهى الى غاية في نهى أولى الفواية · واقام جاليا للفاية • عالى الرأي والراية • وركب السلطان الى البلد وطاقه • وهز إلى إحسانه أعطافه • وأدنى الى عدله قطافه • ووقر الطاقه * وأصدقى نطاقه * وامنه بعد ماأخافه * ورأيتها بلدة واسعة الافنية • جامعة الابنية • متناسبة المساني . متناسسةة المغاني ، قريبة المجاني • رحيبة المواني ، في كل دار بســتان . وفي كل قطر بنيان . وقد أبي الله أن يكون الكفرة منها جنان . أمكنتها مخرمة . وأروقتها مرخمة . وعقودها محكمة . ومعالمها معلمة . ودعائمها منظمة . ومساكنها مهندسة ومهندمة . واماكنها ممكنة . ومحاسنها مبينة . ومراتبها معينة ، وسقوفها عالية ٠ وقطوفها دانية . وأسواقها فضية . وأفاقها مضية . ومطالعها مشرقسة .

ومرابعها موذقة . وأرجاؤها فسيحة . واهدواءها صحيحة . لكن العسكر شعث عمارتها • وأنهب نضارتها • وأزعج ساكنيها . وأخرح قاطنيها . وماك دور المشركين المسوحدين . وطهسرها مسن رجس الكفر وأظهر الدين . ووقع من عدة من الامسراء الزحسام على الرخام • وذقاوا منه أحمالا الى منازلهم بالشام. فشوهوا وجوه الاماكن ٠ ومدوا سنى المحاسن . وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة . نفيسة قديمة . بأجزاء الاجزاع مرصعة . وبألوان الرخام مجزعة . وأجناس تصل ويرها متذوعة . وأصول تماثيلها متفرعة وهي متوازية الزوايا . متوازئة البنايا ، قد تخيرت بها أشباح الاشباه . وصورت فيها أمواج الامواه ، وزينت الاخوان الشيطان ، وعينت لعبدة الصلبان . ولما بخلها الناس اخسرجوا رخسامها . وشسوهوا أعلامها . وحسروا لثامها . وكسروا أجرامها . وأهدوا الاسي لهد أساسها . وأفاضوا عليها لباس ابلاسها . وحدكموا بعد الغنى با فلاسها . وا فتقرت وأ فقرت ، وخدربت وتدربت . شملا طسابت النفوس. وتجلى عن البلد بفتحه البوس. عاد الى هــنه الكنيسـة بالأمان القسوس وهي متشوهة متشعثة مستمسكة بأركانها وقوا عدها متشبثة • ولقد كثر أسفى على تلك العمارات كيف زالت . وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت . ولكنما زاد سروري بانها عادت للاسلام مرابع . ولسر وحه مراتع . ولجموعه مجامع . والشموسه مطالع . فاو بقيت بحليها وحالتها . بعد ما تبدلت رشدها من ضلالتها لشاقت وراقت . وكما أفاقت فاقت ٠ وشأت البلاد اذا شاءت . لكنها ساءت لما أساءت . ثم أعادها الاسلام إلى أحسن حاله وجلالها في السناء أسنى جلاله . ورغب في إعطاء الجزية سكان البلد من النصارى والارمن . حبا للوطن وسكونا الى السكن . فأض مأمول الجني مأهول الجناب . وعاد بتجار البحار مملوء الرحاب . وتبدل بالابدال الاخيار . والارباب الابرار . من بعد الكفار الفجار . والاشرار أهل النار . وكانت شواني صقلية . قد قابلت في البحر اللاذقية . طمعا ف امتناعها . وطلبا لنياده عنها ودفاعها . فلما خابت خبت نارها . وباخ أوارها . وقصدت لجهلها اخذ مركب من يخرج من أهلها لكونهم شغاوا عن صدونها ببدلها . فامتنعوا عن

الانتقال . وأمنوا بعقد الذمة على النفس والمال . وكان السلطان يوم الرحيل من اللاذقية راكبا عند ميناها . وقد حصل من ترتيب العمارة مناها . فطلب مقدم ذلك الشواني أمانه . ليصعد ويشاهد سلطانه . فأمنه حتى صعد /. ولو أسالم ذلك الشاقي لقلت ساعد . ولما حضر الكافر عفر وكفر ، وتروى ساعة وتفكر ، وأحضرنا التسرجمان ، وادى عنه البيان . وقسال انت سسلطان عظيم وملك كريم . وملك رحيم • وقد شاع عدلك • وذاع فضلك وقهر سلطانك • وظهر احسانك • فلو مننت على هذه الطائفة الضائفة فأمنت وأفضات عليها وأحسنت ٠ لملكت قيادها ٠ إذا أعدت بلادها ١٠٠ وصاروا لك عبيدا • واطاعوك قريبا وبعيدا • وان أبيت غير الغيرة والاباء • ودمت على ارهاق الدهماء واهراق الدماء جاء من وراء السبعة البحار من يسد فضاء السبع الطباق • وأفاق للتناصر على دفع هذا الخطب نصاري الآفاق . وثار الروم لروم الثار .، وخدرج الفدرنج أنفارا للاستنفار . وسار ملوك ذوى الاقانيم . من سائر المسالك والاقاليم . واتى الآتى . ولايقساوم القسدرالماتي . وهؤلاء أهسون منهم . فاتركهم واصدفح عنهم . فقال السلطان قد أمرنا الله بتمهيد الارض . ونحن قائمون في طساعته بسالفرض . وعلينا الاجتهساد في الجهاد . وامتثال أمره فيه بالانقياد ، وهو الذي يقدرنا على فتسح البلاد . ولاتكترث الاساد بكثرة النقاد . ولو اجتمع اهل الارض . نات الطول والعرض . لتوكلنا على الله في البقاء . ولم نبال بسأعداد الأعداء . فلما سمع ما فهمه من نجهه . ذهب بعدد أن صلب على وجهه ، ورکب بکربه وکر برکبه ، ولم یفن خطابه عن خطبه .

ذكر فتح حصن صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى . والهدى في نصره بين أنصاره يتهادى وقد تيقنا أن الفتح لايتمادى . وان العزم عن الفداء بالمهج في سبيل الله لايتفادى . وأخذنا على سامت صهيون . وهو حصن يفوق الحصون . ويفوت العيون وطلبنا كما

يطلب الدائن المديون ، ونحن الكفر مميتون ، وللإسلام محيون . وكان الطريق اليه في أوبية وشعاب . ومنافذ صعاب . ومضايق غير رحاب . وأوعاث وأوعار ، وأنجاد وأغوار . وقطعنا ذلك الطرق في يومين . ووصلنا ليلة الشلاثاء بليلة الاثنين . وخيمنا على صهدون يوم الثلاثاء التاسع والعشرين . ورزقنا الله التأييد والتمكين . وهي قلعة على ذروة جبل في مجتمع والليين . بها محيطين من جانبين . والجانب الجبلي قد قطع بخندق عميق وسدور وثيق. والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب . ممتلئة بذئاب سفاب • وأسد غضاب . وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء من ذواحيها الاربع . وهي ممتنعة علينا بالركن الامنع . والسمو الامتع . وذهل السلطان خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم . وشرع في مصاصرة القدوم . وقامت أسواق الاقواس للمذون في مغالاة السوم . وتـوفرت سـهام السهام من المقل . وتبدت بنات الكنائن من الدم القانيء حمدر الحلل. وأسقطت حوامل المنجيقات أجنة الصخور. وكشفت صدور الكنانيات أكنة الصدور . وظهر سرا لاسراء . وكثر مراء الرماء . وزخر داماء الدماء ٠ وطارت الحجارات . وحجرت الطيارات . ودارت حميا الحمام على أولئك . واسستنجدت ملوكنا الملائك . وأدامت اليهم المجانيق والجروخ والقسى الرمى المتدارك. وأقام الملك الظاهر غازى صاحب حلب منجنيقين • ونهـج بهمـا مـن جـانب الوادي الى ردىء الأعادي طريقين . وكان له في فتح هذه القلعة الجد العالى . والجد الوالى . والعزم الماضى . والحزم القاضى . والسعى الناجح . والرأى الراجح . والبأس البالغ . والسطو الدامغ . فانه اتصل بنا قبل الوصول الى جبلة من طريق حماه . وقد استصحب الكماة الحماة . ومعه الرجال الحلبية . والمنجنيقية والجرخية . والجاندارية والخرا سانية فأظهر على صهيون اليد البيضاء . وكسب الذكر والثناء . وأنار في فضاء الفضائل وأضاء . ودام القتسال على المكان من جانبه . ومن جانب السلطان ، والملك الظاهر في تسظاهر ملكه . وتضافر سلكه . وريعان اقباله . وعذفوان جلاله . وشـباب رهان مجاراته . وشبا برهان مباراته • وابراق عوده . واشراق سعوده . وغرة عزته وميعه منعته • وصدر تصدره • وشرخ تأمره

وتشمره ٠ وقد وصل في أول نشاطه ٠ ونشوء اغتباطه ٠ وفتاء فتوته • ورواء رويته • وارتقاء ارتفاعه • وايفاع بفاعه • وترعرع سنه ٠ وتعرعر ركنه ٠ وتسامي سيادته ٠ وتراقي سعادته ٠ واجد لعز العزم الجد • وأعد لري الرأي العد • واستلذ في سبيل الله نصبه ٠ ورفع المنجنيق ونصبه ٠ وجعل لرجاله نوبا ٥ ولاحـواله رتبا • والقم أفواه كفاته حجرا • وأجرى في الحق من الحجارات الجاريات من منابعه نهرا • ورجم الحصن الزاني رجم المحصن • وأحسن الى الاسلام وأساء الى الكفر . فلله در المسيء المحسسن ٠ ومازالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمى • والحنايا بسهام المنايا تصمى • حتى قتلت مقاتلة الحصين • وهيان بميا دب فيه مين الوهن • وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادي الاخرة • وطما بحر العسكر بأمواجه الزاخرة . وازدحم الناس في الزحف كأنهم في الحشر بالساهره . وهاج الشباب . وماج العباب . وتسابق ذوو الجرأة والقوة . وتلاحق ذوو الحمية والنخوة . وكان في قرنة الخندق عند خرقة الى الوادي موضع لم يكمل تعميقه . ولم يتم تموثيقه . فتطرقوا من ذلك القرنة الى القئة . وتسموروا السمور وتسملقوا . وتقلعوا الى القلعة وتعلقوا . وتملكوا الذروة . وامسكوا العروة . واستولى على أهلها الرعب . واستشرى بهم الكرب . فتعادوا الى القلة . وتفادوا من الخوف لامن القلة . وملكت عليهم ثلاثة أسوار . بما فيها من متاع وشوار (٢٥) . ونعه وأبقهار . وصهاحوا الأمان • وبذاوا الاذعان . ونادوا مكنونا من السلامة وتسلموا المكان . فما امنوا على المال والنفس . حتى قررنا عليهم مثل قطيعة القدس . واغلقت دونهم الأبواب . وسير إليهم النواب . وما استقر خروجهم حتى استخرج منهم القرار ، وجبي الدرهم والدينار ، وعم الكبار والصغار الصغار . وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار ، ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله . وسائر ماحواه مسن نخسائره وأمواله ، الى الامير ناصر الدين مذكورس بن خمار تكين ، اسد العرين وامير المجاهدين . المقدام الهمام • والمطعام • فألفى الثفر سداده بسداده . وامرع به مراد مراده .

- ٥٩٤٥ -ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل

وتسلم يوم السبت قلعة العيد • ويوم الاحد قلعة الجمساهريين • ويوم الاثنين حصن بالطنس وندب الى كل حصان مان تسامه . وسلكه في سلك الفتوح ونظمه .

ذكر فتح حصني بكاس والشغر

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشية ، ومشية الله جارية على موا فقة ماله من المشية . ونزل على العاصى في طاعة الله والنصر قد نزل . والكفر قد اتخدنل . يوم الثلاثاء سادس الشهر . وبدور السوابح في غدران السوابغ مائجة على ذلك النهر . وحكم السلطان في القهر ماض بانن الله على الدهري، وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسم الشهر المذكور، وشكا الشرك نكاية حسد بأسنا المشكور . وحول خيمة خفيفة الى الجبل ، لحصار قلعة الشفر • وهي قلة شامخة من أعلى القلل • على هضية منقبطعة . عالية مرتفعة • ومن نواحيها واد • خاف من العمـق غير بـاد • في -أعماق ووهاد • وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادى خندقها • واخذ من العوادي موثقها • فما اليها طريق ولاعليها طروق • ولافيها الطمع عاوق • ولالاسهم اليها مدروق • ولاللزحدف فيها مقطع • ولاللذر نحوها مطلع • ولاللطير في مراحها وكر • ولاللمكر في افتتاحها مكر • ولاللوهم في توقلها مجال • ولاللفهم من تصورها منال • ولالها بمن يحتفل بها احتفال • وماعليها النازلين عليها قتال ولانزال · ولايتغير لها مع تغير الاحوال حال · وصعب شسفل الشغر • واشتغل فكر الكفر • ولم ير السلطان طريقا غير الرمي من المنجنيق • لعله ينال جميعها بالتفريق • ودا ومها بالحجارات اياما • ولكم سدد بها مرمى ومراما • فلم تعبأ بسأعبائها • فسإنها

ترامت عن رمائها • وابت الا ثباتها وثبتت على ابائها • وأعيا اعضال دائها • واستفحال بلائها • وخام الرجاء بالارجاء عن ارجائها • ولو لم يضبجر حاميها لضجر راميها • وسددم سسائمها لتسامیها ٠ لکنه وهی جلده ٠ وهوی خلاه وخار قلبه ٠ وحار لبه ٠ وخاف من الاقامة • وخاب من السلامه • وارتاح الى الراحة • وسـما الى السـماحة • وعاج الى الانزعاج • وعاد لداء خـوفه في الاستئمان يطلب العلاج • ودعا الى الدعه • والخروج من الضيوق الى السعة أن فبينا نحن في ترو وتفكير ، وتخير الرأي وتدبر ، ونقول هذا حصر يشتد ٠ وأمر يمتد ٠ وعمدل يصدعب ٠ وأمدل يتعب • ومعقل لايختل ومعقد لايحتل • ومقصد لايدرك • ومورد لايملك • ومكان لاامكان لفتحه • ورجاء يطول الزمان في تطلب نجمه • اذ خرح من الحصن من يضرع في الأمان ويمتري ضرع الامن • فشكرنا الله على تسبهيل المتوعر • وتيسير المتعسر • وتحصيل المتعذر • وتلقيح الرجاء من الياس • وتذقيح مناط حكم الصحة عند اضطراب علة القياس . وكان ذلك ثالث عشر الشهريوم الثلاثاء • وسألوا في مهلة ثلاثة أيام والارجاء • ليخبروا صاحب انطاكية ويستأننوا • ويقبلوا عنده العذر ويخسرجوا من الحصن ويسلموه فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك مقفر والشغر شاغر ، والكفر صاغروفهم القهدر منا لههم فاغر . والاسلام قد ثلم ثغر من هو له مثاغر . والحصن البكر مفترع ٠ والدين المتأصل بشعب النصر متفرع • وطلع العلم الى ذلك العلم الطالع • وانتقم الهدى الضليع من الضلال الظالع • وكأنما عنبات تلك الراية مقاول الداعين ، وكأنما أبراج تلك القلعة مسامع الواعين ، وعاد الحصن أهل بأهل الاحصان ، وصافح بسأيدى الأيد ايمان ذوي الايمان . فابتسم عن النصر ثفر الثفر . وفرغ القلب من شغل الشغر، وسلم هـو وحصن بكاس، الى غرس الدين قليج الساقي عدوه الموت بكاس الباس . وانتقل السلطان يوم السبت الى مخدمه والاقبال جائم في مجثمه • وسرى ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانية ، وأرهق فيها الفجرة الجانية ، واستطلق منها البررة العانية . وقطف مجانيها الدانية ، واخلى مغانيها الغانية ، وماقطم قرارها حتى قرر عليها قسطيعه . وكلفها مساكانت له مسن المال مستطيعة • ولام تزل عاصية بطوعها فصارت كرها مطيعه . ثم خرج حتى خربها عاليها • وعطل حساليها • وانجلى شاويها • وانتاى جاليها • وبقيت دمنة دائرة • ودمية عائرة . ورسما عافيا • ورقما خافيا • وربعا باليا • وصدقعا خاليا • وعادت دارا دارسة • مستوحشة بعد أن كانت آنسه • وكان فتحها في يوم الجمعة الشالث والعشرين . فأخلى الله من السباع الضواري ذلك العدرين ومن نوادر ألطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتسالية • في أيام الجمع الخمس المتوالية • باء فيها لنصر اهل الجمعة بنل أهدل السبت أهل الأحد واصبح التوحيد على التثليث قاهر الأيد . ظاهر الليد •

ذكر فتح حصن برزية

وسرنا الى قلعة برزيه • وسرنا سار • ودر الظفر لنا دار . وهي احصن القلاع وا فرعها • واحسن التبلاع وارفعها . واستمق الرواسي واسماها واستم الرواسخ واسناها . وكان السلطان سيق اليها واشرف عليها . ثم استدعي الثقل واستحضر . وجمع بالفضاء تحتها العسكر . وذلك رابع عشري الشهر يوم السبت وقد تهيات في العدو اسباب الكبوة والكبت . ثم تجرد يوم الاحد ق العسدد والمعدد . ورقى الى الجبل . مع ابطاله النبل ، فرايناها قلعة شاماء في الذرى . لاتكاد من سموها ترى . وهي على سن من الجبل عال . مترامية في السماء ارتفاعا ،وقيل قدر علو شلائة فكان خمسمائة ونيفا وسبعين ذراعاه فأحدقنا بها وبالجبل. وقطعنا عنها متصلات السبل ، ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السافح . فلم تصافحها صدفائحها ، وأبدت لنا صفحة الصفح ، فقد بعد مسرام مسرماها . وحارث الاوهام فيها وقلنا ماأعلاها ومااسماها. وتحاجزت عنها الحجارة فلها من اجازتها بها الاجسازه . فمسا بلفت الى القلعسة قلائعها ، ولاطلعت الى التلعة طلائعها . هذا والنجم يلامع بسلامعها

وتقارن طوالعه طوالعها . فحكان الصخور سلم نصورها . فإن سورتها تتكسر دون الوصول الى سورها . ولما رأى السالطان انه لاوصول الى نيقها بالمنجنيق . وان الاشتغال به يطيل زمان التعويق . مال الى الزحف . والحف جموعه في ذلك اللحف . وذلك في السابع والعشرين من الشهر يوم الثلاثاء . فقسم الناس ثلاثة اقسام على السواء . وجعل النوبة الاولى لعماد الدين مساحب سنجار . الليث الهصار . والغيث المدرار . والبحر الزخار . والسيد الحلاحل (٢٦) . والملك العادل في صحابه الصباح ، كفاة الكفاح وعفاة الصفاح . ونفاة الهام . بثبات الاقدام في الاقدام . وشفاة الاوام يعلة الانتقام من الاقوام. واساة ذوى الاساءة باحسان الحسام ، وكساة عرى العراء أربية القتام ، ورقاة ارا قدم اللهاذم وسقاة حدوايم الصدوارم. والمزاق في حدومة الردى رداء المآذق. والسباق في حلبة الهدى بهوادي السوابق. من كل شارب ماء الوريد بشفاء الشفار . وضارب هام المريد ببتار التبار . ولا سع بحمة الحمام في الاسل العاسل عاسل . ولابس لباس الباس كالاسد الباسر باسل . ومعتقد الدين الرديني معتقل . ومعتد على العدو بعادي معتدل. ومجتاب لبوس البوس على الموت العبوس مجتاز، ومجتب لحب المذون لرهون ذفائس الذفوس محتاز . فاذقضوا على الهضب . وعضوا على العضب . ودام الصفا يد هده . والصدى يقهقه . والزاحف يتقدم ويتقهقر . والحافز يخفى ويظهر . والرجال تتعالى . والحجار تتوالى ، والمساعد ترقى . والمصاعب تلقسى . والمضايق تولج . والبوادق تحرج . والاكام تفرع والرجسام تقسرع ، والصخور ترديد ، والجـلاميد تميد . ومـازالت هـنه النوبـة تنازل وتقاتل وتناضل وتطاول ، وترمي وتدمى ، وتصمي وتصمي ، وتـرد وترد . وتصد وتصد . وتصدم وتصدم . وتقدم وتحجم . وتصدع وتصدع . وتحمل والرجع ، وتذكو وتنطفىء . وتبدو وتختفى حتى كلت وملت وانحلت وتخلت . وكانت غلبست . لولا انهسسا لغبت ، وسمت . لولا أنها سئمت ، وألفيت هذه الذوبة خاصة ، لاهال الحصن حاصة ، فانهم تولوا بأجمعهم القتال . ولم يقصدوا التناوب الاستبدال . ولما ظهرت في النوبة النبوة ، وكاد جهوادها تناله

الكبوة . تقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية . والسطوة الدانية . والعزمه الناوية غير الوانية وخف في الثقال من الرجال . وزحف الى الجبل بالجبال. وتضافروا فتطايروا في الاوعار كالاوعال. وجروا كالسيول في تلك المسائل . وجروا نيول السوابغ ، على تلك الهواجل ، وترقوافي ذراها ، وقدروا على قدراها ، وتلبسدوا بجوانيها ، وتوجسوا من مثاعبها ، وتدرجوا في مدارجها ، وعرجوافي معارجها ، وخرجوا في مداخلها، ودخلوا في مضارجها ، وصارت الجروخ تجوزهم ، والجوروح لاتحوزهم ، والسحهام تعبرهم . والاكام تسترهم . والنذوة تحميهم . والحمية تنخيههم . وقد ذشط السلطان لتسليطهم وتنشيطهم والتحنير من توريطهم وتفريطهم . فمن انقبض بسطه . ومن اعرض ضبطه . ومن أقبل أغبطه ، ومن أدبر أسخطه . ومن تقدم قرطة . ومن تقساعس أحفظه ، ومن تناعس أيقظه ، وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا . وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوا . فمنهم من تمكن من الطلوع . ومنهم من تكمن للولوع . وتقلبوافي تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع . وعرا اهل الحصن العناء والعياء . وعمهم البلاء . وأدركهم الشقاء . فانهم مازالوا يقاتلون يومهم من غير مناوبة جميعا . فمنهم من صد صديعا . ومنهم من صار صريعا . وظهر فيهم الفتور . وبدا منهم القصدور . وجاءت النوبسة الثالثة تالية . واقدمت امدادها متوالية متعالية . وعادت النوبة الاولى لنشاطها . وزادت في انبساطها . فبلغوا وغلبوا والتهموا والتهبوا . وتعلقوا بالسور . وتسلقوا كالنسور . وطلعت القلعـة . وقلعت الطلعه . وافتضت العذره . واقتضيت النصره . وأعان القدر فقدر الاعوان ، ونتجت بالفتح البكر الحدرب العوان ، وان اهدل القلعة لما ايقنوا انهم ملكوا . طلبوا الامان حتى لايهلكوا . قلما سمع اصحابنا بالامان صالحهم . وعرقوا للضراعة التياعهم والتياحهم . كفوا عنهم انتظارا لما يأمرهم به السلطان . واشفاقا من سبي من يشمله الامان ، وكان جماعة من دهاة الخواص . عارفين بطرق الاقتناص . فاظهروا ان السلطان امن اهل القلعة . وانه يدا فع عنهم في هذه الدفعة . وجمعوهم. في مدواضع وكنادُس .

واحرزوا الذقوس والذفائس. وعاد عنهم من حضرهم على ظن أن السلطان امنهم وحظرهم . وبقسى اولئك الافسراد بهسم متفسريين . ولتجريدهم للسبي متجربين . وصار مابالقلعة ومن فيها لهم كسبا وسبيا . ومارا والحق من شاركهم في السعى رعيا . وحدرموا ماارتفقوا به وحرموا الرفقاء . وحازوا دون الغانمين النهاب والسياء . وملك واحد مائة وحاز الرى وحلا عنه رفقة ظمئة . ولما تسنى ذلك الفتح وتهنا . وتسهل ذلك الصعب وتهيأ . عاد السلطان الم خيامه . وعاذت الايامن بأيامه وكانت صاحبة حصن برزية أخت زوجة الابردس صاحبة انطاكية وقد سبيت وخبئت فما زال يطلبها حتى أظهروها وأحضروها . وكانوا بعد هدك سترها ستروها . فمن عليها بالاعتاق من الارقاق. وحل عنها وعن زوجها قيد الوثاق. وأحضر أيضا ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وأنخلهم معهم في الاطلاق. وجمع شملهم بعد الشتات. ووصل حبلهم بعد البتات. وشعبهم وقد تصدعوا . واشبعهم وقدد تجدوعوا ، وحنظرهم وقد استحلوا وكثرهم وقد استقلوا ، وحرمهم وقد استبيحوا . ومنعهم وقد استميدوا . وأحياهم بعدما هلكوا ، وعصمهم بعد ماهتكوا . وحواهم وأغناهم وقد افترقوا وافتقروا . وجبسرهم ونعشهم وقد انكسروا وعثروا . وسير معهم إلى أنطاكية من أوفدهم على ستها . فسرت باختها . واعانت بمقتها من سر مقتها . واذاعت من مضمر بغضها بمظهر حبها . وجاءها الفرح في غمها والفرج في كربها . وتشكت لأخذ بلدها . وتشكرت لترك أختها وولدها ، وانعم السلطان بهذا الحصين على عز الدين بن المقدم . الكريم المكرم والمقدام المقدم . والعظيم المعظم . والماجد الممجد . ابراهيم بن محمد . فإن هنه القلعة لثغر افامية الجارية . في اقطاعه متاخمة . وهــي لهـا في السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمة .

وسرت هنه البشرى وسنارت ودرت هنه النعمين ودارت . وطارت كتب البشائر . وسرحت على جناح الطائر وفيما كتبت ان هذه البشرى بما اجده الله من الفتح العزيز . والنصر الوجيز بفتحصن برزية الذى برزت له الارض في قشب الدوابها . وتفتحت له

السماء لتنزل الملائكة من ابوابها . بل سهفرت به عرادًس الايام في حلى ايامها . واشرقت منه اقمار الليالي في انوار محاسنها . وهدذا الحصن لايمكن وصدف ما هو عليه من الحصانه . وكأن حجره في حجر حضن الحضانة ، وقد عرف ما فتحناه من البلاد والحصون ، وسلبنا اهل الكفر بها من السلامة والسكون ، وفتحنا كل مرتج لم يكن فتحه مرتجى ، ولم يجد من حصل في أسر الدهر به مضرجا . حتى أتت ايامنا ، ودنى فيه مرامنا . فجاءه عصرنا ، وفجأه امرنا . ووصل الينا ما هو في الازل نخرنا . وكمل بهذه الفتوحات فخرنا . وذلك أنا فتحنا من حدود طرا بلس الى حد انطاكية . وسهينا بماء الحديد الجاري في انهار دم اهل النار ، مقارس الهدى الزاكية . وجلونا بها تغور التغور الضاحكة وعيون العدو الباكية . وهسنه الحصون التي فتحناها . والمعاقل التي استبحناها ، لو وكلنا الله الى اجتهائنا في فتح احدها . لتعذر ولو أنجدت عساكر الننيا بمدها . لكن الله سهل ويسر . وفتح ونصر . وانزل الظفر ، وان حصن بزريه لم يكن عليه قتال . ولا الوهم فيه مجال . ولا منصب عليه لمنجنيق . ولا مسلك اليه لسالك طريق . وحضرنا لحصره ، متوكلين على الله في امره غير طامعين في فتحه . ولا راجين لنجحه ؟ فاذقاد جماحه . وانخفض جناحه ، وساء صاحبه ، وكل سالحه ، وتوقل الرجال في ذروته توقل النجوم في الافسلاك. ولنصر الله اهسل التوحيد على اهل الاشراك.وفتحناه بالسيف عنوة . ودجا يوم المثلث عليه يوم الثلاثاء ضحوه . فسانا لما تسوكلنا على الله في منازلتسه . واستعنا به في مقاتلته . نظر الله الى النيات . واعان ذوى العرائم والثبات . فتعلقوا في الجبل . وتسلقوا الى القلل . وسعوا الى الاجل. في طلب تسنى الامل . فكان كما قال الله تعالى : (ومسا امسرنا الا واحدة كلمح بالبصر) (القمر ٥٠) حتى من الله بالظفر . واصفى الورد والصدر من الكدر . وقد بقيت انطاكية ومالها بقاء ، ولا لها في الاعتصام رجاء . وقد نقصنا اطرافها . واستبحنا اكنافها . وشفهنا نطافها . وعضدنا من رؤوس اهلهما بحمدود الصموارم قطافها ولم يبق من معاقلها الا القصير ودربساك وبغراس. وقد تقدم اليها الفاتحان الرعب والباس.

ذكر فتح حصن دربساك

ورحل السلطان وقد نجحت اماله . ورحجت اعماله ، وحل اقباله واقبل جلاله وعبر عند شقيف دركوش الى شرقى العاصى . وقد دانت له المقاصد العواصي القواصي . واقام اياماً على جسر الحديد الجسارة . شديد الاستظهار بما ظهـر للمــومنين مــن الربــح والمشركين من الخسارة . ثم قصدنا دربساك . وجددنا بتاييد الله ف حصره الاستمساك . ووجدناه حصنا مدرتفع الذرى . ممتنع الذرا ، قد جاوز الجوزاء ، وناجت ارضه السماء ، وكان عش الداوية بل عزيمتهم . وطالما أطال في التعدى أيديهم وعرانينهم . وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم من ظهور الحصن بطون الحصون ، وركتوا بسكنى هذا المعقل الى السكون . فلما اشر فنا عليهم اشر فوا على المنون . ونزلنا عليه يوم الجمعة ثامن رجب . وقلب الكفر قد وجب. ووفرت المنجنيقات سهامهم من سهامها . وصوبت اليهم مددات مراميها ومرامها ، وراميناهم بها ليلا ونهارا وارسلنا اليهم امثال قلوبهم ووجوههم احجارا . وكلنا لا نذر في ارضها التي هي في السماء من الكافرين بيارا . وتركنا ناسبه بالحجارة صرعى . واسمنا من نحدورهم ووجدوههم بيض النصال في حمد المرعى . واصبحنا يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب وقد شارف الفرنج الشبجا والشجب . ووجه نجاتهم قد احتجب . وقد وقع بالنقب بسرج مسن السور الخارج . وظهر فيه عروج للدارج ودروج للعارج . فطلبوا على مراجعه انطاكية الامان . وان ينزلوا ويتركوا بكل ما فيه المكان ، فأجيبوا الى ذلك على قطيعه . وردوا ما كان للاسلام معهم من وبيعة . وتسلم الحصن بما فيه ثاني عشري الشهر يوم الجمعة واصحب بهذا الفتح جماح الحصون الممتنعة.

ذكر فتح حصن بغراس

وتوجهنا بكرة يوم السنبت الى بغراس وقد ضايقنا الاعداء وضيقنا منهم وعليهم الذفوس والاذفاس. وهي قلعة من انطاكية قريبة . وانها في الشدائد لدعائها مجيبة . ورايناها راسخة على رأس راس . شامخة على عاص عاس . ارضيها في السيماء . وجوازها على الجوزاء . متوغلة في الشهاب ، متوقلة على الهضاب . منسحبة في السحاب . مضببة بالضباب ، مدربة على الرباب . متعلقة بالنيربين . متسالقة الى الفرقيين . محلقة الى الذسرين . ولا مطمع نحوها لطالع . ولا مسطلع فيهسا لطسامع ، ولا مطمح للامح . ولا ملمح لطامع . وهسى للداوية وجار ضباعها . وغاب سباعها ودار دوائرها . وغار مضاورها . وغيل غوائلها ومنزل ذوا زلها وجعبة ذبالها . وهضية رئيسالها ، ومدنب ذئابها ، ومدب ذبابها . وكوارة زنابيرها ، ومغارة خنازيرها . ومرقب صقورها . ومرقد لسورها . ومكذس وحوشها . ومعرش جيوشها . فخيمنا بقربها في المرج . وقد انارت من مشرعات استنتنا في ظلماء نقع خيلنا مشعلات السرج. وتقدم من العسكر جمع كثير. وجمع غفير ، وخيم بين انطاكية وبينها . ووكل بها ناظـر يقـظته وارقـد عينها ، فأقام على سبيل اليزك . ودخل في حفظ جانبها في الدرك . وسار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا . ويساومها من الفارات عسفا وليس بينه وبينها الا النهر ، ومقابل رجسها منه الطهر . وصعد السلطان في جريدة عسكره الى الجيل . ووقف بازاء الحصن وقوف المشتاق على الطلل . فنصب عليه المجانيق من جميع جهاته . وصدوب لقم الحجر الى لهاته ووا فق آمريه بالاذعان على خلاف نهاته . وقلنا المقيم به خسد الامسان وهسساته . ومسسازالت الحجارات تناوبه ، وصدى الصفا بالنكاية يجاوبه . والصحفور فيه تتواقع ، والبلايا اليه تتابع . فما شعرنا الا باذفتاح بسابه . وألجساً . جماعة اصحابنا عليه جماحة الى اصحابه . وخرج مقدم الداوية يستأذن في الحضور. ويسأل الأمن من المحددور والحل مسن

المحظور . ويقدول اذما قنينا بغدراس بغدراس القنا . وبنينا على حصونها من القنطاريات أحصسن البني . والمعاقل لايحميها الا معتقلوها . والبلاد لا يحفظها الا اهلوها . وما في هذا الحصسن الا مقدمان . ومالنا بمقاومتكم يدان . وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان . وتسلمت القلعة كما تسلمت أختها دريساك بالامس . وسلمها الداوية طائعين فعجبنا من انقياد اولئك الشهمس واباحوها لنا وكانوا يقارون عليها من طلوع الشمس . وأنار في مطلعها سنى السجق المنصور . وأذن المتطاول فيها مسن تسطاولنا بالقصور . وذلك في ثاني شعبان . وسر النصر فيه شار وبان . وسلم السلطان الحصنين دريساك وبغراس الى علم الدين سليمان. وكان صاحب حصن عزاز . وقد حاز الغنى به وفاز . وماكان في الامراء الا كابر من لا يدعى سدواه الاعواز فالزمه بهما ليعتنى بدفظهما ، وحضه من عصمتهما على حصطهما ، فتسلمهما بذخائرهما . واطلع من النفائس على مستودعات ضمائرهما وكانت حينئذ انطاكية قد اسعر غلتها سعر الفلة . وقل ساكنوها لما كانوا فيه من القلة . والفرارة تساوى اثنى عشرة بينارا . والقوم قد شارفوا فيها تبارا وبوارا ، وحزرنا ما في بغراس خاصة من الغلة ، سوى ما فيها من تفضيل الاقوات والجملة . فكان تقدير اثنى عشر الف غراوة . فحصل سليمان من منبع هنذا الملك على غزارة عن غرارة . فقلت كأني به وقد نقل هدنه الغلة الى انطاكية وباعها ، واعرض عن متاعب الاخرة وحوى من الدنيا متاعها. وانهـب الغلة بذهب يغله . ويستحلى مر هذا السحت ويستحله ، ثم يستعفى مسن حفظ الثغر ويشير بتخريبه . ووقع لى فيه من الظلف مساكان بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه .

ذكر عقد الهدنة مع انطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر من فتوحها بالسر المصون . عول على قصد انطاكية فإنها كانت مريضة على شافا

ورسم قوتها قد عفا . وخلق ثيابها قداشفي . والدهر قدانتقم منها واشتفى . ووجه الفلاح عن اهلها قد اختفى . فاو صدقها وقصدها لحص (٣٧) دعائمها وحصدها ، وكان الابردس صاحبها قد عجل بارسال اخي زوجته . يسأل في سلم يعود ببقاء بهجته وسلامة مهجته ، وعقد الهدنة على جلده وأمن على منافي يده وذلك لتمنانية اشهر من تشرين الى أخر أيار . ووا فق من السلطان الاختيار لكون انقضاء الهدنة قبل ادراك الغلة وأوان حصادها . فلا يقدد الفرنج على تحصيلها ونقلها واعدادها ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح لكمال الفبطة لنا في الحرب ووفور الربح . لكن العسكر الغريب مـل الاقامة . وأبدى السآمة . واراد السلم . وقيل بهذه المدة من الهدنة لاتزداد أنطاكية قوة ولا تستجد جده ولا يرجى لها عدة منجدة ونحن نضرب للعود اليها مع انقضاء عدتها عده . واما حصونها فقد حصائنا على عسلها وقتلنا نحلها واما هي فنعمال فيها بقول الله تعالى إ وان جندوا السلم فاجنح لها) (الانفال ٦١) وشرط على صاحب انطاكية اطلاق من في الاسر من المسلمين . واستوق رسولها على عقد الهدنة اليمين . وسار رسولنا معه شمس الدولة بن منقــن للاساري مذقذا ، وللاوامر مذفذا . وعلى المقاصد مستحوذا ، وسار السلطان ثالث شعبان على سمت حلب ، والاسلام قد غلب ، وفان من الفتوح بما طلب ، واستغنى بما جمعه من السببي والغنيمة وسلب وخلب ،

ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وعساكر البلاد . وعود السلطان الى دمشق بنجح المراد

ولما رحل من بغراس وقف لعماد الدين ودعاه لوداعه ، وشيعه بكرامة كرام أشياعه ، وخصه بعد ماسير له من الخيل والخير بخلع خواصه وأتباعه ، وأناله منه حسن اصطفائه وحسنى اصطناعه ، ولم ينفصل منهم الا من وصل بصناة ، وخلعسة

مجملة ، وحرمة مكملة ، ووعد جميل يرغب في العود ، وجود جـزيل منسكب الجود ، وذلك سوى ماغنموه من كسب وكسبوه مسن غذم، واستطاقوه من رسم واستجزاوه من قسم، وملكوه من رق سبي . وادركوه من حق سعي . واجدوه من غرض . وأدوه من مفترض . وأحيوه من حسنة النصر ، وأمساتوه مسن سسيئة الكفر، واستضافوه من فتح، واستفاضوا به من نجع. وسعار السلطان في عسكره ، حامدا الله في مورده ومصدره ، وارتاح الى العبور على ارتاح ، وامتار لها اليمن بافتقادها وامتاح ، ووصل الى حلب وحلب احتفالها بـوصوله حافل ، والملك بها للاهتـزاز بقدومه في ملابس البهاء را فل ، ودخلناها وقد خدرج كل من بها التلقى ، مستبشرين بالاقبال المتضاعف المتدرقي ، وشاهدنا من النظارة عيونا المحاسن ناظرة ، ووجها ناضرة ، وقلوبها حاضرة ، والسنا شاكرة ، وايديا في بسطها الى الله للابتهال بالدعاء متظاهرة ، واقتضت حركتنا الى الشهباء لساكنيها سكون الدهماء ، وأقام بقلعتها أياما يسيره ، وألفى ولده الملك الظاهر أسر احسانا وأحسن سيرة . وقام به وبالعسكر مدة المقام ، واتساقت الأمور بأوامره على النظام. ولم يرحل الا وقسد خص عوامنا وخواصنا بالانعام الخاص والعام، وأبان عن كل منقبه، وأعان بكل موهبة ، فما رآه والدم مذحل بحلب الا في أجمـل حلية وأكمـل حاله ، وأجلى بهجة وأبهى جلاله ، وقد أجدد لعينه ولذفسه قدرة وقرارا . وأعد لعزمه ولحزمه استنصارا واستبصارا ، ثم انفصلنا عن حلب منقطعين الى مواصلته بالدعاء ، قاطعين طــرقنا المتصــلة بدليلي الشكر والثناء ، وتذكبنا طريق المعرة ، بسالوك طريق المعرة ، وأوفيناها بالمبرة الموفية المبرة ، وتيمن السلطان بليارة الشيخ الفقيه الزاهد التقى . ابسى زكريا المفريي . وهسو مقيم في مسجده ، عند قبر عمر بن عبد العزيز ومشهده ، وقصده السلطان على فراسخ ، ولقى منه في الحلم والوقار الطود الراسسخ واهتسدى بسجاياه ، واقتدى بوصاياه ، ووصلنا الى حمــاة . وبتنا بهـــا ليلة واحدة ، ولم نر رعيتها لما شملها من الرعاية جاحدة ، فان الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهذشاه بن ايوب ، قد كشف عنها

بايالته الكروب ، وملك القبول من أهلها والقلوب ، وأعاد لها بالعمارة العمرية عمرا جديدا ، ومد عليها من مهابته ومحبتسه ظسلا مديدا ، وكانت قلعة حماة لاتعد في القلاع المعدودة المحمية ، ولاتذكر مع المعاقل المرعية المرضية ، وهي ذات تال متباطح ، غير متارفع ولامتسفح ، فلما تولاها تقي الدين قصطع مصن التصل مصاكان متواطيا ، وأتلع من التلعة جيدا عاطيا ، وعمق خندقها في الصحخر وحصنها على الدهر . وبني فيها الدور المرخمة ، والأروقسة المهندسة المهندمة ، وحصنها وأعلاها ، وحسنها وحلاها ، وزينها بكل زينة ، وأعاد حماة ذات قلعة حصينة ، فاضلة في الشام كل مدينة ، فطلم السلطان ذلك الليلة الى القلعة ، وسر بما رأى لها من الحصانة والرفعة ، ووقف الملك المظفر لعمه ، وجرى في الخدمة على رسمه ، وحضرنا وأمير المدينة النبوية معنا ، والسلطان قد أجلسنا بحضرتــه ورفعنا ، والنادي قــد جمعنا ، والشــادي قــد اسمعنا ، والأغاريد تطرب ، والأناشيد تعرب ، فما انفصالنا تلك الليلة الا عن علم ذشر ، وشرف انتشر ، وفض لل سلميني . وعدل احيي . ورسم نائل الساماح واجاري ، وزند سائل بالنجاح أوري ، وسني جد أعلى ، وجني جود أحلى ، وقرأ لذوي الحاجات القصص ، وأزال من الظلامات الغصص ، وأنال لذوي الخصاصات الحصص، وأصبحنا على الرحيل، ووصلنا العنق بــالذميل (٢٨) ، وعبرنا مغنين على حمص وزدنا في الوصول الى دمشــق على طريق بعلبك الحرص ، وجهلناها قبال شهر رمضان بأيام ، وركنا الى ماأنسنا به من مقام ، وتجمع بنا شملها ، وتهلل باستهلالنا أهلها ، وقلنا نصوم مع القوم ، ونقيم مدة الصوم ، فما لبث السلطان ولامكث ، ولانقض عهد عزمده على الغدزاة ولانكث ، وقال لانبطل الغزوة ، ولانعطل هذه الشتوة ، وقد بقيت صـــفد وكوكب وأخـــواتها ، وبــطول مضــايقتها فنيت القواتها ، وقواتها ، فشتهز فــرصة فتحهـا التــي لايؤمــن هواتها ، وخرج من دمشق في أوائل شهر رمضهان ، وحد عزمه رميض . ولبارق سعده وميض ، وفضله مستفيض ، ووجدوه الأيام الاياديه البيض بيض ، ولسان الدهدر في ذكر سيره وتسيير ذكره

مفيض ، وجناح الكفــر بجناح رجــائه ورواج مناجــــه مهيض ، وحديث اقدامه القديم والحديث طويل عريض .

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك ، في تسلم حصين الكرك ، وذلك ان مدة غيبتنا في بلاد انطاكية ، لم تعدم من مصاصرتها المضايقة الناكية ، وكان الملك العادل اخدو السلطان مقيما بتبنين في العساكر ، محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر ، مقويا للأمراء المرتبين على الحصون ، حسافظا على الدهمساء بحسركته في الأمور عادة السكون ، وكان صهره سعد الدين كمشبه الأسدى بالكرك مدوكلا ، وبساهله مذكلا ، وقسد غلق رهنه وبقسى داؤه معضلاً ، وأمره مشكلاً ، حتى فنيت ازوادهمم ونفسدت موادهم ، ويدسوا من نجدة تاتيهم ، وأمحلت عليهم مصايفهم ومشاتيهم ، فت وسلوا باللك العادل ، وابدوا له ضراعة السائل ، وتذرعوا بـوسائل الرسـائل فمـا زالت الرسـالات تتريد ، والاقتراحات تتجيد ، والقوم يلينون والعادل يتشيد ، حتى بخلوا في الحكم ، وخرجوا على السلم ، وسلموا الحصن وتحصنوا بالسلامة ، وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامة ، وكتبت عن السلطان في بعض البشائر ، مساالهي بمسلاوته عن ارى (۲۹)الشائر ، وهاو انا لما عدنا الى دمشائر ، وهاو رأينا ان لانستريح ، ولانثني عن كسر العدو عزمنا الصحيح ، فقلنا نفتنم هذه الشدوة ، ونســـدكمل الحــظوة ، ونواصــل بـــالغزوة الغزوة ، ونستخلص هذه القلاع التي شهفات منا في هذا الجانب قلوبا وعساكر ، وأبقت لأهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاثر ، وبيمن صدق هذه العزيمة ، والاستمرار في الجهاد على الشيمة ، وردت البشرى بأن حصن الكرك عاد إليه بعد الجماح الأصحاب ، وخرج منه الفرنج وبخله الأصحاب، وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث دفسه بقصد الحجاز ، وقد نصب اشراك اشراكه منه على طرق الاجتياز ، فأذقناه عام أول كأس الحمام ، وملكنا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العسام ، واضسطر الكفسر في اسسلامه الى الاسلام ، وتم بحل هذا البيت أمن البيت الحرام ، وقد كان هسنا الحصن ننب الدهر في ذلك الفج ، وعذر أهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا ، وساق الى عقائله الرجال مهرا ، فسالحمد لله على ماقدر من الحسنى ، ويسر من النعمى ، حمدا يكون لما قدر ازاء ، ولما يسر جزاء والحمد لله الذي انجز صادق عداقه ، في كاذب عداته .

ذكر محاصرة صدفد وفتحه، وادراك السعي فيه

وقطعنا مخــاضة الأحــزان خـائضين في بحـار المسرات المتواصلة ، راكضين الى مضمار المبرات الحافلة . والسلطان سائر والجنة تحت رايته مفتوحة ابوابها ، والنصرة فوق الويته مشدودة اسبابها ، في اطلاب ابطال اذا أوعاها الفجر لم يستعها الى عشائه ، وإذا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه . ونزلنا على صفد . والصبير قسد نفسد . والنصر قسد وقد ، والقدر قد رقد ، والعزم قد وقد ، وجاء الملك العادل وظاهر اخاه ، وضافره فيما توخاه ، وشد بالرأى والصرم مساالزمان أرخاه ، وبعث كل ذي عزيمة على التصميم ونخماه ، وشرعنا في مراومة القلعة ، ومساومة السلعة، وجثت المجاندة لاجتثاثها وحدثتها بالسنة أحداثها ، ورمتها عن قسيها بالقاسيات ، وسمت الى هضاب ذلك الأبراج الراسيات ، وأمطرت عليها حجارة ، ولم نعطهامن العذاب الواقع بها اجازة . فما رفع بها الحصن الراسي رأسا ، ولاالحجارة مسات منه ركنا ولاالنقاوب باشرت أساسا ، ودامت المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها ، والذقب لم يكشف ذقب السور عن وجوه فرنجها ، ودمنا عليها ، الى تسامن شوال ، ونوعنا في افتتساحها الاحتيال ، حتى انن الله في الفتسح

فسهل ماتصعب ، وحضر ماتغيب ، وظهر ماتحجب ، وتيسر ماتعسر ، وامكن ماتعذر ، وتأتى ماتأبى ، وأجاب نداء الاسلام ولبي ، وعلموا ان صدفد ان لم تخرج من ايديهـم دخلت ارجلهـم في الأصفاد، وعادوا تعسالي يروغون وكانوا كالأسساد، ونزلوا مسن سماء العرز الى ارض الهروان ، فكأذعنوا للضراعة وتضرعوا بالأذعان ، وأخرجوا اسارى المسلمين ليشفعوا لهمم في طلب الأمان ، وصارت صدفد المسدامين صدفا ، وكانت بسالمشركين هدفا ، وعادت للاسسلام سسدا ، بعسد ان كانت للكفسر ردءا ومردا ، وطالما مكث فيها المشركون و (وقسالوا اتخد الرحمن ا ولدا) (البقرة ١١٦) (لقد جسئتم شسيئا اداء تحاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) (مرريم ٨٩-٩٠) ، ولقد كانت مارنا للكفر جدع، ومرفقا للشر قطع. وناظرا للعدو غض وقد شخص ، وجارحا له هيض وقد قنص ، ويدا للباطل شلت ، وقد امتدت ، وعقدة للضلالة حلت وقد اشتدت ، وتخلصت الداوية بادوائها ، وتملصت بأسوائها ، وصاروا في صور ، وأبدوا بعد استطالتهم القصور.

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصور من الفرنج ان صفد لنا صفت وانها على الفتح الذي يشفي اشفت . قالوا لم يبق لنا الا كوكب . وان صلاح الدين عن قصدها لايتنكب . وقد أقوت من القوة . وهي تهي ان لم نعالجها بالنجدة المدعوة . وقد ضعف رجاؤها لضعف رجالها وقل ظهورها لظهور اقلالها وهذا أوان انجائها وانجادها . وهي مشرفة على العدم فدبروا في انجادها . فاذا قويناها وحميناها بقيت عدة في العواقب . وعصمة من الذوائب و فقال مقدم الاستبتار هي كوكبنا المتلالي و ومذكبنا العالى . ومعقلنا المحكم ومعقدنا المبرم

وحصننا الحصين . ومكاننا المكين . ولنا منه المربع المريع . والمنبع المنيع . والمحل المحلى • والمعلم المعلى • وهي قفل من البلاء على البلاد . ومودَّل من الخطوب الشداد • ولعلها تثبت إلى أن توافينا من البحر ماوكنا . وتعود الى عادة الانتظام ساوكنا • فما تبسطىء جداتنا . وما تخطى نجداتنا • واجمعوا على تسيير مائتي رجل من النخب • المعدين لدفاع النوب . من كل جدرخي نخسى • وكمسي أكمى • وجهم جهذمي . وسقر سقري . ووعل جبلي . وبطل باطلي . وكلب كلب . وذنب سغب • وعاسال معاس . وباسل باس • ومقوار مغو . ومتلوم متلو * وذمر متذمر . ونمر متنمـر . وسـبع ضار . وشواظ من نار . وجمر من الجحيم . وحام من الحميم . من شياطين يجذون الجذون . ويمذون المذون ، ويشيذون الشوون . ويهدون الهدون . ويحزون الحزون • ويفوتون الفتون . ويظنون بالله الظنون . وقالوا لهم: كيف تمضدون وطدريق السلامة مخيف وطارق الاسلام مطيف . والشجامنيف . والشجب مضيف ، فقالوا نحن دســــير ونصـــير في ضـــيمائر الكهــــيوف اسرارا . وعلى اجياد الاطواد أزرارا . وفي اوكار المفارات اطيارا . وفي أعماق السيول أكدارا . وعلى ظهور الريود أوزارا . نسري ليلا ونختفى نهارا . والليل للعاشقين ستر . ولكم ادلج من الوتر . والنهج وان بعد فهو في قرب عزمنا فتر ..ومسن رام النفيس الخسطير رمسي نفسه في الخطر ، وطار الى الوطر ، وغرب الى الغرر ، ثـم عزمـوا على ما زعموا . وعملوا بما عنه عمدوا . وخطروا الى الخطر . وحاولوا بما لهم من القدر مزاولة القدر . وتوقلوا في الاكم ، وتوغلوا ف الاجم. وتبطنوا في الاوبية . وتمكنوا في الاقنية . واحترسوا بالكمون . واحترزوا من العيون . وتحركوا على السكون . وكادوا يصداون الى الموضع . ويحصداون على الطمع . ويدركون الطلاب . ويهتكون الحجاب. ويعيدون الى الحصن روحــه. ويأ ســون بعــد الياس جروحه . فعثر بواحد منهم بعض المتصيدين فتصيده . وقاده وقيده . واتى به الى صاحبه صارم الدين قايماز واستغرب من الافر نجى هناك الجواز ، فأخبره بالحال . وأن بالوادي مكمن الرجال . فركب اليهم في اصحابه ، والتقطهم من سرر الوادي

وشعابه . وركب الشجاع مسعود في طلب اولئك الاشقياء . وانتشر الناس في تلك الاكناف والارجاء فما نجا منهم ناج . ولا نجح راج . ولا عاش عاش . ولا حصل عاثر بانتعاش . فما شعرنا نحسن على صدفد للحصار . والسلطان مطل من بيت الخشب على من حوله من الانصار . حتى وصل صاحب قايماز بالاسارى مقرنين في الاصدفاد . مقودين في الاقياد . وكان بهم مقدمان من الاسبتار . وقد اشفيا على التبار . فان السلطان ما كان يبقى على احد مسن الاسبتارية والداوية . فاحضرا عند السلطان للمنية . فانطقهما الله بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما . وقالا عند دخولهما . وامام متولهما . ما نظن اننا بعد ما شاهدناك يلحقنا سو . فعد فت ان بقائهما مرجو . وانتظرت امر السلطان فيهما . وايقنت انه يبقهما . فمال الى مقالهما . وامر باعتقالهما . فان ذلك الكلمة حركت منه الكرم . وحقنت منهما الدم . واستبشرنا بانعكاس ما احكمه الكفر من التدبير . واتعاس من جردوه بالتدمير • وفتـح الله علينا صـفد ثامن شوال. فشكرناه على ان مدد النصر متوال. وسلمت القلعية الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها وال.

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجائنا الى كوكب ووجائناها في مناط الكوكب كأنها وكر العنقاء ومنزل العواء قد نزلتها كلاب عاوية ونزعت بها ذئاب غاوية ونزت فيها سباع ضارية وحمتها بحميتهما وابات النزول على امنيتنا ولو بنزل منيها واختارت العطب على العاماء وامترت خلف الخلف والشقاق الشقاء وابات غير الاباء وبصرت بالامر فصبرت على الضر واصرت على تحمل الاصر وتارامت على التعامي بالمصائب وتعامت عن المرامي الصوائب وقالوا لو بقي منا واحد لحفظ بيت الاسبتار وخلصه الى الأبد من العار ونشد ولا بد من عود الفرنج الى هذه الديار فنتجلد للاصطبار وفوقوا الجروخ للانتظار فقاتلوا اشد قتال ونازلوا احد نزال وفوقوا الجروخ

المصمية . وصوبوا الصخور المربية ورفعوا المنجنيةات المؤجية . وتواترت زيارات الزيارات الموتره . وتناوبت نوائب الزنبوركات المطيرة . واجترأوا على الاجتراح وجرى سيل الجراح • ودمنا في الدم . ورد الوجود الى العدم وتجرئه الرجال . والتجريد القتال . وايتار الحنايا . وايثار المنايا • والرمسي في المنجنيق . والجمسع والتفريق . والرقع والتخريق . والنقب والتعليق . والحفرر والتعميق . والحصر والتضمييق ، والهدم والرد والردم ، والصد والصدم . وكان الوقت صعبا . والغيث سكبا . وتكاثرت السيول . وتكاذفت الوحول . ودامت الديم لدماوعها ماريقة . وبقيت الخيم في الطين غريقة فلا لمركب مبرك ولا مسريط • ولا لسالك مسلك ولا مسقط . وكذا في شغل الشاغل من تقلع الاوتاد وتود الاقدام . ووهسي الاطناب ووقدوع الخيام وكأن الخيم مناخسه الانداء وعدمت الانوار لوجود الانواء • وفقد ماء الشرب مع سيل الماء • والروايا ما نهضت . ولا نزعت ولا غمضت • والرواحال في الطين باركه . والحياة فاركة . والعلف تاركة . والمطية مطينة وسبل السيل مستبينة • وقد كشر البرد بالبرد عن اسلنان عضاضة بالذرد . والطرق زلقة لزقه وهي مع سعتها ضيقة . وللمثـق (٣٠) تقـل ٠ وللقلق عقل . وما ثم الامانيط بالطين • وصعب علينا بصعوبة هذا الامر أمر اولتك الشياطين • فذقل السلطان خيمته الى قرب المكان . لتقريب وجوه الامكان • وبني له من المجسارة مناصار له كالستارة • فحضرت بين يديه والسهام تعبرنا ولا تسذعرنا . والستائر تسترنا عنهم وعليهم تنظهرنا والنقاب قد قلع وعلق ٠ والجرخي قد هتك الحجب وخرق . وتجرد الجند . وانجد الجدد . ونزلت الاثقال والخيم الى اسفل التل . فحفت الثقل بنقل النقال . وطاب المقام بالغور • وسهل بالسهل . وتحولت الشدة الى اللين وتحللت الى الطيب عقد الطين . وما زال السلطان ملازما للحصن . وهناك ظاهرة له منه اسباب الوهن . حتى علق بعض جندرانه . وطرق الهدم الى بنيانه . فتسلمه بامانه . واذهب سكون سكانه . فاخرجهم راغمين . واحرجهم غارمين . وتركوا الحصن بكل ما فيه . واصبحوا بعد مقاتلته للعفو والمعافاة معتفيه . وذلك في

منتصف ذي القعدة . وانتصفت الايام بحل تلك العقدة . ورجعت الليالي بالسكون الى طيب الرقده . وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها . وخلوها وأبوا أن يلوها . وتخلوا عنها بهمم وأهية فدوليها قايماز النجمي على كراهية . بعزيمة عن مهامها لاهية • وانتقال السلطان الى المخيم بالفضاء . وحمد الله على قضاء التوفيق وموافقة القضاء . وودعه الاجل الفاضل على عزم مصر بعد ما استكمل لنا مقامه بصدق الكلمة وجد اعتزامه الفتح والنصر ثم تحول السلطان الى ارض بيسان • وأزال البوس • وزاد الاحسان • واقام بقية الشهر في تمهيد مجد يقيم في باقي الدهدر . واظهر من الفضل ما لم يكن مستورا. وأعطى الأمسراء والاجناد في إنفصسالهم دستورا. وسار ومعه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة وأضح المحجة لائح البهجة . وأوجها الى القدس في طريق الغور وزارا للبركة • وتبركا بالزور • ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة وخص ذوي الخصاصة بعميم المبرة • وعيد بها يوم الاحد الأضحى • وأضحى بعد ما ضبحى ، وقد أصبحب مدراده وأصحى. وسار يوم الاثنين إلى عسقلان للنظر في مهامها ونظم اسباب احكامها • وتدبير احوالها . وترتيب رجالها • وأقام أياما يوضح الجدد ويصلح ما فسد ويذشد من النفع مافقد • ويخمد مسن الشر ماوقد • فاذا وجد شعثاله . وأن الفسي نشرا ضعمه ، وأن صادف فتقا وثقة . وان لقى حقا حققه . وان عثر على باطل عفى اثره، وان بصر بأمل خصه بعرفه وأثره.ثم ودعه اخوه الملك العادل واستقل الى مصر بعسكره ورحل السلطان على صوب عكا موفقا في مورده ومصدره • فما عبر ببلد الا قوى عدده • وكثر عدده وواصـل بالرجال مدده • وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من بيسان لعارض مرض سلبني الامكان ، والحمد لله الذي وفر حصـة الصحة وحول المحنة الى المنحة وكمل الشفاء بعد الاشدفاء واهدى عند اليأس أرج الرجاء .

ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

والسلطان في عكا مقيم والامر مستقيم • والنهج قويم. وهو يبوب ا سباب حفظها • ويسبب ا بواب حظها ، ويهذب مسراتب مصالحها ويرتب مذاهب • مناجحها ، ويعدل جوانح المدورها ، ويذلل جدوانح جمهورها ، ويقوى ما وهي • ويسرى ماهوى ، ويحلى من الشان ما عطل ، ويعلى من المكان ما سفل • ويعيد نظم ماانتكث • ولم ما تشعث ، ويجيد كل مادعا إلى بعث مامات منه وبعث • ومدكث بها لايريم القصر إلى ان وصل جماعة من مصر ، فأمرهم فيها بالاقامة محافظة على الحماية المستدامة • فأمر بهاء الدين قراقوش باتمام بناء السور، واحكام احسكام الامسور. وولى الامير حسسام الدين بشارة بعكا واليا ، ولم يزل لآثار الدولة في ايثار العدل تاليا . ثـم خرج السلطان وسار على طبرية ٠ ودخل دمشق مستهل صفر . وقد ا ستكمل الظفر ووجه الدين به قد سدفر • وعز من أمن وذل من كفر • وحزب الهدى قد انس ونفر الضلال قد نفر ، وجلس على سرير السرور • ولبس حبير الحبور وبدأ بحضور دار العدل فدر عدله للبادي والحاضر واقام سفور بشره للمقيم وللمسافر . وأفاض الفضيل • ومحا المحال • وأعلى أعلام العلماء • وأحلى أحالام الحلماء • وأمضى أحكام الحكماء وقضى باكرام الكرماء • وأسدى المعروف واعدى الملهوف • واذكر المناهي ، ونهى عن المذكر، وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر • واقام مدة الشهر . وأوليا وُه جناة النصر واعداؤه عناة القهر، وايامه مسفرة ولياليه مقمرة، ومفارس ايانيه ثمار المحامد مثمرة • ومجالس اعانيه في نيار الشدائد مقفرة • والملك بزهوه زاه زاهر • والدين ببهائه مباه باهر والافاق منيرة والانوار مفيقة • وللدولة حق مدال وحقيقة والجاء وافي جده وللجود وفي عهده والسماح سماء تهمع والمراد مراد يمرع والوجود بالبشر بهجة ، والالسنة في الشكر لهجة • والشريعة شرعة

واضحة وللحق سنة لستر الباطل فاضحة • والصنائع راجصة والذراع ناجحة .

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولي العهد عدة الدين ابي نصرمحمد ابن الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد امير المؤمنين

بتاريخ أوائل صفر وصل رسول منزل الرسالة ، ومقر الجلالة ، ومربع الامامة • وموضع الكرامة • ومطلع الهدى ومنبع الندى • ومشرق نور الايمان • ومشرع فيض الاحسان • ومرجع المرجين • ومفزع الملتجيين ومنجي الناجين • ومنتجى المناجين ومهبط الوحي • ومصعد الامر والنهي • ومقصد نجاح السعى ، ومخفض جناح الرحمية • ومقطف جني النعمية • ومجر نيول المناقب • ومجري سيول المواهب • ومزار املاك السماء • ومدار ا فلاك العلاء • ومحج ملوك الارض ومحجة سلوك الفرض • وموطن التنزيل . وموطىء جبريل , ومقام الخلافة . وموام الرآفة . ومحمل الامانة . ومحل البيانة . ومطاف الطائفين . ومعرف الواقفين . وم وقف العسارفين، وقبلة المقبلين . وم ودَّل المؤملين . وكعب ة القاصدين . ومثابة الوافدين. ومعفر وجوه العظماء . ومكفر نذوب الكرماء . ومعصب السيادة القرشية . ومنصب الوراثة النبوية والسدة الشريفة الناصرية . ودار السلام . وقبة الاسلام . فابتهج السلطان بوصول الرسول وأيقن بحصول السول . وسر سره . وأبر بره . وصدر بذشر الانشراح صدره . وقدر على الاتسام بسالتسامي قدره . واحدَفل بأسباب الداقي ةالحدف باثواب الدرقي . وسال عن الرســـول المندوب . الســول المخـــول المخـــول المخـــول المخـــول المخـــول المخـــول المخــوب . فقيل هو ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينه . وصل بالضياء والسكينة ، والاحوال الحالية المزينة ، وكان وزير الخلافة يومئذ معز الدين بن حديده • فعين لهذه الرسالة ابن سكينة حين عرف

اراءه السيية • فتلقاه يوم بخوله الى دمشق السلطان واولاده • وكان يوم مشهودا حضره أعيان البلد ماثل العسكر واشهاده • وأنزله في دار الكرامة . ورتب له وظائف الاقامة • ثم جاس له في وم سعد صباحه . وبدت في جبهة الدهر البهيم غرره وا وضاحه . وملات طرفي الزمان والمكان افراحه • وجاء على وفق الأمال اقتراحه. وخدم باليمن والاقبال رواحه . وورد بكل ما ابهج الاولياء • وازعج الاعداء . وخاطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ما أعزه ٠ وثني عطف تباهيه وهزه . ورسا له طودا بالوقار في ايراد الرسالة . وجلالة في مهب المهابة انوار الجلالة . وتلفظ له بالتفضل . وتطوق منه بالتطول . وبشر بان امير المؤمنين فوض ولاية عهده ١٠ الى ولده عدة الدين ابي نصر محمد من بعده • واخذ بدناك العهد على من حضره من أعيان الامة . وحفظ عليهم بتوليته ماأ ولاهم الله به من النعمة . واستظهر بما خص به من هذه المرتبة • وامر بذكر اسسمه ونقشه في الخطبة وعلى السكة . وعاد الاسلام به ظاهر الشوكة . والشكة. وخطبنا لولى العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صدفر . ولم يبق من الامراء والاماثل والافاضل إلا من حضر • واحضر معه الدنانير ونثر • وتولى ذلك الملك الافضل فاظهر ابهمة ملكه وبهماء فضله . وحصل الاسلام من ري رأيه على نهله وعله . وندب للرسالة الى النيوان العزيز ضياء النين الشهر زوري القاسم بن يحيى . لينشر به ما كاد يعفو من سنن الموافاة ويحيى . وسيرت معه الهدايا . والتحف والطرف السنايا . وأسسارى الفسرنج الفوارس. وعددها الكوامل النفائس. وتاج ملكهم السليب والصليب • والملبوس والطيب • واضافيت على رساول الامام ملابس الاكرام. وقفل ناجح المرام. واصطحب الضيآن لاضاءة مطالع الايمان . بسفارة سافرة عن سنى الاحسان . وبشارة شائرة جنى النحل من نحل الجنان . واهتزت الاعطاف . واعتزت الاطراف • وابدسمت ثغور الثغور لسدادها . وانتظمت امدور الجمهدور السدادها . وسرت القلوب . وسريت الكروب . وخسري الحسساسد الماشد . وقوي الساعد المساعد . وواصل في طريقة الاغذاذ . حتى وصل الى بغداد • فتلقى الرسول بالسول • وقدوبل بالقبول.

وخرج اليه الموكب الشريف واضيف له الى تالد جده القديم جده الجديد الطريف. ودخل البلد واسمارى الفلرنج على هيأة يوم قراعها ، راكبة حصنها في طوارقها وبيارقهما ، وادراعهما ، وقد نكست بنودها واتعست انوفها ، وهيئت على هيأة فتوحنا حتوفها ، ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها • ثم عطف به الى دار الكرامة فنزلها ، والفى الوزير ابن حديدة قد عزل ، وأقام في بيت واعتزل ، وتصدر في الدست للنيابة ، وسماع الخطاب والاجابة ، من له المجد الاثيرة الصدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الانشاء ، وقد خص بتولي الحل والعقد والاخد والاعطاء ، فتدولي سماع الرسالة وجوابها ، وأولى صدوبها ووالي صدوابها ، وسياتي في موضعه ذكر ما انهت اليه الحال ، وجرى به القال ، وكيف شدفات العوائق وعاقت الاشغال .

فصل مما كتبته في المعنى عن السلطان الى الديوان العزيز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال . وأداه من فرض الاعظام والاجلال . وقام به من الامصر الذي قصام بسه أمصر الدين والدنيا . وبادر اليه من استثمار طاعته التي دامت لها من نعمة الدار العزيزة في إزكاء مغارسها السقيا . وحل حبا الحصب لما حصل مسن حسبائها • وعقد خنصر النصر لعزائمه على مااعتقده من ولائها . وجمع شمل السعادة الشاملة بما جمع أمره من إسعادها . واستجد عهد الجد المورق المونق بما جاد ثراه من ثرات عهادها • ونهض من الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين • وأبرم من عقد عبوديته الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقصين الناقضين . ووثق لما وافق المراضى الشريفة ففاز بما حاز من شرف الرضا . واقتضى دين الدين المراضى الشريفة ففاز بما حاز من شرف الرضا . واقتضى دين الدين الناتب وثبت على الموفاء في استيفائه بما قضى . وسبق الى ما سسبق به جواد صدقه في جواد قصده • وافتتح فريضة طاعته في حالا وة

عبوبيته بتلاوة فاتحة حمده . وأنهى الى نهاية النهي • وأطاع ماأطاق فيما أمر الله به ونهى • وماوضع الكتاب من يده حتى رفع بالدعاء يده . وسأل الله لمولانا وسيبدنا أمير المؤمنين وافد النصر ومدده • وأن يعضده بولده ولى عهده المطاع بأمر الله عدة الدنيا والدين • ويقر به عيون المسلمين . فقد فاضت البركات . وأضت المسنات . وأضاءت الكرامات • وراضت جماح الاماني المبرات المبرات . وهاضت جناح الكفر الفتكات المربيات . وعمت الميامس . وتمت المحاسن . وتمت النعم الظواهر والبواطن . وضمت بسكون . الدهماء اهلها المعاهد والمواطن ، وصححت المنابر ، وصححقت المفاخر . وصدعت الأوامر . وصدفت الفواقر . وصدمت قلوب أهـل الذفاق من بواعث الرعب والبواعث البوادر . ونقشت صدفحات الدرهم والدينار .ونعشت عثرات الأخيار الاحرار . وفرشت مفوقات الانواء والانوار • وعرشت اسرة المبار والمسار . ورفعت رغبات الابدرار • وسدمعت دعوات الاستحار ، ونزل النصر ، وفضيال العصر ٠ ووجب الشكر ، وشجب الكفر ، ورحب الصدر ٠ واصحب الدهر • وسحت سماء السماح . وصحح ارواء الارواح . وتضوع ذشر الاذشراح • وتوضع صباح الصلاح . وطال جناح النجاح . وطاب جنى الافراح . وعظم القدر . ونظم الامر . وحسن الذكر . وأمن الذعر . واهتزت اعطاف الاسلام . واعتزت اطراف الشسام . وتبلجت ايا من الايام . وتروجت اماني الانام . وأرجت أرجاء الرجال • وثبتت باسناء الأسناد رواية أمالي ري الامال . وقدرت الأعين وابتهجت بالسعد الطالع • وأقرت الألسن والتهجت بالحمد الجامم . وقرت الأذفس وانتهجت بوسعها سنن العــز الواســع ٠ ونابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المسارع في ذفع الأوام (٣١) ونقع الانام مناب المنابع • والخصصة السمير وسميرت التواريخ • وخلقت ملطفات البشائر ليوجب تفخيمها وتضخيمها التضميخ . واشرق المفرب من بشر البشرى . وأنارت مصر من حسن هذه الحسنى . وبسامت بسامة الشرف منابار الأقاص والأداني . موا فقة لمنبر المستجد الأقصى . وتتطرزت الفتروحات القاضل عصرها • الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب ، وقاحت في

مهاب المحاب نفحات هذا الزمن الأطهر الأطيب . وعاد الزمان الي اعتداله . وعاذ العدل بزمانه . وتاب الدهسر مسن عدوانه . وآب إلى احسانه . ورجع الدين إلى سناء سلطانه . وفجع الكفر بعبدة صلبانه . وبطش الايمان بايمانه . واستخلص من الشرك بلدانه بلدانه . ودقاضي الربيع بقروضه . وضافت ضيوف فيوضه . وعتب العزم على ربوضه . وحض الخط ، على نهوضه . وحث الحب على اقامة سيسسنن الجهسساد وفسيروضه . فقسسد درت افساويق الآفساق . وذرت اشعة الاشراق . وافتسرت نضرة الحدائق لنظـرة الاحـداق. وراقـت أوراق الألوية كالتـواء الأوراق. وأزهرت البيض والسمر كازهار الرياض. وانف غرار الجفون في الاغماد من الاغماض. وتيقطت الاقدار للاقدار على أيقاظ عيون البيض لأجراء دم الشرك المطلول. وتنزل البركات في انتجاع المراق من تجيع المارقين لا تنزال نص النصر على النصل المسلول . وقدد أن أن تدرعي المشداشات منهدم على رعى الحشيش . ويطير الى اوكار المقدل طير السهم المريش . وتدرتع ثعالب العوامل في عشب الكلى . ويطن ذباب المناصب في لوح الطلى . ودرن رقاق المرهفات في الرقساب رنين الخصطب على الأعواد . وتذوب قلوب علوج الكفر مـن نار الرعب ذوب الثلوج على رؤوس الأطواد . وتحمل اشجار القنا بثمر الهمام . ويجيش الفضاء المعشب بسرهر الجيش اللهسام . ويقسطف ورد الموت الأحمر . من ورق الحديد الاخضر . ويوقف حد الهندي الأبيض على قصر بني الأصــفر . ويجــرى في ورد الوريد جـــد اول البواتر . وترمى من الحصون العابيات الى حصون العدا جنادل الحوا فر. وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المضافر ضوا من الضوامر . وتتلى عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان الجو بالفتخ الكواسر ، ويعبق ثوب الدارع من ردغ الشواب بسهك الماذي . وتعلق في ملتقى التقسى الفات السممري . بسلامات السابري . ويظهر الحق بخذلان الباطل . ويحل بأيدي الأيد ما بقي مع الفرنج من معاقل المعاقل . ويغرق بحر المجر الجرار ما تخلف

من ساحات الساحل. فلم يبق به من المدن المنيعة الا صور وطرداس. ومعالم الكفر بهما في هذه السنة المحسنة بعدون الله تدرس. وأما انطاكية فانها بالعراء منبونة . وعند الاتجاه اليها مأخونة . على أنها بوقم قومها عام أول موقونة . وحدود العزائم البها عند انقضاء هننتها مشدونة . فانها قدد نقصدت مسن اطرافها . ودخل عليها من اكنافها . وجدعت بفتح حصدونها عرانينها . وضيق على اسدها وسيدانها المحصورة المحشورة فيها عرينها . فهي نهـزه لفتـرض . وطعمـة لقتنص . وسـلعة السترخص . وبلغة الستفحص . وقد خرج الخادم ليدخال البالاد . ويستأذف بجهده الجهداد . ويستقبل الربيع بدربيع الاقبال. ويستنزل ملائكة النصر من سماء الرحمة لأوقات النزال. وهو يرجو بيركة هذه الأيام الزاهرة من الله أن ينجد جند ارضه بجند سمائه . ويوفق الخادم لتصديق امله في تسطهير الأرض من انجاس اجناس المشركين بدمائهم وتحقيق رجائه . فالجحافل حافلة . واسراب الكفر بين يديها جسافلة . ومعساطف الاسسلام في لماس الباس را فله . ونصرة الله بانجاز عدائه في قمع عداته كافله . والحمد لله الذي وفق عبد مدولانا أمير المؤمنين في طاعته لنصر أمره . وإخلاص الولاء في سره وجهره . واقتناء كل منقبة حقق بها فضل عصره . وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره فما يفتح مرتجا الا بتقليدها . ولا يستنجح مرتجى الا بتأييدها .

ذكر خروج السلطان من دمشق لاجل شقيف ارذون وما جرى له مع صاحبه

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق. وقد اطاب لمناشق الأمسال من نشره النشق . ثم خسرج منها في ثالث شهر ربيع الأول يوم . الجمعة . بالمحبة المجتمعة والمهابة الممتنعه . متـوجها الى شـقيف ارذون . ليقر بفتحه العيون . ويصدق في استخلاصه الظذون . وأتى مرج برغوث . وأقام به الى يوم السبت حادى عشر الشهر ينتظر من عساكره البعوث . ثم رحل على سمت بانياس . وقد ا وقع رعبه بين اهل الكفر البسأس . وأتسى مسرج عيون وخيم منه بقسرب الشقيف . وجمع على من بسه مسن آلات المصسار اسسباب التخويف. وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول في أواسط فصــل الربيع ، وأقـام في ذلك المرج الوســيع ، والروض الوشيع . وأسمنا الخيل في اعشاب واصية . ورتعنا في الطاف من الله دانية غير قاسية . وكان الشقيف في يد مساحب صيدا ارناط . وقد أكمل في حفظه الاحتياط . فنزل الى خدمة السلطان لحكمه طائعا . ولأمره سامعا . ولرضاه تابعا . وفي موضعه شافعا . وعلى حصنه خاشيا ولأجله خاشعا . وسأل ان يمهل ثلاثة أشهر يتمكن فيها من ذقل من بصور من أهله ، وأظهر أنه محترر أ من علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله . وحينئذ يسلم الموضع بما فيه . ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه . ويخدمه على اقطاع يفنيه . وعن حب أهل دينه بسليه . فلاكرمه وقلربه . وقضي اربه . وأجابه الى ما سأله . وقبل منه عزيز ما بذله بذله . وأمهسى (٣٥) غَرب رغبه وأمهله . وأخذ له وما خدذله . وخلع عليه وشرفه . ورفعه في ناديه بنداه وعرفه . واقتنع بقه ولم يأخدن رهينه . ووجد اليه سكونا وعنده سكينه . فشرع ارناط في ازالة حصىنه ، وازالة وهنه . وتــرميم مســـتهدمه . وتتميم مستحكمة ، وتوفير غلاله ، وتوفية رجاله ، وتدبير احواله ، وتكثير امواله ، ونحن في غرة من تحفظه ، وفي سنة من تيقظه ، وفي غفلة

من حزمه . وفي غفوة من عزمه . وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميرة . ويكالر فيه الذخيرة . وقسد صسدةنا كذبسه . وحققنا اربه ، وانهي الى السلطان ما هو مشــتغل بــه مـن عمـارة يجدها . وذخيرة يعدها . وثلمة يسدها . وقدوة يشدها . وميرة يستمدها . وكان بالمذكور سديد الظن . شديد الضن . لا يقبل مسا فيه يقال . ولا يظن به عثورا يقال : فلما كثر فيه القول . وتمكن من مسألته العول . لم يرد أن يبدي له ما قيل . ولم يصدىء بالتغير عليه وجه جاهه الصقيل . فأمر بالانتقال من المرج الى سنطح الجبل ، وتحويل الخيم اليه والثقل ، وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة وأظهر ان المرج وخيم ، والمقيم به سعقيم ، وأم الدهر فيه بالصحة عقيم . وكان المقصدود أن الشدقيف مدن عيانه يقرب ، واخباره عنه لا تعرب ، فلما علم صاحب الشرقيف بقربه . شرع في ازالة ما في قلبه . وجاء الى الخدمة . واستمسك بالعصمه . وذكر انه متعـــزز بـــنل الطــاعة . وبـــنل الاستطاعة ، وتضرع خاضعا ، وتعرض خاشعا ، وذكر انه تخاف له اهل بصور . وانه كان زمان غيبته يرجو منهم الحضور . وانه يترقب وصولهم ، ويأمل عنده حصولهم ، وشرع في تقرير هذا الحديث . وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده الذكير الذكيث . واقام بوما وعاد الى حصنه . وقد وجد من السلطان دلائل امنه . وكانت المدة قد بنا انتهاؤها ، وقرب انقضاؤها ، فانها الى أخر هذا الشهر ، ولم يجد بدا من التسليم أو الغدر فعاد بعد أيام . باكتئاب واغتمام . وحضر عند السلطان فقد ال مدا اظهدر بديه الابتهال . واستزاد الامهال . وذكر انه رقيق الامتنان . وعتيق الاحسان وأنه العبد القن . وقد بخل عليه الوهن . وغلق به الرهين وانه يبقى أهله معتقلين بصور إن خرج منه الحصن . ومن انشا غرسا سقاه فأبقاه . وأشكاه فأزكاه . وأسماه فسانماه وقسد اصطنعتني ورفعتني فلا تضع الرفيع . ولا تضع الصنيع . وسال ان تكون المده سنه . وان يتبع الحسنة في حقه حسنه . وان يرخسي بطوله طوله . وان يشفى بشفاء ألمه أمله . فراقه قدوله . فدرق له طوله . ثم ا فكر في أمره . واستمر في فكره . ففادر على عزيمة

غدره . وجاهر بسر شره . بعد ان ماطله وطاوله . وزاوله على مسا حاوله . وأقام أياما يردده . ويخصه من الكرامة بما يجدده . شم كشف له الغطاء . بعد أن أجزل له العطاء . وقال له قد قيل عنك ما لا نظنه فيك ولا نعلمه منك . فجحد ما عنه رقسي . وانه كيف يلقسي بالكفران ما من الانعام لقي . وأنه لم يسعد بامهاله في الشقيف شقي . ثم سأل في ندب مسن يوثسق بسامانته . ويؤمسن الى وثاقته . ليدخل الموضع ويلمحه . ويحضر بوصدف ما شاهده ويشرحه . فرجع المندوبون بخبر ما أبصروه . وذكروا أن الحصن قد غيروه . وانه قد استجد في سوره باب . واستمدت له من احكام احكامه اسباب . فاستحكم به الارتياب ، وعرف أن السرح قد حوته الذئاب . فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم . وقيل لعله يحسن فلا يحوج الى عقابحته ويسلم . ثم قيل له قد بقي يومان من المدة المضر وبـة ، والمهلة الموهـوبه ، فتقيم عندنا حتى تنتهـي المدة وتذقضى . وتسالم الحصان وتسالم وتمضى . فاأبدى ضرورة وضراعه . وقال سمعا وطاعه . وكان له ملقى وملق . وفي لسانه زلق. وما عنده من كل ما يفرق منه فرق. وقال انا اذفذ الى نوابى في التسليم . وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم ، فأظهروا عصبيانه . وقالوا يبقى مكانه . فقال قد بقى من المهلة يومان فمساذا العجلة التي يفوت بها الفرض . ويطول منها المرض . فصحبر عليه الى يوم الأحد ثامن عشر جمادي الآخرة وهـو أخـر مـدته ، وأول شدته . وأوان انقضاء عدة عدته . وقد رتب على الشقيف يزك يمنع الخروج والدخدول ، والصحود والنزول ، ويضحايق غريمحه المطول. قبل أن يمتد حصاره ويطول. وحمله جماعة من الامسراء ووقفوا به ازاء حصينه . فناداههم في درك امسره . وفسكاك رهنه . فخرج اليه قس قاس . باسرعن باس . فحادثه في حادثه بلغته . ونافثه في كارثه بغلته . وتحساورا في السر . وتشاورا في الشر . وكأذما امره بالتجلد . وصبيره على التشدد . وعاد القس الشقى الى الشقيف . وترك صاحبه عانيا بالعناء العنيف . فقيد وحمل الى قلعة بانياس . وبطل الرجاء فيه وبان الياس . شم استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخدويفه . على

ان يبلغ المراد في شقيفه . فلمسا لم يفسد خسطابه . ولم يجسد عذا به . سيره الى دمشق وسجنه . وألزمه شجاه وشجنه . وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبال يوم الأربعاء تامن رجب لحاصرة الحصن . ورتب له عنة من الأمراء . وامرهم بملازمته في الصيف والشتاء . الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم . وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحلم .

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال وماكان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الأسر ، وقالوا نحن في جمع جم خارج عن الحصر . وقد تسوا صلت الينا امداد البحر . فتربنا للثار ، وأعرنا من هذا العار . وجاء من كان بطرا بلس وخيماوا على صلور . وفسارةوا بسالا ستطالة القصىور . وجسرت بين المركيس المقيم بهسسا وبين الملك مرا سلات . وحالت بين اتفاقهما حالات . فلم يمكنه من بخدول البلد . ولج معه في اللدد . واحتج بأنه من قبل الماوك النين من وراء البحر . وانه منتظر لما يبرمونه من الأمر ، ويصله من الأمدر ، ثدم اتفقوا على أن يقيم بصور المركيس . ويدوم منه لملكهم التما سيس وللكهم التأنيس . وانهدم يجتمعدون على حدرب المسالمين وقتالهم . يتساعدون على رم ما تشعث من احوالهم . ويتعاقدون على حل اشكالهم . ويتعاضدون في تسبيد اختـالالهم ، ويقصدون بلدا اسلاميا من الساحل . ويقيمون عليه بالنوازل اقامة المنازل . والمركيس يمدهم من صور بالمدد بعد المدد . وبجميع ما يحتاجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد . فأجمعوا على هذا الرأي . وبلغوا في الغي الى هذه الفساى . وشرعوا فيمسا شرعوه . وفسرعوا ذروة الأصل الذي فرعوه . ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى

الأولى من اليزك . أن جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر الى المعترك . وانهم على قصد صيدا المصر . وقد جسر وا على عبدور الجسر . فركب السلطان في الحال فيمن خسف من ذقسال الرجسال واقتال القتال . وأطلاب الابلطال . وانجلاد الاجناد . وأجلاد الجلاد . والباذلين المهم للجهد في الجهاد . ووصال الى الملتقسي والشغل قد فرغ . والسيل قد بلغ . والصدمة قد وقعت . والوقعة قد صدمت . والثورة قد نثارة . والسورة قد اسأرت ، قان اليزكية لما شـــاهدت جــساهدت . وتعــساقدت على لقـــائهم وتعاضدت . وخالطتهم . وباسطتهم . وواقحتهم وواقعتهمم وجالدتهم وجا ولتهم وحساردتهم وحسا ولتهم وردتهام مفاولين مخذولين . ومسدتهم منهسزمين مثلومين . وقسرتهسم وكسرتهسم واسرت سرائهم . وبزت بزاتهم . وقنصت عقبانهم ، وقصدمت شجعانهم . وصادت صيدهم وفرست فرسانهم . ووقع في الاسر من سباعهم سبعة . وغودرت للنسدور من اشلاء المارقين بسالمازق شبعة . واستشهد من المماليك الخواص ايبك الأخرش . وقد كان شهما بالوقائع يتحرش . وثبتا بالروائع لا يتشدوش وانيسسا بسالحوادث لا يتـــوحش. وكميا كميشـــا بـــالكوارث لا يذكمش . وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان . وكانت الدائرة على اهل الشرك والطغيان . وعاد السلطان الى خيم ضربت له بقرب اليزك . وقال لعلهم يعودون الى ذلك المعترك . فدستدرك ما فرط من استنصالهم واجتنائهم . وقد ندم الفرنج على ما ندر من اجترائهم وانبعاثهم ، وأقام ألى يوم الأربعاء تأسم عشر الشهر . والأسلام بقوة ظهوره على الكفر قوي الظهر ، وركب في ذلك اليوم ، ليطلم من الجبل على القوم ، ولم يكن له نية القتال . فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال . وتبعه راجــل كثير مــن غزاة البــلاد بغير علمه . وظنوا أن السلطان أنما ركب للقتمال وعلى عزمه . وكان الفرنج قد بصروا بالراجل فطمعوا فيه . ثم ظنوا أن وراءه عسكرا في الكمين يحميه . وذفذ السلطان بعض الأمراء الى الغزاة الرجسالة ليعودا فما قبلوا . وحمل عليهم العدو فما سروا وقتلوا . وختمت بشهادة اولئك السعداء ذلك العشية . وذفنت من الله في استشهادهم

الشية . وحمل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة اردتهم وردتهم . وصدقهم عن الجرأة وصديتهم . وتدزاحموا على الجسر . ففرق منهم زهاء ثمانين في النهر . وكان يوما علينا ولنا . جنى المنا واجنى املنا ، وللحسرب رجسال ، والحسسرب سجال . ولم يكن لأولدك الفرباء بقتال الفرنج دربه ، واقدامهم على العدو لله قربه . فخاضوا من الدم في اللجج . واعتاضوا الجنة من المهج . وممن لقي الله بالشهادة ، وخدم له بالسعاده ، الامير غازي ابن سعد الدولة مسعود بن البصارو . وكان شابا لنار الحرب شابا . ولدين الرب رابا . ولما شاهد ما تم من الغـزاة ، انقض في اصحابه على الفرنج انقضاض البيزاه . فيدعته جنتيه ، الى طعنة لبتها لبته . فاحتسبه عند الله والده . وكدرت عليه موارده . وأوجد جمعنا الأسى على فقد ذلك الواحد . وساء عدم الساعد . وبتنا نشكر مساعى ذلك المساعد . وضاقت القلوب ، وفساضت الكروب ، وألم البوس . وألمت النفوس . وهذه وقعـة ندرت . وواقعـة بـدرت . وننير حدث وحادثة انذرت . فلم يصب الكفيار من الحسامين منذ اصيبوا غير هذه الكرة . واذا قونا بعد أن حالا لنا جني الفتوحات مرارة هذه المرة . فايقظتنا من رقدة الغيرة . وأخيد الناس حذرهم . ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم . ثم رجعوا الى الله وقالوا بهذا وعد الله حيث قال: (فيقتلون ويقتلون) (التوبة ١١١) وعباده هم النين يتبعون امره ويمتثلون . ثم قويت عزمة السلطان على قصدهم في مخدمهم . وكبسهم في مجثمهم . وعبور الجسر اليهم . والاحداق بهم من حواليهم . وشاع صيت هدا العدرم وصوته . وسارع الناس الي موسمه ، وخشي فوته ، وتسامع اهسل البلاد . بتصميم عزيمة الجهاد . فتباشروا وتبادروا . وتسابقوا وتسارعوا واتوا من كل فج . وجاءوا من كل نهج . وسالوا في كل واد . وجالوا في كل بقاع ووهاد ، ووا فات ملطوعة دمشاق وحوران . يجرون الى مر الموت، ويجرون المران . ودوا فد من بالمرج والقوطة . على الحالة المغبوطة . وقالوا هذا اوان احضار الضوامر المربوطة . واجتمعت بمرج عيون . جموع مرجت العيون . فضافت الفرنج من هذا الجمع . وانافت على القمع . وتعكست الى سدور

صور . وعاين اولئك البور البثور . وتحرزوا وتحرسوا . وتوجلوا وتوجسوا . فاقتضت الحال تأخير قصدهم . ليتمكن على غرتهم حشدنا من حصدهم . وعاد العسكر الى المخيم وسار السلطان الى تبنين . صبيحة يوم الخميس السبابع والعشرين . لتفقيد احوالها . وتأمل اعمالها . وعرض رجالها . ثم سار منها الى عكا جريدة . ورتب في عمارتها وولايتها احوالا سنيدة . ووصى رجالها بالاحتياط والتحفظ . والاستظهار والتيقظ . واسرع عودته الى المعسدكر . عظيم المفضدر كريم المعشر . مصدوفق المورد والمصدر . مقرظ المنظر والمخبر . وأقام الى يوم السبت سادس والمصدر . مقرظ المنظر والمخبر . وأقام الى يوم السبت سادس جمادى الآخرة . وبحر مخيمه يموج بامواج العساكر الزاخرة .

ذكر ما تم من استشهاد عدة من امراء العرب

وانتهى الينا أن الفرنج ينتشرون في الأرض . وينبسطون في مـوضع القبض . ولايتحقيظون في الرفع والخفض . ويحتيطبون ولايحاطون . ويحتشون ولا يختشون . ويجذون تمار الحيل . ويجذون على ما يصادفونه باذواع الغيل . وهم في غرة من غاره . وفي جسارهم تعود عليهم بخساره . وفي غفلة تجور عقله . وفي ضله ترفع عليهم من العداب ظله . وانهم اذا خرجوا للاحتشاش والاحتسطاب . وانتشر والضها الاعشهاب مهن الشعاب . خرجت وراءهم خيل تلحظهم على بعد . وتحفظهم مسن متعد . وذفذ السلطان الى خيل تبنين . وامرهم بأن يصبحوا اولئك الملاعين . فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا قدامها ووصلت بها الكمين . وذلك يكون في صـــباح الاثنين ثــامن الشـــهر المذكور . وواعدهم على هذا السر المستور . وذفذ الى عسكر عكا ليكمن في موضع عينه . ولا يظهر مكمنه . حتى يكون من وراء القوم . مستعدا لما ينالهم من الوقم . وسار السلطان ليلة الاثنين على الموعد . مصدقا للمقصد . وصادف خيل تبنين قد اغارت واثارت وابرت وابارت . فعبر تبنين وكمن بين صور وبينها . وعين اليزكية وأوقظ عينها . ورتب ثمانية الهلاب من الابطال . وكمن بتلك الارجاء كماة الرجال . وانتخاب مان كل طالب عشرين فارسا اجوادا على الجياد . واجلادا في الجلد على الجلاد . فامرهم بان يتراءوا للفرنج حتى تصل اليهم وتحمل عليهم . وهـم يفرون قدامها . ولا يقرون امامها . ويجذبونها الى قرب الكمين ويوقعونها عليه . ويوا قعونها اذا حصالت بين يديه . ففعلوا ما به امروا . ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا . وانفوا من ان يقال عنهم فروا . بل جالوا فيهم وكروا . واتصل القتال واشتد . واحتدم المصال واحتد . وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جمرات الصفاح . وفارت غمرات الكفاح . وثارت غبرات البري . ودارت عثرات الثرى . وانحلت عرى اللمم .وانحطت نرى القمه . وعدم كل قرن قراره . وكل جفن غراره . ودام نهارنا يجرى بانهار الدم انهاره . وعرف من بالكمين أن الحرب قد أشتبكت وأن الأسلد قلد اعتركت . وان البرك قد ارتبكت وابتسركت . فتسواصل انجسسادا للانجاد ، وتراسل امدادا بعد الامداد ، فلمنا رأى العدو أن المد يكثر والعدد يكثف . وان عساكرنا لا تتدوقي ولا تتدوقف . صدمم العدزيمة . على الهدزيمة . وعلم أن النجماة عين الغنيمة . فثني اعطافه . وضم اطرافه . ورد احسلافه . وجسرت بين الفريقين مقتله . عادت ارض المعركة بها وهي مذقلة وكان قد حمال العارب على وعد العود الى الكمين . والرجوع الى أسد ذلك العسرين . ولم يكن لهم بالطريق خبرة . ولا عبرت مرت الطريق خبرة . عبره . فتطاردوا بين يدي الفرنج في واد ما له ذفاذ . ولا لسالكه الى منهج ملاذ . وراهم العدو فعددا وراءهدم . وسسار بجمعه ازاءهم . فلما انتهاوا الى الجبال ادركوا . ولم يقادروا ان يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا . وا قبلوا على الله فقبلوا . وهم الامير زامل بن تبل بن مــرى بـن ربيعــة امير النقــره . وسرى الاسره. والامير حجى بن منصور بن دغفل بن ربيعة . والامير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مرى بن ربيعة وآخر معهم. فهؤلاء أربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع . وقدر لهـم في رياض النعيم رتوع ، وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز ، وانتقلوا مسن العسز الفاني الى الباقي من العز . وكان معهم من المماليك الخواص . من ذوي الجد والاخلاص . تركي عربي النخوة . غضنفري السطوة . فلما حصل في المضيق . وأيس من الطريق . نزل عن فرسه على صخرة بنحوه . ونثل بين يديه كنانته . فارعا لذرو ه . وقد اوتر قوسه وسدد اليهم سهمه . وقبل قضاء الله وحكمه . وحن الى منيته من حنيته . واصاب منيته مسن اصصاء العصدو في المصاب بامنيته . فوقفوا عنه بعيدا حين خافوا قربه . ومازالوا يطعنونه ويرمونه حتى ظنوا انه قضى نحبه . فأصبح . وقد نزف دمه ، وترجح على وجوده عدمه ، ولما قيل انه استشهد وطلب ليلحد ، رموق وبه فوات الوفاة ، فأحياه الله بعد ان أماته ، وجمع أعضاءه عليه وقد شارف منها شتاته ، وأنشاه خلقا جديدا ، وأوجسده في أجله مزيدا ، وهو أيبسك الساقي زاده . ماجرى اجتسراء على مزيدا ، وهو أيبسك الساقي زاده . ماجرى اجتسراء على الاقدام ، واجراء الى مضمار الحمام ، فما سمع بعد ذلك هيعة الا

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليها

وصل الخبر يوم الأربعاء تسامن رجسب ، ان العسدو قسد ركب ، وأجلب بخيله ورجله ، وطار بجسراد جسرده . ودب دباه في رجله ، وسرحت ذئابه ونجست كلابسة ، وجساش عرام جيشسه العرمرم ، وطاش الى أهل الجنة بأهل جهذم ، وذوى القسرب مسن الذواقير ، وأضرم بنار السعير مساعي المساعير ، وهو على قصد عكا يجري الى المدى بسرأي جمعه المدامير ، وأن نفسرا منهسم نفر ، وسبق الى الذواقير وعبر ، ونزل باسكندرونة ، واستباح طرقها المصونة ، وهناك مسن المؤمنين رجسال يجمسون طسرف الثغر ، ويضمون ذشر الأمر ، ويصمون نحر الكفر ، ويجبون غارب

الشر، ويجوبون جانب البحر، ويطوفون للحدراسة، ويطولون بالحماسة، فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها وعاقدروها وقد المعارعوها، وأهلكوا عدة وملكوا عدة، ولما تسلكاثرت أعداد الاعداء، استظهروا بالانكفاء عن الأكفاء، وتدافعوا بعددما دافعوا، وتراجعوا بعد ماراجعوا، واطلع السلطان على خبرهم وعرف ذفور ذفرهم، فكتب الى العساكر الدانية بالدنو، وللعدو على العدو فتوافدوا للميعاد، وتوافوا للاعتضاد، وتسوفروا للجهاد، وتوافقوا في الناء المراد بابعاد المراد ورحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الأحد، وافية المدد، وافرة العدد، ونزلت على عين بصة، ولقد شاهد دركات جهذم من شاهد تلك الرحاب المغتصة،

ووصل اوائلهم الى الزيب . واجابوا داعية الصليب ، فاصبح السالطان يوم الاثنين على الرحيل ووصل العذق بالذميل. وكان النقل قد سار من الليل وجرى على طريق الملاحة في الأوبية جري السيل، وسرنا على جب يوسف الى المنية، أخذين بالحزم تاركين الونية . وجئنا عصر يوم الشلاثاء والسلطان نازل بأرض كفسر كنا ، وبتنا بها ذلك الليلة وسكنا ، ثم اصبح يوم الأربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبال الغاروبة ، واطلع منها على الاسرار المحجوبة ، واشر ف على العدو النازل ، وبنا حزب الحق من حــزب الباطل، وكان عدة من الأمراء ساروا على طريق هونين، والفرنج مقابلين مقاتلين ، فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في طريقهم من القوم، ونزلنا في ارض صفورية بالانفال، وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني القتال ، وكان من رأى السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ، ولم يزل رأيه بذور فطنته وطيب فلطرته أذكى وازكى ، أن يسايرهم في الطريق ، ويوا قعهم عند المضيق ويقسطعهم عن الوصدول ، ويدفعهدم عن النزول فسانهم اذا نزاوا صحمعب نزالهم ، واتعب قتالهم . واذا ذبتوا تعددر حصيدهم ، وإذا ثبتوا تعسر قصدهم ، وإذا لصقوا ببطن الأرض صماروا كالقراد ، وإذا خلقوا في جو الدو طاروا كالجراد، فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند الانحصار يتمكن احتياطهم . فقالوا له بل نستقيم على السنن

القويم، ونطلبهم طلب الغريم، وماأهون قطعهم اذا وصلنا واعجل ادبارهم اذا أقبلنا ، والطريق قبالتهم وعر ، وللمقصر عن التطاول فيه عذر ، فذمضي على اسهل الطرق ، ونسد فلقهم بالفياق ، وتبين لنا بالعافية أن الرأي السلطاني كان أصوب فأن نزالهم عند نزولهم صار اصــعب، ونزل الفـرنج على عكا مــن البحــر الى البحر ، محتاطين بالانحصار . محيطين بها للحصر . وضرب الملك العتيق كي خيمته على تل المصالبة ، وربطت مراكبهم بشاطىء البحر فكانت كالأجام المؤتشبه ، وبعث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكا بعثا بخلها على غرة من العدو ، وتواصلت البعوث اليها التي هيي على التزايد والذمو ، حتىى استظهرت بقسوتها . وقسويت باستظهارها ، فلما اجتمعت العساكر ، واتصلت بالاوائل الاواخر . كمى جيشه طلبا طلبا ، وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا ، وسار بهيأته وهديته ، وانزل العسكر على تعبيته ، ونزل بمصرح عكا على تل كيسان في ذوي اختصاصة ، وقد نصب من خيامه عليه اشراك اقناصه ، وامتدت الميمنة الى تل العياضية والميسرة الى نهر الماء العذب، قدارت رحى الحرب ودام كر الكرب، وطاب طعم الطعسن والضرب، وطافت كأس البأس بمدام الدم على الشرب، ووافي للأنجاد عسكر الشرق ماضي الغرب، وصرنا محاصرين للمحاصرين مكابرين للمكابرين ، قد أحسطنا بسسالعدو وهسسو بسسالبلد محيط ، واستشطنا منه وهو مستشيط ، واحدقنا باولتك الكفرة احاطة النار بأهلها ، ومنعنا الطرق من ورائهمم في وعرهسا وسسهلها ، ورتبنا بسالزيب والذواقير رجسالا يصسدونهم عن سبلها ، ودمنا نصابحهم بالقتال ونماسيهم ، ونرا وحهام ونغاديهم ، ونعـاودهم ونبـاديهم ، ونقـدم بعــوادينا على عوابيهم ، ونصيدهم ونصيدمهم ، ويوجيدهم البحير ونعدمهم ، ومازالت مراكبهم تتواصل . ومناكبهم تتطاول ، وأهـل الجزائر من أهل الجـزائر متـوا فرون متـوا فدون ، متـرادفون مترا فدون ، قد لفعوا وجه البحر بذقب السفن ، وجدنبوا بالقلوس على ثجبه عران الرعن ، والقوا على تياره بسط البطش . وحملوا على البحدر أوزار النجس . وتبالهم وتعسا . فانهم زادوا على

رجسهم رجسا ، وبقى القتال بينههم وبين اليزكية ، كل بكرة الى العشية ، الى أن وصل الملك المظفر تقى الدين عمر ، ومنظفر الدين كوكبورى الأسد الغضدنفر ، فاستظهرنا بهمسا وبعسكرهما الدهم، ووصل مقدموا الرجال في الجمع الجم، واستدارت الفرنج بعكا كالدائرة بسالمركز ، وزادوا مسن جسانينا في التحسيرس والتحرز، ومنعوا من الدخول والخروج، ولج ا ولئك العلوج في ضبط طريق الولوج ، وذلك في بوم الأربعاء والضميس أخسر رجسب لانسلاخه ، والاسلام ينابينا باستصراخه ، وأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته ، واستقلت أياته ، وعز عزمه ، وعلا حكمه ، ومسامنا الا مسن اسرج الجسارد وجسارد السريجيات ، وعاج بالاعوجيات . واشرف بالمشرفيات ، وبرز باعتقال الربينيات ، وربيان العقيليات ، وأزكى المذاكى وقــرب المقربات ، وقد سن سنان لدنه ، وجن جنان قرنه ، وساف سيفه ردع الدم، وضاف جاوده مضايف العادم، وأقبلنا والنصر مقبــل ، والظفــر متهال ، والميمنة والميسرة بــاليمن واليسر ممتدتان ، والقلب له من التأييد والتمكين جناحان ، واتفقت الآراء واجمع الأمراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة ، عند قبول الدعوات المرتفعية ، ومناب منابر الاسسلام عن أهله في جميع بسلامه ، واجمساع الالسمنة والقلوب في الضراعة الى الله في نصرة المجاهدين من عباده ، وأحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم ، وكدر عليهم صفو مشاربهم ، وفلل مضاء مضاربهم ، وهم في مدواضعهم واقفون . وعلى مصارعهم عاكف ون ، وفي مدواطنهم ثابتون وعلى مواطئهن ثابتون كالبنيان المرصوص ما فيه خلل ، وكالحلقة المفرغة ماإليها مدخل، وكالسور المحيط ماعليه متسلق، وكالجبل الأشم ما فية متعلق ، فزحفنا اليهم فلم يبردوا وقربنا منهـم فلم ينزحـوا وحملنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها ، وأنخنا لهم مطايا المنايا فهان عليهم أن يمتطوها ، ودامت الحسرب قسائمة ، وبيمة الدم دائمة ، وكلما قتل واحد وقف آخر مقامه ، وخلف نظامه حتى بخل الليل وحجز ووعد النصر مانجز ، وحزب الحق ماعجز . فأصبحوا يوم السبت على الحرب كما امساوا ، وزادوا على ماجرى امس

وأهلوا عنه وأنسوا ، قما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شـمس الظهور ، واصبحت شمس الجمهور ، واستضاف ذورها مستفيض الذور ، وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شبيدة ، كانت لمن قسدامهم مسن الفسرنج مبيدة ، وفسرشوهم على ذلك التلول ، وردوا مضاربهم من فلهم بادية الفلول ، وانهزم الفرنج الى تل المصلبة نحــو القبـة ، وثبتـوا عند الوثبـة ، وأخلوا ذلك الجانب، وخلوا تلك المذاهب، وقلعت خيامهم. وقطعت أطماعهم عنها ، وانفتح لنا طريق عكا . ودخلها الرجسال وحملت إليها الغلال ، ونقلت اليها الأحمـال ، ودخـال العسـكر اليهــا وخرج ، وانشكف ضيق حصرها واطلع السلطان على الفرنج من سورها ، وشرع في تدبير أمورها ، وخرج عسكر البلد للموازرة على قتال العدو العادي ، وتـرك الهـوادة في قصر القصر ، والهـوادي والقرنج قد رهبوا ، ولو قدروا هدربوا ، ولكن اصدحابنا رأوا أن انفتاح باب البلد غنيمة ، وانهم أي وقت ارادوا كانت منهم عزيمة -ومن العدو هزيمة وتـوقفوا على الاتمـام ، وتقــدموا عن مقــام الاقدام ، ولو أنهم استمروا في الحرب على هيأتهم وهيبتهم ، لباء الاعداء لنجحنا بخيتبهـم ، فسان الصسدمة الأولى أخسسافت وحافت ، ونافت بقاء القوم وعلى هلكها انافت ، ولكننا تـركناهم حتى عادت اليهم الأرماق، وعاود فرقهم الافراق، وابصروا مابين ايديهم وما خلفهم . وازالوا فيما بينهم بالموافقة خلفهم . واثبتوا في مستنقع الموت ارجلهم . وراوا أن الوقت قد أمهلهم . وقال أمسرا ونا هؤلاء قد سهل امرهم ، وخميد جميرهم ، وقيد حص ريا شيهم حصرهم، وهسم في قبضستنا اي وقست اردنا، ولقصسدهم تجرينا ، وقالوا نصبر إلى الظهر ونمضي ونستي الخيل ونعرود وحينئذ يشتغل بهم العدم ويفرغ منهم الوجدود ، فانصر فوا على وعد العود ، وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود . وبلع العدو ريقه ، ووجد الى الجلد طريقه وجمع بعد التفرق فريقه ، وضم عن الانتشار راجله ، وزم رامحه ونابله ، ووقفوا كالسور من وراء الجنويات والتراس والقنطاريات ، وقد صوبوا الجروخ وفوقوها ، وجمعـوا العدد وعلى الرجال فرقوها ، كانهم في الدروع أراقهم ، وفي المجان

علاجم، وفي النهوض قشاعم، وفي الضراوة ضراغم، واختلفت الآراء مع العلم باحتراسهم وتسترهم بتراسهم، فمنا مسن يقسول نصبحهم بالزحف، ونزورهم بالحتف، ويترجل الأمسراء فيتبعهم الأصحاب. وتنشب من أسادنا في تلك الخنازير من النشاب الأظفار والأنياب، ويتصل الطعان والضراب، فننسسفهم ولو أنهسم جبال، ونطفىء نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال.

ومنا من يقول يدخسل راجلنا الى البلد . مستعدا بالاهب متاهبا بالعدد . فاذا زحفنا اليهم . واوجفنا عليهم . خرج مسن في المبلد مسن العسكرية والراجل . ونازلناهم من امامهم ومن ورائهم بالنوازل . فلا تطرف لهم بعدها عين ، ولايبقى للدين بعد درك الثار منهم دين . ومنا من يقول لابل نفرج عنهم . ونبعد منهـم . فمـا دمنا على هــده المضايقة والمسابرة .والمساققة والمساصرة .والكابسدة والمكابرة . فانهم يتيق ظون وينتبه ون . ويتحف ظون ولاينه ون ويتحرزون ويتحربون ويتوجاون ويتوجمون . فاذا ارخينا طولهم واوسعنا املهم . استرسلوا بعدما استبسلوا . واستقبلوا الدعة بعدما ماا ستقلوا . واطمانوا فطمعوا واذا ابطأنا تسرعوا واغتسروا بانا على غرة فأغاروا . وظهرت لهم السار ركوبنا عنهم فظهروا وثاروا . فحينئذ حينهم يحين ، وشينهم يشين . واذا ظهروا ظهـرنا عليهم . ومتى اصحروا اصحرنا اليهم . وان بارزوا بارزناهم . وانجزنا عدة امانينا فيهم وناجزناهم ومنا من يقول: هؤلاء في عدد الذمل . وكثرة الرمل . وظلام الليل ، وعرام السيل . فما يقمهم الا العدد الكثير . ولا يقمعهم الا الجمع الجعم الغفير . والمصلحة ان نستنفر العساكر ونستحضر لابسادتهم البسسادي والمساضر . ونستجيش الحجافل ونستثير القارس والراجال ونلقااهم بامثالهم وذقدم عليهم مستظهرين في قتالهم • وازوادهم عن قريب تفرغ. وامادهم في الصبر تبلغ . وامدادهم تنقطع . وانجادهم تمتنع ، وموادهم تقل ، وجهوادهم تضل ، ولمراكبهم في الشاء شتات . ولحبائلهم وحبالهم انبتات ، فساما أن يضسطروا الى الانفصال. واما أن يؤنن فناء أرزاقهم بحلول الأجال. ويهون علينا حربهم في تلك الحال. (وكفى الله المؤمنين القتال) (الاحدزاب ٢٥) فهذا عسكر الاسلام. وجند مصر والشام. وفي الاقدام به خطر. وفي الباشرة بحربه غرر . والصاحة العامة تلحظ . ورأس المال يحفظ ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل ونستدفع بحقها الاباطيل. ونستكثر من مراكبها. ونستعدى على هدده الافساعي بعقاربها . ونستطيل على الشناة المستطيلة بشوانيها . ونعدو على عوادي الاعادي بعوانيها واذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحرر. وصالت لنا اسباب النصر، وحينتذ نقاتلهم برا وبحرا ، ونوسعهم بمضايقتهم فيهما قتلا واسرا . ومازالت هذه الاراء بيننا متداوله . وخواطرنا في تدبيرها متجاولة والحرب بيننا وبين الفرنح جاريه وزناد الهيجاء لاشعال نارها واريه . وفي كل يوم نتصافح بالصفاح . ونتكافأ بالكفاح . وننطق فيهم بكلام الكلوم . ونلحسق منهم الموجود بالمعدوم. والطلائع وقائع . والسهام ا فسوا ق فسائقة . وللحمام اسواق نافقة . وسرايانا في كل يوم وليلة تسرى وتساسر . وتبري وتأبر . وتكبس وتكسب . وتسبى وتسلب . والسلطان يباشر ذلك كله بذفسه . وهو يداب في يومسه لفسده مجتهسدا في الزيادة على امسه نائبا عن اعوان المسلمين وانصارهم .ساهرا لهــم في ليلهــم. قائما بأمرهم في نهارهم . والعين الساهرة في سابيل الله قريره . وتعب يوم واحد لله في اليوم الاخر ذخيرة

ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء سادس شعبان

وركب الفرنح اخريوم الاربعاء سادس شعبان بأجمعهم .وتقدموا من موضعهم .واشتاقوا إلى مصرعهم .وفسارقوا الحسزم في تسرعهم .وخرجوا عن رجالتهم .وتجردوا بخيالتهم .وحملوا على الواقفين من اصحابنا حملة الرجل الواحد .فتحرك الصف الثابت الساكن امامهم كالبنيان اذا تحلحل من القدواعد .وتراجع عنهم المسلمون استدراجا .وملأت الارض السماء عججا وعجاجا .وزخر

بحر الحرب على أمواج امواجا . فما قربوا من خيام اليزك . الا وقد اعتكر جو المعترك وعساكرنا قدد أوجفت عليهدم . وزحفدت إليهم . وأردتهم بعقابهم . وردتهم على اعقابهم ووصدات الى رؤساهم فقطعت رؤوسا والحف بأسها ذلك الجمع بؤسا . وثنت وجه الكفر عبوسا . وولوا مدبرين . وأدبروا مولين . والجريح بالقتيل عابر عاثر . والذمر الباسل باسم بالموت باشر . فلما جن الليل رجعت بما جنته الخيل . وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ - وهمة متنبهة للتحفظ . وحدراسة وحماية . وسياسة ورعاية . فلمدا اصبحوا عادوا الى عادتهم في اللقاء . وهاجوا بعدانيتهم الى الهيجاء . هذا وابواب البلد مفتوحة ، والصدور بطروق الظهر اليها مشروحة والفرنح قد ندموا على ماقدموا . وعدموا بصيرتهم بما صدموا . وعادوا والاينبسطون .

ذكر وفاة حسام الدين طمان

انتقل السلطان ليلة الاثنين حسادي عشر الشهر الى تسل العياضية . ليكون به في الجهة المرضية . فان هذا التسل بازاء تسل المصلبه منزلة العدو . وهدو مشر ف عليها لعليم للعلو . وضربت خيام الميمنة ممتدة الى البحر ، وخيام الميسرة الى النهر ، واتسع مجالنا وضاقت الدائرة على الكفر . وكان الامير طمان صاحب الرقسة مريضا ولم تزل وجوه الايام الفير في سبيل الله باحمرار بيضه بيضاء ؛ وهو الحسام الفاضل . والهمام الباسل . والقدرم البازل والندب الحالاحل . والمحتدرق لحمية الدين . والمقتدر لحماية المسلمين . ولما وافت وفاته . وفاته رجاؤه ولم يرجأ فواته . اسدف على عمره . واسي على امره . وحدزن كيف لم يقتدل شهيدا . ولم يستشهد في الجهاد سعيدا . وقال قدموا حصاني حتى اشهد الحدرب المنشهد ، واجاهد الى ان اقتل واجهد ، فاني ارى مدوتي على الفراش عيثا . وقد عرفتم منى شجاعة لاجبنا ، ودوفي عصر الاربعاء الفراش عيثا . وقد عرفتم منى شجاعة لاجبنا ، ودوفي عصر الاربعاء

ثالث عشر شعبان ، وبوأه الله الجنان ، وبشر به رضوان . وكان قد توفي بالقرب الامير الندب . فارس الحرب . ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب . حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنتجب فنبت مضارب الدين باغماد الحسامين . وحلت الهموم لاجل اجل الهمامين ، فوجمت النفوس ، والمت القلوب وفاضت لغروب فيضها الغروب .

ذكر واقعة للعرب. أربت لنا بالأرب

انتهـــى الينا ان الفــرنح . يتــطرقون ويتــطرفون . ويأمذون ولايتخوفون . ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ، ويصدلون الى طرفي النهر ، وهـم لمن يحلق عليهـم مـن فوقهم تحت القهر ، فانتدب جماعة من العربان ، وضراغم فارسة من الفرسان ، فاغاروا وهم غارون ، وساروا الى جمعهم وهم بتجمعهم سارون . وحالوا بينهم وبين خيامهم ، وحشر وهمم الى حمى حمامهم . وحملوا اليهم حين حملوا عليهم بـوسا ، وقـطعوا منهم لما اتصلوا بهم رؤوسا ، واحضر وها عند السلطان فاجتابوا بها خلع الاحتباء ، وبعثهم على الحمية والاباء ، وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر ، وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر ، هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل ، وشرار الشر مشتعل ، والموت منهم منتقى وفيهم منتقل ، وفي كل يوم تقوم الحدرب على ساق. والارواح في مساق، والمصاع على الساق، وكم قتل من حزب العدو واسر . وكم حمل ليكسر فكسر . وربما مل الحربان ، وكل الغربان . فدوا فقا على الامان . ودوا قفا يدكلمان . وريما اقدموا ثم ذكصوا ، وغذو ا ورقصوا ، واذا لغبوا لعبوا ، واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر مناجري وغرائبنه ، وملح مناتم وعجائبه ، أن الطادفتين في بعض الأيام . ضحرتا من مباشرة الحرب على الدوام، فقال واحد من الفرنج الى متى هـذا القتال. وقد فني الرجال ، فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا . وليكونوا في

امانكم واماننا ، فبرز منهم صبيان . ومن البلا اخسران . فقساتلوا مليا ، والفوا نار الحرب صليا ، ثم وثب احد الصبيين المسلمين . على احد الصبيين الكافسرين . وضرب به الارض . وقفسن عليه وانقض . وقبضه كسيرا وجذبه اسيرا ، فافتداه بعضهم بدينارين . وعاد المسلم من ظهوره وسر وره الى جنتين . والعدو من كفره وفكره الى نارين ، ومن الاتفاقات النادرة ، وامارات السعادة الظهاهرة . انه افلت من بعض مراكب الفرنح حصان . له عندهم صيت وشأن . فلم يقدروا على ضبطه ، كما عجزوا عن ربطه . ومازال يعسوم في البحر وهم حواليه . حتى دخل مينا البلد وتسارع اصحابنا اليه . واهدوه الى السلطان ، وعده العدو من امارات الخذلان ، ورأيناه لنا من دلائل النصر والاحسان .

ذكر الواقعة الكبرى

واصبح الفرنح يوم الاربعاء العشرين من شعبان . وقد رفعوا الصلبان ، وزدفت اسودهم في غاب المران . وطارت بهم خيولهم عقبانا على عقبانا على عقبان . وجرت بالجبال منهم رياح . وجالوا دون التل كأنهم له وشاح . وخرجوا على التعبيه . وشفعوا نداء الكفر بالتلبية . وشفعوا بالتبرية للتربية . وتقدموا معتزمين . وعزموا مصممين . وثاروا ثورة الشيطان . وفاروا فورة الطوفان ، وقدموا الراجل امام الفرسان ، وزحفوا اطلابا ، ودبوا دبيب الليل الى النهار ، وهبوا هبوب الخيل الى المضمار ، واجروا سيول السوابق الى القرار . وجروا نيول السوابغ الى الغوار ، وتحركوا وهم غضاب ، وتدركوا وهم غضاب . ومازالت ميسرتهم تكثر وتكثف . وتعطوا (٣٣) وتعطف . وقد عبى السلطان ميمنته وميسرته ، وتهمهم . وتدمدم وتدوم . وقد عبى السلطان ميمنته وميسرته ، وطلب من الله نصرته . وثبت قلبه وقلبه ثابت . وحربه في صف

بالوقوف. ويحض على حظ الابد. ويحدث على الجلاد والجلا. ويدوب للودوب . ويندب الى الندوب . ولما شساهد شروق بسروقهم . وخروق مروقهم ، وكثافة ميسرتهم ، وحشو حشود كثرتهم ، انهض رجال القلب لتقوية ميمنته على الحرب. وكان الملك المظفر تقى الدين من الميمنة على الجناح ، في جمع يعثر بعثيره وارد الصباح ، وكلما تقدموا تأخر يستجرهم . ويحذر مكرهم ومكرهم . فعرفوا انه لاقبل لهم بمقابلته ، وان هذا ليس ميقات مقاتلته ، فتركوه واستقبلوا القلب وزخـر بحـرهم وعب . وحملوا حملة ذوي حملة دوي منهـا الدو . واسود منها وجو الجدو ، ووصداوا الى جمدوع ديار بدكر والجزيرة . وغاصوا في لجتها بغدران السوابح والسوابغ الغزيرة ، وكانت من القلب الى الجناح للطيران وجبالها على الرياح للجـريان فعرفوها بالغر . واستضعفوها لدى الكر . وألموا بها فما ألمت . وهموا بها فما همت ، واندفعت ومادفعت ، وتراجعت وما رجعت . وتعكست وماعكست . وادبرت وماتدبرت . ولكونها غير عارفة بقتال الفرنج هابت وماهبت ولابت (٣٤) ومالبت . ورابت وماربت . وجاؤوا الى القلب وقلبوه . وحساربوه وحسربوه وخسربوا حسزبه . وخرقوا حجبه . وهناك استشهد كرام باعوا انفسهم بالجنة . واسنو نحورهم نحو الاسنة . منهم الامير مجلى بن مروان . وكان مجليا في المروة . والظهير الحو الفقيه عيسي وكان فلساهر الفتسوة . واخرون اعترفوا بنذوبهم فرحضوا بماء الشهادة دون حوبهم. وصعدوا الى مخيم السلطان . طامعين في استطالة حزب الصلبان . وكنت في جماعة من أهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم . ووقفنا على الدل نشاهد الوقعة ونننظر مايكون من القوم . وماظننا أن القوة بهي (٣٥) . وأن الواقعة الينا تنتهي . فلما خالطونا في المخيم . وباسطونا في المجثم . وكنا على بغال . بغير أهبة قتال . استدركنا أمرنا . وأخننا منهم حذرنا . ورأينا العسكر موليا . والمهرزم عما تركه من خيامه ورحله متخليا . فوا فقنا في الاندفاع . والفينا الاستضرار في المال عين الانتفاع . فوصلنا الى طبرية فيمن وصل . ووجينا ساكنها قد اجفل . فسهنا الى جسر المسنبرة ونزلنا على شرقية ، وكل منا ذاهل عن شبعه وريه ، مفكر فيما يكون من امره .

مذكس القلب لما تم على الاسلام من كسره . لايألف مبيتا . ولايلفي بيتا ، ممسك بلجام فرسه . قد انن ضيق نفسه بضييق نفسه . ومن المنهزمين من بلغ عقبة فيق . وهو غير مفيق . ومنهم من وصل الى دمشق غير معرج على طريق . واقمنا بمروضعنا على الخرى والخيل واقفة بلجمها والطوى . والغمض غير طارق . والفرق غير مفارق. والقلوب مرتاعة مرتابه. والادعية الى الله مسرفوعة مستجابه . وتحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده ، وعدا جنده وان الكفر حاد فله وفسل حسده . وان الميسرة ثبتت فتساب اليسر . والاسبية انتصروا فأسد النصير . وكان هذا الصدى يقــوى . والصـدا يروى . والبشرى تسرى .والبــرد بهـا تجرى . والناس بين مصدق ومكذب . وذاهب في مسذهب مسن الظسن مذهب مهذب . حتى عبر سحرا علينا خادم اسمه صافي وقد ورد مورد الظفر الصافي . فنادى أين العماد . فقد جاءه من النصر المراد . فأسر عنا إليه . واجتمعنا عليه . فقلنا ما الخبر . وكيف ضـ فا الظفر (٣٦) . وصفا الكدر . وقدر السلطان وتسلط القدر . والى اين انت سار بالنبأ السار . وفي اية دار تنزل بمنزل النصر الدار . فقال أنا بشير دمشق بالنبأ العظيم . والخبر الكريم . فقلنا : اهسلا بشائر البشائر وطائر الاوطار ، والسائر بالمسار والاخ البار بالاخبار ، والصديق الصادق ، والموفق الموافق ، ومرحبا بالخصى الخاص لما مرحيا فحل بالخبر القحل فحلا . وكم ام للنجـح امـلا وجلا وجلا . فأبنا محبورين مجبورين . وثبنا مثابين ماجورين . وندمنا على ماندمنا في الهزيمة . وعز علينا ترك الاخد بالعزيمة . ولقينا السلطان وقد فتك وقتل . وجد وجدل . وانتقم من القوم ومن مقامه ماانتقل. وقد شل الجموع وجمع الاشلاء وادام الاجراء حتى اجرى الدماء .

ذكر حصة النصرة بعد صحة الكسره وكيف ادال الله الاسلام واذل الكفر بتلك الكره

الما تمت الكسره ، وعمت الفتره ، وكرت الكره ، وامسرت تلك المره ، وصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وشيم من عارض اعتراضهم شؤم شيمة الشيطان . وجالوا جدوله . وخدالوا دوله . وصالوا صوله . ثم رأوا عنهم انقطاع اشبياعهم . وعدمدوا اتباع اتباعهم . فشرعوا في اندفاعهم . وهابوا الوقوف على اجتمساعهم . فانحدورا عن التل. وقد جاؤوا بقدوة العدز فدا بوا بضدهف الذل. واستقلهم اصحابنا فركبوا اكتافهم . وحكموا في رقابهم اسيافهم . وردوهم وأردوهم . وعدوا على شركائهم في الشرك فأعدوهم . وكان في ميسرتنا عسكر سنجار والاسدية فما زالوا ومازالوا . بل وصلوا وصالوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكأنما مرت بالجبال الرياح . وخالطوها فودعت أجسامها الأرواح . وعاد من كان من الميمنة الاسلامية بالبعد . حاد المضاء ماضي الحد ، مثل تقي الدين . وقايماز النجمى والحسام بن لاجين . ومن ثبت منن أبلطال المجاهدين . فكروا على ميسرة الفرنج فشلوها وانهلوها من دمائها وأعلوها . ولفوها وفلوها . ولقدوها واقلوهما . ووضعوا فيهما السيوف. وأوضعوا اليها الحتوف واوسعوها قتلا ذريعا .

وماابطأ الوقت حتى صار مقدامها ضريعا سريعا . فلم يفلت من الاعداء إلا أعداد . ولم ينج من الافها الا احاد . وامست لنا الحسرب فراشا . ولارض المعركة فسراشا . وتبعها اصحابنا حتى كلت سيوفهم وكلوا . وملت لتوتهم وليوثهم وملوا . وفرس زهاء خمسة الاف فارس من كل ممار ممارس . ومستوحش بالموت انس . وممن اودى في الاقدام مقدم الداوية . ولم تحمه من الحمام ناره الحامية لنار الحمية . وحكي عنه انه قال عرضنا في مائة المف وعشرة الاف احلاف الحاف والاف اتلاف بلا تللاف فلما عجازوا . وبالخندق

احتجزوا . وقف عنهم اجنابنا . وبلغ المدى فيهمم جهابنا واجتهائنا . ومن العجب أن النين ثبتوا منا لم يبلغوا الفا فردوا مائة الف. واتاهم الله قوة بعد ضعف . وكان الواحد منا يقول قتلت من المثلثين ثلاثين واربعين . وتدركتهم بالعراء عراة مصرعين . ولا شك أن الله أنزل المسومين ، وكل يتحدث بعد ذلك مما شهده ، وبعهد البنا بما عهده . وحكى بعضهم قال كنت على فرس قسطوف . ماله منة سير ولا وقوف . وانا منهزم من فارس مدجج ، في بحدر الحرب ملجج . وهو على جبل يجرى به جرى الريح ، وينادى بشعار المسيح . وقد لز بقربي حصانه . وهز لصابي سنانه . فما شحككت انه يشكني بلهذمه . ويفكني بمخذمه ، وايست من البقاء ، وانست الشهادة واللقاء . واستعذت بالله واستعنت . وتشاهدت مما شاهدت . ثم ابطأت على صدمته . واخطأتني حدمته . فالتفت فاذا هو وحصانه ملقى كلاهما. وما وجدت بالقرب احدا اقسول انه ارداهما . فعرفت انه نصر الهي . وصنع رباني في مداق الايمان شهي . وفي آفاق الاحسان بهي . فايقنت أن النصرة مساملكت ، الا الملائكة نصرت . وان الظهور عاسر الا لاسرار لله ظهرت .

ذكر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من الألطاف

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها . وشكر الطاف الله الخفية وابداء سرها . ونشر مطاوي النعم باذاعة طيها واشاعة نشرها . وذكر فيها ماالقرنج عليه من اجتماع راجلها وفارسها . والاحتماء بخنادقها ومتارسها . وان لنا كل يوم فيهم نكاية بالغه . وسطوة دامغة . وثعالب عوامل في دمائهم والفه . ومضارب مناضل لرؤوسهم فادغة . ونيوبهم عواسل ماضغهم ماضغة . ونيول نقم عليهم في تقليص ضلالهم سابغه . وايدي ايد لصفحات البيض بنجيعهم القاني صابغه . وضمائر وضوامر عن كل

شغل سوى شغل الجهاد فارغه . وهمما وعزائم لاترى عن وقم القوم اهل الزيم زائفة . ومابرح الفرنج في برح شديد . وامدر غير سديد . وظل للذل مديد . وضيق حصر في كل يوم جديد جديد . حتى ضاقت انفسهم وانفاسهم واخفق رجاؤهم . وظهر يأسهم ووقع بينهم بطول المقام باسهم . فاجمعوا امسرهم على انهسم يجسدون في اللقاء . ويهجدون الى الهيجاء ، ويلقدون الالوف بدالالوف . ويصدمون الصدفوف بالصدفوف. ويعرضون نحورهم ووجوهم على الاسنة والسيوف. ويكسفون بشببه التثليث ادلة التسوحيد. ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد . والحدد الحديد . وبدرز ذلك الخميس يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان . ورفعوا الصلبان واشرعوا الخرصان . واتبعوا الشيطان . ورتبوا الرجال . وطلبوا الفرسان . وحملت لهم اطلاب تضم ابطالا . وتضمن بباطلها للحسق ا بطالاً . وتأمل لشملها المتفرق اجتماعاً . وترجوا للصليب السليب ارتجاعا ، وعصدفت رياحها الهاوج ، واقبلت بحار ساوابحها وسوا بفها تموج . وكاد ان يتبت للشيطان قدم ، ويراق للايمان دم . فانها خرقت حجاب الصيف . وفرقت شهل الجمع الملته ، وزاغ جنان الجبان وهمه وهمه . وادبر موليا وعزمه زعمه . فسظن من لايقين له أن الاسلام قد أسلم. وأن نصر الله الموجود قد عدم. وأن الكفر المتأخر قد تقدم . وان الصبح المتبلج قد اظلم . وهناك عرف اهل الثبات . وثبت اهل العرفان . ورقصت المران على اشاجع الشجعان . والتفت العنان بالعنان . والتقسى السنان بالسنان . وخطبت الصوارم على منابر الطلى . ورتعت اللهاذم في كلا الكلى . وفتحت اليغالق مغالق الحتـف . وزحفت الفوارس الي فوارس الزحف . وعطفت العساكر المنصورة طلابا لتلك الاطلاب . ووصالت ضرب الاعناق بقطع الرقاب ، ومازالت تشل الفرنج وتفلهم ، وتحل بعقدهم الوهن وتحلهم . وتروى ظمعاً الظبها مهن ورد وريدههم . وتخضب شيب البيض بدم طريدهم . حتى فررشت بعد ان سالبت ا شلاؤهم بالعراء عريا . وجرحت خيولهم وخيالاتهـم فلم تسـتطع اجراء ولم تطق جريا،حتى تثلمت وتلثمت بنجيعهم صعفعات الصفاح ، ووقفت اشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح . واعرب

حديث حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح . وقتل من مقدميهم ومقدمي مقدميهم زهاء خمسة الاف . زهى الاسلام بما اتسع مسن عطن عطبهم . وحسن مذقابه بسوء منقلبهم . وعاش بما شاع مسن قتلهم . وا شتغل العسكر المنصور بشغلهم . وطاب القلب المهموم بما تم من مأتم الكفر وعرس الدين . وقصم الهدى متن الضلال المتين . وهمت الرواعف الفوارع بحمل هامات الحاملين. وانجلي الفيار عن كل قتيل مالعاثره من مقيل . ولالقائله من مقيل وعادت اعلام الاسلام ظاهرة . وأيمان باطنة قاهرة . وهدي الهدي على النصر مزفوفه . وعيون العدا عن النظر بالعمى مكفوفة . ولم ينج ممن حمل من حمل رأسه . ولم يقدم من اولئك الرجال الا من فقد رجاءه . ووجد يأسه . وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بدلك الالوف واصيبوا بمن صفا في ذلك الصفوف. وتراءت وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الحدوف . وبخل الليل عليهم . ووقفت العساكر حواليهم . وهم وان وهذوا لما اصابهم من الكسره . واخطأهم من النصره . وحل فيهم من الرزء . وسخر بهم الشيطان في موقف الهزء . وفجه كلهم بالجزء . ونقص منهم العدد الكثير . وركد من ريحهم ذلك العاصف المبير . فانهم في حشد كالدبسي . وجمع اغص الوهساد والربا . وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على حب الموت الحبا . وودوا لو وجدوا مهربا . وتفرقوا ایدی سبا . وقد عادوا وتحصنوا وتمسيروا . وتخيروا المقسام على الحين حين تحيروا . واوسسعوا الخنادق وعمقوها . واحكموا المتارس ووثقوها . وندموا على الحركة . فانها افضت بهم الى الهلكة . وانهم ماداموا رابضين . وعلى يد الصبر قابض ن . يتعذر الوصول اليهم . والدخول عليهـم ، وتطول ايام الاحاطة بهم من حواليهم . وفي تلك الجركة التي حلا بها الشجعان طعم الطعن . وغلب فيها للجبناء وهم الوهن . وتجاف عن الثبات من محبى الننيا جنب الجبن . ارتاع عسكر الشرق من ذلك الغرب واختار المتسللون المتفللون منهم البعد على القرب. ومساثبت الا عسكر سنجار فكله محرب مجرب للامور . سديد ساد الثفاور -ومجاهد الدين يرذقش قد صدق نعته بالمجاهدة الدين . وجلا ظلمة الوهم بذور اليقين . وقرت عين طمان بالجنة باقدام الولد . وماذا

يقال في شبل ذلك الاسد . وانما الغرباء ها بوا . وكانوا قد ضحروا من الحضور فعابوا . والفرنج الان في ذل وخسر . وفي عسر بغير يسر . وفي حصر بغير حصر . والمرجو من الله سبحانه ان يقدر على قطع دا برهم . واهلاك سائرهم عن اخرهم . وتحريك همم المؤمنين في تسكين سائرهم . وتخدريب عمدرهم وعامدرهم . وانزال دوائر السوء بمنازل دوائرهم . ومادام البحر يمدهم . والبر لايصدهم . قبلاء البلاد بهم دائم ، ومرض القلوب بادوائهم وا سوائهم مــلازم . وتدبيرها الان في التدمير على هذه الجموع . وسوقهم الى مصارعهم في ورطة الوقوع . فأين حمية المسلمين . ونخوة أهل الدين . وغيرة اهل اليقين . وما يقضى عجبنا من تضافر المشرك على شركه . وتظاهره في اتساع مسلكه واتساق سلكه . وقعدود المسلمين وتقاعدهم وتعاضلهم في تعاضدهم . وانحلال عقود تعاقدهم . فلا ملبي فيهم لمناد . ولا موري منهم في اجابة داع لزناد . فانظروا الى الفرنج اى مورد وردوا . واى حشد حشدوا واية شالة نشدوا . واية نجدة انجدوا . واية اموال غرموها واذفقوها . وجدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها . ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم . ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم واكابرهم . الا جارى جاره في مضمار الانجاد . وبارى نظيره في الجدد والاجهاد . واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والارواح . وامدوا اجناسهم الانجاس بانواع السلاح مع اكفاء الكفاح . وما فعلوا ما فعلوا . ولا بذلوا ما بذلوا . الا لجرد الحمية لمتعبدهم ، والنخدوة لمعتقدهم ، وليس احد من الفرنجية يستشعر أن الساحل أذا ملك . ورفع فيه حجاب عزهم وهدك . يخرج بلد من يده . او تمتد يدإلي بلده . والمسلمون بخلاف ذلك قد وهذوا وفشلوا . وغفلوا وكسلوا . ولزموا الحيرة . وعدمـوا الغيرة . وأو انتنى والعياذ بالله للاسلام عنان . أو خبسا سنى ونبسا سنان. لما وجد في شرق البلاد وغربها . وبعد الافاق وقدربها . من لدين الله يغار . ومن لنصرة الحق على الباطل يختار . وهذا اوان رفض التوانى . واستدناء اولى الحمية من الاقاصى والاداني . على انا بحمد الله لنصره راجون . وله باخلاص السر وسر الاخلاص مناجون . والمشركون بانن الله هالكون . والمؤمنون آمنون ناجون .

ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من العذر فصد عن قصد المباكرة لمناجزة اهل الكفر

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عادت مضاربه الى عادة المضاء . وزادت مشاربه من مادة الصفاء . وامر بمواراة الشهداء . ومن جملتهم الفقيه ابو على بن رواحه ، وكان غزير الفضال قد اكمال الرجاحة والسجاحة . وهو شاعر مفلق . وفقيه محقق ، من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق . فطرفه الاعلى يوم مؤته مع جعفر الطيار . وطرفه الاقرب يوم عكا في لقاء الكفار . ومنهم اسماعيل الصوفي الارمدوي المكبس . وكان سديدا عفيفا عاريا من العار لا يتدذس بالشبه ولا يتلبس. ومنهم شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلام في الخرانة امين على البيت وأخرون صودفوا عند التل فجاءتهم السلعادة . وفجاتهم الشهادة . وهؤلاء سوى من وقع في الوقعة . وذهب قبل الرجعة . واجمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القدوم . ويباكر في طلب ارواحهم السوم . وقال هؤلاء قد اضعفنا قوتهم ، واعجزنا قدرتهم. وفثأنا سورتهم . واخمدنا فورتهم . وقتلنا مقاتلتهم . وادوينا دا ويتهم . فان تـركناهم بلعـوا الريق . وبلغـوا في الاحتـراز والاحتراس الطريق . فنحن ذوا فيهم غدا . وذوفيهم ردى . وذكيلهم بصاع المصاع . ونذرعهم بباع السباع . ونقيهم بددراع اليراع . ونوسعهم قرى القراع . وننيقهم حر الحرب ، ونسقيهم في طعم الطعن شرب الضرب. ونعين من عيونهم للسهام سهاما ، ونتخذ لارواح النصال من اجسامهم اجساما . ونغرقهم بماء فسرند الهندوانيات . ونحرقهم بنار زند اليمانيات . وذوجد مسن عدمهم النصر ، ونطيب من نتقهم الذشر ، ونقطع دا برهم ، ونلحق بأ ولهم أخرهم . فلما اتفقت الآراء على امضاء هذا العزم . واجراء هدذا الحكم . تفقدوا العسكر فاذا هو قد غاب . لما ناب من الامر وراب . وذلك ان غلمان العسكرية وصحابها . واوباش الجمع وأوشابها . ظنوا تلك الفورة هزيمة . فنهبوا الاثقال والاحمال وعدوها غنيمسة .

وانهزم من انهزم من الجند . وثبت من ثبت من اهل الجد . فمن عاد الى رحله وجده منهوبا مسلوبا . وكان ظنه انه فرغ من لقاء خطب فلقى خطوبا فمضدوا وراء الغلمان . وبلوا بسدوء بين السدودان. واصبحنا وإذا العسكر غائب . والعازم عازب ، والقاصم قاص ، والطائع عاص . والجمع متفرق . والثابت قلق . والامن فرق . والفني معدم . والجرىء متندم . فهذا خلف ما ذهب من ماله ذا هب . وهذا لمن طلب الطريق باثقاله طالب . فتفتر ذلك العرزم وتأخر ذلك الحكم ، وانتعش الفرنج في تلك المدة . وانتشلوا من تلك الشدة . واستطالوا بعد الاقصار . وفرغوا شغل الحصار . وجاءتهم في البحر مراكب اخلفت من عدم . وبنت ما هدم فكمل بالمدد . ما نقص من العدد . ولولا أن الله تعالى قدر بقاءهم لكنا عاودنا صباح ذلك الليلة لقاءهم . فان الفرصة أمكنت . والحصة تعينت . والجو خال . والضو عال . والحال جميلة والجمال حال . فقضى الله بما قضى . وعرانا المضض بما مضى . وبقيت هناك تلك الجيف منتنة منبتة مبتته . وذلك الجثث محينة مجتثـة . تعـرفنا ان ذشورها من حواصل النسور ، وان قدرها بطون الضباع والنمور · فشكونا نتن رائحتها . وشكرنا يمن جائحتها . فعجل السلطان حملها على العجل الى النهر . ليشرب من صديدها اهل الكفر ، فحمل الى الماءا كثر من خمسة الاف جثة . بعثت الى النار قبل يوم البعثة ، فما عبر بها الا من اعتبر واستشفى من اقبل بمن ادبر . وسلم الله من اسلم وكف ورد بالردى من كفر.

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من التقل واستدراك ما حزب من الخلل

تقدم الامر الى المقدمين والامسراء . بعد النداء واعلام الجهلاء ، باحصاء كل ما نهب . واحضار كل ما سلب . وانه من لم يرد ما اخذه اخذ بالردى . واعتدي عليه بمثلسما اعتدى . فاحضر كل ما

عنده وبذل في الكشف جهده . وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان . وضاقت عن كثرته سعة ذلك المكان . وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع يقين من شعبان . فكل من عرف من ماله شيئا اخذه بعد احلا فه . وحلا في مذاق الشكر قطاف الطافة . وسحى في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه . وشفى العلل والغلل بالنهل والعلل من اشفاقة . وقمش ذلك القماش . وحصل من ذلك الوبل الرشاش . وصحح بعدد العري والعشار الارتياش والانتعاش . وكتب الى الولاة بالامصار والنواحيي . والاقحطار والضواحي . بحث البحث وجد الكشف . واستخلاص كل مايوجد ويؤخذ بالرفق والعنف . وتراجع الناس . وتتابع الايناس . وعادت مضارب العزائم الى مضائها . وقضاة القواضب الى اقتضابها . وغار الأنف وأنف الغيران . وتسلط العزم وعزم السلطان . وشار المحنق وحذق الثائر . وطار العلق وعلق الطائر . وطلبت الطلى نكاح بنات الخلل الذكور . واشرأب للشرب نبات الاسل الى ماء النحور . بنات الخلل الذكور . واشرأب للشرب نبات الاسل الى ماء النحور .

ذكر مجلس عقد ورأي عليه اعتمد وصواب افتقد وقد

وحضرا أكابدر الامدراء عند السلطان . يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان فقال إعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد أجلب بخيله ورجله ، وأناخ بكلكل كله . وقد برز بالكفر كله إلى الاسلام كله ، وجمع حشده وحشد جمعه . واستنفد وسعه . وإن لم نعاجل الآن فريقه . والبحر قد منع طريقه . أعضل داؤه . وتعذر غدا لقاؤه . فانه إذا سكن البحر ، واستسهل ركوبه السفر . تضاعفت أعداد الاعداء . فظهر الاعدام من الأعداء . وخرج الداء عن قبول الدواء ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها . ولاقوة نستحضرها . وما بلي بهذا المعشر إلا معشرنا . وما بازاء عسكر الكفر إلا عسكرنا .

وما في المسلمين من ينجدنا . وما في بالد الاسالام من يعادنا . وعساكرنا حاضره . وعزائمنا للتواني حاظرة . وعيون أسنتنا إلى الفتك بالعدا ناظره . وما يعوزنا إلا حضور أخينا الملك العادل سيف الدين . ولا بقاء للنقاد إذا أصحر منه ليث العرين . فالرأي كل الرأي في المناجزة . قبل وقوفهم على محاج المحاجزة . ثم قال ليشر كل مذكم برأيه . ولايقدم على قول ورأيه من ورائه . فتجاذبوا حبل الاضطراب. واختلفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراب، وركب كل منهم هواه . وأعلن بما ذواه . ومنهم من قال هذا ثالث عشر تشرين الثاني لا الأول. وقد دفعنا إلى الخطب الاعضل والتعب الاطدول. والنائب الأعصى والناب الأعصل . وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين يوما . وما طعمنا في هدده الليالي ذومها ، ولا سدمنا لطهارق طيف غمضا . ولا شمنا الا لبارق سيف ومضا . ولكم قدنفتنا المنايا وقد دخلنا لهواتها . وكأن أبا الطيب عنانا بقوله . « وكأنما خلق وا على صهواتها » . وقد كلت الضوامر . وفلت البواتر . وملت العساكر . وهذا الشتاء قد أقيل . والعدو قد استقل . والشر قد استفحل . وما يتأتى قلعه الالن يتأتى . وبالصبر يدرك الأريب ما يتمنى . وهمم بالمصابرة مصابون . ونحن على المثابرة مثابون . وهؤلاء لايتمكن منهم إلا بالجمع الجم . والسيل لايغلبه غير الخضم . والصواب أن نصابرهم . هذه الشتوه . ونستجد لنا ولخيلنا القوة . ونتاخر عن هذه المنزلة . لتحصيل هذه المصلحة المؤملة ، وذوكل بهم مناوبة من يمنعهم من الخروج . وإذا انقضى البرد نرجع إلى معالجة هؤلاء العاوج . ونعيد السريجيات إلى سلها والسللهب إلى السروج . والصواب الأخذ بالاحتياط. وتقديم الكتب والرسال إلى الاطاراف والاوساط. ومكاتبة دار السلام. واعلام الأمام عليه أفضل السلام، يما دفع إليه الاسلام بالشام . فان المسلمين لا شك ينجدون . ويقومون بالنصر . ولايقعدون . ولايترك استنفار التركمان . وترغيبهم بالبر والاحسان . واستدعاؤهم بالعطايا . والتشريفات السنايا . ويذفذ إلى بلاد الشام القاصية والدانية . في تحريك الهمـم والعزائم الوانية . إلى ان تمتلىء بالجموع ساح الساحل . وتغلى بنار الحميات بها مراجل الراجل. فحينئذ ينتهي أمد المصابر.

ونصمم على المكابرة مع المكاثرة ، ونبانيهم ونفاتحهم قبل انفتاح البحر . ونغاديهم وذرا وحهم على اقتراح القهر . وننسفهم واو أنهم جبال . وننزفهم ولو أنهم بحار . ونعدمهم حتى لايطرق جفن بلد منهم خيال . ولايلم بجفن طارق لهم غرار . ومازلنا في مشاورة ومحاورة . ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومساورة . حتى تنخل الرأى وتمخض . وخالوا أنه تبين الصواب وتمحض . ومالوا إلى الدعة . والخروج من الضيوق إلى السعة . ومن نزال الحرب . إلى المنزل الرحب . ومن المعترك المعتكر . إلى المبرك المبتكر ، فلم تعجبني هذه الحالة . ولم توا فقتي هذه المقالة . وقلت لعمري أتيته بمصلحة . ولكنها غير مترجحة . فان الفرنج إلى الآن لم يتمكنوا من الحصار . ولم يحددةوا بجميع الأسروار . فإذا رحلنا وتنحينا عنهم أرخينا خناقهم . وأطلنا إلى مرادهم اعناقهم . وباب عكا من جانب البحر مفتوح . والمقيم بها منا بكاس تفقدنا إياه مغبوق مصبوح . والطريق إليها سابلة . والنخائر إليها في كل يوم داخله . والفرنح عن قطع الطريق عاجزه . وعزائمنا على مصابحتها ومماساتها لها دون قصدها محاجزه . فإن تأخرنا تقدموا . وأن هدونا احكموا . وإن نقضنا أبرموا . وإن قعدنا قاموا . وإن بعدنا حاموا . ومتى رمناهم تحفظوا . ومتى نمنا عنهم تيقظوا . وما دمنا نشغلهم فانهم لحصر الدلد لايتفرغون . وإلى أمد الأمل لايبلغون . فقالوا هذا أمر هين . وما ذكرناه صواب متعين . ووجه الصلاح فيه بين . وما مقصودنا إلا أن ينتشر وا ويخرجوا من مضاربهم ويصحروا . فإذا أنسوا بالرجاء الم ييأسوا من الأرجاء . أرخينا لهم حبل الأنظار . حتى استمروا على الانتشار . وحينئذ نصبحهم على غرة . ونعاجلهم كرة بعد كرة . وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث . ونصدهم بالباعث الباغث لهم عن الانبعاث . وكان السلطان متكرها لما أبدوه من الرأى الملتاث . لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث .

ذكر الرحيل إلى الخروبة ، عند خيم الأثقرال المضروبة .

كان السلطان مع ما ألم به من الألم . غير مبد وجه الملل والسأم . وهدو في كل يوم يركب وعلى العسكر يطدوف . ويقدف مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف. ويعود وقت الظهر. وعليه أثر الضر من الصدير . فليم على فعله . وخصه الطبيب بعدله . فانتقل الى الثقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان ، وخلى المنزل ____كر ذلك المكان . وتقدم إلى من بعكا باغلاق الباب . وسلوك نهج الاحتراس والاجتناب . وجرى الامر على ما كنت قلته . وتحقق من الخلل ما خلته . فإن المركيس رحل وشفل الجانب الذي كان خاليا . ورخص عنده ما كان من سوم خوفه غاليا . وشرع الفرنح في حفر خندق على معكسرهم حوالي عكا من البحر إلى البحر. وأخدرجوا ما كان في مراكبهم من الات الحصر . وفي كال يوم تأتينا اليزكية بخبرهم . وبما ظهر من أشرهم . والجد في تعميق الخندق وتتميم محتفسرهم . والعسكر هاجم. كأنه واجم والظن فيه راجم. وشر الكفر ناجم. وما فينا لعود الأمر عاجم وقات يوما السلطان يركب العسكر إليهم. ويركض عليهم . فلعله ينال ظفرا . ويقضى من كسر العدو وطرا . فقال ما يعمل العسكر شيئا إلا إذا كنت معه راكبا . ولعمله شاهدا مراقبا. ولقد صدق في مقاله. فانه كان أعرف برجاله. فإنهم كانوا يبذلون معه المهج . ويخوضون من بحر الحرب اللجج . ويوسعون لهزم العدو المازق اللحيج . وكان من قضاء الله أنا أغفلناهم . وأمهلناهم بل أهملناهم . حتى عمقوا الحفور . ووثقوا من تسرابها السور . وملاوه بالستائر . ومنعدوه مسن الطير الطسائر وبذوه وأسسوه . وستروه وترسوه . ورتبوا عليه رجالا . ولم يتركوا لواغل مجالاً . وتركوا فيه أبوابا وفروجاً . ليظهروا منها إذا أرادوا خروجاً . ولما فرغوا من هذا الامر اشتفلوا بالحصر . ونحن نقسول

لامبالاة بهم ولا أكتراث . وما أسسهل إذا عزمنا عليههم لأصسولهم الاجتثاث . وبسيول سيوفنا نفسل تلك الأخباث . وأي وقست قصيناهم وجئناهم وجئناهم . ودكأنا قسرهم وذكبناههم . وما فوارسهم لنا الا فرائس . وما خنادقهم لهم الارموس دوارس . وما حفروا الا قبورهم . ومادبروا الاثبورهم ومتسى قصدناهم كذبت ظنونهم منونهم . وامتلأت باشلائهم خنادقههم . وأظلمت عليهم بغربنا مشارقهم . وبيتهم بوائقهم وتبت علائقهم .

ذكر رأي رائب عن النظر في الغاي غائب أسفر عن داء دائب وأبان عن غرارة بغرائب.

وقع ليعض الاكابر فثنى عليه خنصره . ووكل بساتمامه سسمعه وبصره .

لما تمت على الفرنح تلك المقتلة وعمت فيهم الهلكة . وضامت أشلاءهم المعركة . وشوهدت على الربا حجب نصورهم المهتكة . وخمدوا وخملوا . وأهلكهم الله بما عملوا . وقع لبعض الاكابر انه لم يبق للقوم انتعاش من تلك المعاثر . وانهم قد عدموا القرار . وعزموا الفرار . ولو قدروا على النجاة لخلصوا . ولو فتحنا طريقهم ما تصبروا ولا تربصوا . وقال السلطان: ارحلوا عنهم حتى تروا ما يكون منهم . فانهم يرهبون ويهربون . ويبعدون إلى صور ومن بعدها من عكا لايقربون . فمال قوم إلى مقاله . وتخيلوا مثل خياله . وأشار بقطع طريق البلا . والصدر عن ورد الرصد . والجد في تعمية الجدد . وان يفتح لهم ما سد من الطريق . ولا يعوقهم فانهم في تعمية الجدد . وان يفتح لهم ما سد من الطريق . ولا يعوقهم فانهم وبدا وهنه . ومازاد الفرنح الانباتا ولم نعرف لشملهم على ما توهمه شتاتا . وكنا نتحدث بذلك الرأي القائل . ونقول ما أعجب قبولنا لقول هذا القائل .

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث . وتجدد للعزادم من الدواعث .

أقام السلطان بالمخيم لا مسلاح مناجه . وايضاح منهاجه . ومداراة ألمه . ومداواة سقمه . فدوهب الله له العافية . وكمدل له عصمته الكافية . ومنته الشافية . ونعمته الوافية . وأبدى له الطافه الخافية . وقوي قلبه على المقام . بنية الانتقام . وصرف الأجناد الغرباء ليرجعوا في الربيع . ويستريحوا في مرابعهم لوقت الرجوع . وأقام في مماليكه وخواصه . ورجال حلقته المنصورة من ذوى استخلاصه . ورتب بالذوبة على الفرنح يزكا ضرمنه دركا . وأدار بهلاك القوم منه فلكا . وكان في مماليكه كل مقدم مقدام . وكل همام همام . وكل ليث ذي لوثه . وكل حدث محسن له حسن أحدوثه . وكل ضيغم ضاغم . وكل أسد عرين ليس الاعرنين قدرنه بدراغم . وكل ريبال ذي بال . وكل بطل من ولاية الهيجاء غير بطال . وكل مغير النصر مريغ . وكل مسيىء إلى العدو لكأس الحمام مسيغ . وكل تركى للرماء غير تارك . وللاصماء غير فارك . قدوسه في ظفدر الهدى مؤتر على الوتر . وسهمه من مقل العدا طائر إلى الوكر . وسيفه في رداء الردى حال بدم الكفر . وكل حميدى في الروع حميد . وبالحرب عميد وكل هـكارى على القرن عكار . وفي الوغى كرار . والقنا جرار . وكل زرزاري بالأسد زار . والبسالة كاس ومن الغار عار . وكل مهراني في القتال ماهر . وللرجال قاهر . وعلى الابطال ظاهر . وكل كمي كميش واكبيش . فما خلا يوم من وقعه . وما صار من بارزهم إلا إلى صرعه . ومنا عاد من نجسا مسن زنابير سهامهم إلا بلسعه . وما حصلت شفاه شفارهم من طلاء من طاولهم إلا على لطعه . وما تبقى على لتوتهم ليت . ولصوتهم في النزال كل صباح ومساء حيت . وبلى الفرنح منهم بالمبير والمبيد . واعتاق بهم مراد العدو والمريد ، ومازال هــذا دأبهــم في الركوب ، ومباكرتهم ومرا وحتهم إلى موا قف الكروب . فكم أقدروا منا أعينا بأيديهم . وثبتوا عدل النصر بتعديهم . وصدوا شر الشرك بتصديهم . وحركوا

ما سكن وهدأ من عزائم الهداة بتهديهم . وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان أخذ أصحابنا بعكا مركبا للفرنح إلى صور مقلعا . واجتلينا به من سني النصر مطلعا . وكان المركب محتويا على ثلاثين رجلا وامراة واحدة ورزمة من الحسرير وجاءت حلوة حلوة . وغنيمة صفوة . ونشوة أعقبت صحوة . وصحيحة استصحبت ضحوة . وقوة من وهن العدو . ومحبة فكت رهن السلو . فقد كان انكس نشاطهم وانقبض انبساطهم . وانخفض اغتباطهم . وفتسرت عزمتهم . وقصرت همتهم . وخمدت فورتهم . وركدت ثورتهم . فلما عثروا بالمركب انتعشوا وانتفشوا . وتنفعوا وتنعشوا . ودب عثرون بالمرح . وشب المروح . وتحرك الساكن . وتدرك الضامن . وصاروا للوح . وشب المروح . وتحرك الساكن . وتدرك الضامن . وصاروا يخرجون ويحرجون . ويعسون على القتال ويصبحون . ويكا فحون ويدا فعون . ويقارعون ويوا قعون . والعسكر ويصابحون . والعركية زكية . والعيون زكية . والنوب راتبة . والعدة المعنية في كل يوم راكبة .

ذكر وصول ملك الألمان

ونمى الخبر بوصول ملك الالمان إلى القسطططينية في عدد دهمه دثر . ونظم من خيله ورجله ونثر . وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام . وقطع بلد الروم والأرمن إلى الشام . وانه في ثلاثمائة الفمقاتل . من كل سالب باسل . وطالب باطل . وجهم جهنمي وأشقري سقري . وأنمش أفعواني . وصل صليبي صلائي . وأرقش حنثي . ومستعر سعيري . ومحرب لظوي . ومغوا رناري . وضار بالقرن ضار . وجار الدرع جار . وكل ذئيب عاسل .ذاب بعاسل . وأزرق لأبيض مشتمل . وأصهب لأسمر معتقل . وكل جميمي جاحم . وجمري فاحم . وحربي بحري . وبار بري . وقاطع في طريق الوصول . وراحل بقصد الحلول . وناز إلى النزال . وصال بنار الصيال . ومشمر على الموت متمسرن . ومتحين إلى المنون متحين . وفيهم ستون ألف فارس مدرع مقنع . ماله سوى السوء

من مقنع . وأنه مع الالماني ملوك وكذود . وكل شيطان لربسه كذود . وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الأرمن . وهو في قلعته على الفرات ومن أهل الذمة في المأمن . يبدى تنصحا وإشافا . وتضاوفا على البلاد واحتراقا . ويقطع بان الواصلين في كثرة . وان الناهضين الى طريقهم في عثره . وابرق في كتابه وارعد . وابدع بخطابه وابعد . ولا شك انه الى جنسه النجس ماثل . وبملاءة اهمل ملتمه قائل. ولما وصل هذا الذبأ وقيل انه عظيم. وورد هذا الخبر وخيل أنه اليم . كاد الناس يضطربون . على أنهم يصدقون ويكذبون . ومن طرف كل حبل من الراي يجذبون . وقلنا أن وضع هذا الخطر . وصبح هذا الخبر . فالمسلمون يقومون لنا ولايقعدون . ويغضبون لله ولايرضون انهم لايعضدون . على أن الله ناصرنا . ومدوازرنا ومظاهرنا . وحققنا باظهار القوة لمن استوحش التانيس . وبثثنا بالارسال الى بالد الروم عيونا وجاوا سيس . وندبنا رسال الاستنصار . وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار . وقلنا ما هذه المرة الامرة ولايسيغها الاكل مرىء ابي . وما هدنه الكرة مثل كره ، ولا يحضرها الا كل كميش كمي .

ذكر رسالة دار الخلافة

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن را فحم ابن تميم . ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم . وقال له ما احتاج اوصي . وانت تستوفي القول وتستقصى . وجعل له الى كل الذي ظرف في طريقه رسالة . وأودعه اليه مقاله . فسار من عندنا في شهر رمضان مغذا . يبذ خيل العزم بذا . ويجذ حبل السير جانا . ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القاسم بن يحيي بن عبد الله الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد . وذكر انه قد بلغ المراد . وانه استجدى واستجاد . واستفاد واستزاد . وانه استكمل العدة الاستنجاز والعدة الاستنجاد . فما هذا الرسول الرائح . وربما تعرضت لتلك الحوائج الجوائح . وإذا اختلفت الحديث حدث

الاختلاف. ومتى الف غير ما القى الغسى الائتسلاف. فما هسدا العجل. ومم الوجل. فصدقه الملك الظاهر غازي صاحب حلب. عن كل ما ابان عنه واعرب . وكتب الى والده . بذكر مقاصده . وقال انا لااقدر على صد من للخدمة تصدى . ولا رد من بثوب الرسالة تردى . وأنت تمضى الى السلطان . بما اوضحته من البرهان . وهو يحكم ويحكم . ويعقد ويبرم . ويقول فتسمع . ويأمر فتتبع . ولعلك تعود سريعا . وتجد شمل ما الفته جميعا . فدوصل ضياء الدين الشهر زوري وهو مغتاظ . وسجايه السجاح غلاظ ، وتغير على . ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي . فانه كان مخاللي ومضالطي . ومجالسي ومباسطي . فازلت عنه كل غلن . واعتذرت اليه بكل فن . فما بسط عدر . ولا قبض ذعر . فاني على اسبابي ببغداد خائف . ودون رضا كل سائر اليها واقف . واسترضيته فما رضى ، ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي . ثم اجتمع بالسلطان وندمه على ما قدمه . واعلمه بما علمه . وقال له الشغل قدد فرغ . والمقصود قد بلغ . والسؤال قد اجيب . والسؤل قد اصيب . والمخطوب بزمامه نحوك مخطوم . وكل ملك سواك لاجلك من رضاع رضاهم مفطوم . فكن للامام يكن لك . واقبل امره ليقبلك . واجتمع بالسلطان دوني . واتفق بجماعة شاركوه وافردوني . وقرروا معه سرا امرا . وحذروه ان يصبير جهرا . ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي ابرموه غير مبرم . وأن الرأي الذي احكموا . غبر محكم ، وماز لت أوكد الأمر حتى يؤمن انتقاضة . واتعرض دون الرأي حتى لايمكن اعتراضه . وأيقن أن الأمر مافيه خلاف. وأن الوعد ماله أخلاف. فما فعل الرسول يتلبث ولا امهل يتمكث . بل جعل على المجاز لاالحقيقة مجازه . وزعم فيما دبر نجاحه ونجازه . وسلك فيما تقرر نهج العجب . واسرع العودة على النجب . فلما انفصل عن السلطان . بما وصله من الاحسان . جمع السلطان الامراء على المشورة . ووقفهم على المعنى والصورة ، وقال لهم، قدد وعدت الخليفة على اسان الشهر زوري بشهر زور . واستدعيت عسكره المنصور . وربما قدم الينا الحضور . فيكمل لنا النصر والحبور . فقالوا هدذا راي رائب . وشاو شائب . وأمدر عنه الصدواب ناء . وكيف تعدد

الامام بما لايقرن بوفاء . وكيف ينجن هنذا الوعد . وينجن هنذا القصد . ودونه ايحاش من هو في طاعتك . فكنت تبذل ما يدخل في ا ستطاعتك . اما صاحب الموصل طلبها فمنع . وصاحب اربل عنها دفع . ومملوكك بها لمن يجاوره خادف . وكل ايوائي لحدها وحقها خادف. وما من هؤلاء الا من بذل عنها اموالا واحوالا . والتزم من الجنهد والذقود انجادا خفافا وحمولا تقالا . فاذا عرف انك اخرجتها لمن له الامر . دخل عليهم الضر . وملك مالك الامر امركم . وابدوا في انقطاعهم عنك عذرهم ، وانقطع الواصل ، وارتفسع الحاصل . وما جاءنا من المذكورين فارس واحد . ولاساعد على ما نحن فيه بعدها مساعد . اما هذا بكتمر في خلاط . قلد جميع الاخلاط . وجهر بالعداوة . واقام على الغيابة والغباوة . فقال السلطان الخليقة ملك الخليفة . وهو مالك الحقق والحقيقة . فان وصدل الينا اعطيناه هذه البلاد فكيف شهر زورو . وسيحدث الله بعد الامور الامور . ولما وصل ضياء الدين الشهر زوري الى بفداد . صادف بها القاضي بهاء الدين بن شداد ، فلم يسفر أمر سفارته عن سداد ، وقيل له جواب ماأتيت فيه مع ضياء الدين نسيره ، ونندبه فيما نتخيره ، وشرف بهاء الدين وأعيد ، وزين ضــياء الدين وزيد ، وذكر ماجرى فتم الاعتداد وتم الأحماد وسيأتي ذكر ما ألت اليه نوبته حين كانت أوبته.

ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخي السلطان والاستظهار بمجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة الايمان .

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال. في جيش وأل، وجمع حال، وشوكة رائعة، وشكة رادعة، وشارة سارة، وديمه من البأس داره، وعدة منتخية منتخبه، وعدة منتقاه مهذبه، من كل أجدل على مرقب، وأجود على جواد مقرب، وصاف

عتيق على صافن عتيق . وطود ونيق على نيق (٣٧) . وصدقر على سوذليق . (٣٨) وبحر على سابح . وجذع على قارح . ومن كل رئيال على تتقل(٣٩) . وأغر محجب على أغر محجل . ومن كل أبيض ضرب بالبيض ضراب . وكل أسمر بأسل بسالسمر سلاب . وكل أروع يحمل يراعا ، وكل شجاع يعتقل شـجاعا . وكل أحمـي أحمس . وكل أفرى أفرس . ومن كل أسد خادر . وقسور قاسر . وضيم ضاغم. وقمقام واقم. وليث به لوثه. وحدث له في الشهامة أحدوثه . واحضر معه من سودان مصر كل ذمر كانه العبسي عابس . وكل مقامر للمدوت مقدامس . وكل غربيب حلكوك ، وكل سرحدان صعاوك . وكل ضرغام غريفي . ومقدام ريفي ، وكل خارح لشار . وكل مارج من نار . وكل أسود سالخ ، وكل رأس في الشر را سيخ . وجاؤوا بالغبسة القبطية . والترسة اللمطية . والصلال القفطيه . والالال الذوبية . والحراب الحربية والصعاد الصعيدية . والصوارم المذروبة . والصرائم المشبوبه ، والاستنة المستنونة ، والصوابغ الموضونه . والسراحين السارحة . والثعابين الجارحة . والتماسيح المزدرده . والشياطين المتوقدة . والزانات واليزنيات . والهنديات واليمانيات . وكان يوم وصول العادل مشهودا . لم يدرك في كل مسا يراد من القوة مجهودا . واقبل في روع ظاهر . وضوع باهر . وبشر ذائع . ونشر ضائع . وحدور تام . وسرور عام . وهـزة وطـرب . وعزة وأرب . وقانا سيف الدين المنتضى . وناصر الاسلام المرتضى . وغياث الانام المرتجى . وسلطان جيوش المسلمين المجتبى . لقد نص النصر . وكف الكفر . وسلم الاسلام ، ونام الانام ، وأمن الايمان . وتسلط السلطان . وحليت الاحوال . وفرغ البال . وبلغت الآمال . ونيل رجاء الرجال . وأزيل إبطاء الابطال . وورت زناد الأجناد . ورويت ظماء الصعاد . فما بعد اليوم . الابعد القوم . وادرك ما استقام من النهج . وهلاك من أقسام مسن الفسرنج . ونزل الملك العادل في مخيمه . وقدم اليمن بمقدمه ، وتقدم السلطان إلى راجل دمشق والبلاد فحضر . وضايق الفرنج به وحصر ، ولم يخل العدو في كل حين من حين . وفي كل وقت من مقت . وفي كل شأن من شين . وفي كل بقعة من وقعة . وفي كل صدقع من صدقعه . وفي كل ليلة

من بليه . وفي كل سحرة من كبسة بالنكاية فيهم مليه . والملك العادل يركب في كل يوم ويبلي . ومن جهده في القتال لايخلي . والفرنح على البلاء صابرون . وللعناء والعناد مكابرون . لايبرزون ولايبارزون . ولايجاوزون خنادقهم وهم فيها متحاجزون .

ذكر فصل إلى الديوان الغزيز واشتمل على مجاري الاحوال.

قد تقدمت المطالعة يمنازلة العدو المنازل بالنوازل. ومجاولة أهل الفواية بالفوائل. ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحسر بعسدد أمواجه إلى الساحل . وقد نزلوا على عكا المصروسة . بدراياتهم المنكوسة وأرائهم المعكوسة . وحشودهم المجموعة وجمدوعهم المحشودة . وظلال الضلال المدودة . وأقدام الاقدام المصدودة المسدوده . وقد مضت ثلاثة أشهر شهر بها التثليث على التوحيد سلاحه . وبسط الكفر جناحه . وحصل الشرك على قدروهه وعدم اقتراحه . وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت . والروعات التي وقعت . أكثر من عشرين الف مقاتل . من فارس وراجل ورامح ونابل . فما أثر ذلك في نقصهم . ولا أرث الا نار حرصهم . وما فلل حد حديثهم الحادث . ولاقال عدد كثيرهم الكارث . ولاغضروا عيون أطماعهم . ولا فضوا ختوم اجتماعهم . ولاردوا وجوههم عن مواجهة الردى . ولا قطعوا أملهم عن الوصول إلى المدى . ولو قطعوا بالمدى . وهم لمواضعهم ملازمون . وفي مصارعهم جساثمون . وعلى الموت صابرون . وإلى الحمام سائرون . وبسالخنادق مسن البسوائق محتمون . وبالطوارق معتصمون . وعندهم انهم البلد محاصرون . وهم على الحقيقة وان كاذوا لكثرتهم غير محصورين محصورون. وإن جندنا لهم المنصورون . والعساكر الاسلامية فيهم كل يوم نكاية شديده ، وفتسكة مبيدة ، ووقعسة ناكية ، وجمسرة ذاكية ، وصسدمة صادعة . وحدمة رادعة (٤٠) . ولما امتنع الدخول عليهم . وتعدر الوصول إليهم . جمع را جل البلاد . وحشد إلى حشودهم ذوو الاستعداد . حتى نقاتل الراجل بالراجل والفارس بالفارس . وذفترع بقمع جمعهم بكر الفتح العادس. وقد وصل الأخ العادل وفقه الله المراضى الشريفة . بالجموع الكثيرة الكثيفة . ولعل الله أن يجعل حدّف هولاء الفرنج فتحا لأبواب الفتح . ويعجل الليالي أمال المسلمين بطاوع صبح النجح . وليس هذا العدو بواحد فينجم فيه التدبير . ويأتي عليه التدمير ، وإنما هو كل من وراء البحر ، وجميع من في ديار الكفر . فانه لم يبو لهم مدينة ولا بلدة ولا جريرة . والأخطة صغيرة ولا كبيرة . الا جهزت مراكبها . وأنهضت كتائبها . وتحرك ساكنها . وبرز كامنها . وذفضت خرائنها . وانفضت معادنها . وحملت نخائرها . وبذلت اخايرها . وثار ثائرها . وطار طائرها . ونثلت كنائسها . واستخرجت دفسائن نفساسها . وخسرح بصلبانها أساقفها . وبطاركها . وغصت بالأفواج فجساجها ومسالكها . وتصلبت للصليب السليب . وتغضيبت للمصاب المصيب ، ونادوا في ذواديهم بأن البلاء دهم بلادهم . وأن أخدوانهم بالقدس أبارهم الاسلام وأبادهم . وأنه من خرج من بيته مهاجرا . وبحرب الاسلام مجاهرا . ولمتعبده مستردا . ولجده في النخوة لدينه مستجدا . فقد وهبت له نذوبه . وذهبت عنه عيوبه . ومن عجــز عن السفر . سفر بعدته وثروته من قدر . وبذل البدر لمن بدره . فجاؤوا لابسين للحديد بعد أن كانوا لابسين للحداد . وتدواصلت منهم الامداد بالامداد . وتدوالت أنجاد الانجاد . فهدم على النقص يزيدون ، وعلى الأبد يبيدون ، وبالمهج يجودون ، وعن اللجاج في حوض اللجج لايعودون . وهؤلاء الواصداون في البحدر القساطعون أتباجه . المكاثرون أمواجه . فأما ملوكهم الواصدلون في البر فقد تواترت أخبارهم ، بأن خلت منهم بيارهم . ورمتهم إلى أغراضهم البعيدة أوتارهم ، وبهم يستفحل الشر ، ويعضل الأمسر ، ويصسول الكفر ويجول. ويتطاول الشرك ولكنه لايطول. فان لدين الله من خليفته ناصرا لايسلمه . ورازقا لايحرمه . وما تمسك بحدل طهاعته إلا من فاز قدحه . وحاز السناء مدحه ، وأسهر صبحه . ووفر نجحة . وبدأ علوه . وباد عدوه . والخادم بقوة رجائه في العروارف الامامية . والعواطف النبوية . وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة الناصرية . آلى أن يفرق الجمعين . ويجمع للفريقين القمعين . ويعيد البر بحرا من دماء وافدي البر والبحر . ويقطع بقطع دا برهم دا بر الكفر .

ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة في المراكب المستعدة المستبدة بالبأس والشدة وكانت عدته خمسين شينا .

كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب إلى مصر. بتجهيز الاسطول وتجزيه حياله ، وتزجيه أمور رجاله ، وتكثير عدده . وتوفير عدده . وإصلاح شوون شوانيه . واستناء رواسي سواريه . فتولى حسام الدين لؤلؤ الشييخ أمسره ؛ وشرح لايراده وإصداره صدره . وأذفق من ماله . ما جمع به شمل رجاله . وهذا لؤلؤ قد اشتهرت في الكفر فتكاته وشكرت في العدو نكاياته ، وقد تفرد بغزوات لم يشاركه فيهاأحد . ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد . ما سلك نهجا الاملك . ولاطلب غاية الا أدرك . وهو ميمون النقبيه . مشكور الضريبة . وهو الذي رد الفرنح عن بحر الحجاز . ووقف لهم على الطريق المجاز . ولم يترك منهم عينا تطرف . ولم يبق لهـم دليلا يعرف. وغزواته مشهورة . وفتكاته منكورة . وأمسواله مبذولة . وأكياسه لعقد الاذفاق في سبيل الله محلوله ، فترولي الاسطول . وجمع به الطول والطول . ووصدل به وللفرنج مدن شوانيها على وجه البحر عقارب تدب ولواسب سوالب ما تفيب وما تغب. وسفن حمالة ومقاتلة . وبطس للازواد والميرناقلة . فصدمتها مراكبنا بمناكبها . وملات معاطنها بمعاطبها . واستطال الاسطول المنصور على أساطيلها . وجاء حقه بازهاق أباطيلها . وطلعت في سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما . وقدفت لشياطين الكفر رجوما . واقبلت سواريها بالرواسي . مبرمة الأمراس محكمة

المراسى . وقطعت اللجة بأشباه أماواجها . وسادت فجاجها بأ فواجها . وذكست أعلام الاعلاج عن اثباجها . ووا فت أسسا ودها السود بالأسود ، وسدت عقبانها الآفاق بسأجنحة الرايات والبنود . وطارت بقوادم المجسانيف وخسوا فيها . وزارت بجسوارح المقسانيف وعوا فيها . فجاءت فجاءة وسفن العدو كالجبال تمر مر السحاب . وتطوى اللجة كطي السجل الكتاب. فصدتها ومسدعتها . وردتها وردعتها . فكأنما نعت غربانها ببين أحبة الكفر أعاديها . واناحت ظعائن الضغائن على شواني . شوانيها ، وعادت قوامص الفرنج فيها قنائص جوارح جواريها . فأول ما ظفر الاسطول المنصور . بشيني الفرنح عظيم الشأن . عاد طاغ بأهل الطغيان والعدوان فقتل مقاتلته . وتبع ما يليه . فوقعت بطشته الكبرى ببطسه كبيرة . تشتمل على ميرة لهم ونخيرة . وأمتعة كثيرة . وتفرقت سفن الفرنح أيذى سبأ . وأصلد زندهم وكبا . وعادوا محصورين محسورين قد دفعت مراكبهم التي دا فعت عن مباركهم . وايقذوا أنهم تــورطوا في مهالكهم . وسيرت بوصول الأسطول كتب إلى الأقطار . وبشر المسلمون يما حصل به من الاستظهار.

ذكر فصول انشأتها فيها

منها فصل

ولما رأينا أمدادهم في البحر متضاعفة . وجمدوعهم متكاثفة . استدعينا الاسطول المصري المنصور فجاءها فجاءة . وامتد اسطرا على طرس البحر أعيت متأملها قراءة . وأقبلت جواريه جوارح مسن قنائصها القوامص . وصدمت شدوانيه شدواني الشناة فعادت مراكبهم وهي ذواكص . وطارت غربانا ببين أحبة الكفدر أعداء الاسلام ناعبة . وأطردت على طدرائد الفرنج فيطردتها غالبة لا

لاغبة . وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمرة . وألهبت في الماء على أهل النار كل نار للنكال مسعره . وانقطعت طرق الفرنج البحرية فاستطالت بها أسططيلنا فنهبت وجاءت . وعملت ما شاءت . وتبعتهم مرارا وبالغنائم فاءت واعشت أعين الرائين كلما تراءت . فضاقت بها العداة ذرعا . ولم تجد من بعدها مطمعا ولا مرعى .

فصل من كتاب

صدر الكتاب بورود الاسطول المصري بالسطو الشديد والبساس القوي . فارتاع الكفر من وصدوله وصوله الرائع . وذل جمع الكفر لعزه الجامع . وجاء بكل شيني شاني . لشائن الدين واجىء مفاجع للعدو بالهلاك مقاجىء . مفرق لمراكب الشرك المجتمعة . مضيق شاهج مضارها المتسعة . فطحن مناكب مراكبها . ووسم معاطن معاطبها . واستولى منها حالة وروده على عدة للملاقاة مستعدة . ولامداد اعانتها ممن وراءها مستمدة . وقتل من فيها من الرجال .

فصل من مكاتبة أخرى:

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شاني الشرك شائن . زائد لبهجة الاسلام زائن . زائر بكل اسد زائر . سائر بلك مقدام إلى مقام الاقدام سائر . وكانت الفرنح قد جهزت مدرا كبها . وأرهقت غروبها وسنمت غواربها . وملاتها بدرجال أيديها على قدوائم القواضب قوابض . وأرجلها على الثبات في روابي متون سافنها روابض . وهم على انتظار الاسطول ليطاولوه . ويلقوه وبسالمدا فعة ويجاولوه . فلما وصل وصال . وراع أمره وهال . وجلا عليهم

الاوجال والآجال . بتوا المراسي والحبال . وانهزموا بسفنهم وآننت قوتهم بوهنهم . واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والنخائر والاحمال مملوءة وسلبهم كل ما أعدوه فيها من قوت وقوة .

والفصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صدورة الحال على جليتها . وأعرب عن حقها وحقيقتها .

ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد وذقل الرجال والذخائر والعدد .

ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث. وتبحرت السهول. والوعوث. وحالت الاوحال ولاحت على خلاف المراد الاحوال . وتعذر الخروج إلى تلك المروج . وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج . وزال حكم النزال . واستقال من استقل بالقتال . شرع السلطان فيما هو أنفع وأجدى وأنجع وأنجى . وأرجع بالاحتياط والحزم وأرجى . وهو تقوية عكا بالميرة والنخيرة . والاسلحة الكثيرة . والرجال الحماة . والابطال الكماة . فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الامشلاء بأجنادهم . فدخلوا اليها بعددهم وازوادهم ، واستظهر البلد أيضا برجال الاسطول ورؤسائه وقواده . فما دخل أحدد فيه الابدزيادة في زاده . وكاذوا زهاء عشرة الاف بحري حربي . على الجري إلى الموت جري . فامتلا البلد بكل منتخب منتخ . مرخص مهجته الغالية للاسلام مصرخ . وانتفع بهدم في جدنب المنجنيقات ، والرمسي في العرادات . والحذف بالنفاطات ، والاحسراق بالزراقات ، والزرق بالمحرقات . والقاء القوارير . واذكاء المساعير وتطريح النار . وتطويح الاحجار ، ومدواصلة القطاعات ، والزيارة بالزيارات ، وتوتير الجروخ والزنبوركات ، وتطيير الناوكات ، النواكي من مقاتل العدو الى الوكنات . ومناشبة الفرنج في كل وقبت بالأخذ والوقذ . والجد في الجد والجذ . وطروقهم ليلا على سبيل التلصص .

وسوقهم على وجه التصيد والتقنص . وكبسوا ليلة سوق الخمارات والسواهر . وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر واستنصر وا بذلك واستبشر وا . واجترأ وا منه على ما أجروا . وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال متسرقين . ويأتونهم مسن كل جسانب مجتمعين ومتفرقين . فمن قدر على حصان أخذه وأخرجه . ومسن تعدر عليه اخراجه عقره وبعجه . ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه بمد مديته . ويسلبه سكونه بسكينه . ويجعله ان لم ينجذب معه مسن حينه على يقينه . فيقوده بخطام القهدر . ويجذبه بخدام الأسر . ووقع القوم من هذا في بلاء مبل . وعناء عن حب الحياة مسل . فقد والاحتراز . وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق . وازداد فرقهم من والاحتراز . وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق . وازداد فرقهم من كل فريق . واعدت الحال من الليل إلى النهار . والمكابرة والجهار . حتى كان رجالنا يختفون بالحشيش في أجدرا في الانهار . فاذا

ذكر حال نساء الفرنج

وصلت في مركب شلاثمائة امسراة افسرنجية مستحسنة . متحلية بشبابها وحسنها متزينة . قد اجتمعسن مسن الجسزائر . وانتسدبن واغتربن لاسعاف الغرباء . وتأهبن لاسعاد الاشسقياء . وتسراقدن على الارفاق والارفاد . وتلهبن على السفاح والسفاد . من كل زانية نازية . زاهية هازية . عاطية متعاطية . خساطية خساطية (١٤) . متغنية متغنجة . متبرزة متبرجه . نارية متلهبه . متنقشة متخضبة . تائقه . فاتقه . راقعة خارقة . مارقة رامقة . قاسرة سارقة . فارجة فاجرة . فاتنة فاترة . مشتهاة متشهية . ملهاة متلهية . متفننة متفتيه . ناشية منتشيه . متشوقة متسسوقة . مقتسرحة محتسرقة . متحببة متعشقه . حمراء مرجاء . نجلاء كحلاء . عجسزاء هيفاء . متحببة متعشقه . درقاء ورقاء . متضرقة خسرقاء . تسسحب غفارتها .

وتسحر بنضارتها نظارتها . وتثنى كأنها غصن . وتتجلى كأنها حصن . وتميس كانها قضيب . وتزيف وعلى لبتها صليب . وهي بائعة شكرها بشكرها . باغية كسرها في سكرها . فـوصلن وقــد سبلن أنفسهن . وقدمن للتبذل أصونهن وأنفسهن ، وذكرن أنهن قصدن بخروجهن . تسبيل فروجهن . وأنهن لا يمتنعن من العزبان . ورأين أنهن لايتقربن بأفضل من هذا القربان . وتفرين بما ضربنه من الخيم والقباب . وانضمت اليهن اترابهن من الحسان الشواب . وفتحن أبواب الملاذ . وسبلن ما بين الافضاد . وبحسن بالاباحة . ورحن إلى الراحة . وأزحن علة السماحة .وذفقن سوق الفسوق . ولفقن رتوق الفتوق . وتفجرن بينابيع الفجور . وتحجرن بنزو الفحول منهن على الحجور . وعرضت الامتاع بالمتاع . ودعون الوقاح إلى الوقاع . وركبن الصدور على الاعجاز . وسمحن بالسلعة لذوي الاعواز . ودمن على تقريب خلاخلهن من الاقسراط . ورمن فرشهن على بساط النشاط ، وتهدفن للسهام ، وتحالن للحرام. وتعرضن للطعان. وتضرعن للأخدان. ومددن الرواق. وحللن حين عقدن النطاق . وصرن مضارب للاوتهاد . واستدعين النصول منهن إلى الاغماد . وسعوين أراضيهن للغهراس . واستنهضن الحراب الى التراس . واستنفرن المحاريث إلى الحرث . ومكن المناقير من البحث . وأنن للرؤوس في دخصول الدهاليز . وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز . وقدربن الاشطان من الركايا . وفدوقن النبال في أعجاس الحنايا . وقطعن التكك. وطبعن السكك. وضممن الاطيار في أوكار الاوراك. وجمعن قرون كباش النطاح في الشاباك . ورفعان الحجار عن المصون . وترفعن عن ستر المكذون . ولففن الساق بالساق . وشفين غليل العشاق. وكثرن الضباب في الوجار. وأطلعن الاشرار على الاسرار ، وطررقن الاقسلام إلى الادوية ، والسيول إلى الاودية . والجداول إلى الغدران . والمناصل إلى الاجفان . والسبادك إلى البواتق . والزنانير إلى المناطق . والاحسطاب إلى التنانير . وذوي الاجرام إلى المطامير . والصيارف إلى الدنانير . والاعناق إلى البطون . والاقداء إلى العيون . وتشاجرن على الاشدجار .

وتساقطن على الثمار . وزعمن أن هذه قدربة ما وفوقها قدربه . لاسيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبه . وسقين الخمدر . وطلبسن بعين الوزر الأجر . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية . وعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية . وأبق من المساليك الاغبياء والمدابير الجهلاء . جماعة جذ بهم الهدوى . واتبعوا من غوى . فمنهم من رضي للنة بالذلة . ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في النقلة . فأن يد من لايرتد لاتمتد . وأمر الهارب اليهم لاتهامه يشتد . وباب الهوى عليه يستد . وما عند الفرنج على العدزباء إذا أمكنت منها الأعزب حرج . وما ازكاها عند القسوس إذ كان للعزبان المضيقين من فرجها فرج . ووصلت أيضا في البحر . إمرأة كبيرة القدر . وافرة الوفر . وهي في بلدها مالكة الأمر . وفي جملتها للقدر . وافرة الوفر . وهي في بلدها مالكة الأمر . وفي جملتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم . وغلمانهم واشياعهم . وهي كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة . زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة . وهم يركبون بركباتها . ويحملون بحملاتها . ويثبون المعونة . وشتيت ثباتها لثباتها .

وفي الفرنج نساء فوارس الهن دروع وقوانس وكن في زي الرجال ويبرزن في حومة القتال ويعملن عمل ارباب الحجا وهان ربات الحجال وكل هذا يعتقدنه عبادة ويخلن انهن يعقدن به ساعدة ويجعلنه لهن عادة فساجان الذي اضالهن وعن نهاج النها ازلهن وفي يوم الوقعة قلعت منهن نسوة الهن بالفرسان اساوة وفيهن مع لينهن قسوة وليست لهن سوى السوابغ كساوة فما عرفن حتى سلبن وعرين ومنهن عدة اساتبين واشاترين وأما العجائز فقد امتلات بهن المراكز وهن يشددن تارة ويرخين ويحارضن وينخين ويقلن أن الصاليب لايرضي الابالاباء وانه لابقاء له إلا بالفناء وأن قبر معبودهم تحال استيلاء الاعداء فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهام والنساء فهان للغيرة على الملة مللن الغيرة وللنجاة مان الحيرة ناجين الحيرة ويعدم الجلد عن طلب الثار تجلدن ولما ضامهن مان الامار تبلهان

ذكر ماأهداه عز الدين مسعود

ابن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل من النفط الأبيض والرماح والتراس

ولما عرف صاحب الموصل ماشرع فيه السلطان من تكثير العدة . وتقوية النجدة . بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدة . سير من أحمال النفط الابيض مع عزة وجوده منا وجده . ومن التراس والرماح من كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده . وشناع الاعتداد . وذاع الاحماد . ودل ذلك على اتشاج الوداد . والامتزاج والاتحاد .

وكتبنا في شكره

وصل السلاح . وتم للاسلام مسن قسروح الكفسر الاقتسراح . واستجيدت التراس والرماح وفارقت للقسائها أجسام الاعداء الارواح واتصل بالنفط الواصل إلى أهل النار الاحتسراق ، وطغست وضربت منهم النحور والاعناق ، وقسد هسدا بما أهسداه النصر إلى الهدى . والردى الى العدا ، وأجود الاكارم وأكرم الاجاود من جساد بما أجدى واهدى ما هدى ، وعاد من المكرمة بمسا بسدا ، لاأخلى الله المجلس من يديتفنها . وأياد يسسيرها وينفسنها . ومحمسدة المبرك يستخلصها لذفسه ويستنفذها . وحمية للدين يقم بها حماة الشرك ويقنها ، ونخوة للاسلام تمهي حدود الهمم النابية وتشحنها . ومساطلب من العدة ما طلب إلا للحاجة الحاقة . والضرورة الشاقة . فأن الحروب المتطاولة المدد . أتت على جميع العدد . فالسمر متحسطمة . والبيض متثلمة . وحجوه المسافاح بلثام النجيع متلثمة . وعيون النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقران رامقة مارقة . وحمسام النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقران رامقة مارقة . وحمسام المنايا المنايا المسائقة الحمام في مريشات السهام بكتب الكبت مسن حنايا المنايا السائقة

سابقة . وقد أفنى المصال النصال . والنضال النبال . والرماء الافواق . واللقاء العتاق . والمصاع المناصل . والقراع الذوابل . والصيال الصواهل . وعمل الجهاد الدائم العوامل . فلا ضامر الا وهو وإن كان غالبا لاغب . ولاصارم الا وهو في دم العدو الفائض ناضب . ولاجارح إلا وهو مجروح . ولاقارح الا وهو مقروح . ولاجامح الا وهو مصحب . ولاباشر الا وهو مقطب . فباية عدة من هذه العدد انجد . غار الحمد وأنجد . وتاسس الشكر لانعامه وتمهد . ومن العجب أن العدة تفنى ولاتفنى العداة . وتنمو على الحصاد وكأنها النبات . ويتسارع الى أمدادها الموت والهلك ويخلفها في إبدالها الحياة . فان البحر يمدهم . والكفر إلى الردى يردهم . وكلما اخلقتهم الايام فان الليالي تجدهم . وما جمعهم القدر إلا ليفرقهم في دمائهم وبنار البواتر يحرقهم .

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره، وقدم عليه قصب الدين ولده وسيره، فقال السلطان هذه أيام الشتاء . ولاينتصف فيها من الأعداء . ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع . واستنهاض الجموع الى شمل النصر الجميع . فكتب بتاخيره . والتمهل في تسييره . فتاثر قلب عماد الدين برد ولده . ورجوعه بعد المسير من بلده .

فكتب اليه السلطان من مكاتبة

كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بامره . والتقدم بتجهيز العسكر الى نجدته بكل ما يعدد بسر ور سره وانشراح صدره .

وعرف مسبر قطب الدين ادام الله له مضاعفة العلاء . وأقر باذواره عيون الاولياء . وظن انه لم يقدم حركته المقسرونه بسالحسنات . ولم يقرب من عبر الفرات . اشدفق عليه مسن التعب . ليكون عسسكره مستريحا عند الطلب . فإن الحاجة اليه في الربيع أدعى . ومصلحة الاسسلام في ذلك الاوان أولى أن تسراعى . ولو عرف أن الركاب القطبي قد دنا . لبشرته السعادة بنجح المنى . ولا ستقبله بسالذفوس والارواح . وتلقته القلوب بسالقبول العبسق بنشر الاشراح . وان اشتعل القلب بما فاته من حظ من الاستسعاد بوفوده . فقد بشر أمله بنضارة عود نجحه عند عوده ونجاز وعوده .

وفي آخر هذه السنة ندب الرسال الى الاقال والامصال . اللستنفار والاستنصار . وبث الكتب وكتب بالبث . وحدث الرسال الرسل بالحث . وبعث المسرعين لاستبطاء البعدث . وانهض للتبليغ كل بليغ . وجرع كأس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيغ . وسرح عدنان النجاب الى سيف الاسلام باليمن . وشرح في الكتاب اليه ما جرى من حوادث الزمن . ووصفت له جلية الحال . وما نحن عليه من دوام القتال . وطلبت منه الاعانة بالمال . واساتعين واستنجد . واستلين واساترفد . وحض على حنفه من انجاد الاسلام . وان يكشف بسني طلوعه من الاظلام . وأرشد الى نهيج السماح . وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح . وتجريد الجرد العتاق . وتوفير الحمول التي تضرجها في سابيل الله يد الانفاق . وكوتب قزل ارسلان بهمذان . بما دنا منه عزمه ودان . وحكم على كل ملك بحجة الايمان . وهدى إلى محجة الاحسان .

ذكر وصول رسول سلطان العجم ركن الدنيا والدين طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بالالتجاء الى ظل السلطان وارتجاء ماله من فضل الاحسان.

ورد من عند طغرل سلطان العجم . أمير من خواصه هـو أيلدكن أمير العلم. فضرب له من الخيم الخاصة سرادق . ووفرت في الضبيافة له المنافع والمرافق . ومضمون رسالته أنه خانته من امرائه ومماليكه العامة والخاصة . وخصته في سفراته وذكباته الخصاصة . وأن عمه أخا أبيه من أمه قد استولى على ممالكه . وضيق عليه سعة مسالكه . والجاه الى هذا الالتجاء . وهو بقوته مسن هسذا الجانب قوي الرجاء . وقد وصل الى حد مملكتك بقرب اربل . واراد الوصول الى الموصل. لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقدوب بن قفجاق . ينتظر مذكم الاصراخ والاشفاق . وعز الدين حسن من خدم دولتكم . والمستمسكين بعصمتكم . والمستوثقين بذمتكم . وأنا عنده مقيم . وعلى سنن الأمل مستقيم . فان استقدمتني اليك قدمت . وان أمرت أمراء أطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من النصر ما عدمت. وانا الآن هزيل عامك . ونزيل إنعامك . ووصل معه كتاب بخطه . قد بث حزنه فيه بشرحه وبسطه . وأبدى الاستكانة . واستدعى الاعانة . واردف رسولا برسول . وكرر سؤالا فيما التمسه من سول . فاعتذر السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل . وأنه لامطمع مادام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل . فحكتب إلى زين الدين يوسف صاحب اربل والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهر زور بالتوفر على خدمته . والارتياد لمصلحته وأشاعة معونته . شم ندب كبيرا السفارة بينه وبين مظفر الدين قزل أرسلان وهو جمال الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن عبند كونه نسبيبي ، ليكون القيام بهذا الامر من نصيبي . وسعى في المصلحة والمصالحة . والمصافاة على صفقة المودة والمصافحة وحفظ حسرمة تضرعه وتذرعه . وسياتي ذكر ما أل اليه الامر في موضعه .

وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسي الهكاري بمنزل الخروبة سحرة يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة . ولقد كان من الاعيان . ومن مقربي السلطان . ومن أهل الجد في نصرة الايمان . فذقله الله الى الجنان . وحمل من يومه الى القدس فدفن به . وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن ابي عصرون بدمشق يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رمضان . وهو شيخ المذهب الذي لم يخلفه مثله . ودف معه فضله . وكان مولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو بكرة يوم الجمعة النصف من شعبان منها وكان من الابرار الأخيار . والعظماء الكبار .

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبة . وكل من الملك العادل والملك الأفضل والملك المظفر في خيمته المضروبة . وعكا محصورة ، وجماوع الفارنج الي حصارها محشورة . وعلى تعذرها عليهم محسورة . وخدرجت هذه السنة والحصر مستمر . والسلطان في ملازمة القتال مستقر . وحيا النصر في الاحيان مستدر . وقد تسنت للاسلام مباهج . ووضحت السعادة مناهيج . وبانت للقتال مداخل ومضارج . وانقلطعت بين الوشيج وأرضام الارواح وشائج . واشتدت لتباريح الأشدواق الى لقساء الاعداء لواعج . وتالفت في الاقدام مقدمات ونتائج . ولناجـح المنى منا في مدى الرجاء مدارج. ولخطباء الظبا في منابر الطلى معارج. وللجهاد جهات . وللعزمات أزمات . واتفقت حسنات وحسنت اتفساقات . وكانت لنا مسرات هسى لأعدائنا مسساءات . ووقعست عجائب . واعجبت وقائع . وابدعت غرائب . وأغربت بدائع . وا جِتمعت كتائب . ونايت نوائب . وصفت تارة وكدرت مشارب ، وساعدت الاقدار . وتباعدت الاكدار . وهلك من الفرنج المصاصرين في الوقائع عدد لايقع عليه الحصر . ولكم أسفر صبح أصبحب فيه جماح الظفر وسفر النصر . وسيرد حديث كل حادث بمفرده ، ويجدد ذكر كل متجدد بمجرده . كان السلطان يركب احيانا للصيد . بعد ان يحذر على ما يظهر العدو من الكيد . وهو لايبعد من الخيم . ولايقرب من مسائل الديم . وركب يوما في صدفر على عادته فتصيد . وطاب له قدرب القنص فأبعد . واليزكية على الرمل وساحل البحر من الميسرة . على الحالة المحتاطة المستظهرة . فخرج الفرنج وقت العصر في عدد لايدخل في الحصر . وتسامع أصحابنا بهم فرحفوا اليهـم . وحملوا عليهـم وطردوهم إلى خيامهم . وأخذوا عليهم من خلفهم وامسامهم . ومازالت بينهم حملة وحملة . وشلة وشلة . وسلة وسلة . وركضة وركضة . وذفضة وذفضة . ومشقة ومشقة . ورشقة ورشقة . وجذبة وجذبة . وضربة وضربة . وشدة وشدة . وردة وردة . وضمة وضمة . ولمة ولمة . وأصحابنا ظاهرون . وبالراد ظافرون . ولهم في كل دفعة من العدو قلائع ، وللفرنج في كل كرة على الرمل مصارع . حتى فني النشاب وبقي الانتشاب . وشاع نداء الاصحاب باستدعاء النشاب . والفرنج لايعجزهم الا الرماء . ولا يهتكهم إلا الاصماء، ولايذف رهم الا رنة الاوتار . ولاينذرهم الا أنة القسى بسالدمار والبوار ، فلما أنسوا بخلو الجعاب . تجاسروا على الدنو من تلك الشعاب . وحملوا حملة واحدة ردوا بها اصحابنا الي النهر . وكادت تعبث بهم يد القهر . فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مسرصوص البنيان . واشرعوا الى نحسور ذلك الذئاب ثعسالب الخرصان . واستشهد جماعة من الشنجعان استحلوا طعنام الطعان . وشاقهم جنى الجنان . وذلك انهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرسانا . وصرعوا اقرانا . فنزلوا بعد فرسهم . لسلب لبسهم . فمرت بهم الحملة في الاوبة . وأعجلتهم عن الركبة والوثيسة . وأظلم الليل فافترق من معاركها الجمعان . واجتمع في مراكزها الفريقان . وكثر التاسف على من فقد . وكان الحاجب ايد غمش المجدي ممن استشهد . وزاد التلهف على فوات الفرصة . وكيف أغفل ذلك القنص عن تلك القنصة . فان العدو صار عرضة للصرعة ف تلك العرصة . ومن نوادر هذه الوقعة . وطرائف هذه الدفعة . ان مملوكا للسلطان يقال له سرا سنقر . وهو يتطاول في كل معتدك ولايقصر . عثر به جواده . وثبت على الجرأة فؤاده . ورجله عثاره . وأسدله أنصاره . فقبض من أسره شعره ليجذبه . وسدل أخدر سديفه ليضربه . فضرب يد قابض شعره فسيبه . واشتد سرا سنقر يعدو ناجيا وللخلاص راجيا . وهدم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه . وفاتهم بعون الله فلم يدركوه . وهذا قذفته المذون من لهاتها بعد ازدراده . وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده .

ذكر فتح شقيف أرذون

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسالم بالامان شاقيف ارنون . واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمارج عيون . وصاحبة ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل . وباب خلاصة دون فتح شقيفه مقفل . وذلك أن الشاقي في الشاقيف فني زاده . وعز اجتهاده . ومرد عليه في الحفظ مراده . وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياده . فسلمه على أن يسلم صاحبه . وتخلص في النجاة مذاهبه . وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه . وتركه للاسلام بما يحويه . وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور . ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور .

ذكر حال عكا ودخول العوامين اليها ووصول الكتب

كان السلطان اغتنم هيجان البحر . وحضور مراكب الاسطول من مصر . فمازال يقوى عكا بتسيير الغلات والاقوات والقوات اليها في المراكب . وقد ملاها بالنخائر والاسلحة والكمات المساعير والحناة المحارب . فلما سكن البحر . وأمن غائلته الكفر. . عادت مراكب

الفرنج الى مراسيها . ودبت عقاربها وأفاعيها وشدت مراكبنا في موانيها . وانقطع عنا خبر البلد . وامتنع عليه بخول المدد والعدد . فانتدب العوام للسباحة . وحملتهم السباحة لهم بالرغائب على وضع المنهج في ميزان السماحة . وعلموا انهم انا سبحوا ربحوا . واذا سلموا فراحوا فرحوا . حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على ا وساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم. ويحملون كتبا وطيورا ، ويعودون بكتب وطيور ، ونكتب اليهم ويكتبون الينا على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الامور . ويودع المكتوب والمكتوم ما نطلعهم عليه من الخفي المستور . وكان في العسكر مسن اتخذ حماما تطوف على خيمته وتنزل في منزلته . وعمل لها برجا من خشب ، وهرادي من قصب ، ويدرجها على الطيران من البعد . ويوردها لشبعها وريها احب الحب واعذب الورد . وكنا نقول ماهذا الولع بما لايذفع . والوله بما لاينجع . حتى جاءت نوبعة عكا فذفعت . وشفت الغلل وذقعت . واتت بالكتب شارحة سارحة . ووفت بمفاتيح الغيب بالبشرى مفاتحه . فصرنا نحبو صاحب الطيور بالاطراء . ونخصه بالمدح والثناء . ونامسره بالاستكثار . ونطلبهامنه مع الليل والنهار . حتى قال وجودها عنده لكشارة الارسال . وكنا نعرف بها جلية الاحوال . ونعلم أن الله علمه ذلك البر . والهمه ذلك السر . فانه اطلع على مايدفع اهل الاسلام . فحمى حمى هداهم بهداية الحمام . فانها امينة على الاسرار ضمينة بالاسفار . قمينة بكرامة الاحرار . مصونة من بين الاطيار . جريئة على الاخطار . بريئة من الاعذار . معدودة من الانخار . مودودة مم الاخيار . وحمام البلد الينا مع العوام محمولة . وعقود الاكياس عليهم محلولة . والضرورة تحمل على تحمل الضرر . والغرارة تبعث على الاذبعاث ألى الغرر . والفقر يدعو الى ركوب الخطر . وفيهم من سلم مرارا من القوم . فاجترات نفسه وأنس بالعوم . ولقد عطب عوا مون . بالامانة قوا مون . فما ارتدع الباقون . وما قالوا انهم لما القى رفقاؤهم الاقون ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشــتاء وانكسـار البرد في الانتهاء

ولما انحسر الشبتاء وانكس ، وانتشى الربيع وانتشر ، امتسر السلطان عساكره بالعود فتوافت أمسداد أجوادهم توافي امسداد الجود . فكان أول من وصل الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن ا محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة . وهـ و بـ أكمل العـنة وأحسن الاهبة ، وسابق الدين عثمان صاحب شيزر ، وهدو الذي ببسالته يقسر الليث القسور . وعز النين ابراهيم بن المقدم المقدام . الهمام بن الهمام . والكريم بن الكرام . والاست الضرغام والسبيد القمقام . ووقد معهم جموع مسن الاجناد والاعيان . وحشود مسن العرب والتركمان . ففاض بهم الفضاء . واكتسى برياشهم العراء . وكثرت الجنود . وانتشرت البنود . وحلقت عقبان الالوية . وتلاحقت ذؤبان الاودية ، ولمعت بوارق البيارق ، وارتفعت عوائق البوائق . وحملت بواسق السوابق . وثبتت وثائق العلائق . ونبتت شلقائق العقائق . ونظرت أحداق الحدائق . ويسرت طرائق الطوارق . واعجبت أزهار الرايات وانهست غايات الفايات . ونزلت بحسن الصنيع نصوص النصول . ودارت بيد الربيع فصوص الفصول . وعلت الاعلام . وحلت الاحسلام . وومضت المواضى ومضست . واقتضت القواضب القواضي وقضت . وعريت البيض من الحلى . وغربت السمر بالكلى . واشتاقت لدات اللدان الى العناق . وتساقت شفاه الشفار الى لثم الاعناق وتحدث في المجاراة باجراء العتاق. وطالت رقاب الرقاق الى غلاظ الرقاب . وأعجم عن جمجمسة الجماجم اعراب العراب ، وحمى عزم البطل . ومحى رسم الملل . وعاد الجد الي جدته . والحد الى حدته . وخرج البرد من عدته . وفاز النصر بعدته . وجليت بنت الغمد في زي الهند وري الفرند . وقطف ورد الورد للشد الى الورد . وقال الناس إلام ننتسظر . وعلام نصبر ولم لانشتفل وكيف لانشتعل . وحتام القعود . ومـم الركود . ولماذا الرقود . وقد نظرت السعود . ونضر العدود . وصدقت مدن

اصحابنا الوعود . فرحل السلطان وتقدم . وعزم علي طلب العدو وصدم . ونزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول . في الفصل الاعدل والفضل الاكمل . وتدانى العسكران . وتعالى العثيران . وتقارب القرنان . وتحارب الحزبان . وترتب العسكر الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا . وفي ركوبه على تريب منازلهم طلبا طلبا . فكان الملك المظفر تقي الدين في أخر الميمنة الميمونة . والملك المعادل في أخر الميسرة الميسرة المنصورة المصونة ، والملك الافضل في أول ميمنة القلب وأخوه الملك الظلاما في أول ميسرته على الجنب ، والكتائب مكتبة ، والمقانب مقنبة ، والسماء بالنقع الثائر منقبة ، والارض بوقع الحافر مثقبة ، والعساكر مترادفة مترافدة . متتابعة متواردة ، متسابقة متلاحقة ، متناسبة متناسبة متناسقة . متوالية متوالية متوالية متوالية متابية على الكفار .

ذكر وصول رسول دار الخلافة مع ضياء الدين الشهر زوري في جواب رسالته

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الأول رسول دار الخلافة ، بالنجدة والعارفة والرحمة والرأفة ، وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التين بمدينة السلام ، فتلقاه السلطان بالاحترام والاكرام ، واحتفل لوصوله ، واستقبله لقبوله ، وتلقاه الامراء على الترتيب ، فمنهم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من وقف له بالقريب ، ثم اخوة السلطان وأولاده واحدا بعد واحد . وماجدا بعد ماجد ، وبادئا بعد عائد ، شم ركب السلطان اليه عند القرب من سرادقه ، وأدناه اليه بتعانقه ، ثم سار معه قليلا (٤٤) وأصحبه من خواصه وأمرائه قبيلا ، حتى نزلوا به في بار كاه له مضروب ، وخصه بصدوف من الالطاف وضروب ، ووصل معه حملان من النفط الطيار ، وحملان من القنا الخطي الخطار ،

وتوقيع بعشرين الف دينار . تقترض على الديوان العريز من التجار ، وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين صاعة الاحراق بالنار . فاعتد السلطان بكل ما أحضره . وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره . غير انه ابدى رد التوقيع مع الصنيع ، وقال كل ما معي من نعمة امير المؤمنين وعارفته ، ولقد نعشنى ما شملنى من عاطفته ، ولعل الله يوفقني القيام بالفرض ، ويغنيني عن الالترام بالقرض ، وأركب الرسول مرارا معه واراه مبارك النزال . ومعارك القتال . ومصارع الرجال . ومجامع الابطال . ومطالع القاء . ومواضع الهيجاء . ومصالت الاقدام . ومنابت الاقدام . ومدواقف وتل الفضول . وبقية التلول . حتى يشهد بما يشاهد . ويبين له المجتهد والمجاهد . وأراه ما لم يره لياشر أشره . ويخبر بجملته ويجمل خبره . وأقام الرسول طويلا . وأقام له السلطان من طوله دليلا . ووقر له عطاء جزيلا . وعرفا جميلا . حتى استانن في العود فعاد . واستصحب الشكر والإحماد .

ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالابراج والاعجاز بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار . شرعوا في عمل الابدراج الكبار ، وركبوها من الاخشاب الطوال . والعمد الثقال . وبنوها وقدموها ، ونصبوها وأحكموها . وسقفوها طباقا . وسلمروها بالحديد . وجعلوا لها منه أطواقا ، ووثقوها شدا وشدوها وثاقا . ولبسوها بالسلوخ ، وملاوها بالجروخ . وزحفوا بها الى السور وكشفوا بللسائرمي منهسا المعض سلمستقوف الدور . وتسلما عدوا على طم الخنادق ، وتفتيح الطرائق ، ووصل من المدينة عوام ، يخبر بان التلف بها حوام . وان البلاقد أشرف . والخلور قد أسرف . والابراج علت . والاسوار خلت والبلاء قد عم . والخندق قد طلم .

وانته إن ته هدذا عراكم العهار . واظلم على الدنيا والدين بليله النهار فاحتمى السلطان واحتد وشد واشتد وكرب وركب وكان يحسب هذا فجاء كما حسب . وزحف الى الفرنج ليشفلهم عن الزحف ويصرفهم عن الفتح بالحدف. وذلك في العشرين من ربيع الأول يوم الجمعة . بالجحافل المجتمعة . والغماغم المرتفعة . والصوارم الملتمعة . والصلادم الممتنعة . والأسنة المشرعة والاعنة المسرعة . والحوائم المنتجعة من النجيع . والبيارق المختفقة كأزهار الربيع ، واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين . صاحب دار محمود ابن بهرام الاردقي . بالجمع الوافر الوفي والعسكر النخي الذقي ، وسار الى القتال على حاله . بخيله ورجاله . وضايقهم السلطان مضايقة عظيمة . ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمة . حتى دخل الليل . ولغبت الخيل . فقدوى ذلك الليلة اليزك . والزمهم في الحفظ الدرك . ورجع الى مخيمه مساهدا ساهرا ، مجاهدا بالبكور نحوهم مجاهراً . فلما اصبح يوم السبب صبحهم بسالحرب . وسبحهم على بحر الكر والكرب . ورجل الرجال اليهم . وانزل الذوازل عليهم . وامتزج بياض النهار بسواد الذقم . واتسم خرق الواقعة على الرقع ، وانقضى اليوم ، وقد انقرض القوم ، وتفرق الجمعان وقت العشاء . عن قتيل غريق في الدماء . أو جريح على بقية الذماء . وبات الناس في السلاح شاكين . وبنار المذاكي ذا كين . ولما تم منهم وعليهم حاكين . ورجع السلطان الى خيمة ضربت له على تل العياضيه . وقد الزمته البسالة الطبيعية ، بالرتوع في رياض الاخلاق الرياضية . وأصبح يوم الاحد راجعا الى قتال أهل الاحد . واستن من الجد على انهج الجدد . وامر بانتقال السوق الى قربه ليقرب من العسكر ، وأيده الله بالنصر الاظهر . والظهـور الانضر . واقام كذلك وهو في كل يوم يغدو وينازل . ويعد ويقاتل . ثم نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاثقسال الى المخيم لئلا يغيب حاضر . ولايصاب عن الورد صادر . وليكون غلمان العسكر للحرب مباشرين . ولمعشر الكفر بادارة كؤوس الردى عليهم معاشرين . فانتدب منهم الى الحرب كل مجترىء الوقائع مجترح. وكل محتررق

على نار الهيجاء الهياج مقترح . وكل وقاح بالحراب وقاع . وكل صرار بارداء الكفرة نفاع . وكل غلام له من هيجان الحمية لفام . وكل اســـــد غدا الى

الشد له في حدومة المأزق زئير وبفام . وكل متلاف للفيرة غير متلاف . وكل جاف عن سوى السوء متجاف . واخدوا من بيت السلاح السيوف والتراس . وطلبوا بقصد العدو الاقتناص والافتراس. وابلوا بلاء حسنا. واوضحوا بالنكاية في العدو سننا. ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين . عوام من البلد يخير يقوة المشركين المساصرين . وان البلد ضدويق . وأن العدو المخذول يحيق به كيده وان حوقق. فتقدم السلطان ليشغل العدو عن قتال البلد بقتاله . ويكف بنزاله عن نزاله . وجدد الكتب الى الامصار . بالاستنفار والاستنصار . فاول من وصل ولده الملك الظاهر صاحب حلب . وقد جمع وجلب . وتقدم عسكره يوم الجمعة وتفرد بوصوله . وحظى من نظر والده بسوله . وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين ثم عاد الى معسكره . وجاء يوم السبت في حسن منظره واحسان اثره . في منظر ناضر . ورونق حاضر . وجمع كثيف . وحشد لفيف . وبهجة رائعة وروعة مبهجة . وهيأة معجزة وهيبة العدو مزعجة . وصولة دائلة . ودولة صائلة . ورقاق وذوا بل . وعتاق وصواهل . وعوابس وعواسل . وشعوب وقبائل . وقدم في هذا اليوم مظفر الدين بن على كوجك وهو صاحب حران جريدة . وقد استأنف الجهاد عزيمة جنيدة . ثم عاد الى عسكره ليقدم به . ويحضر بجنده وتركمانه وعربه

ذكر وقوع النار في أبراج الفرنج الثلاثة واحتراقها وتلف كل ما كان و من كان في طباقه .

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثامن والعشرون تتابعت بنظهور دلائل النصر وتناصر استباب الظهدور المبشرون - فنظرنا والنار من احد الابراج في السماء بشعلها متسامية . وفي الجو بشرارها مترامية . ومايدري ماسبب هنذا الحسريق . وكيف تيسر هذا التوفيق واحدقت النار بالبرج فانا هو كشجرة من نار. وقلوب المشركين لاستعارها في استعار . ووجوه المؤمنين لانوارها في استبشار . ثم راينا البرج الثاني وهو يحتـرق . والنار في اثنائه تحترق . ثم نظرنا الى البرج الثالث فاذا هـو يشتعل . وبالسنة النيران يبتهل فما برحنا حتى سقطت ثالا ثتها ، وبلفت الينا من صدماتها وحدماتها استغاثتها . وركب السلطان ونحن معه ونزلنا ذكتب بشائر النار . ونسير بطاقاتها على أجنحة الاطيار والعجب ان الأبراج كانت متباعدة غير متدانية . وقد أبعدها الفرنج لمسافات متنائية ، فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه ، وخسف ا سواره وكسفه ، فاحترقت على تباينها في وقت واحد . وقسدر مسن الله وارد ، فلم يكن ذلك الاسرا الهيا . ولطفا ربانيا . وفسرجا بعد الشدة . وثلجا لصدور المؤمنين بدلك الوقده ، وكان سبب حريقها ان رجلا يعرف بعلى بن عريف النحاسين بحمشق كان قد استأنن السلطان في دخول عكا الجهاد ، واقام فيها باذلا للاجتهاد ، وغرى بعمل قدور النفط وتركيب عقساقيره ؛ وتعيين كل نوع وتعيير مقابيره ، وتقبير معاييره ، والناس يضحكون منه . ويغضون عنه . ويةولون هذا يضيع ماله فيما لايعنيه . وماهذا الهـوس الذي وقـم فيه . وهو يعد لذلك العمل الآلات ، ويجد في تلك الادوات ، ويكثر القدور . ويرتب الامور . فلما قدمت الى البلد ذلك الابراج ، وحصل من الامتزاج الامتزاج . قوتلت بكل فن ، وابنى اليها من النفط كل قدر وبن . ورميت بكل قارورة محرقة . وكل نفاطة مرهقة . وبالغ في صنعته الزراق فلم يتم في شيء منها احتراق. ووقع الياس. واستسلم الناس. فمضى ابن العريف. بل ابن العريف. الى بهاء الدين قراقوش الامير وقال قد رأينا ماا عترض من التدبير. وماعرض من التقيير . فافسح لي في رمي هذه القدور . فلعل الله يأتي منها بشفاء الصدور . فانن له على كره . وقال مااري لاحسراق هذه البروج على يده من وجه . فإن الصناع قد ابلسوا والزراقين العارفين بالصناعة يدسواه فلما وجد الانن وزن القدور وعيرها

ورمى بواحدة منها الى احد الابراج في المنجنيق وعبرها واعتبرها ثم لما استوت رمايته وصحت في الاصابة درايته . رمى بقدور نفط لانار فيها وهو يصبها على اعالى البرج ويستهها ، والفرنج يعجبون من البال ولايدرون بما وراءه من الشعل ، شم تخف بقدر ناريه ، متشبعة بكل بلية فوقعت في الطاقة الوسطى ورمسى اخسرى فوقعت في السفلى . فاشتعل البسرج مسن طسرفيه الابنى والاعلى ، وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سببعين . فاحترقوا اجمعين . وبخل اليه ايضا جماعة لاستنقاذ مافيه فساحترقوا بدروعهم وسيوفهم . وتقلبت الجميم عليهم غيظا لا ستبطاء حتوفهم . وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثانى . ولم يلحقه في احسراقه التواني ، وانتقل الى الثالث فأحرقه . وماكان ذلك بصنعته منه بـل لان الله وفقه . ومازالت تحترق الثلاثة وتتقد اتقادا حتى عاد جمرها رمادا ، وبياض نارها واحمرارها في السماء على الارض سوادا . واحترقت المجانيق والستائر التي كانت بقربها . (وبهت الذي كفر) (اليقرة ٢٥٨) واسف على نصبه في نصبها . وحمد الكفار بـذلك الضرام ، وسلوا عما كانوا فيه من غرام . وهبطت اعمالهم . وهابت امالهم . وركدوا بعد حربهم ، وركنوا الى خريهم ، وضاوا في سعيهم . وتورطوا في بغيمهم . وسقط في اينيهم بسهوط اينهم وحيق مكرهم بهم ، وكيدوا بكيدهم ، وخرج رجالنا من البلد فنظفوا الخندق وسدوا الثغر، واظهروا بظهور القدر القدد، وجاؤوا الى مواضع الابراج واماكنها واستخرجوا الحديد من مكامنها. ونبشوا الرماد عن الزربيات التي انسكبت ، وكشفوا عن الستائر التي تهتكت . فاخذوا ماوجدوا وحصداوا على مانشدوا واترب من ترب من تراث ذلك التراب. وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخدراب. وبردت من حر ذلك النار . وشفى أوامها بنذلك الاوار . والحمد لله الذي جعل ذلك النار لاوليائه بالبرد والسلام ابراهيمية . وعلى اعدائه بالحر والضرام جحيمية ٠

ذكر فصول انشاتها من كتب البشائر بالنار

صدرت ميشرة يما أجده الله من الجد . وانجزه من الوعد .واجزله من الرفد . واعذ يه حال الظما اليرج من الورد . وذلك مساظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الاول من الاثفاق الحسن . والنصر الذي يقصر عن وصفة ذوو اللسن وهوان احسحابنا بعكا رماوا يقدور النفط عند العدو المنصور . واحسرقوا جميع مسالهم مسن المنخور . واحترقت ثلاثة ابراج كانوا قدموها . ودبابات قدربوها . ومنجنيقيات نصبوها . ولهم منذ دسعة اشهر يجمعون هسنه الالات . ويستسهلون عليها الغرامات . حتى اقدموا ابراجا اعلى من ابراج السور بضعف سمكها وقربوها ناكية في الثغر المصروس بفتكها . وشحدوا بالرجال المقاتلة طباقها . واطلوا على مناكب البلد اعناقها . فاشفق الاسلام من نكاياتها . واظلت الافساق مسن غياياتها . وكشفت من البلد جانيا وجبت من سوره غاريسا . فساقدر الله على احراق ماعمل في تلك المدة المديدة في ساعة ، وامسى العسدو بقلوب وافئدة مرتابة مرتاعة . وماا فصبح السن النيران . على تلك الأعواد خاطبه . وما ابسط اينيها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهبة سالبة

نمال

هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذي ورت زناده . والنصر الذي قسرب ميعاده . وذلك ان اصحابنا بثغر عكا استظهروا وظهروا . وصدبروا فانتصروا . ورموا من البلد ابسراج الفسرنج المنصسوبة عليه بقدور النفط . وانزلوها من سماء الرفعة الى ارض الحط . واطالوا بها ألسن النار المنصرمة . ودبت مسن الابسراج المقسربة الى الدبسابات المقسده . وعلم العسدو ان كرتسه خساسرة وان يده عن نيل المنى قاصرة .

هذه مبشرة بالظفر الهني . والنجع السني والنور اللامسع مسن النار . والنصر الواري الزناد الطائر الشرار . وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشري ربيع الاول . وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو قدم ابراجه وسلك في المضايقة منهاجه . ولزم في الزحف الدائم لجاجه . فاستظهر الاصحاب عليهم وقت الظهر . ورموهم بقدور النفط المحرقة من الثفر . فطالت السنة النيران تدعو على اهلها بالبوار . وتبدي في تضرمها تضرعها الينا للاعتذار . وشاهد اهل النار مااعد لهم في سقر . وتلونا قدول الله سبحانه فيهم: كذلك نجزي من كفر (٣٣)

(قصل الى الديوان العزيز)

ولما كان ظهر يوم السبت ظهر اهل الجمعة على اهل الاحد ورمى اصحاب المحمورون المنصورون عدد العدو وابراجه بقدور النفيط من البلد فضطبت السنة النيران على تلك الاعواد . بسل على تلك الاطواد . والحقها رداء الردى والحقتها بالوهاد . وفرشت رمادها لم اولئك المراد . فيكانت تلك النار على الكفسر ضراميا . وعلى الاسلام بردا وسلاما . واحترقت الابراج الشلاثة على معتقدي التثليث . ودبست النار الى الدبسابات والمنجنيقسات بمسدمه التأبيث ودبت النار الى الدبابات . بعسدمة التأثير وحدمة التأريث، ومااطول ألسن النار . واقعسحها بالدعاء على اهلها التأبر . وقد ابدت الى الاسلام بتضرمها وتضرعها وجسه بالتبار . وقد ابدت الى الاسلام بتضرمها وتضرعها وجسه الاستبشار . ومااحسنها وهي ترمي بشرر كالقصر . ويكسو سنني بالتبار . ومااحسنها وهي ترمي بشرر كالقصر . ويكسو سنني لهبها وجود المؤمنين بشر النصر ومااقطعها لدابر المشركين وقد خصت باحراق تلك الآلات عن البلد اجنحة الحصر . وبسم بعد غيوس البوس باسم الله ثغر الثغر . وقد بغتت هذه الفجيعة فجأة من

حوته تلك البروج . وبخل الى طبقاتها قوم لاطفاء النار فتعذر عليهم الخروج . وهلك فيها اكثر من ثلاثمائة دارع . وخرج من اهل البلد لما حق الفرج كل مسابق . الى الغنيمة مسارع . وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف . كل ما وجدوه خلل رماد تلك الحتوف . وكان القوم قد اعتصموا بالابراج وثوقا بوثاقها . واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقها . ووصلوا بها اجنحتهم . ونخروا فيها اسلحتهم فاخفقت ظنونهم . وسخنت عيونهم . وخسر هنالك المبطلون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

فصل من كتاب الى اليمن في وصدف الابراج واحراقها

استذفد الفرنج اموالهم في عبد اعدوها . والات اجدوها . واحكموا ابراجا شامخات ومجانيق شادخات . وزاد غرامهام بالفرامات . واستقلوا على عمل الابراج كثرة الخسارات . ومكثوا مدة على لجاجهم .يطرقون بين يدي ابراجهم . ويمهدون الارض لتسوية مهاجهم . فلما قدموها بعد لأي . واحكموا باحكامها كل تدبير وراي . واشر فوا منها على سور البلد بأمور ذات أسدواء . وجاؤوا بالات وادوات ادواء . واشفى البلد من بلائها واشفق ووجل كل قلب وفرق. واحتجنا لمزاولة هذا الخطب الجليل. ومدا واة الامر العليل الى ان نشغلهم بحصرنا اياهم عن التفرغ للحصر . وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر . فكان من لطف الله مالم يكن في الحساب . واتى الله المجرمين بالعذاب، والهم اصحابنا مادا ووا به المرض . وادركوا به الفرض . واظهرهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور . وأقدرهم على رمسى ذلك الابراج بالذفط في القدور . وظهر من سر منع الله ما كان في المقدور . فتسلطت النار على عمل اهل النار وتصاعدت زفرات غيظها بانفاس الشرار . ولم نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان وكان كما قال الله تبارك وتعالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) (الرحمن ٣٥) وعادت ذلك الاكم وهادا .وذلك الجمر رمادا .

وتحلحات تلك الجبال وتحلل تركيبها . ولحسق بالتراب ترتيبها . وتذكس منها صليبها . وكانت ثلاثة ابراج شاهقة فلعبت في مسلاعبها النيران فاذا هي زاهقة . وتنقلت نجوم الشعل في تلك البروج . وعجز شياطينها برجمات شهبها عن الخروج . وتسلط الحضيض على يفاعها . وباد الدارعون فيها بادراعها . واضحك الله ثفر الثفر بما اطابه من ارج الفرج . واضمد باشتعال ذلك الوهسج ما اكرب قلوب المؤمنين من الوهج . وصان مهج أهسل التسوحيد بما أرداه لأهسل التثليث من المهج .

(فصل)

تقدم الدشركون بالابراج الى البلد فقربوا من اسواره . والصدقوا منها جدرانا بجداره . واشر ف الثغر على الفطر العفليم من جواره . فاظهر الله ما كان خفيا من سر أقداره . واحرق عمدل اهدل النار بناره . وكان اصحابنا عاينوا مسادهمهم وهمهم . وخصسهم مسن الخطب وعمهم .نصبوا مجانيق بازاء الأبراج . وصدعوها بها صدع الزجاج .ورموها منها بقدور النفط فا شتعلت رؤوسها وشسابت وشبت ، ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت . وارسدل الله في دلك الساعة بعذابها ريحا بها هبت . فامست اجنحتها قد حصت واسنمتها قد جبت .وسقط في ايديها ووجبت جنوبها وكبت على وجوهها في النار وكبت • فما افصح السنة النيران وقدد نادت بنصرنا والفت منها قلوبنا بما الفت من نقع غليلها واحبت • والحمد بنصرنا والفاقه التي ماغابت ولااغبت •

وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحسوال التي جسرت بحقها وحقيقتها . وحليتها وجليتها . فانه يشتمل كل فصل على تمسام مساغفل في غيره . ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره

ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة

وفي الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاخر . قدم عماد الدين زنكي بن مودود ابن زنكي بمن استنهضه من العساكر . وكان اول من استقبله حين ظهرت راياته . من المسكر كتابه وقضاته . ثم لقيه الملك اللظفر تقي الدين بدل كيسان . ولقيه بعده الملك الظافر خضر و المعز اسحق ولدا السلطان . فنزل لهما ونزلا له . وتعمدا اعظامه واجلالة ، ثم تلقاه الملك الافضل ابنى من ذلك فتعانقا على فرسيهما اعفاء له من النزول . وتلاقيا بالاقبال والقيول . ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك واللطف المتدارك . واعتنقا على ظهر . واتفقا على بشر وذشر . وكان الملك العادل تأخر فلحق . واظهر من ارج سجاياه ما بنشره عبق وبحبه علق . وسار مع السلطان باطلابه وابطاله . وحماته ورجاله . حتى وقف قباله العدو بصدفوفه . ووقف عليهم طول الرعب وبطول وقوفه ثم رده السلطان الي خيمته على رسه الضبيافة . وترفرفت الطافه عليه بالاطافه . ووقف ساعة مسم الملك العادل حتى بخل السلطان سرادقه وجاس . وحضر الملك العادل يعماد الدين وبسط لفرشه ثوبا اطلس. واكرمه السلطان باجلاسه الى جنبه على الطراحة . وأنسه ببشر السماحة والسجاحة . ووقف الامراء والخواص والاولياء صفين . وانشد الشعراء صن المدح والنسيب صنفين . ثم احضرت المائدة فماد نحوها الحضور . وعقد الحيا لهم الحبور . ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان . وحسن الخبر والعيان . وخلا المكان وحلا الامكان . فأمر السلطان له باحضار عشرة من العتاق العراب . وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب . ثم نهض وهو بعبه الشكر ناهض . واوجه العذر عارض . ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية . وملا تلك المروج بعساكره الملية . ثم وصل من بعده ابن اخيه معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود صاحب الجزيرة . بعساكره الكثيفة الكثيرة . وذلك يوم الاربعاء سابع جمادي الأولى . بالأيد الأطــول واليد الطولي . فالتقام السلطان واخوه واولاده على قاعدة عمه . وأجراه

ن الضبيافة والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه . لكنه لم يقصر في القماعدة عن رسمه . ونزل بخيمته في فناء السرادق العمادي . وقد استكثر من العسكر الجهادي. فكان ذلك المرج بحسر امواجه الخيم والمضارب . أو سماء كواكبها ما اشرعته من صمادها الكتائب . أوغيل اساده في أجام القنا الفوارس . او غدير من السوايغ حيابه الترائك والقوانس, او سحاب بروقه الصوارم الرقاق . أو وهاد أكامها الصواهل العتاق . ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل عز الدين مسعود بسن مودود . وهو كوالده مسعود مودود، وفي شهامته وصرامته مشكور محمود . وذلك تاسع جمادي الاول يوم الجمعة بالمحاسن المتنوعة . والمفاخر الاصبيلة المتفرعة ، والصنائم المبدعة والبدائم المصنعة . وجيشه للقوة ضابط . وجاشه على الحمية رابط . وبأسه ليد الايدباسط وجنانه على الكفر ساخط . وهـو شـاب اول مـا بقـل خطه . وابتهم بكماله رهسطه ، وكان ابوه قد عزم على الوصول بذفسه . واذهاب وحشة الخطب الملم بانسه، ثم رأى المسلحة في الاقامة وتقديم ولد المشكور الشهور الشهامة، فانهض العسكر الجر معه ثم اتبعه بمن حشده وجمعه، فدورد ورود السحاب الكنهدور (٤٤) . وذور المطالم بسنى السندور (٤٥) واطلع بسطاوعه على معنى الياس المصور . واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه . وحافظ من الكرامة على تسوفير سسهمه ، وانزله في سرادقه واضافه . وأهدى خيله والطافه . وامر بانزاله في الميمنة بين ولديه اللكين الافضل والظاهر . وضاق ذلك البر الواسع ببحر العساكر. ولم يبق في أهل السلطان الأمن اقتدى بسه في الاحتفال بقدوم هؤلاء . واعتماد ما قسام بسه البسسرهان على المسالحة في الولاء . والسارعة الى الضيافة والاهداء . والاعادة الى الكارمة بعد الابداء.

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده

الحمد لله الذي نصر الدين بأهله وعجل بأنصاره جمع شمله . ووفق ا سد عرين الملك ان يحمى حوزة الاسلام بشبله . وللمجلس في طوله اليد الطولى . والمنة الثانية التي اربت على الاولى . حيث حث همته العليا . وحض لحظ بينه عزمته الماضية المضية . وشرف بولده علاء الدين من تقلد بوروده أوفى منه . وتعجل من وفوده أفوى منه . وأوفى جنه . فلقد ورد الى الساحل بحسرا ، وطلع في ليل القسساطل بدرا . واصفر لمرتقبي صباح النصر فجرا . وجللا وجدوه المؤمنين ببشراه بشرا. وملا صدر الاسلام أمنا. وقلب الكفر ذعرا. شم وصل زين الدين ويوسف بن زين الدين على كوجك صاحب إربل يوم الاربعاء في العشر الاخر من جمادى الاول . ذو السماح المؤمل و المجد المؤتل . بجيش كالسحاب للسيل . فدوت اخسلاف النصر بحقول ذلك الحجفل، وورد بكل ورد هنى . وجدسنى . وقدم بكل مقدام وزار خيس الجيش بكل ضرغام . وزار بكل اهتمام بالمذون همام . ووصير يكل واصيل اسبب النصر . قاطع دابر الكفر . ووفيد بكل واقد باليمن الواق . والنصح الكاق . والعز الصاق . والعرزم الشاني، وطلع بكل طالع بالسنى . جامع للمني . فارع بالفنى . فارك للخنى . سافك دم الشرك بالظبا والقنا، وكان هذا اول يوم لقائه للسلطان . واحسن اليه بالاكرام وزاد في الاحسان . وكان يجمع بين الحماسة والسماحة . والبشاشة والرجاحة ، والتوبد الى الناس. والتشدد بالباس، والتواضع مع الكرم، وددو الود مع علو الهمم .ماله مبذول .وذواله مأمول .وسيفه على الكفر مسلول .وامره بالطاعة في رعيته ومن في جملته مقبول . وهدو مدرجو مخشي . وكريم ه شي. ومهيب مرجو . ومحسن بسنى الحمد مجلو. وكان معه خلق كثير . في سلك الاتساق ومسلك الاتساع نظيم نثير . وانزل بقرب اخيه مظفر الدين في الميسرة . وتمكن الرعب بما تــم مــن الجمــع في قلوب الكفرة.

كان السلطان قد امر بتعمير اسطول آخر من مصر تصل فيه النخيرة والميره، والعدد الكثيرة . فلما كان ظهر يوم الخميس شامن جمادى الاولى ظهر الاسطول . وتم بظهوره النصر المأمول . فدركب السلطان في جحافله . وسدد سهام الردى الى العدو ومقاتله . واحدق به حول خنادقه . ليوسع عليه الهلاك في مضايقه . وليشغل الفرنج عن قتال الاسطول . ويسهل عليه بتشاغلهم طريق المسول . فعمر الفرنج اسطولا ، ووسهل عليه بتشاغلهم طريق المسول . وقدر أنه يلاقي الاسطول المنصور . ويخطر بسد الطرق عليه وصدها العبور ، فجاءت مراكبنا ونطحت مراكبهم وطحنتها . واوهت متنها واوهنتها واخذوا منا مدركبا . وكان تقصير الرؤوساء في وعدها للهم مركبا واخذوا منا مدركبا . وكان تقصير الرؤوساء في وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور الذفس وقتل من الفرنج عدة وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور الذفس وقتل من الفرنج عدة وافية .

ووصفت هذه الحالة في مكاتبة كتبها لتعرف منها وتكشف القضية الستورة وهي :

هذه المكاتبة مبشرة بما سناه الله من النصر الهني . وهناه من النجح السني . واجنى المسلمين من ثمر الظفر الجني ، وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور ، ظهر يوم المحيس متظاهرا بامداد الظهور . متوافرا بوفود الوفود ودخوله سالما غانما الى ثغر عكا المحروس المعمور . فاثر البلا بعد انفاضه . واجتمع اليه مدد القوة بعد انفضاضه . واستجد جدة وافيه . وعصمة واقيه . ونخيرة كافية . وكان الفرنج عند وصول اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها . وابرزت مناكبها . وهمت بالرجال

والعدد جوانبها وسنمت غواربها ورفعت هضابها وهـواضبها و وسحبت على ثبيج البحر سحائبها وادبت الى عقبان اساطيلنا اللحلقة بعقابها وثعابينها وعقاربها . وظنت انها تستطيل على رواسي اساطيلنا بسواريها وانها تواجه عرائسها الحلوة بحور جواريها . فلما جاء الحق زهق الباطل ، وصال الواصل ، وحاص العدو من الحاصل . وانحل تركيب تلك المراكب . وحطت تلك المناكب بما احاط بها من النواكب . وتفرقت سفن العدو شدر مدر . وعدر حين ذعر فحدر . وكست شوانينا ست بطس لهم فكسرتها . ووجست فيها عدة من الرجال المقدمين والنساء فاسرتهم ، وكانت الفرنج حملت فيها تجائر ونخائر تطلب ربحها فخسرتها .

وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهرا خميسه . ثائرا بالأسد عريسه . في شوان للعدو شهوائن . وشهانيات لشهه وفله ضوامن . وحراريق لاهل النار بنارها محرقة . وعقبان مهاكب في مطار العقاب على المجرمين محلقة . وسهواري ههواضب كرواسي هضاب . وسحاب بوائق كبوارق سحاب . ومه كل مهركب للنصر مركب . ومفرد من الشبة والبأس مركب . وقطعة لنياط قلب العدو قاطعة وقلعة لأساس أهل الكفر قالعة . وتلعة في ذروة العهة تليعة . وذروة في مرقى الههدى راقية منيعة ، وجهات في البحر أمواجا في الأمواج . ودخلت الى الثفر افواجا بعد الأفواج . وكان العدو قد أبرز أبساطيله . وجههز أسساطيله . وشهو وواعيه . وأدب عقاربه وأفاعيه . واسمى مناكب مراكبه . وجد في المهاء غروبه وتسنيم غواربه . ولما وصهال الأسطول طال وصال . واحذ الاسطول من مراكبه الكبار ست قبطع قبطعت واستحال . وأخذ الاسطول من مراكبه الكبار ست قبطع قبطعت اسبابها . وقصمت من عبدة الصليب اصلابها . وخيب حسابها .

وصل الاسطول الى البلد مستطيلا بالجلاد والجلد . وأشرى به الثفر بعد الانفاض واجتمع به شمل الرجاء بعد الانفضاض . ودخل اليه ماخرج عن حد الحصر . من نخيرة وميرة تـوجب كثـرتها قلة المبالاة بالحصر. فان الرايات المنصورة علت فجلت في الأفاق رياضا . والمراكب الاسلامية انقضت فقضت للمسلمين أغراضا . ووافت ووفت فأعادت جواهرها مراكب العدو أعراضا . وجاءت سواريها كالرواسي . وجهواريها محكمة المراسي . ومن شيمة حراريقها شيم بوارق البوائق لاحسراق أهسل النار في الماء . ومن عمل مراكبها الحاف مناكب الكفسار رداء الارداء . من كل جبل يمر مر السحاب . وضامر يشد شد العراب. وعقاب محلق على الشرك في مطار العقاب. وغراب ناعب ف اعداء الله بين الأحياب. وهضبة موفية على الهضاب. وقطعة وافية من الكافرين بقطع الرقاب. ومساأحسنها وقسد زفست عرادًس . وجليت أوادس . وطلعت بأهل الايمان بواشر وعلى أهـل الكفر عوادس . وعادت بها رسوم مراكب الفرنج دوارس . وخلا وجه البحر من سفن الضلال وتقلص مالها من الظلال. ولما شدوهد الاسطول ساطيا . وجيد النصر منه عاطيا . وأخذ البحدر من الاعداء بحقه . وأشرق سنا النحج في أفقه . ركب العسكر المنصور للقتال وأخذ أهبة النزال . وزحف الرجال الى الرجال . والتقسى الأبطال بالأبطال. وشدفيت بددم الكفدر غلة المناصدل والنصال . وأحمارت البيض الظامئات ورويت مان نجيع الزرق. وبشرت جياع العواسل من اليراع العساسل بعساجل الرزق. وظل أهل الضلال وقد كفهم الكفاح. وفكهم القتلل والجراح . وأقوى الأقوى من الثبات . وبطل بطلهم بما أثخنه من الجراحات . وبات المسلمون واثقين من الله بأن جمع الكفر قريب الشتات . وأدرك المشركين مافاتهم من الآفات .

ذكر قصة ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله

صبح الخبر ان ملك الألمان عبر من قسطنطينية الخليج . وخطب في تلك المروج بمروجه الخطب المريج . وأنه وصل بجمعه الى مضايق صعب عليه منها العبور . وعمهم في نهضاتهم العثور . فقيل انهم أقاموا في قفار ومواضع شهرا . عدموا فيها الطعام ولم يجدوا بها إلاضرا . وكان التركمان الأوجيه (٤٦) على طريقهم . يمتعون بغربهم (٤٧) من تشريقهم . فاضطروا الى المقسام بغير زاد . وهم في جهد وضر واجتهاد . فصاروا يذبحون خيلههم ومأكلونها. ويكسرون قنطارياتهم لفقادان الحاطب ويشعلونها . فترجلت منهم الوف . ورغمت أنوف ، وكان ذلك في البردالشديد ، وزمان الثلج والجليد ، فجمدوا وخمدوا ، وتجلدوا وتدلدوا . وعدموا دواب لحمل الأثقال . وذقل عدد الرجال . فدفذوا وأحرقوا منها . وتدركوها وسلوا عنها . وكان ذلك مسن الله لطفا . وأمست قوتهم ضعفا . وكانوا في خلق لا يعد . وجمع لايحد ، فما أثر فيهم ذلك النصب . ولاصدهم عن مقصدهم ذلك التعب . ومازالوا يسيرون والأوجية تبدى لهـم للوبال في أوجها أ وجها . والأ فرنجية لاتنتهي حتى تبلغ الى مالها من منتهي . حتى بلغوا الى بلاد قليج ارسلان بن مسعود . ومسلكها دونهم غير مصدود ولامسدود . وقليج ارسلان محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه . وهو يدبر امره ويتولاه . ويسومه الاكراه ، فعارضهم لما قربوا وتعرض لقتالهم . وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم . ثمم اندفع من بين ايديهم . وتعدى عن جانب تعديهم ، ودخلوا قونية دار ملك المسعودية . واعتصم قليج ارسلان بقلعتها المحمية . وتدرا سل وهو ملك الألمان واتفقا في الباطن على مساكان بينهمسا مسن المواثيق والايمان . وحمل ملك الالمان له وفرا وافرا . واشبه المسلم بالكف عن الكافر كافرا. ووافقه على العبور الى الاقاليم الشامية . والبلاد الاسلامية . وعلى انه يسمير في بلده الى بلد ابسن لاون . واعطاه عشرين مقدما من اكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل الى المأمل

رهائن . وامر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه . وان يعاوضوهم من الخيل والعدة بمايرومونه . واقام لهم الاسدواق وعرض عليهم الامتعة والاعلاق. فساروا في رقة ورفق وتقويلا توق. فلما وصل الملعون الى بلاد الارمن غدر بالرهائن . وساقهم محمولين مع الظعائن . وتأول عليهم بان التركمان سرقوا منهم في طريقه . ونكث جميع مواثيقه ، ووصل ليفون بن اصطفائه بن لاون مقدم الارمن الى خدمته . ودخل في طاعته ، وكان بمفرده خاليا من عسكره بمجرده . وذلك في طرسوس . فتمكثوا بها ليريدوا بها النفوس ، وقيل عن لكلب الالمان ان يسبح في النهر . ويميط عنه ماعراه من الوضر والضر . وكان شيخا مسنا قد عاد لكبر سنة شنا . وحسب انه اذا سبح سحب نيل الاستراحة فكان موته في ذلك الراحة . وهلكه في ذلك السباحة . فانه عام في الماء البارد ، وتورط منه في اصعب الموارد ، وخرج وبقي مريضا الى ان خرج من ثوب البقاء وتحول الى فناء الفناء . وتلقاه مالك بالزبانية . وحملوه الى نار الله الصامية . وسمعت نصرانيا يقول في معناه : كنت معه لما سالك فهلك واعجله مالك النار عما ملك . وذلك أن النهسر مسا كان فيه الا عبسر وأحسد والعسكر فيه متزاحم متوارد . فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعا يمكن فيه العبور ويؤمن فيه العثور فقال له واحد: ههنا مخاضة ضيقة من احترز فيها عن التيامن والتياسر عبر ولا يعبر فيها الا واحد بعد واحد اذا تثبت واستظهر . فبدر الى تلك المضاضة نات الجرية الفياضة . ودخل الماء فطغى على ذلك الناري الطاغي . واعجل ذلك الباغي عن المباغي . ورمساه في جسريانه الى شدجرة شدجت جبينه وجبنت جاشه . وعثرته بحيث لم يؤمل انتعاشه فتعبوا في اخراجه . وايسوا من علاجة . ومات عدو الله شر ميتة وبلي شدمله بتشتيته وحدله بتبتيته . وخلفه ولده على خلف من اصدابه واجناده . لكان الولد الذي خلفه في بلاده وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تخلص عظمه ، وتهرى لحمه ، ثم جمعوا في كيس عظامه ، ورامسوا بذلك اكرامه واعظهامه ليحملوه الى كنيستهم بسالقدس قمامة . ويدفذوه على ما كان اوصى به ، ولما عرف ابن لاون بهلاكه ، وسكون حراكه ، وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته ، وانه لاتسلافي لما

فرط من ذلفه وفوته فارقهم الى بعض قلاعه . واتصل الضربهم لانقطاعه . ووصل كتاب من الكايا غيكوس صاحب قلعه الروم يرغب ويرهب ويبرق ويرعد . ويقول ويعدد ويبهده ويهدد ويري انه ناصح . والقصة شارح . وان الامر واضح . وان الخطب فنظيع فاضح . وان هذا الملعون اول ما خرج من بلده اوصى فيه الى ولده . ثم جاء الى بلد الهذكر فدخله غصبا واوسعه نهبا . حتى اذعن له وانقاد . وبلغ بطاعته المرادءوانه اخذ من ماله ورجساله ما اختسار ، وتزود من عنده وامتسار ، شم وطيء ارض ملك الروم وداسها . وتوسط ديارها وجاسها وفتح بلادها وملك قيادها . واحدج ملك الروم الى طاعته والزمه بما دخل في استطاعته .

وأخذ منه من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين . ومن الثياب الطلس المعدنية مابلغ الألوف وتجاوز عن المئين ، وأخذ على سبيل الرهائن أربعين من خلصائه . ومعروفي كبرائه ، وأخد كل سفينة غصبا ، وسحب على ذلك البحر في التعسبية . من مدراكبه سحبا . وأنه لما عبر وفرغ من الخسروج . تلقساه بالخيل والدواب والأيقار والأغنام تـركمان الأوج . تـم وقصع بين التسركمان وبينهم ، وجالوا حولهم ثلاثة وثلاثين يوما يرومون حينهم . وهم في طريقهم سائرون . وعلى مقاتلتهم صابرون . حتى قربوا من قونية فاعترضه قطب الدين ولد قليج ارسكان . والتقسى الأقسران بالأقران. وهزمه ملك الألمان . ولما أشرف على قدونية خدرج اليه جموعها . وطالت اليه بالحرب بوعها . ثم اندفعت حيث ضم على الروع روعها. وأنه هجام على قدونية عذوة . ونال منها حظوة . وأقام خمسة أيام حتى استقرت بينه وبين قليج ارسلان قاعدة اكيدة . وحصلت لكل منهما فائدة مهيدة ، وأخذ منه رهائن عشرين . ومن أكابر دولته المتميزين . وقدم كتابه الى ابن لاون بالجواز في بلاده ، فتلقاه بما أعده لارفاده . ونزل حين وصوله الى طرسوس على بعض الأنهار ونام ساعة بعد تناول الطعام. ثم انتبه وتشوق الى الاستحمام . فحرك عليه الماء البارد مرضا . وتشكى اياما قلائل مضضا . ثم قضى . وانقرض اربه وانقضى . وخلفه ولده بعده . واستمال جنده . وكان ابن لاون قد سار قاصدا القاء ابيه . فلما عرف مسوته وجلوس ولده اضرب عن تلقيه . وعرض عسكره في اثنين واربعين الف مجفجف . من كل سرحان أهرت وذئب اغضف . وأما الرجالة فلكثرتهم تعذر العرض . وغص بهم طول الأرض والعرض . وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس وهجروا الثياب . ولزموا المصاب. ودا وموا الاكتراب ، وهما صابرون على الشقاء والتعب . لأمل الظفر بالطلب .

ولما دلغت هذه الأخبار . اضطربت البيار . وارتساعت الانجساد والاغوار . وقالوا هذا جانب لا يطاق . واي جانب قصده عنه لا بعاق. ولا شك انه يتروسط بالاد الشمام . ويثلم ثفرور الاسلام. ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام، وعزم السلطان على استقبالهم بالردى والرد . وصدهم عن القصد . ثم ثبت على رأي الثبات . وتنظر الاوقات بما يتجدد من الصادئات . وتقلقلت عزائم النين بلادهم على طريق القادم . وانه يعود كل منهم الى مكانه أخذا بحكم الحازم. فأول من سار ناصر الدين محمد ولد الملك المظفر صاحب منبسج ، ليجمع على طــريق العـدو ويزعج ويرهج . ثم عز الدين بن المقدم . الباسل المعلم . ثم عز الدين بهرا مشاه صاحب بعلبك . ليجمع ويأخذ على العدر المسلك . ثـم سابق الدين عثمان صاحب شيزر . الليث الهمام القسور . ثم اليار وقية اسد الهياج . ونجوم ليل العجاج . ثم رحل الملك الأفضل وقد عرض له الم . ثم بدر الدين والي دمشق وقد الم به سقم . ثم سار الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرابها بغيبته وبهذا الخبر . ولخوف الناس فيه انهم على الخطر . حتى غلت الاستعار واستعرت الغله . وخلت الاماكن وتمكنت الخله . ثم رحل الملك المظفر تقسى الدين لحفظ ثفر اللاذهية وجبلة . ويثبت بقدومه عليها الرعية الخائفة المجفله . وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من جمادى الأخره . ورتب السلطان منازل العساكر الحاضرة . وخفت الميمنة برحيل معظم من كان فيها مقيما . ولحفظ النوب في اليزك مستنيما . فانتقل الملك العادل اليها . وجاء الى منزلة الملك المظفدر

ونزل عليها . واستقام الترتيب وترتب المقام . واعتر الصادقون وصدق الاعتزام . ثم مرض اكثر العسكر وخام للوخم . والم بالبعد للألم . وكان بحمد الله المرض سليم العسليم العساقية قلى العافيه . مستعقبا لألطاف الله الواقية الوافية ، ووقع المرض في الفرنج وكان المبيد المبير . والمدني لأصحاب السعير السعير . وعم فيهم الموت والوبا . وكثر عن نبواتهم النبا . وتقدم السلطان بهدم سور طبرية . وهدم يافا وارسوف وقيسارية . وهدم سور صيدا وجبيل وذقل اهلهما الى بيروت .

عاد حديث ملك الالمان

واما ولد ملك الالمان فانتحس . ومرض اياما في بلد الأرمن واحتبس. وهلك اصحابه جوعا ومنهم من عزم رجوعا ووقع الموت في خيلهم ، فانن ذلهم بقلوص نيلهم ، وقدم الملك لمرضمه . والتياث جوهره بعرضه جموعه قدامه . وساروا امامه . وخرجوا لكثرتهم في ثلاث ذوب ، في بيض وسمر وبيض ويلب . ومعظم رجالهم حملة عصا وركاب حمير . غير عارفين باطريق ولا متحفاين في مسير . والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم . ويتألفون على مسالكهم ويتلفونهم . ووصلوا الى انطاكية ووصل اليها الملك . بعد ان ضاق به وبجمعه اليها المسلك . وضاق به الابدردس صاحب انطاكية ذرعا ، ولم يجد لهم عنده مصطعما ولا مرعى . وطلب منه القلعمة فاخلاها له . وذقل اليها ماله واثقاله . وسأله ان يجعل طريقه على حلب فخاف . وابدى له الخلاف . وقبل وصوله الى انطاكية قلت جموعه وجنوده . وبليت بحشد التركمان حشوده . واجتازت الفرقة الأولى منهم تحت قلعة بغراس . فلقيت البوس والباس . وخرج رجالها عليهم على قلتها ، وصدمتهم ببسالتها ، واسرت منهم زائدا على مائتين ، وطمعت فيمن وراءهم من الفئتين ، وقيل انهم حسبوا ان بغراس باقية بحالهما مع الداوية . فجاؤوا اليها سحرا بأحمالهم وأموالهم السنية . فلم يشعر واليها الا بسالبغال على البساب

واقفه . والجني دان يرقب ان يكون له ايد قاطفه . فخرج اليها وتسلمها بغير طعن ولا ضرب، وتخلى عنها اصحابها لما عرفوا الحال ولم يعرجوا على حرب . فاستغنى الوالي من ذلك اليوم ، من مال القوم . ثم اذكر حتى لا يطالب بشيء منه . وغفلت الايام عنه . وذكر الامير علم الدين ساليمان بن جندر في كتسابه . انه انهض جماعة من اصحاب أمراء حلب واصحابه ، ليقتفدوا آثارهم . ويكشد فوا اخبارهم فدوقه وا على خلق عظيم منهدم فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم . وانقضوا عليهم انقضاض البزاة على الصجل . وزاروا فيهم زئير الأسمد في الذقعاد ، وزاروهمم بالأجل. واسر كل واحد من اصحابنا شلاثة واربعه . وتسركوهم متمازقة متمازعه . وعادوا بالأسارى الى حلب وباعوهم في الاسواق. وامتسلات بسالاسلاب منهسم والاعلاق. فسطابت قلوب الرعايا . وانست من الله بما ظهر من الطاقه الخقايا . وطمع فيهم اهل القرى . والتقطوهم من الوهاد والذرى . وما صدقوا بالسلامة حتى أواهم الابسردس الى انطساكية . واراح مسن الامهسسا الالمانية . وذا بوا في هذه الطرقات ذوبا . وصب عليهم العذاب صبا اذا اخدذوا صدوبا . وهلك بسانطاكية الكند الكبير مقددم العسكر . وتبعه الى سقر كبير من ذلك المعشر . وحصل الابدردس بدلك الأموال المجتمعه . والنخائر المودعه . حتى قيل انه انما رغب في الوصييدول الى بلده . ليحصيدل على سيدبده ولبيده . فأخلى له قلعته . ليذقل اليها خـزانته ، ففعـل ومـارجع اليهــا . واحتوت يد الابردس عليها . تـم سـماروا على طـمريق الساحل . بالفارس والراجال ، وخارجت عليهام خيل جبلة واللاذقية . وســقتهم كؤوس المنية ، والقتهــم على البـــوس والبليه . فأغذوا في السير حتى وصلوا الى طدرا بلس وقد نقص نصفهم . وتم بعواصف البلاء نسفهم . وبلغ امسدهم وانتهسى مددهم . وجبن الملك عن المسير على الطريق . لما لقيت جمدوعه في طرقاتها من التفريق ، فركب البحر في. عدد يسلير لا يزيد على الف . برعب قلب وقصدوريد ورغم اذف . واختلط مع الفرنج على عكا فسقط اسمه . وسخط حكمه . وهلك بعد قليل . ولم يحسظ

بنقع غليل ، وسألم بنكر حالاته في مواضعها . وذكر مصارف جماعته ومصارعها .

وكتبت الى الديوان العزيز فصلا بخبر ملك الالمان عند ارعاب الارجاف به

قد وصل الخبر بالداهية الدهياء . والغمسة الغمساء . والذكبسة الذكباء . والشدة الدهماء والليلة الليلاء . وهي ان ملك الالمان ومعه ملوك الافرنجية وحشودها . وقوا مصها وكنودها . واحراب الشياطين وجذودها ، والوية اللاواء وبذودها . وصل جارا على السماء نيول قتامه . مجريا في الأرض سيول لهامه . ثائرا بأطلابه لطلاب ثاره . سائرا بخيله ورجله كالسيل الي قدراره . وانه في عصائب صلبان في عصيبتها متصلبه . واتباع شياطين لارضائها متغضبة . واسراب سراحين على سرح الاسلام متوثبة . وانه في مئين من الآلاف الآلاف المذون . واقطاب الاعطاب الدائرة لدوائر سوئها رحى الحرب الزبون . وقد اوقدوا للشر شرارا . وأضر مسوا للشرك الداعي الى النار نارا . فإن حسرتهـــم على قمـــامتهم دائمة . وقيامتهم قائمة . والموت يدعوهام الى المقبارة التسيى يدعونها ، والأجال تلبيهم لمناياهم التي يدعونهما . وكان خبر وصوله متداولا على السنة الاراجيف. وتشيعه اعداء الله من قبل الترهيب والتخويف . واستعدت العساكر الاسلامية للتوجه الى بلاد الروم في الربيع . ليقع التساعد مع عساكرها على دفع ذلك الجموع باتفاق الجميع . وانتظر ورود خبر صحيح . ويقين نبأ بامر صريح . حتى اذا صح الخبر . سار العسكر ، ثم انقسطعت الاخبار ، وتمادى الانتظار ، ومضت شهور الربيع اذار . ونيسان وايار . وكانت كتب سلطان الروم قليج ارسلان وا ولاده ورسلهم متواصية بما ينبيء عن التعاضد . ويبنى امر الوفاء والوفاق منه على التعاون والتعاقد ، وهم بـانهاء مـا يصــح عندهــم واعدون . ويزعمـــون انهــم في رد الواردين واردائهـــم

مساعدين ، فأخلف ذلك الوعد . وضيع ذلك العهد ، ووصلت كتبهم بغتة في هذا الاوان ، بما تأخر به الخبر عن العيان ، وقالوا: انهم قد توسطوا بلاد الاسلام . وانهم على قصد الشمام . شم ورد الخبر بانهم صمالحوهم وصمانعوهم ، واخلوا لهمم الطماريق ووادعوهم . ووسعوا لهم في المضايق . وسعوا في آمن طرقهم ممن الطوارق . وهذا حادث كارث ، وباغت فاجيء فاجع لأهل الحمية في المنين باعث . وناكب لعقود العقول في تعاظم ضروره وتفاقم خطره ناكث . وقد تعين الجهاد على كل مسلم . وما في الوجود مؤمن يكون ناكث . وقد تعين الجهاد على كل مسلم . وما في الوجود مؤمن يكون الفروض، والخادم مذفرد في حمل عبء هاذا الفادت الباهظ بالنهوض . وهو واثق بان بركات الدار العرينة تسدركه ولا بتركه . وان الذي يستبعد من النصر القريب يتسق ويتسع به سلكه ومسلكه . إن شاء الله .

فصل فيه في جواب امير

عرفنا خبر العدو المشؤوم ، الواصل من جانب الروم ، وهذه هديه اهداها الله الينا ، وفضيلة خصدنا الله بها حيث اقامنا في مقدابلة اعدى اعدائه، واقدرنا على مقداتلة مدن نازعه في كبريائه ، وقد ساقهم الموت الى المقبرة التي يدعونها ، ولبتهم المنايا التي يدعونها ولايدعونها ، ومعاقلنا بحمد الله قوية . وصدوارمنا من دماء اعداء الله روية ، فيجب ان يكون في جميع اموره محتاطا ، ويظهر بما يغنمه الله من اسلابهم واشلائهم اغتباطا

فصل من كتاب الاستذفار

قد عرف أن العدو الألماني المخذول قد وصل فما لقعوده عن هــذا المقام معنى ، وما لمن تأخر عن نصرة الاسلام من ثمـرة السـعادة

مجنى ، وهذا وقت نهوضه بجميع أهل بلاده وا وان بذل وسعه وجده واجتهاده ، فانه محضر لا يغيب عنه الا مسلم ليس له عند الله خلاق ، وموقف يفي بعهد الله فيه من سبق له ، معه في السلمادة ميثاق ، وانها لغنيمة اوفدها الله علينا . وهلية اهله الله الينا وفضيلة خصنا الله بها واسعدنا بسببها ، بله هلي بلية جلاوجه النعمة فيها ، بل قضية وفي الله في النجح بموعود توا فيها ، بل ملمة اختارنا الله لدفعها . وطاغية اسلمتدعى اولياءه لقمعها . وتسائرة كلفنا الله باطفاء جمرها . وارداء جمعها . فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام . وليخطب اهتمام العظيم بملابسة الخطوب العظام . وليثب وثوب الاسد على الفريسة . ولينتخ للاسلام انتخاء نوي الانفس الابية والهما العلية النفيسة . وليكن اول سلام انتخاء مضمار الجد . واسعد طالع في افرق الجلد . فان الاسلم في افتقاره . والمطالع مسلمة قالى اشراق انواره . لازالت الاقدار جارية في اسعاد الدين والدولة باقداره .

فصل من كتاب

قد احاط العلم بما عرا من الملم . وعرض من الخطب المدلهم ، ووصل من العدو السائر . ونزل من النازلة التي هي ام النوازل . والدائرة التي هي ام الدوائر . وقد أن للإسلام أن يسلم . وللايمان أن يعدم . والتثليث أن يعلن . والتوحيد أن يكتم . والكفر أن يقدم . والهدى أن يحجم . فقد قذف البحر من الفرنج بزبده . والبسر أتي أتيه من كل بلد الكفر بسبده ولبده . ووصل الالماني المخدول بعدده وعدده . وهذا خطب قد دهم . وعدو قد هجم . وشرقد نجم . وجمدع داهية قد وقد . في جيوش جائشة . وجمدع طاغية قد وفد . في جيوش جائشة . وجمدع طاغية قد وفد . في جيوش جائشة . وجمدع طاغية أن وبنود منشورة . وخيول مجفجف . وسيول مجدفه ، وهذا أوان تحدك ذوي الحمية . ونهدوض أهل الهمم الابية العلية . فأن القوم في كثرة ولايقاتلون الا بالكثرة .

وهم مغترون بعاوهم . معتزون بعثورهم . مستنون في طريق العثرة والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف . والليل اذا بلغ الى الصبح المسفر اذكشف . والمجلس اولى مسن تدولى تفدريج هدنه الغمة . وكشف هذه الملمة حتى تخلف اماني الإلماني . وتبطش ايمان الايماني . وتخذل انصار النصراني . وتجني وتبر رؤوس الجنوي والبيراني . فاين المؤدون فرض الجهاد المتعين . واين المهتدون في نهج الرشاد المتبين . واين المسلمون وحاشي ان يكوذوا للاسلام مسلمين . واين المقدمون في الدين ومعاذ الله ان يكوذوا في نصرته على الموت مقدمين . ولولا التقيد بهذا العدو الرابض . لأطلقت اعنه النهضة الى العدو الناهض . ولابد من لقائه قبل تلفق الجمعين ، واراءة الملاعين وجو ه حتوفهم ملء العين .

فصل فيه

قد سد طريق الفلق فيلقه الطارق . وزحف الى الحق الثابت باطله الزاهق . وجال بالوجل وجاء بالوجيب . وثار لثار الصاليب السليب . وقد وقد جمر جمعه . ورتق فتدق الصابح رقاع نقعه . وما فض الفضاء ختام قتامه . حتى ختم على ضوء نهار الهدى ليل الضلال بظلامه . والرجاء محقق ان الالماني مخفف بالمامه . والاسلام مشفق من اسلامه . والدين موفق بنصرة امامه . وعصمة الله الواقية الوافية من ورائه وامامه . والله الكافل باعلاء اعلامه . واحكام احكامه .

ذكر الواقعة العادلية

كان الفرنج لما صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد . وانه ملأ احشاء الربا والوهاد بالاحشاد . قالوا انه اذا جاء لايبقى لنا حكما . والصواب ان نشيع لنا قبل شيوع اسمه اسما . لاسيما وقد

خفت عساكر الاسلام. وقفل اكثرها الى الشام. فنحن ننتهز الفرصة . ونحرز الحصة . ونهتبل الغسره . ونهجه عليهم هذه الكره . وننيقهم المرة المرة . ونفرغ من شفلهم قبل مجيء القسادم . ونمت بعز العزائم وذفل حدودهم بحدود الصوارم . فخسرجوا ظهسر يوم الاربعاء العشرين من جمادي الاخرة . في حشر يذكر بحشر الساهره . واسود بياض النهار من سوادهم . وتراءت الاجام لنا متوافية باسادهم . وامتدوا الى الخيم العادلية ، واشتدوا بما ا ستصحبوه من البلية . في كل ذئب امعه . وسيد قد تهورط . وسرحان سرح . وا فعوان كلح ، وجهدمي تجهم فهجم ، وجحيمي أقدم وما احجم ، وسعيري ناري استعار خدمة النار . وسقري قسوري عاد بعادة الاقتسار . وباروني طالب البوار . واسبتاري راغب في التبار ، ودا وي معضل الداء . وتركبولي غير تارك للبلاء . وسرجندي كرار ، وفريري غير فرار . وفارس يفرس الرجال . وراجز يرجز الفرسان الابطال . وازرق رزقه الموت الاحمر . وانمشي يمشى واليوم اغبر . واشقر وهو اشقى . وابقم اذا غوى في الوغى ماترك ولاا بقي . وبخلوا الخيم العادلية وتجاوزوها . وقد كانت اخليت قبل أن يجتازوها . ووقف الملك العادل بطلبه . وعن يمينه ويساره امراء الميمنه النين بقربه . مثل صارم الدين قايماز النجمي وعز البين جربيك النوري . وجماعة من المعروفين بالشهامة . والموصوفين بالصرامة . ولبث الملك العادل لبث المضادع المضاتل . حتى يطلع من العدو على المقاتل. فقادتهم الاطماع الى الانتشار. وا فضى بهم الاعتزاز الى الاغترار . فحينئذ بدأ بالحملة ولده الاكبر شمس البين مودود . وهو في كل وقعة يحضرها جاد مجدود . قعضده والده وولده مساعده وساعده . وحمل معه العسكر الحاضر. قبل أن تتصل به العسماكر . فكسر الفرنج كسرة فرشهم على الارض وذكرت الواقعة العارضة بسوقوعهم في الناريوم العسرض . وكاذوا قد بعدوا اكثر من فرسخ . واجفلوا ولم يلتفت اخ الى اخ . وركبت العـــادلية اكتــافر.م . وفاوا فيهـــم اســيافهم . وعقروهم وعرقوهم وبجدوهم وبعجدوهم . وحدكموا في الرقداب الغلاظ منهم الرقاق . وضربوا ممن اعنقوا اليهم الاعناق . واشبعوا

اللتوت من لحوم الليوث . وبذوا بعوث المنية في تلك البعوث . حتى رتعت في كلا الكلى صوار الصوارم. وارعد وابرق بصواعق بوائقهم غمام الغماغم . وتعلقت بذوا تبهم ذوائب الذوابل . ووصلت بهم الى النجاح منى المناصل . فلم تترك اللهاذم لها ذماء . وغادرها شـلها بالعراء اشلاء ، ورأيناها كانها اعجاز نضل ضاوية ، ومااحسن اجسام اهل الهاوية وهي هاوية ، فكم جشة بسلا راس . وبنية بسلا ا ساس . ونحر قد نحر . ودم قد انهر . ويد قد بتت . وكبد قد فتت . وعنق قد قطع ، وأذف قد جدع وودج وجد مفريا . وظهر قد ظهر مبريا وحلقوم قد حلق . وغلصوم قد فرق . وداوى قد دوى . وبالدم روى . وصليبي كسر صلبه . وقلب على صدره قلبه . وحربي أتساه الحرب . وغرب في نبع عينه النبع والفرب . وكان السلطان قد ركب وخشى أن جانب الميمنة نكب . وسير جماعة من كماة الماليك والامراء على مقدمته . وانتظر الميسرة لتنهض في خدمته . فدوصل الى الوقعة سنقر الحلبي في العصبة العزيزية . وفار من الفروة بالحظوة السنية . وجاء علاء البين ابن مساحب الموصل في اثناء المعركة . فعرف بركة سرعة تلك الحركة ، لأنه اخذ حظا وافرا ولقى من النصرة وجها سافرا. وانقضى الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة احد ولم تمتد منها الى قتال الكفرة يد . ووصل السلطان وشاهد من مساءه القرنج ماسره، وعرف لطف الله وبدره ونصره. وعاين هنالك مصارع الاعدا٠. ومشارع البلاء ، وكانوا مفروشين في مـــــدي فـــــدسيخ على الأرض. وهم في تسعة صفوف من تبلال الرمل الي البحر بالعرض ، وكل صدف يزيد على ألف قتيل . وشاع القتل من الافرنج في كل قبيل . ولما وصل السلطان رأى عماد الدين وابن زين الدين وامراء الميسرة قد عزموا على الدخول اليهم . والهجوم عليهم . فانهم ندموا على ترك الاسراع . فراموا اتباعهم ليأخذوا بنصيب الفتك بهم والايقاع . فصدهم السلطان وردهـم . وشكر عزمهـم وقصدهم . وأشفق من مضرة تشوب . ومعرة تنوب . فان الدائرة كانت على العدو . وقد فاز بالنصر الحلو ، والصفو الرجو . وكانت

الذوية بلا نائبة . والغزوة بلا شائبه . وقتال منهم زهاء عشرة الاف. ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة . فاغتنمها تجارة رابحة وغنيمة ميسره . ولما عرفت بالواقعة . والنصرة الجامعة . صدرت ثلاثين اربعين كتابا بالبشارات . بابلغ المعانى وابرع العبارات . وقلت اذا نزل السلطان وجدد الكتب حاضره . ولأرى البشائر شائره . وركبت انا والقاضي بهاء الدين بن شداد . لمشاهدة ماهناك من اشلاء صرعى واجساد . فما اعجل ما سلبوا وعروا . وفروا وفروا . وقد بقرت بطونهم ، وفقئت عيونهم . ورأينا امرأة مقتولة لكونها مقاتلة . وسمعناها وهي خامدة بالعبرة قائلة . ومازلنا نطوف عليهم ونعبر . وذفكر فيهم ونعتبسر . حتى ارتسدى العشاء بالظلام . فعدنا الى الخيام . واخذت الكتب التي نمقتها . بالبشائر التي حققتها . وجئت واذا السلطان قد استبطاني . وعدم اجابتي لما دعاني . فما صدبر ولاانتظر . ولاتدرقبني ان احضر . ولاامهل ان اعطى البشارة حقها . واجلوا بانوار المعانى افقها . وايلغ بالبلاغة مداها . واسبغ بتقليص الضلالة ثوب هداها وأصف بحدود الاقلام ماصنعته حدود السيوف . واروج نقدودي عند السلطان واغنية عن الزيوف. . فابصرت عنده مشرفي المطابخ والابيات . ومدوني الجرائد بالاثبات . وقد كتبوا تلك البشارة الثقيلة الجليلة في رقاع خفيفة . بعبارات سخيفة . وقد عطلت الدسناء من حليتها . وعروها من بدرتها . وشدوهوا جمالها . واحالوا حالها . فذهب بها المبشرون . وسار القاصدون . فما كان لتلك الوقعة عند من وقف عليها وقع . ولاتم لغليل مسن رام الاطلاع على حقيقتها نقم . وارادوا بدمشق قسراءتها على المنبسر فمسا استحسنوها . واو وردتهم بزينة عبارتي وبراعتي زينوها . وفي تلك الحالة الذفت السلطان الي وقال اكتب بهذه البشارة الى بغداد .. وعجل بها الانفاذ . فقلت على سبيل العتب انتم ماتريدون مااكتبه . ولاترغبون فيما ارتبه واهذبه . فقال كانك كتبت البشائر فهاتها . حتى تهدى الى طرقاتها مفقلت مافات فات . وهيهات هيهات . واخرجت له مابقي من بشارات البلاد التسي أنشاتها . بالالفاظ والمعانى التي ابتدعتها وابتداتها . فسارت فسرت البعيد والقريب .

وخصت من جداها بالخصب الجديب . وصدحت باسجاعها المنابر . وصحت بسماعها المفاخر . وظهرت بعباراتها العبر . وبهرت بزيرها الزبر . وعمرت بمعانيها المعاني . وعمت مباهجها مناهج الاقاصي والاداني فما اصحها كسره . وماا سحها نصره . وماا بينها محجه . وماا ثبتها حجه . وماأ فرجها مسرة . وماأ سرها فدرجه . وما أبرحها بالكفر صرعه . وما أوضحها للاسلام شرعه .

فصل في ذكر حالهم

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر. ومفسارقة عدة كثيرة من العساكر . خرجوا متجاسرين ، وامتدوا متقساطرين . وانتشر وا متغاورين . واغاروا للواء اللاواء ناشرين ، ووصلوا في الميمنة الى الخيم العادلية فاخليت حتى بخلوها . وتفرقوا فيها بجموعهم وتخالوها فركبنا اليهم . وحملنا اليهم . وتركناهم صرعي بالعراء . فوضى بالفضاء . فما بكت عليهم الارض ولا السماء . ورويت السيوف من دمائهم . قبل ان تشبع الوحوش من اشلائهم . وظهرت لنا نعمة الله في بلائهم وحبي الاسلام بهلاكهم . وضحمتهم اشراك الردى برداء اشراكهم . وانجلت المعركة عن اكثر من عشرة الاف قتيل كا فر ، وثبت حكم ادالة الاسلام وظهوره با وضح دليل ظـاهر . ولو اتفق خروجهم من مراكزهم باسرهم . لكنا فرغنا من شخلهم واخلينا بالنا بتأييد الله من امرهم . والآن قمع انطفاء جمرتهم . وصحة امزجة العزادم بكسرتهم ، وتطرق القلة الى كثرتهم ، نرجو من الله أن يسهل أمرهم العسبير . ويهون خطبهم الخطير . وأن ظهورنا عليهم قطع ظهورهم . وعثور هـنه الوقعـة بهـم حقــق عثورهم والله تعالى يحقق تبارهم ونحورهم.

فصل فيه

وصلوا الى الخيم العادلية في الميمنة الميمونة . وا شتغلوا باستباحة احوالها المصونة . فاطلقنا عليها الاعنة . وشرعنا الى نحاورهم الاسنة . وبعنا النفوس لنتسلم ثمنها الجنة . وفرشناهم على الارض . وابينا باردائهم بعض الفرض . وانجلت المعركة عن عشرة الاف قتيل مشرك . وشملتهم المنون فكانهم جاؤوا على موعد مهلك . واروينا من دمائهم ظمأ السيوف . وجعلنا اشلاءهم قارى الوحوش لاالضيوف . وامن الاسلام بحمد الله من المخوف . وادرك الله باخذ ارواحهم رمق الدين الملهوف . وهذا دليل ظاهر على ركود ريحهم . وخمود مصابيحهم .

فصال

حملت عساكرنا عليهم ، واحاطت بهم من حواليهم ، ورضاحت بالدبابيس واللتوت ، وتركتهم مسرعي بتلك المروت ، وساحت بتلك الساحة دأماء الدماء ، واكتسى عرى العراء بتلك الاشلاء ، وافضى بذلك الفضاء جمرهم الى الانطفاء ، وامرهم الى الانقضاء ورتعات بغالب الرماح من كلاء كلاهم في المرعى ، وانجلت المعركة عن مهلكة عشرة آلاف ، فترى القوم فيها صرعى ، وطابت من نتن جيوفهم ربح النصر ، وحنت من سماجة مرآهم وجوه الدهر ، والآن الان الله شدة شكتهم ، وقط شوك شوكتهم ، وهبات نكباء نكبتهم ، ونرجو أن يسهل من امرهم ما تصعب ويؤلف بصدعهم من الاسلام ما تشعب .

وصداوا الى الخدم العادلية فنخلوها • وتفرقوا فيها بجمعهم وتخللوها • وكان ذلك قبل تكامل ركوب العساكر • وتموج بحارها الزواخر • فحمل الملك العادل ومن هـ و قدريب منه من الامسراء والماليك كولدنا الحسام بن لاجين وصارم الدين قايماز النجمى وبشارة وجربيك وعطف واعليه عطف مسدتهم عن الانعطاف • وصرفتهم عن الانصراف • وثارت اثارهم بواتر البواتر • واحتوت عليهم الضوامر احتواء الضامائر على الاسرار بالحوا فر الحوا فر • وفضتهم بالفضاء وعرتهم من كسوة الحياة بالعراء • ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم • واتى القتل على اولهم وأخرهم • وانجلت المعركة من الكفار عن عشرة آلاف قتيل ٠ ملأت كل واد وسدت كل سبيل ٠ وقد ذلت عزتهم وضعفت قوتهم • وعجزت قدرتهم • ولما انقضات هانه الوقعة • وتام للناهضين الينا الرجعه • رأيت احد مماليكي ونصاله قد خضب • وعزمه قد رضي بعد ما غضب • فسألته كم قتـل • والى اين وصل فقال إما انا فما أبقيت . وخضات البحر وما توقیت . وهذا غلامی قتل تسعة ٠ وشام من عارض نجیعهم نجعة . وكان النين حملوا وهـزموا وقتلوا اقـل مـن الف فقتلوا اضعافا مضاعفة • وعدم وا مم ن وراءه مساعدة ومساعفة • وحكي من نوادر هذه الوقعه ان فسرنجيا عقسر فجستا الصرعه • فعثر به راكب بسرذون • بغير رفيق ولاعون • فعسرقب الفرنجي فرسه بسيف في يده . فنزل بجده مستنا في جدده . وقتـل ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندي . وحل من وسطه ثمسانين دينارا • فانقلب ربحا ماعده خسارا وامتالات الايدي بالأسلاب والأكساب. وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب. وبيعت الزربيات ذوات الأثمان بالرخص ، وزادت ارباح اهل السوق بدلك النقص

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الأخسرة ورد في عصره نجاب من حلب بعد خمسة ايام . بحكتاب يتضمن نجمح كل مرام . وبخبر بان عسكرا مجرا مسن الكفسار خسرج الفسارة على الأطراف والأقطار . فخرج اليه العسكر واخذ عليه الطريق ، وطلب ذلك الجمع في الهزيمة المضيق . فلم يصح لهم رشد في منهاج . ولم ينج منهم ناج . فعضد ذلك الخبر هذا العيان . وقاموا بهوان الكفرة البرهان . وسر الخواص والعوام وخص وعم السرور . وانارت المطالع وطلع الذور . وشرع الفرنج في الخداع . والمراسلة في امسر الجاذبين عام الانتفاع . وسألوا في الصلح . والخروج من ليل الحرب في السلم الى الصبح . واذن لهم السلطان في الخسروج . للنظر الى الوئك الصرعى بتلك المروج . وهسي قسد تسورمت وأنتنست وجافت ، وحميت الشمس على جيفها وحافت . وضافتها القشاعم والخوامع وعليها اطافت ، فساءهم ما سرنا ، وذفرهم ما اقرنا .

ذكر ما تجدد للفرنج من الانتعاش بوصول الكندهري بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط اشفاقا من التفريط والافراط

وما زال الفرنج في وهن وضعف، وتوزع بينهم وخلف، حتى وصل في البحر .كند يقال له هري . وهو عندهم عظيم القدر . فكمل بمن وصل معه نقصهم . واحيا بعصد مصوت نفصوسهم حرصهم . وافاض عليهم بالأموال . وحلى منهم بعد عطلها الاحوال . ورصع بالرجال مراكز من صرع . وقرع السن ندامة على من قلع وقرع . وانفسخ عزمنا عما كان فيه شرع . فقد كان العرم بل الحزم ان نبادرهم على ضعفهم . قبل ان يمصدهم البحصر بضعفهم . فكان من تقدير الله تأخير ما وجب تقديمه والتواني فيما بضعفهم . فلا وصل هذا الكند وتمكن . وقوى اهل الكفر بكل ما امكن . اظهر انه يكبس عسكرنا ليلا على غره . وبدت منه امارات

كل شره وشرة . وشاع هذا الخبر على السنة الجواسيس والمستأمنين . فاحضر السلطان امراءه وخدواصه المؤمنين الميامين . واستشارهم فيما يقدمة من الصواب . ويفتحه ف المصالح الراجحة من الأبواب . فاشاروا بايساع الحلقة . وادارتها كالمنطقة . والتنفيس عن العدو بالتأخر عن قربه . حتى يؤنس الى الخروج لحربه . فوافقهم السلطان على هذا الراي وحسن في قلبه . فرحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادي الآخرة الي منزله الاول بالضروبة . واشتغل بالتدبير في الفوز بالنصرة . ونزل المسكر على ذلك الهضاب وهدوالي سفوهها . واحتدوت كل جثة خيمة ممن حل فيها على روحها . ورتب اليزك في المنزلة الأولى كل الف فارس بالنوبة في يومين . وضويق باهل الصدق منهم اهل المين . وتدبر الترتيب وترتب التدبير . وعرف في اليزك اوقات ذوبته وا وبته الصغير والكبير . واما عكا فالكتب مترددة اليها ومنها السباح . والحمام اليها ومنها تحمال الباطاقات على الجناح ، والمراكب تدخل اليها وتخسرج ، واليهسا وعنهسا تعسسوج وتعرج . واخبار ملك الالمان متسواصله . بسأن انصساره له خاذلة . وانه ضعف ووهى . وانه الى انطاكية انتهى . وانه تعدوق هناك . وتوقع من مرامه الادراك . وتوقف عن المسير . واعتساض التمسير من التيسير . ووقع الفناء في جمعه . وتعجل قمعه قبل ان يصل الي محل قمعه . وانه قد اشتغل بالانفاق في رجال الاستحناد والاستنجاد . والاحتشاء والاحتشاد . وان اصسحابنا يأسرونهم ويتلفونهم ويتلقطونهم . من الطرقات ويتخطفونهم . ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا . ويجمـم قـطافا ونطافا والطافا . ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع السلمين بقسطنطينية والخطبة . وانه مستمر على المودة راغب في المحبة . ويعتذر عن عبور الالماني . وانه قد فجع في طريقه بالأماني . وانه لاقى من الشدة . ونقص العدة . ووصل المشقة . وقطم الشقه . مسا أضعفه وأوهاه . وألهبه وألهاء . وأنه لايصال الى بالدكم فينتفسم بذفسه أو يذفع . ويكون مصرعه هناك ولا يرجع . ويمت بمابه كاده ، وأنه بلغ في أذاه أجتهاده ، ويطلب رسولا ، يدرك به من

السلطان سولا. فأجيب في ذلك الى مراده . ووقع الاعتماد بما ذكره من اعتداده .

ذكر حريق المنجنيقات

وفي رجب من السنة انفق الكندهري بعد وصوله ما وصل معه من المال والرجال ، فأعطى عشرة الاف راجل في يوم واحد ليجدوا معه ف القتال . وضايق مدينة عكا اشد مضايقة . واخذ القومص والكنود بذلك . موافقه . ونصب عليها كل منجيق . مسن الرمسي غير مفيق . رجومه للشهب بالشياطين . ونجوم الحجارة تنقض من أرض الكفر الى سماء الدين . فهي مجانيق مجانين . وميادين ثعبابين . ومسارح سراحين . فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها . واحتد على صقعهم صقعها . وقالوا كيف نجد من مناصبها المناص . وهل ذلقي من شؤم خصائلها الخلاص . فأجمعوا على الاقدام واقدموا على الاجتماع . وأخذوا بالارتياء في ترك الارتياع . وخرجوا بالفارس والراجل . وأموا بالحق أمه الباطل . وجهاوزوا تلك المجهانيق المنصوبة والستائر المضروبة الى خيامهم . وخلفوها من ورائهم واللقاء من قدامهم. فلما خلت المنجنيقات ممن يحميها . خررج الزراقون من البلد ورموا النار فيها . فاحترق جميعها . وغرق في بحر النار صريعها . وقتل في ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا في اللقاء . وقطع الواصلون اليهم عليهم طريق البقاء . واسر منهم خلق كثير . من جملتهم اربعة من المعروفين فيهم فارس كبير . فما أمهاوه حين أخذوه . حتى قتاوه ونبذوه فطابه منههم الفسرنج بالأموال . ولم يعرفوا بالحال . فأخرجوه اليهم قتيلا . فأكثر الفرنج عليه بعد التعويل عويلاً . فباتوا يندبونه نوحاً ، وينيعون سر تقدمه فيهم بوحا . فخمدوا بعد ذلك الضرام . وركدوا بعد هبوب ريح المرام . وضربت عليهم الذلة . وشجتهم عقدودهم المنحلة وعقدولهم المعتلة . وطمع فيهم الناس . وعرا طمعهم الياس . وصلارت الخنادق تهجم . والستائر تهتك وتضرم والحدود بالمصال تثلم . والخدود بالنصال تلثم الى ليلة شعبان من السنة . فأبت بالحالة الحسنة . فأن اصحابنا خرجوا على غرة . ومضوا الى القوم بانكاء مضرة . وأحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبا بعد كل استظهار . واذفق على أحدهما كند هري ألفا وخمسمائة بينار . وكانت الليلة الاولى من شعبان مباركة . ونعم الله لنا ونقم الله على العدو فيها متداركة .

ذكر وصول بطسة بيروت في العشر الآخر من رجب

قد تواردت الشكوي من البلد أن النخيرة قد فنيت. وأن الأفكار باستدعائها عنيت . وأن الأجسام افقدان قوتها ضنيت . وأبطأ على السلطان وصول البطس الستدعاة . من مصر بالفلات . فرأى ان ذلك من تقصير الولاة . وأفكر فيما يعجل به قوة وقوتا . ويجعل له اجلا موقوتاً . فكتب الى والى بيروت عز الدين سامة . ان يهجر في كل مابه عز الدين السامة . ويعطى ويتزكى ويحتال في اذفاذ ميرة الى عكا . فعمر بطسة كبيرة وأعدها . وأجد من عزيمته الماضية فيها جدها . وتولاها بخلق سمح . وملأها بأربعمائة غرارة قمـح . ونقل اليها أذواع الطعام ، وأصناف الأدام ، وقطيعا من الأغنام . وهذه بطسة من الفرنج مأخونة . وهي بساحل بيروت منبونة فأمر السلطان بترميمها وتتميمها . واخفاء البغية منها وتكتيمها . وأزيحت منها العلة . ونقلت اليها الغلة . ومائت بالشحوم واللحوم . وبكل ماتدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعوم. وحمل فيها مسن أحمال النشاب والنفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت . ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت . وأرادوا أن تشتبه ببطس العدو في البحر . وأن لايذكشف للفرنج مالها من الستر فتصوروا رهبانا . وصوروا صلبانا . ومسحوا لحاهم ومسخوا علاهم . وتملطوا وتكوفوا ، وتشبهوا بهم في كل بـزة لئلا يتضـوفوا وشدوا زنانير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحسر بمدراكب الفرنج مختلطين . والى محادثتهم ومجاذبتهم منبسطين . والقدوم لجهلهم لايشكون انهم من أهلهم ونسوا الحادث وأنسوا بالحديث . وتصور الطيب بصورة الخبيث . ولما حاذوا بها عكا صوبوها نحوها والربح تسوقها . والفرنج تدءوهم من مراكبها وتقول ماهذه طريقها . وهي كالسهم النافذ قد سدد فوقها . وقد عقت رفقتها . وهي تكاد تعوقها . وقد دخلت الثغر وأدخلت اليه كل خير . وعجب الناس منها ومما تم لها من حيلة في سرها . واجتزأ البلد بها شهرا . ووجد منها لكل كسر جبرا . يالها من لطيفة قضينا منها الأرب ولم نقض منها العجب .

ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان

كان السلطان قد كتب الى النواب بالاسكندرية على وجسه الاستظهار بأن يشرعوا في تجهيز البطس الكبار . ويملاوها بالغلات واصناف الأقوات . ويعمروها بالكماة الحماة الرماة . ويرسلوها عند موا فقة الريح إلى الثغر . فان خلصت اليه ولو واحدة منها أغنتة بعد الفقر . وتمادت الأيام على هذا الأمر . واستبعد وصدولها مسم امتلاء البحر بمراكب الكفر . وكاد الياس يغلب . والرجاء يضطرب . ووردت كتب اصحابنا بعكا انه لايبقى لنا ليلة نصف شعبان قوت . ولاشك ان كتاب اجلنا الى هسدا الامسد موقوت . فأشفقت الذفوس واستشعر البوس . والمت القلوب وألمت الكروب . ولجأنا الى الله الذي يجيب المضمطر اذا دعاه . ولايخيب من رجاه . ولايضيع من استرعاه، فلما كان ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان ظهرت من أقصى اللجنة تلك بنطس كأنهنن الإعلام واستبشر بظهورها الاسلام . وقد زفت عرادًس جواريها الحسان وخفت رواسي سواريها الثقال . وذكرت بقوله تعالى: (وهي تجدي بهم في موج كالجبال) (هود ٤٢) والربيح تطردها طرد النعام. والماء يرسلها على رغم أهل النار النين هم اضل من الانعام . فما تراءت حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشدوانيها . واحداطت بها تقاتلها من اقاصيها . وأدانيها . وهدي تشدق عليها وتشدقها . وتعوقها عنها وتعيقها . حتى برت منها البدر الإيمان الأيمان الأيمان وهزأت بتك الأكمات المطيفة بها جبالها الرعان وعبدرت والكفر خزيان ينظر ، ونهضت بالعز والعدو في نيل الذل يعثد . ووصدت الثلاث وهي سالمة ، والمثلثة راغمة والموحدة غانمة . وقد فرج الله بها غمة الثغر . ودفع ماألم به من الضر . وحمدنا الله على الموهبة التي أدركت الأرماق . وأدرت الأرزاق . وتلافت الأرواح من التلف .

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى

كان كتب الينا اصحابنا بعكا اننا حسبنا وإلى ليلة نصف شعبان لايبقى لنا شيء نقتاته . وبقاؤنا ببقاء القوت وفواتنا فدواته . فبينا نحن في هذا المهم مفكرون . ومن هـذا الهـم متنكرون . اذ ظهـرت العيون بالقرة . والقلوب بالقرار والمسرة ثلاث بطس على ثبج البحر مستقرة . يبعثها لطف الله بعثا . وتحثها الربح القوية حثا . كأنها جبال باقبالها تروع ودسور اجنحتها القلوع . وشعر الفرنج بها فضاقت مذاهبها . وبرزت مراكبها . ودبت عقاربها وقدربت من البطس شوانيها . وقويت في البطش امانيها وحمى ما فيها من فيها من الرجال . وهي تجري بهم في مدوج كالجبال . وكأن جدوا ريها عرادًس يزففن بما لهن من الجهاز ، وكأن البحر المتموج شوب بتلك الأعلام المنشئات معلم الطراز. بل كأنها تجار تحمل الصدقات الى ذوي الاعواز . فجاءت فجأة متسقة موسقة . وأتى الآتى بها موافقة موفقة . فلم يقدر على مقاربتها ومقارنتها شيني شانيء . وكانت كلاءة الله وعصمته لها خيرا من كل كاليء . وجازت والكفر خزيان ينظر . وفازت بالعز والعدو بنيل الذل يعثر . وكان وصولها أوان انفضاض الأزواد وانفادها . فملأت المدينة بفلاتها . وأزوادها . وعصمت أرماقها . ودسمت امراقها . وقسمت ارزاقها . واشبعت

جوعها ، وشبعت صدوعها ،وأنالت آرابها ، وأزالت اجدابها ، وخصتها بخصبها وصحت لها بسحبها ، فأفاقت من الفاقة وأفرقت من الفرق ، وسكنت بعد القلق .

وعاد اليها بعد الفسوق اسمار الفلق . والحمد لله المغني بعسد الاعدام . المدنى السنى بعد الاظلام . المدنى باوليائه اعداء الاسلام

ذكر عيسى العوام وما تم عليه في العشر الاخر من رجب

وكان رجل يعرف بعيسى العوام . وقد تردد بالكتب والذفقات الى عكا ومنها في ذلك العام . وكان ناصحا امينا . بحفظ الاسرار ضحينا . يسبح ليلا في البحر . ويعبر على مراكب اهل الكفر ويصل بما معه الى الثغر . ولكم خاطر بذفسه فسلم . واعتورته اسباب المتالف والالام فما الم . واتفق انه عام ذات ليلة غير مكترث بما في طريقه من اخطار . وعلى وسطه ثلاثة اكياس فيها الفا يينار ومعه من نفقات الاجناد ودائع . ومحقرات بضائع . فعدم ولم يسمح له خبر . ولم يظهر له اثر . فظنت به الظنون . وماتيقنت المنون . وكانت له لا شك عند الله منزلة . فلم يرد ان تبقى حاله وهي مجملة محتمله . فوجد في ميناء عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها . وانهب حق فوجد في ميناء عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها . وانهب حق اليقين من الظنون بباطلها . وبراه الله مما قالوا . واحال الذي عليه احالوا . فقد وجدت على وسطه تلك الاكياس . وتعجب من حاله الناس . فلم ينهب بنها به الذهب الذي صحبه . وطهره الله من الرجس وعنه انهب .

ذكر وصدول ولد ملك الالمان الذي قدام مقدام ابيه الى الفرنج بعكا

ذكرنا حديث الالماني وملم حادثه ، ومسااداه اليه مسن دواعي كفسره وبواعثه . وكان مسيره من انطاكية يوم الاربعاء خسامس عشسري

رجب. ولقسى في طريقه على اللاذقية الشحجي والشحجن والشجب . وانن ضعف خيلهم . بضعف ويلهم . ووجدت لهم مابين اللاذقية وجبلة ستون سبعون فرسا قد عطيت . وعلى اعواد عظامها سواد الغرابيب خسطبت . وقسد استقبله المركيس . وقصسده التأنيس . وان يهديه بضلاله الى الطريق التسي تسومن طوارقها . ويتسع عليه مجال الامن وان سلكت مضايقها . فوصل به الى طرا بلس في العشر الاول من شعبان . ووصل خبر وصدولهم في سادسه الى السلطان . وحزرهم من شاهدهم في الطريق بخمسة عشر الفا . وسمعنا في حزرهم بالقليل والكثير خلفا . ثـم انتقـل في البحر الى عكا في موضع الحصر . ووصل اخر النهار سادس شهر رمضان . بعد أن عاين في البحر من اختلاف الهواء الهوان . فلم يبق له وقع . ولم يحصل لخرق القوم به رقع . واقام بين جنودهم . كأحد كنودهم . وقال الفرنج: ليته لم يصل الينا ولم يقدم علينا . فانه لو اقام في موضعه . وامدنا بفيضه من منبعه . الهيبت عظمته . وعظمست هيبته . وارعب روعه وراع رعبه ورجي منا وخشي من المسلمين قربه . وقد قطع بنا منذ وصل . وحص لنا جناح نجاح حصل . ووصل في البحر وحسده . ولم يسستصحب جنده . شسم وصسل اليه الاصحاب . وتقطعت بهم الاسباب . ثــم رام أن يظهـر لجيئه وقعا . ويبدى له ذفعا . ويثير لذفع غلة ثاره نقعا . فقال الام القعود عن القوم . ومابقي الا النهوض اليهم من اليوم . ولا بعد من ضرب المصاف معهم . واني على الخروج اليهم لادفعهم . فقالوا له انت ماارثت وهج قتالهم . ولاا تسرت نهسج نصسالهم . ولاحسسربت بحربهم . ولا كربت بكربهم . وأو حزبت بحزبهم . الاصحب جماحك لجماح صحبهم . فأبى ونبا . وشب الشبا . فلما عرف وا جهله . وان صعب الامر عنده ساوى سهله . قالوا له نبتدىء بالخروج الى اليزك . فلعلنا نوقعهم عند الاحاطة بهم في الشرك . فدبوا في راجل كرجل الدبي . وخيل اغصت الوهاد والربا . ومدرجوا في المرج . وطووا ذلك المدارج طي الدرج. واشعلوا الخرصان في ليل الذقع عوض السر . وقربوا من تل العياضية . وعليه خيم اليزكيه . والنوبة فيها للحلقة المنصورة الناصريه . والعصبة الموصلية . فلما

بصرت بهم ثارت اليهم . ودارت عليهم . وانهضت بنات الحنايا من خدودهم الى الجدور . واوردت ظماء الظبي منهم ماء التامور . وانبعت بالنبع من عيونهم العيون . واستخرجت بالضرب من اعناقهم الديون . وطيرت بإطارة السهام الى الاحسداق بهسم الاحداق. وخاطت الاماق ومااخطأت الارماق. وصار كل سهم شهم . وخطر في محل خاطر اسرع من وهم . وركب السلطان من خيمته وتقدم الى نل كيسان . ووقف ينهض بعد الفرسان الفرسان . فلم تزل وجوه البيض تحمر . وثنايا السمر تفتر . ونيول النقع تنجر وصفحات الجو تغبر . وارجاء رجاء النصر تخضر . الى ان جن الظلام . وكيف الكفر وسلم الاسلام . وكانت الدائرة على الكفره . فاعرضت بالوجوه المتنكرة . وابنا بالانوار المسفره . ومـر الالماني متألما . ومن ظلمة حاله متظلما . وبكلوم قلبه متكلما . وقد عاين ماعاناه من العناء . وشق عليه ما شق مرائره من الشقاء . وبلى مما بلى به من البلاء . وعلم ماجهله . واستصعب ما ستهله . وذا ق ماضاق به ذرعه . وكاد يتم في القتلى رصعه لو تم صرعه . لكنه تجرع من الغصص ماسهل عليه الموت جرعه . وتاب وماثاب . وابسى الرجوع الى اللقاء لما آب . وحيننذ جدوا في قتال البلد وحصاره . واتباع ليل الجد فيه بنهاره.

ذكر برج الذبان

وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان . وهدو في حدرا سة المينا عظيم الشان . وهو منفرد عن البلد . محمي بالرجال والعدد . وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الالمان في الثاني والعشرين من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام والات ابدرزوها . ومكر مكروه ودبر دبروه . وبغي غي بلغوا غاياته وريب رأي رفعوا راياته . وشر شرك الهبوا شراره . وايد كيد ارهفوا غراره ، وعنان عناد اطلقوه ولسان ضرام انلقوه . ويد بسطش بسلطوها وعقله معالقة انشطوها . واحد تلك المراكب قد ركب برج على . رأس

صاريه . لايطاوله طود ولايباريه . وقد حشى حشاه بالنفط والحطب . وضيق عطنه لسعة العطب . حتى اذا قرب من برج الذبان والتصوق بشرافاته .أعدى اليه بآفاته . ورميت فيه النار فاحترق . واحترق من الستائر والاخشاب مابه التصوق وتستولى النار على مواقف المقاتلة فتباعدوا عنها . ولم يقربوا منها . فسهل عليهـم فيه التسلق. ولم يصعب به التعلق. وملاوا بسطسه اخسرى بسأحطاب يسرى فيها الذفط ويسرع بالهاب . حتى يوقدوها . وعلى السدفن التي لنا بالمينا و ردوها . فتعدي عدوانها . وتنير وتسدى فيها نيرانها وهم في مراكب من ورائها للصرب مستعدون . وللشر مستمدون .حتى اذا تم برجائهم في البرج والمينا مناهم . نالوا من الاستيلاء والاستعلاء غناهم فلما قدموا البطسة ذات البسرج المعمور . وصار الصاري ملاصق السور . جاء الامر بعدكس ماقدروه واخفق فلنهم للادبار فيما دبروه . فان الهواء كان شرقيا . فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقيا . بل اشتعل برج المساري وتراجعت ناره الى اهلها . وعاملت ذوى الجهل بجهلها . وأ وقدت بطسة الحطب من ورائها وتطايرت اليها شعل اذكائها . وعادت على الفرنح فالتهبوا . وحمى عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا . فانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا . والناجون منهم فارقوا وفرقوا ولم يفرقوا . واحتمي برج الذبان فلم يطر من بعسها عليه ذباب . ولم يفتح للعدو في الكيد له باب .

فصل مشبع في المعنى من حصار برج الذبان مرة بعد أخرى من كتاب الى سيف الاسلام باليمن

وافكر الافرنح في امرهم واجالوا قداح الرأي في مكر مكرهم . وقالوا هذا البرج المعروف ببرج الذبان . مذفرد عن البلد في وسلط البحر منقطع المكان . فاذا اختناه تسلطنا على مراكبهم التي في المينا . واذا لم ذؤثر بمجيئنا تأثيرا فلأي سبب جينا . ومن حديث هذا البرح انه يحيط به البحر من جوانبه . وهو قفل مينا الثغر على

مراكبه . وقد رفعناه واعليناه . وبالعدد والرجسال قدويناه . وبالجرخية والرماة والزراقين والمنجنيقية مالأناه وبكلاءة الله وعصمته اياه عصمناه وكلاناه . وقد حاموا حوله حولا . فلم يجدوا على نيل غرض منه قدرة ولاحولا . فعمدوا الى اكبر بطسه واتخذوا فيها مصقالا كأنه سلم. وهو في مقدمها مركب مقدم. وقد جعلوها بحيث اذا قربت الى البرج ركب رأس السلم شراريفه، وصسعد الرجال اليه في تجاويفه . وتعبوا في ذلك أياما وشبعوا تسوثيقا واحكاما . وهو بمراى من الاصصحاب ينظمرونه ويبصرونه . ويستنجدون الله عليه ويستنصرونه والقوم قد اصبحوا بتلك البطسة زاحفين . وعلى ذلك السلم بعدهم واقفين . حتى اذا التصوق بالبرج التصقت به قوارير الذفط . وتوالت امسطار البسلايا من الجسروخ والمجارات والمنجنيقات على اولئك الرهط . ووجدت النار بسطة في البطسة ولم يسلم السلم . وناب القوم من فجيعتهم بها المساب الذي الم بهم والم. وقتل منهم من باشر القتال. ونزل العذاب بمن حاول النزال. والحمد لله الذي ايات ظهـور دينه متناصرة. ودلائل نصر اوليائه متظاهره. ثم عمل الفرنج برجا عاليا في اكبر مركب وحشوه بالحطب . وعملوا على رأس صاريه مكانا يقعد فيه الزراق . ويتأتى له فيه الاحراق. وقدموه الى برج الذبان وسلطوا على جوانبه جواني النيران . وقصدهم بذلك احراق ستائر البرج المنصور . وراوا أن في ذلك هدم بنيانه المعمور وحسبوا أن الستائر أذا وقعت فيها النار . تعذر على رجاله القرار وتعجل منهم للحدار الفرار وكانت الستائر تشتعل والضواطر تشتفل . والمال تضطرب والبال يلتهب والقلوب تضطرم والكروب تحتدم. فأهب من مهبب لطفه نكباء نكبت النار عن البرج المصروس . واكبت الفرنج على الوجوه الرؤوس . وتعس جدهم . وتعكس قصدهم . وانقلبت الريح التي لهم عليهم . وصوبت مرامي العذاب اليهم.

فصل في المعنى

ولما وقم الله القوم. قالوا لاطاقة لنا اليوم وعادوا وقد غرموا ورغموا . واخلف ماعزموا وزعموا واشتغلوا بمله بلطس لهم شحوما واحطابا وادهانا واخشابا واشعلوا فيها النار والهبوها . وارسلوها الي مراكبنا في يوم ريح عاصف وصوبوها . واندوها منها وقربوها وكادت سفننا تحترق ومراكبنا تفترق . فانزل الله الفرح وقت الشدة وامن من المخافة المحتدمة المحتده . وانقلبت الريح عليهم وعادت مخالفة لهم بعد ان كانت موافقه . وحالة تلك الحالة للعادة خارقه فاحترقوا بنارهم . وشرقوا بعارهم . وجذبت بطس اولئك الكلاب بالكلاليب . وتوالت الطاف الله في تلك النوب المتناسقة مطردة الانابيب مستهلة الشأبيب

ذكر الكبش وحريقه بعد تعب العدو في احكامه وتسوية طريقه

واستأنف الفرنج عمل دبابة هائلة . والة الغوائل غائلة . في رأسها شكل عظيم يقال له الكبش . وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين اقفال الاسوار المغلقة بها تفش . فكم سور اذا نطحت طحنته . وكم معقل حصنه الدهر وصحنته . وهنه الدبابة في هياة الخريشت الكبير وقد سقفوها مع كبشها باعمدة الصديد . وكملوا لها اسباب الاحكام الشديد . ولبسوا رأسي الكبش بعد الصديد بالنحاس . وكسوها حذرا عليها من النار سائر لباس الباس . فلم يبق للنار اليها سبيل . ولاللعطب عليها دليل . وشحنوها بكماة الماع . وحماة القراع . ورماة الحدق وكساة الحلق . وعفاة الحتف . وجفاة الزحف . ومجتابي الزغف . ومجتبي العسف . من الحرب الاجهام لا ينظر الا من جلد ارقم ، وكل شيطان لا يقتحم من الحرب الاجهنم . وكل شجاع لا يعتقال الاشتجاعا . ولايرى لفير

النجيع القاني اقتناء ولاانتجاعا . فلما استدفت لهم هنه الدبابه وماجت بالحديد لجتها العبايه . واطافت بذلك الكيش تلك التيوس النبابه . وامنوا عليها الحريق واموا بها الطريق . سووا بين يبيها الارض. ومهدوا الطول منها والعرض. وصحبوها حتى سحبوها وقروا بها اعينا بل انفسا وقربوها . فجاءت صورة يزعج مسراها . وروضة يعجز مرعاها . والة تروق هيأنها . وعدة تـروع هيبتهـا . وبلى البلد من بدوها بالبلاء الداني . وتغاشت وتعاشت دونها نفس الرامى وعين الراني . وقال اصحابنا هنده ماني دفع خصطرها حيلة . ولالبارق الظفر بها مخيلة . فكيف العمل . وفيم الامل . ومن للكبش العظيم وقطع رأسه، ومن لبناء الحديد ونقض اساسه . فإن كانت هذه الدبابة دابة الارض فما هذا أوانها . وما حان زمانها . واقد قامت بها قيامة الحشر فقام بسرهانها ونصدبوا على صدوبها مجانيق . ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك النبق . فابعدت رجالها من حواليها ، وطردت المطرفين بين يديها . شم رماوها للحازم بحازم الحطب حتى طموا مابين القرنين بجرزة . وقذفوها بالنار فترنم في أثنائها عجاج اللهب برجزه . وبخلت من باب الدبابة فاستعلت نار ضاوعها . وشرع من فيها في الخروج بعد بخولها وشروعها . وجاء الفرنج ذلك الليلة فباتوا بالبينات . يطفئون بالخل والخمر ذلك الشعل المستوليات ، فاطفأوا نار الظهاهر ولم يعلموا بنار الباطن . ولم يحسوا بما تمكن من اضلاعها من الحرق الكوامن . وحين اخمدوا الجمر . احمدوا الامر ، ورجعوا ولم يزل اللهب يأكل سقوفها . حتى ترك على ما غطى الخشب من الحديد وقوفها . وحينئذ خسفها المنجنيق . فانهد ذلك النيق . وصوح ذلك الروض الانيق . ووهن ذلك التركيب الوثيق. ونفقت تلك الدابة واحترقت تلك الدبابة. وخسرج من بالثغر المحروس، باشري الوجوه طيبي النفوس. وقطعوا راس الكبش . واستخرجوا ما تحت الرماد من العدد بالنيش . وحمل كل من الحديد ما اطاق حمله . واستطاب لثلج صدره وبسرد يقينه حسره واستخف ثقله . وقدر ما نهب من الحديد بمائة قنطار . فقل في الة لبست بهذا المقدار وهو أعظم مقدار . وعاد اصحابنا على عدوهم

ظاهرین . ولعزب الکفر قاهرین . وکلهم ینشد وهو ینشیء وینشد حدا وجدا .

نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكيش بدا

وقنط الكافر وكفر القانط . وسخط الشيطان واستشاط الساخط . وعلم الفرنج حين حبطت اعمالهم . وهبطت امالهم . أن الشقاء ادركهم والشقاق أهلكهم . وأن مدبرهم مدبر . وأن ترتيبهم مدمر . وأن الاتهم غير نافعة . وأن نهلاتهم غير ناقعة . والحمد لله ذي الطول العميم . والفضل الجسيم . الذي نعش . عثار الثغر بعد أن تل للجبين فتلينا قوله تعالى (وفديناه بنبح عظيم) (الصافات : الاحبين في يوم الاثنين ثالث عشر رمضان ، واحترقت البطسة يوم الاربعاء خامس عشره .

وفي هذا اليوم وهو يوم الاثنين قدمت عسكر الشمال . يقدمهم ذو القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب. وقد استصحب معه الاجناد وجلب . فجاء عشية وجدد بلقاء والده عهده . شم عاد وعاد بكرة الثلاثاء يقدم جنده . ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر . وقد استكثر معه واستظهر . وعز الدين بن المقدم . ذو القدر الافضم. والنجر الاكرم. وحسام البين حسين باريك وجماعة من الامراء . من ذوي المكانة والبسالة والغناء . وقدم الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك . وقد استصحب غلمانه الاكابيش ومماليكه الترك. وكان لذلك اليوم رونق . وصفاء لم يشبه رنق . واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو على البلد الزحف الشديد في الخلق العظيم . جحيمين يلتهبون بنار الجحيم . وتركهم اصحابنا حتى قربوا من السور . وأقدم العدى إقدام المتهور الجسور . فلما ازدحموا وكثروا . واضعطرموا واستعروا . غنت لهم الاوتار برنين القسي فطاشت لها السهام . ودعت اليهم الاقدار بحنين الحنايا فلباها في لباتهم الحمسام. وزارتهم من الزيارات الجروخ . وأخنت نيرانهم تبوخ . ورضتهم المجانيق بالاحجار . واننت عيون نجيعهم بالانفجار . وخرج

اصحابنا عليهم فشاوهم الى الخيام . وفلوهم بحد الاقدام . وافضى الخرق بالعدو إلى الخرق . وأخلقت بجدة جدنا جدة أولئك الخلق

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب أن صاحب انطاكية أغار على غره بشره وبشره . ووصل الجاسوس بخبره . وبما البلاد مشرفة عليه من خطره . فرتب اصحابنا له كمينا . ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا . فقتلوا اكثر رجاله . وافلت وباله في وباله . وانهاض من تلك النهضة . وضعف من تلك العضة . وفي ذلك التاريخ القت الريح إلى ساحل الزيب ، بطستين خرجتا من عكا بجماعة من الرحال والصبيان والنساء للتفريب وفيها امراة محتشمة . غنية محترمة . فاخننا واخذوا وأخنت . وجد الفرنح في استنقانها فما استنقنت . وسرنا ما ساء العدو . وأتانا الله مدن احسانه المرجو . وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا الى منزل يعرف بشفر عم - وخص بهذا الرحيل النفع وعم . وكان سبب ذلك أنه كثر الستأمنون إلينا من الفرنج . واخبروا انهم في عزم الخروج الى الرج ما تجين للثار ثائرين الى الهيجاء ما تجين في داماء الدماء لحب اللقاء ، وصبح هذا الخبر وصدق ، ووضيح الحق وتحقق. فاحضر السلطان الامراء الاكارم. ورجال الحقائق الضراغم النين هم له أعوان صدق لساعات أيامه . ونضائر نصر عند اعتازامه فاستشارهم واستثار كوامين سرائرهمه ، واستنبط دفسائن ضمائرهم . واستكشف منهم الصواب . وتعرف من جسانبهم الجواب فقالوا: الصواب ان يفتح لهم عن هذه المروج حتى يكون بخولهم اليها يوم الخروج . فنصحهم في اليوم الآخر ولايتعذر بهم احداق العساكر وانما لايقدرون على القصد دفعة واحدة . الا اذا كانت ايبيهم . متساعدة وآرا وُهم متعاقدة فان انفردوا عن الراجل وساقوا كسرناهم واسرناهم ، وان توقفوا للراجل قصدناهم حيث نزاوا واقيناهم وصعدناهم .وأجمعنا على أن نرحل الى شهر عم و

نخيم على هضابه . ونبطل على العدو ما كان من البيان في حسابه . فخيمنا هناك على أحسن تعبيه . وسنينا اسباب اللقاء أتم تسنيه ر رحبت المنازل . وعذبت المناهل . وعادت معالم تلك المجاهل . و حللنا التسلاع والآكام . وركزنا بتلك الأعلام اعلام . ونزلنا لمقسام الشتاء مستعين . ولا سباب التدوقي من الامطار مستجدين. وأضحينا على تلك الاطواد موطنين. وعند تلك الاوتساد مسوتنين -وتسنمت تلك الفروع وفرعت تلك الاشعة وتمكنت تلك البني وبنيت تلك الامكنة . وتحركت تلك الجبال بسكانها . واحبت الرجال التوطن بها وسلت عن اوطانها ، ودارت الاسواق ، ودرت الارزاق . وأنارت الافاق. وصهلت الصلادم على معالفها وصدقلت اللهاذم لمراعفها . وذوب اليزك بحالها تدور وتسروده وتعيد رسم الحفظ والحماية وتعود والحسرب تتناوب. والزحسف يتعساقب، والاقسران تتواقم والوقائم تتقارن . والاعوان تتعساضد والاعضساد تتعساون . والعتاق بصهيلها لحب الطراد تحمحم . والرقاق بصليلها لشوق الجماجم تجمجم . والمقربات للاجراء صدوا فن والضدوا مر للشد ضوامن . ومنى المناصل صلة القطع . ورجاء الرجال نبع النصر في قرع النبع بالنبع . والتوحيد للتثليث منازل . والايمان للكفر مقاتل . ولا كارم الا للكلام . ولا سلام الا بالسلام . فلا يسلم الا اسرح وألجم . وتقدم وأقدم . وأصم وصمم ، وأضر وأضرم . ولاتله حتى تلهب . ولا تعج حتى تعجب . وأقطع وصل . وأكتل بصاع المساع وكل. ولاتقلق والق وقلقال ، ولكل داع إجابة ، ولكل سلاع اصابة . ولكل سهم في المرمى فدوق ، ولكل شهم في المرام سدوق ، ولكل صعدة في الطعان صدعة . ولكل قعدة للرماء قدعه ، ولكل عقدة بالضرب حل ، ولكل عدة في الحرب فل ، ولكل عضب عض ، ولكل ذي حظ حض ، ومسن له نصيب في الشهاعة نصيب في التشجيع ، ومن له جـراءة الهيجـاء هــاج الى الصريخ بـالجد السريع ، والأيام منا على هـنه الحالة مندرجـة ، ومياه الحسعيد بأمواه الوريد ممتزجة ، والفرج منتظر والنواظر متفرجة ، وتباشير صباح المسفاح في بياجير القتام متبلجسة ، ولله نعمسة في كل يلية ، وسر في كل قضية .

- T.V. -

ذكر وفاة زين البين صاحب اربل

في ليلة الثلاثاء ثامن عشرى شهر رمضان وماجرى بعده من الحال قد جرى ذكر هـــذا الأمير، ومساتجلي بــه مــن الكرم والخير ، وهو يوسف ينالتكين بن على كوجك ، ومن سعادة جده ماطلب غاية في الكرم الا ادرك ، وماكان اسره يوم الحضسور واحضره يوم وفاته للسرور، فلقد كان جارا للكتائب، بارا بالأباعد و الاقارب ، سارا باسداء المواهب ، دارا بأخلاف الرغائب ، مارا في سبل المناقب ، قسارا على قلق النوائب ، وكان في ريعسانه الرائم ، وشعاعه الشائم وشبابه الطرى طرير الشبا ، وحبه لعقد السودد معقود الحبا، فمرضت الأيام بمرضه اياما، وتلهبت القلوب منا للتلهف عليه وقد امست مراضا ضراما ، وعدته بطبيب السلطان فلم يأذس به ، ولم يسكن الى طبه ، لما كان يعلم من منافســة اخيه مـــخافر الدين في مـــوضعه ، وأنه ينتعش بمصرعه ، فاكتفى بصاحب له يطبه ، يوافقه على مايحبه ، وهـو جاهل بمزاجه ذاهل عن علاجه فشب الحمام في حمسي شسبابه ناره ، وأذوى غصسنه غداة قلنا مساأنهي ازهساره ، ومساأنضر نضارة ، ونقله الله من جنات الحياة الي حياة الجنان ، وعجل به ليجازيه لاحسانه بالاحسان ، وحدوله مسن بين الاتسراب الي التراب، ومن دار الاغترار والاغتراب الي مروطن الثرواء بالثواب، وأنن الزمان بعد الأجداء بالأجداب، ولزمه أخوه منظفر الدين حتى فارقه ، وماظهر عليه الغم حتمى قيل انه سره موته ووافقه ، وقصدناه مغزين على ظن انه جلس للعزاء ، فاذا هدو ف مثل يوم الهناء ، وهو في خيمة ضربها في مخيم أخيه ، واحتاط على جميع مايدويه ، ووكل بالأمراء القلاع ليسلموها ، وخشى ان يعصا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها ، وخدم بخمسين الف بينار حتى أخذ اربل وبالادها ، ونزل عن حران والرها و سميساط والبلاد التي معه واعادها ، وزاده السلطان شهر زور ، وأحكم بمسيره الأسباب والأمور فاستمهل الي حين وصول الملك المظفر تقى الدين ، لينزل في منزلته بجنده وصحبه الميامين فوصل يوم الأحد ثالث شوال ، فحلى بعد العطل الأحوال ، وكان قد انفصل صاحب الجنزيرة معنز الدين سنجر شاه وذهب مغاضبا ، وكان السلطان له في الانفصال عاتبا ، فأعاده تقي الدين من الطريق ، وقبح له مااستحسنه في تدرك الموافقة من عدم التوفيق ، وكان هذا سنجر شاه بضل يوم العيد بكرة الهناء ، فاستأننه في الانكفاء ، فضرج على حالته وسار وتبعه اصحابه . ولج جماحه وتعذر اصحابه فلما اجتمع به تقي الدين رده ، وبذل في صيانه منزلته عند السلطان جهده ، وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام . وجد في الاستئذان في الرحيل منه الاهتمام ، وصدق الاعتزام ، وتقرر ملاله ، وتكرر ساؤاله فكتب اليه السلطان .

من ضماع مثلي من يديه فليت شعري ماا ستفادا .

فلما قرأ هذا البيت ماراوح في الخطاب ولاغادى ، وغلت الاسعار عند القرنج واستقرت الغلل، وأعلههم مساعراهم وعرتههم العلل ، وباؤوا بـالوباء ، وبلوا مـن البـلاء ، وغلوا مـن الفلاء ، وتضوروا من الضراء ، وشق مسرائرهم اسستمرار الشقاء ، وعمت الجاعة الجماعة ، وعدماوا الطاعة والاستطاعة ، وزاد جوعهم ، وزال هجوعهم وقصرت عن القرار بوعهم ، وامحلت ربوعهم ، واستحال رتوعهم ، وبعثهم الرهب ، على الهرب ، والقحط على الشحط ، لكنهم اقساموا على الموت ، واستناموا الى الفوت ، وبلوا بأمور صعبة ، وهـرب الينا منهم عصبة بعد عصبة ، وقد بادوا من الضعف البادي ، وأعداهـم الضر العسادي ، فمسن سسالناه عن مقتضى فسراره ، ومقضى قراره ، يخبر انه طواه، الطوى ، قنواه النوى حين التوى ، من حذر التوى ، وقد أنساه المحل النحل ، وأبفض اليه حب السلامة الولد والأهل ، وكانت الفرارة من الفلة قد بلفت أكثر من مائة بينار والسعر من الزيادة لديهم في استعار ، فما جاء الا كل ضعيف لايقوى على النزاع والنزال، ولا مسكة لاعتسلاق رمقسه مسن الاعتلال، فقبلناهم وانفقنا فيهم والفناهم بما يكف ضررهم ويكفيهم ، فتقودوا ودقووا ، وأثروا بعد ماا قووا ، فمنهم من أسلم

وخدم ، ومنهم من ند وتندم ، ومنهم من غدا بجريرة وعاد ، ومنهم من ناصح فاستفاد .

ذكر ذوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

ولما ضاق بالقوم ذرعهم ، واشرقهم جسرعهم ، وعرقهسم قرعهم ، واخداقهم خلف عيشهم وضرهم ضرعهم . وعيل مسبرهم وعال ضرهم قالوا: نخرج ونبلي . ونصل ونصلي ونقصد ونصدق ، وذلى وذقلق وذفلق وذفلق ونعيز ونعيزم ، ونهيز ونهزم ، ونحمى ونحمل ونقطع ونوصل ونزحف ونحفض ، ونزعج ونعجز ونجهد ونجهل ، ونعقر ونعرق ونخرج ونحدرج ونلج ونلجح ونضري ونضرب ونغلى ونفلب ، ونجسسن ونجنى ، وننيف وذفني ، ونرد ونرذي ، ونجد ونجدي ، ونقد ونقدم ، ونعسدو ونعدم ، ونصد ونصدع ونقدد ونقدع ونجدع ، ونصر ونصرع ، ونسل ونسلب ونروع ونرعب ونبدوا ونبيد ، ونتصدى ونصيد ، ونظهر ونظفر ، ونرهق وذقهر ونقسو ونقسر ، ونسكر ونكس . فخرجوا في عدد خارج عن العد ، واستقاموا مع الاعوجاج على جدد الجد ، وذلك يوم الاثنين حادى عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من لازم القتال ، وأخذوا معهم عليق اربعة ايام ، وزادها واستصحبوا انجاب الكريهة وانجادها ، وكان اليزك في تـل العياضية فركبوا ، واشعلوا القوم بنيران النصال والهبوا ، فنذل العدو ذلك الليلة على آبار كنا حفرناها عند نزولنا هناك ، والحمية الحامية المنبعثة على تلك البعوث ماتركت الأتراك ، فباتوا حول القوم يرمون ويدمون ، ويشوون ويصهون ، ولما اتصال خبارهم بالسلطان رحل الثقل الى ناحية القيمون ، وثبت الله القلوب على الأمن والسكون ، وبقي الناس على خيلهم جرائد ، وقد استعذبوا من مر الكريهة الموارد ، وركب العدويوم الثلاثاء سائرا ، وقد عب عبابه زاخرا ، وهب غابه زائرا ، وطما بحره مائجا ، وسما جمره مارجا ، وعساكرنا في احسن تعبيه ، ولدعاء القراع في اوحسى

تلبيه ، وقد امترجت زجسرات الهسساووش ، بنعسرات الجيوش ، والميمنة الى الجبل ممتدة ، والميسرة الى النهدر بقدرب البحر وصفوفها مشتدة مستدة ، والسلطان في القلب كالقمر في الهالة ، عليه اكليل من أنوار الجلالة ، فسار حتى وقف على تل عند الخروبة ، على المهاب الحالية والحالة المحبوبة ، ومقدموا ميمنته ، عظماء دولته ، مساحب دمشــق ولده المبجــل ، الملك الافضل ، وصاهب حلب الملك الظاهر ، وصاهب بصرى ولده الملك الظافر ، وأخوه الملك العادل في أخرها ، والأمراء بعساكرها ، يلي حسام الدين بن لاجين : قايماز النجمي صارم الدين ، والأمير بشارة صاحب بانياس ، وهو الذي لايرجو منازلته الا من فيه بسان الباس، ثم بدر الدين دلدرم الياروقي صاحب تل باشر، وقد طالما بشر الاسلام بما باشر ، وعدة كثيرة من الأمراء يطول ذكرها ، على أنه يطيب نشرها ، وعظماء الميسرة ومقدموها ، وأمسراؤها ومقدموها ، الملك عماد الدين صاحب سنجار ، وهو العادل للاسلام وعلى الكفر جار، وابن أخيه معـز الدين سـنجر شـاه صـاحب الجسزيرة ، والملك المظفسر تقسى الدين ذو السسطوة المبيدة المبيرة ، وسييف الدين على المشطوب ، الذي نشبب بناره الحسروب، ونصب على العدا منه الكروب، والهسكارية والمهرانية ، والحميدية والزرزارية ، وأمسراء القبسائل مسن الأكراد، اقتال القتال وأجادل الجلاد، ورجال الطلقة المنصدورة واقفون في القلب ، لا بسي الحلق السرد خائضي بحر الحرب ، من كل فارس فراس ، وهـرماس رمـاس ، وضيغم ضاغم ، وضرغام غارم، وليث فضدفاض، ملوث بفضدفاض، وقسور قاسر، وهزبر زابر زائر ، واسد في غاب الأسال ، وقسارع في القسراع بساب الأجل، وقار ثعالب الخرصان وذباب الظبا من دم الأقران، وقار على الثبات على قلق ثبات الشجعان ، وقارىء (أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأماوالهم) (التاوية ١١١) ثقلة باوعد القرآن ، وقارن حج النجح بعمرة عمره وبذله في الجهاد للتمتع بعمر الجنان ، وسابق الى حلبة الشهادة ، وسامق على ذروة السعادة ، وملايس للروع مباسل وعاسل ، كالذئب الى ذب العدا

عن الهدى بعاسل ، وسار الفسرنح شرقسي النهسر لنا ما واجهين ، والكريها غير كارهين ، حتى ومساوا الى رأس النهر ، واشفقوا من يأس القهر ، فانقلبوا الى غربية ونزلوا على التل بينه وبين البحـــر ، والجــاليشية الرمـاة منا حـــولهم جائلة ، وعيون اعيانهم على نصالنا سائلة ، وجدرح في ذلك اليوم وهو الثلاثاء خلق من أهل التثليث، ومانبا عن كثير منهم ناب النائب الكريث ، والسلطان في خيمة لطيفة بحيث يشاهد ، ولله منه الجاهد المجاهد ، واصبح الفرنج يوم الأربعاء راكبين ، وعن سبيل اللقاء ناكبين ، ووقفوا على صهوات الخيل الى ضحوة النهار ، والراجل مطيف محدق بهم كالأسوار ، واصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا أن يخالطونهم ، وأرادوا يباسطونهم ، والسلطان يمد الرماة بالرماة ، والكماة بالكماة ، وهمم شابتون نابتهون ، سهاكنون ساكتون ، ونحــن نقــول اهلهــم يحملون ، ويغضــون فيجهاون . فنتمكن من تفصيل جملتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم . وتفريج الغمة بنزع جمتهم . واحس العدو بالضعف . وانه متورط في الحدف . فسار موليا . ولعذره لذعره مبليا . ومضى على مضنض . ومر بأشد مرض . والنهر عن يمينه والبحر عن يساره . وقد ايقت ان صح منه الثبات باذكساره . وعسكرنا يصافحهم بالصفاح . ويكفهم بالكفاح . ويشعلهم بجمرات السهام ، ويلهبهم بحدمات الضرام . ويحرقهم ويشويهم . ويصميهم ويشويهم . ويفيض على غدران السوابغ منهم جدا ول القواضب. ويخيض في دأماه الدماء منهم سوابح السلاهب . ويغيض في ماء الوريد منهم مساء الفسرند . ويغيظ بنى الكفر في الجمع بين الاختين عليهم ابنتي الغمد والزند. وادبروا مولين . وارخصوا من مهجهم منا كاذوا له مغلين . وعسكرنا يتبعهم . ويعلق بهم ويقلعهم . وهممم مجتمعمون في مسيرهم . محتمون في تقديمهم وتأخيرهم ، يتحسركون في سسكون . ويتظاهرون في كمدون . ويتطلعون في غروب . ويتفالون بغدروب . ويتذوبون فيجمود . ويتلهبون في خمدود . وكلما صرع منهم قتيل حماوه وستروه ، وطموا مدفئه وطمروه ، حتى يخفى أمرهم ، ولا يصبح للينا كسرهم . ونزاوا ليلة الخميس على جسر دعوق . وقطعوا الجسر حتى يمنع عدورنا اليهدم ويعدوق . وابلي المسدامون في ذلك الدوم في الجهاد بلاء حسنا . وأتوا كل ما كان فيه مستطاعا ممكنا . وقام أياز الطويل في ذلك اليوم مقاما اقعد فيه من الكفرة كل قسائم. وأذبه به من العدزائم كل نائم ، وكان مقداما هماما ، واسددا ضرغاما . يطير وحده الى الروع اذا ابدى له ناجدنيه . ويجيب المستصرخ ولا يسأله عما يدعوه اليه . وهاو في كل يوم يصابح في سلاحه شاكيا . وبنار عزمه ذاكيا . ويقف بين الصفين . ويدعو إلى المبارزة والحين . فما يبرز اليه الا من يصرخ ولا يصل اليه الا من يقطع ، فعرفه الفرنج فتحاموه ، فما رامهوه بعهد ذلك ولا رامهوه . وبذل هذا اليوم جهده وفل حدهم حده . واصابته جدراحات . وأصابتهم اجتراحات . وكذلك سيف الدين يازكوح أبلي في الجهاد ذلك اليوم ، ووقم بنصاله ونضاله القوم وخرج وبه جدرح . وفي قلب العدو وعينه من مهابة انتقامه واصابة سهامه قدح . وأصبحوا بكرة الخميس . وقد بكر الخميس . وحملي الوطيس . وسلار في اسده العريس. فاشر فنا عليهم واذا هم داخلون الى مخيمهم سائرون الى مجتْمهم، فعاد السلطان الى سرادقه حامدا ، خلائق خلائقه . مسفرا في ليل العجــاج فلق فيالقــه . واســتعاد الاثقــال . الى معسكره . واستزاد من الله له الاقبال في مورده ومصدره . وفضر يتفرده عن ملوك الأرض بعون ملائكة السماء وتفرد بمفخسره. وكان مع الفرنج الخارجين المركيس والكند هرى ، وأقام ملك الألمان على عكا يېرى ويفرى .

فصل من كتاب في المعنى

خرج الفرنج يوم الاثنين حادى عشر الشهر . واثقين من ملوكهم الحاضرين بالظهور وقوة الظهور . وفي مدرج عكا عين غزيرة الماء يجري منها نهر كبير الى البحر . فخرجوا الى شرقي النهر . وباتوا بالقرب من مخيمهم على البلد . وقد تخلف لحفظ حصره الوف مسن

اهل الجلد . ثم تصبحوا يوم الثلاثاء والنهر عن يمينهم . والأسد سائرة بـسالا سل في عرينهـــم . والحمية مشـــتعلة في عيونهـــم وعرانينهم . ونزاوا راس العين . وتطرق بها اليهم من عساكرنا المنصورة طارق الحين . ولما اصبحوا وجدوها بهم محدقة ، وبنيران النصال والمناصل لهم محرقه . وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف . والأمر بالخلاف . وانهم لسهام المذون من الأهداف . وما دارت بهم الا الجاليشية تجول وتصول . وتصيب وتصدوب وتطيل وتسطول . وكانت الاطلاب واقفة تنتظر حملاتها وتستعد لوثباتها وثباتها . فلما ابصر الفرنج ما حل بهدم من العداب . عدوا الغنيمة في الاياب، وشرعوا في طريق الذهاب . فعسادوا مسسن غربسسي النهسسر راجعین . وساروا صوب خیامهم مسارعین . واصحابنا وراءهم يرمونهم ويشوونهم ويصمونهم . وقتل منهم خلق,وسرى في حجب حياتهم خرق . ونزلوا ذلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا خائفين هائبين . ورحلوا سحرا خاسئين خائبين . وخيولهم الناجية مجرحه . وقاوبهم الراجفة مقرحه . واشلاؤهم من كسوة الحياة عارية وبالعراء مطرحه . وعرفوا ان حركتهم للهلكه .وان هلكتهم في ١ الحركة . واقاموا على الضر والزاد معدوم . والبلاء لكل منهم مذفرد وعليهم مقسوم . ولا طعم لهم الا من لحدوم الخيل . وهدم يدعون بالثبور والويل . ومع كثرتهم قلوا عناءا . وضلوا رجاءا وذلوا بلاءا . واعتلوا جدبا وغلاءا . ولما عاد الفرنج الي خيامهم . خافقين من مراميهم . مخفقين من مرامهم . وابصر المقيمون بها اصحابنا وراءهم يطلبون اردائهم . متعطشين الى دمسائهم . يرمسون ارواءهم ، وذبوا على جيادهم ، وثاروا لمراد مدرادهم ، ولاقدوا اجمعنا بأجمعهم وفاضوا لفيضنا من منبعهم ، فاندفع الاصحاب حتى تبرزوا ، ثم ردوا عليهم الكرة فانحذوا واجهزوا . وقتل في تلك المعركة كند كبير . وشيطان لنار شره من سعيره متسعير . وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته فاعطوها . والتمسوا هامته فلم يجدوها . وكان رجلا يعد برجال . وسلبه قوم بأموال ولولا ما ذفق من التياث مزاج السلطان . ما سلم من سلم من حسزب الشيطان! واله في كل قضية سر . وفي كل ليلة بر .

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقا في آرائه . ومشرقا بسلالاء آلائه . ومن ق آرائه الراجحه . ومساعيه الناجحة . ومتاجره الرابحة . انه رأى ان يرتب على العدو كمينا . وعلم الله يكون لنجحه ضمينا . فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شدوال منتخبسي رجاله . ومنتجبسي ابطاله وخواص أتراكه . وعوام فتاكه . فانتخب منهم كل من عرفت سابقته . وسبقت معرفته واحمدت في الجلاد جلادته . وفي القاء العدا عادته . وعلمت في الفتك جهالته . وامرهم بأن يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية القديمة . فمضدوا وكمنوا ليلة السبت متنبهي الهمة . متيقظي العزيمة . وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح . منادية بحي على الفلاح . ودنوا من خندق القوم . ونادوا لا قعود بعد اليوم ، ومطروهم سهاما ، واسر عوهم ضراعا . فطمع الفرنج فيهم . وظنت انها تلاقيهم . وخالتهم صيدا قد سنح . وسربا قد سرح . فقطعت خنادقها . وبتت علائقها . وحتات ساوا بقها . واخاضت بحر الحرب سوابحها . وقد افاضت سوابغها وشامت صفائحها . وتجردت عن رجالتها . وتفردت بضلالتها . وحملت بجهالتها . واقبلت بادلالها لا بدلالتها . وتطارد اصحابنا امامها . وانهزموا قدامها . حتى وقفوها على الكمين . واوقعوها في الهلك المبين . فضرح الكمين عليها . وتبادر اليها . فلم يستطع قارس منها فرار . ولم يطـق مـن غرتـه ان يمضي غرارا ، وكانت في مـائتي قنطاري ، من كل مقدم باروني وبطل داوى واسابتاري . فقتال معظمهم . ووقسع في الأسر خسازن الملك وعدة مسن الافسسردسيسية ومقدمهم ، وملكوا وسلبوا وملك سلبهم ، وتقطع بهم سبيهم ٠ وما وصلهم اربهم . وجاء الخبر الينا . فركب السلطان وركبنا وسار ووقف على تل كيسان . فشاهد من الله هنالك الاحسان . وجاءه مماليكه يقودون اولئك الاعزة بضرائم الذل . ويجودون بمسا استخلصوه من ذلك القل ، ويقدمون المقدمين من سراة الاسساري . وتلونا لما شاهدناهم (وترى الناس سكارى ومسا هسم بسكارى)

_ ገ• ለ ٤ -

(الحج ٢) فقد رضتهم اللتوت وقضقضتهم الليوث. ويعثتهم الي مصارعهم الظاهرة من مكامن الآجال البعوث . وتدرك السلطان الأسلاب والخيول لآخذيها . وكانت بالأموال عظيمة . فما اعارها نظرة ولا تردد امره فيها . وفيها حصن كانها حصون . وزرد موضون . وخوذ منها مذهب ومدهون . وسيوف ذكور تتولد منها المذون . وملابس رائقات تحار فيها العيون . وابنا بالملوك مصدفدينا . وحمدنا الله الذي بارشاده هدينا . وجاس السلطان في خيمته على دست ملكه . وقد انتظم له عقد النصر في سلكه . فمن كان عنده اسيرا احضره . فأنعم عليه وشكره . وكنت عند السلطان جالسا . ولحبير الحبور لابسا . وقد جمع اولئك الأسراء . وما اسعد الله إلا في ذلك الساعة اولئك الاشقياء . ودامت محاورته لهـم مشُافهه . واطعمهم بعدما آدسوا فاكهة . ثم بسطهم ببسط الخوان واشبعهم وارواهم ثم احضر لهم كسوة وكساهم ، والبس المقدم الكبير فروته الخاصة فقد كان الزمان قد برد . وفصل الشتاء قد ورد . وانن لهم في ان يسيروا غلمانهم لاحضار مايريدون احضاره . ولاعلام من يؤثرون أن تعرف معارفه أخباره . ثم نقلهم ألى دمشق للاعتقال . وحفظهم بالقيود الثقال .

فصل من كتاب بشرح الحال ووصدف المقام مع الاعتلال

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشر من شدوال كانت نوبة اليزك الأخينا الملك العادل فأشار بانفاذ عدة اليه تكون في الكمين . وتقيم في الكمين اقامة خدرات الأسود في العرين . فانفننا اليه من مماليكينا سرية سرية سرت سرا واستسرت وسرت . وقرت في مكمنها الى ان طابت الأنفس بصنعها وقرت . ولما اصبح الفرنج يوم السبت خرجوا على العادة عادين والمنايا الى ناديهم منادين فاستطرد من حضر من العرب واليزكية قدامهم . واظهروا انهم قد ظهروا عليهم وهدربوا

ورهبوا اقدامهم .. وما زالوا ينهزمون وهم وراءهم . يقومون فيهم رجاءهم . حتى ا بعدوهم عن المأمن . وعبروا بهم عن المكمن . فخرج عليهم الكمين من خلفهم . وفتح عليهم أبوا ب حتفهم . وأروهم وجوه المنايا في مدرايا غرر الجياد . ونزءوا عنهم لباس الجلد لباس الجلاد . وفلقوا البيض بالبيض ، وفلحوا الحديد بالحديد . واشعلوا نار الظبا في ماء الوريد . وفضوهم بالفضاء . وعروهم بالعراء ولتوهم باللتوت . وبتوا اعناقهم من حبل الوتين المبتوت . فلم ينج منهم ناج . ولم يبق منهم للبقاء راج . واسرت عدة من مقدميهم . ومعروفيهم ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوه . وكرة بغير كبوة . وغزوة اننت بأوفر حظوه . ووقعة اننت بال اجنت كل نصره نضرة عذبة حلوه . والحمد اله الذي تركو انعمه بسهيا الحمد ، وتوضع عوارفه لنا كربها جدد الجد . ولولا مرضنا في الذوبة الاولى التي خرجوا فيها بأجمعهم . لما نجوا بحشاشاتهم بل تعجل مصيرهم الى مصرعهم . لكنا ماقدرنا في ذلك اليوم على الركوب . وجلسنا على تلعة قريبة من المعركة ننتخطر مايكون من العسكر المندوب . والأن بحمد الله قد توفرت حصة الصحة . ولزمت منة المنحة . وكذلك مرضنا عام اول شهرين . والحمد لله على المهلة في السنتين . فأقمنا مع السقام ، وسقمنا في المقام ، وصبرنا وصابرنا . وجاهدنا وجاهرنا . ومقامنا في هذه المدة المديدة في بلد الغور. والوخم فيه يقضى على ماء الصحة بالغور، ومامنا الا من التاث. فأعانه الله بغيث فضله المديمة بيمته الالثاث. والحمد لله الذي أعان وأغاث.

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد وعود من سار من العساكر الى البلاد على رسم الاستراحة والاستعداد

ولما تشتت شمل الصيف الرفيق . بشمول الشاء العنيف . وانحرف حريف الخريف كانحراف مضيف المصيف . واشتعلت

رؤوس الجبال شيبا الثلج ، وحل الوحل المخيم جيشه المجر بالمرج . والتحفت كل هضبة ببرد البرد . واكتست الغدران من الجليد بالزرد السرد . ولبست سود الذرا بيض الفرا . وجر السيل النيل وجرى . وطمر المطر هدوادي الوهداد . وقبض انامدل الانام عن البسط الجهاد ، وجمد الخمر ، وخمد الجمر ، وارتعدت الفرائص ، وارتدعت الاخامص . وقرست الايدي ، وامس الجو بالجوى المسىء يعدو ويعدي . وحل الهواء بالوهاد عقود القوى . وعقد المترفون على حب الاصطلاء الحبا. وا شتفل الملوك بملازمة المشاتي. ومنادمسة المواتي . ومناقلة المناقل . ومعالقة العقائل . ومعاقرة العقار . ومسامرة السمار ، ومداناة النان . واجتناء الجنان . ومناغاة الغواني . ومناجاة المثالث والمثاني . وملابسة السوالف والسلاف . وملامسة اللطائف واللطاف . فلت نار عزم السلطان حد الشتاء العاتي . ووقف مع عزائمه الماضية وهجر من مشي الي المساتي . وما صده البرد عن مقصده . ولا رده عن مسورده وام يحتفسل باحتفاله . ولم يبال ببلاله . ولم يكترث بكارته . ولم يحدث امرا لحادثة . فاعتاض الاصطلاء بحر الحرب عن الاصطلاء بناره . وجرى على عادته في مصابرة الاعداء والجرى لها في مضماره . وما لها عن الله ولا رفض فرضه . وسما الى سدماء الآلاء وارضداه لما طهر بدم انجاس اعدائه ارضه . واستمر على بذل جهده في الجهاد . ووفى بعهده ولم يثنه جفاء العهاد ، وقال انما أربا بهدا الأرب . وأري راحتي في هذا التعب . ويقيني يقيني في ثلج صدري بلطف الله عنف الثلج . وما يبرد قلبي مع تقلب الحدر والبرد الا بدرد النصر والفلح . لكنه رأى ان مقام العساكر بجمعها . وصر فها عن العود الى البلاد ومنعها ، يوزن بملالها . واختلال امدورها وانحلالها . والفرنج قد امنت غائلتها . وتدكفي في مداومة قتسالها في نويهسا مقاتلتها . فانن الجماعة في الانصراف على المواعدة في المساودة في الربيع . والرجوع الى مراد الروع المريع . وليأخذوا اسبباب الاستعداد لأوقات الاستدعاء . وليستكثروا من الرجال المحققين في نصرة الحق الرجاء منن اهنل الغني والغناء والمضارب والمضاء . فسار صاحب سنجار عماد الدين زدكي خامس عشري

شوال يوم الاثنين ، وتلاه صاحب الجزيرة ابن اخيه سنجر شاه ليكونا مصطحبين ، وسار بعدهما ابن صاحب الموصل علاء الدين غرة ذي القعدة . وما انصر فوا الا بالتشريف والخلع المعدة . وشيعهم السلطان بكل مكرمة شائقة شائعه ، وخلعه وائقه وليعهم السلطان بكل مكرمة شائقة شائعه ، وخيل عتاق . وخير واطلاق .

فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علاء الدين

ماكان اسعننا بقرب الملك السعيد.وما أجد جدنا بانارة ذوره. وأوفر حبور بحضوره ، وأصدق شهود صدق ولائه بحكم شهوده . وما ابهج الاسلام بنصرة ناصره ونجدة وليه ووروده . ولقد تمت بأيامن ايامه وبركات مقامه في العدو نكايات . وظهرت لأولياء الله من الطاف كفاياته أيات . ووقعت بالمشركين روعات . وراعت وقعات . وقد أرينا أن نستظهر بمرافقته . ونبني الامرور على موا فقته . فما ايمن سعده ، وما اسعد يمينه . وما اقر وزنه واغزر مزنه ، لكنا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء سلناه . بمقتضى آدابه التي استكمل بها ادوات الارتقاء في مسطالع علاه ، فقد فساق بسداد رأيه الكهول. وما ازكى الفروع الطيبة اذا أشبهت الأصول. وما اسعد الملك بسلملك السسعيد علاء الدين ادام الله علاءه . وسر يفضائله اولياءه . وقد توجه والقلوب معه متوجهة . والذفوس لغيبته متكرهه . والعيون لترقب ورود البشائر عنه منتبهة ، والأيام لظلمسة الاستيحاش بالليالي متشبهة . والموارد الى أن يمن الله بعود الانس بعودته متسهنة . والألسن بسذكر اخسلاقه الطاهرة والافاضة في محاسنه االزاهرة متفوهه . والخواطر فيما تمثلته ايام الاستسعاد به من ميهجات الائه متنزهة ولاشك أن يصف بلهجته الفصيحة . ما اقتناه من المتاجر الربيحـــه . وقـــدمه مـــن المســاعي النجيحة ، واستنجحه في الغزاة من مفازيه الصحيحه . وله في كل نصرة وهبها الله للاسلام اوف نصيب . فقد أمسى مقدّل الكفر بكل سهم مصيب . وهو لستصرخ الهدى اسبق ملب واسرع مجيب . وان الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجح ارادته افضل مثيب .

ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة

لما هاج البحر وماج . واظهر الارتجاج والانزعاج ، ذقل الفرنج سفنهم خوفا عليها الى صور فربطوها بها . واخلوا ساحل عكا من ارعابها وارهابها . وخلا لنا وجه البحر وغابت عن الساحل مراكب الكفر . فاشتغل السلطان باذفاذ البدل الى البلد . من الثابتين في الجلاد على الجلد . فانتقل الملك المعادل بمخيمه الى جانب الرمال ونزل قاطع نهر حيفا في سفح الجبل . لتسهيل طريق من يسيره الى البلد من البحدل. قحان المقيمين في عكا شخصكوا امحراضا معترضه . واعراضا ممرضه ، وكثرة السواد مع قلة الذفقة والزاد. . وكان في البلد زهاء عشرين الف رجل من امير ومقدم وجندي . واسطولي وبحدري ومتعيش وتاجر وبطال . وغلمان وذواب وعمال ، وقد تعذر عليهم الخروج فسكنوا . واذا عاينوا خبوفا على الموضع موهنا عاوذوا وما وهذوا . فرأى السلطان أن يفسح لهم في الخروج رفقا بهم ورا فة، وما افكر أن في ذلك مضافة وافة، فقد كان فيه امراء امروا الأمر والقدوا الصدير ومسانعوا الحصر . واجتدراوا وتجاسروا . وصبروا وصابروا . وحاربوا وخرجوا ، وجاروا وجربوا . وزالوا وازالوا . وحساوروا واحسالوا وعرفوا مسكامن المكايد . وكشفوا كوا من المقاصد . واخذ كل موضعه في الحرص على الحراسة وشاعوا بالسماحة والحماسة . وكان فيهم من يطعم ويذفق . ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم يفرق . مثل حسام الدين ابي الهيجاء السمين . فانه اذفـــق مــا انخــره مــن الألوف والمئين ، مستمرا على اذفاق لا تعتريه فيه خشية املاق وهناك ستون اميرا ومقدما . وكلهم يرى المغرم في سبيل الله مغذما . وكاذوا ينتفعون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق . والاعانة على ما

يذفق في الحصر من التضييق فلما خرج الخواص خرج معهم العوام. وتبدد بتبدد نظمهم النظام . والزم السلطان جماعة من الأمراء بالدخول . فخدموا على ان يعفيهم بالبذول . فلم يقبل منهم بدلا . والزم بذقل الأزواد لبعض سنتهم كلا . فلم يدخلوا الا بعدلاي . وقد بلغوا في غي الرأى الى اقصى غاى . واكثرهم صرف رجاله المعروفين المستخلصين . واقتنع بمن استجد استخدامه منن المسترخصين . واذهبوا الأيام بالمدافعه . وابطأوا عن فرض المسارعه . والملك العادل هناك يحثهم ويحضهم ويحدرضهم . ويعينهم على تحصيل المراكب لهم وينهضهم . حتى لم يبلغ من دخل عشرين اميرا مقدمهم الأحمد . سيف الدين المسطوب على بن احمد . وامر السلطان بالمناداة في الابطال البطالين . ليحضر وا لقبض الذفقات وكان يحضر الجاووش في كل يوم مسئين . ويصبح نواب الديوان في امرهم مرتبين . لحــرصهم على تــوفير الدرهــم . وبخلهم بالذفقة ويعدونها من المغرم . ومعظمهم مسن نصساري مصر ومن هو في نصرة النصارى . وفي تعسير ما يجب تسهيله وتعقيد ما يجب تحليله لايجاري ولا يبارى . وكل واحد منهم القبط قطب . وفي الخيط خطب . ولاشر شرك . وفي الحسن حسك . والمشرك مشارك . والدين تارك فارك . ولهم اخلاق اخلاق . وطباع بالطبع اغلاق. تأوى البخل والتبجيل الى التأويل. وتقلى لتكثير السوء في الخير سوى التقليل . وهم جالبون للغي ، طالبون البغي . كاسبون الذم . مناسبون الضم . والمسلم فيهم متولى الخزانة . يرى الشح بما يجود به السلطان من الأمانة . واصنعهم في الكفاية عندهم امنعهم للاطلاق واعذقهم بالحذق اقذعهم ، وأعقدهم للحق أقدعهم . وأجودهم أرداهم ، وأضلهم أهداهم . وهم متفقون فيما بينهم على الخيانة . مختلفون في الظاهر لابداء الصيانة . وكان يحضر هؤلاء لعرض البطالين واستخدامهم ، ويودشدونهم بخطابهم ويذفدرون بكلامهم . ويقابلونهم بالجبه ويعاملونهم بالنجه ، ويواجه ونهم بالسوء ويستؤونهم في الوجمه . ويشمستطون في طلب الضمسمان . ويشــــــنترطون مـــــنترطون في

الامكان . ويطردونهم بقبيح الزجرة . ويكسر ونهم في صحيح الاجرة . والسلطان يجود جرود السحاب . ويأمرر برالعطاء الحساب . وبجد حث النواب . ويجد في بعث الأصحاب . ويقرول انفقوا ولا تخشوا اقرالا . وانهضروا الرجال خفران انفقوا ولا تخشوا اقرالا . وانهضروا الرجال خفران وتقروا شرفا ولانقلا . ولاتقدموا على هذا الفرض فرضا ولانقلا . ولاتعتقدوا ان النا اهم من هذا الشغل شغلا . ونواب الديوان على عادة جهالتهم . وعادية ضلالتهم . فما قبل العطاء غير مضطر فقير . ومادخل الثفر الا قليل من كثير . وماصح من البدل الا بعضه . وما قضى حق الواجب المتعين فرضه . وكان هذا من أقوى اسرباب الضعف . وأوفق دلائل الخلف . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سرنة سربع . وأوفق دلائل الخلف . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سرنة سربع . البحر لازاحة علل الداخلين . واراحة قلوب الواصرلين . حتى عاد الفرنج بمراكبهم . وانقطع بوصولهم الطريق من جانبهم . واقتنع البلد بمن اليه تحول . وعلى حفظه من الله بعصمته عول .

وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة وصالت ما مصر بالفلة بطس سبع . وكان لها للحاجة اليها وقع . وقيل قد تم بها للجائعين شبع . وانقلب أهل البلد الى البحر لمشاهدتها . ومعاونة جماعتها ومساعدتها . ونقل مافيها من بضائع وحوائج . وسلم وروائج . وماكول ومطعوم . ومشر وب ومشموم . فقد طال بذلك كله عهدهم . وانتهى الى الفاية جهدهم . فلما تسامعوا بالبطس تسارعوا الى الملتمس فعلم الفرنج بانقلاب اهل الثغير . الى جانب البحر . فزحفوا زحفا شديدا وحملوا جندلا وحديدا . وأتدوا بسللم فزحفوا زحفا شديدا وحملوا جندلا وحديدا . وأتدوا بسلام لينصبوها على الأسوار . وصارت عكا وهم حولها كالمعصم في السوار . وترقوا في سلم واحد متزاحمين . وللضيق متصادمين . فاندق بهم السلم المنصوب . وسطا بعصابهم المعصوب بها لنصب سوط العناب المصبوب . وتدارك الناس وتلا فوا وتلا قوا . وتعاطوا كؤوس المنايا وتساقوا . ورا وا غمرات الموت فراروها . وداروا

حول رحى الحرب وأداروها . واستحلوا شهد الشهادة فشاروه ٠ وألفوا الأجل كامنا فأثاروه . وتواثبوا عليهم تدواثب السدباع على الضباع . ورفعوا لقرى العواسل الجياع نار القراع . واطالوا بشبا العوالي للعوافي باع الأشاباع . وانبعاوا عيون النجيع من عيون الجميع جدا ول البيض . وافساضوا فيوض الدم القساني بالصارم المفيض . وقتلوا وسنفكوا . وفتكوا وهتكوا . وردوهم على اعقابهم ناكصين . ومن حسابهم ناقصين ، ولا شتغال الناس بكشف ماعرا من الغمة . وأظل من الظامة . والتهائهم بثقل الغلة . عن ذقل الغلة . وتركوا البطس بحالها . مملوءة بغلالها . حتى هاج البحر فضرب يها الحشف . وأذهب بكسرها كل مافيها وأتلف . وغرق من كان فيها . وأتى الغرق على الأمتعة التي تدويها . حتى قيل هلك بها زهاء ستين نفسا . وعدموا ولم نجد لهم حسا . وناموا والقدر منتبه . وذهاوا وحكم القضاء اليهم متوجه . وفي ليلة السبت سابع ذى الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا على فصيلها فهدمته . وثغرت الثغر وثلمته . فبان منها الضوء لأهـل الظلمـة . فتبادروا اليها طمعا في هجم الثلمة . فجاء أهدل البلد وسدوها بصدروهم وصدوا عنها بنحورهم . وبذوها بالمانهم الى أن بنوا ذلك البدن . وعمروا ماخرب وقووا ماوهن . وقتلوا وجرحوا من العدو خلقا . وا وسعوا بالمضايقة في كل ذي خرق خرقا . فانجلت الحرب عن طريح صريع . وجريح الى الهزيمة سريع وطليح للعقير قريع . وعاد الثفر اقوى مما كان وأحدكم . وكل ذلك بجد بهداء الدين قرا قوش حيث كان المقدام المقدم. وهذا الأمير قرا قوش لما ضحر الأمراء وضجوا . وطلبوا الخروج ولجوا . اقام ولم يرم . ولم ينحل عقد ثباته ولم ينخرم. وفي ثاني عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الألمان بمرض الجوف . ولعله من عرض الضوف . وأدرك أباه في الدرك الأسقل من النار . وابصر في جهذم مصاير امثاله من الكفار . وزاد بهلاكه ألم الألمانية . وانسدت بموته فرج الفرنجية . وتبعه في السفر الى سقر . كند كبير يقال له كندتيباط دافع القدر فما قدر ، وهلك منهم بالأمراض المختلفة العدد الكثير . واشتعلت بهم الجحيم واشتعلت عليهم السعير . وفي يوم الاثنين ثاني عشري ذي الحجة

عاد المستأمنون من الفرنج النين انهضهم السلطان في براكيس. ليغزوا في البحر ويكوذوا ايضا لنا جواسيس. فرجعوا وقد غنموا وغليوا . وكسروا وكسدبوا ، وسروا واسروا . وقسروا فسظفروا . وذكروا انهم وقعوا بحراقة كبيرة ومعها براكيس . وفيها نجار فرنج ومعهم من المال الجليل الذفيس. واسر التجار واخذ المال. وحيزت تلك المراكب وجذبت الى الساحل. فاذا هي مشحونة بالكرائم الجلائل . من كل أنية مطبوعة ذهبية . وحلية مصوغة نضارية . وألة فضية وأباريق وأكواب وأقداح . وأطباق وموائد وسبائك وصدفاح . وكاسات وطاسات . ومرافع وشربات . فوفر السلطان عليهم هذه الأكساب . ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب . واظهروا بهذه النهضة انهم مناصحون . وليمين الايمان مصافحون . فلما اكرموا بدلك المكرمة . اثنوا على اليد المنعمسة ، وأسسلم منهسم شسطرهم . وحسن بيننا ذكرهم . وببركات الكرم السلطاني كرموا . وانسوا وأسلموا وكاذوا قداحضروا برسم الهدية مائدة فضية عظيمة وعليها مكبة عالية . ولها قيمة غالية . ومعها طبق بماثلها في الوزن . ويتعذر وجود ذلك الماوك في الخزن . ولو وزنت الفضيات قاربت قنطارا . فما أعارها السلطان طرفه احتقارا . وقال لهم خذوها فأنتهم بها ا ولى . وكان أول من أسدى هذا المعروف وأولى . وكنت عنده جالسا . وبلطفه مستأنسا فقلت له ماأظن في الوجدود ملكا يسمح بمثل هذا المال ، وخصوصا وقد اغذمه الله من الحلال . فتبسم لقولى غير معجب به . وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من أربه . وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الفرنج براكو سان فيهما نيف وخمسون نقرا . فجلا لنا نصرا وعلا نجحا وحلل ظفرا . وفي الخامس والعشرين منه أخذ ايضا بركوس فيه من الفرنج مقدمون ورؤوس وهم نيف وعشرون منهم اربعة خيالة . ضمتهم من الأسر حباله ومعهم ملوطة . مكللة باللؤلؤ منوطـة . وبأزرار الجـوهر مربوطة . قيل انها كانت من ثياب ملك الألمان . واسر فيه رجل كبير قيل انه ابن اخته وهو كبير الشسان . وفي هسذا الشسهر كان قسدوم القاضى الأجل الفاضل رب الفضائل والفواضل مسن مصر فاشرفت المطالع . واشرفت الصنائع . وبشرت المطالب بنجاحه . وغزرت المواهب بسماحه . وغابت بحضور ماكارمه المكاره . ونزع بلبسة إفضاله لباس الخمول ذوو الفضال النابه . واعاد روح الساطان باعادة الروح الى سلطانه . وسر بمكانه واقترن احسانه باحسانه . وظهرت في وجهه به الطلاقة . وفي قلبه العالمة . وروى رأيه باري رأيه . وتأقن أيات النصر من نص آيه . وانتعش عثاري بمقدمه . وانتعش خط فخاري بكرمه . وحلى عطلي وحيا أملي . وقوي عملي ووضح منهاج مناي . وصح مزاج غناي ونبه قدري وذوه باذكري وسعى في رفع رتبتي وزيادة راتبي .وسن غربي واسانى غاربي . واقرني وقربني ، واستكتب الخطوط بالحظوظ كما كان استكتبني فعضت ونعشت وفرشت بساط الغنى فرشت . ولولا انني قويت به فعشت ونعشت وفرشت بساط الغنى فرشت . ولولا انني قويت به نعمه عمرى . وعامر كرمه بشكرى .

ذكر جماعة من الستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الأمراء كل منهم سبع . ومافي اقائه القرن طمع . ومن جملتهم سوار من المماليك الخواص . ومان ذوي الاستخلاص . وكان هذا سوار في كل حرب مساورا . ولكل هول مباشرا . وبكل بوس عبوس باشرا . فجاءه سهم عائر . فاذا هو الى الجنة سائر وكذلك عنة من أمراء الأكراد . كاذوا من الآساد . ففاروا بحظ الاستشهاد . وخرج اسطولنا في هذه السنة . وبشوانية المعجبة المحسنة . ليكبس شواني الفرنج في مواضع الربط . واحراقها بقوارير النفط . فضرجوا الى شوانينا بشوانيهم . ولقوا عواريها بعوانيهم . وظفرت اساطيلنا وطالت . ووصالت اليها وصالت . ونالت من الظفر مانالت . وأحرقت الكفر شواني برجالها . وغرقتها بأبطالها . وكان عند العود تأخر لنا شيني وصالت أمير مبارز كالأسد الخادر لايصحر الا الفريسة ولايبرز . وهو يعرف بجمال الدين محمد بن ارككز ، فشين الشيني وشانه . وما عانته أعوانه . وامتلات بالأعطاب أعطابه . واضطربت للانكار

أركانه . واضطرمت ساهل النار نيرانه فتسوا قع مسن فيه الى الماء ، واحترزوا من البلاء بالبلاء . ووقدف الأمير على قدم جلاه يجالد . ويجد ويجاهد . وقد اثقله بلبس البسالة الحديد . وخف به العــزم الشــىيد الســييد وقــد دعاه الى أمنية المنية الذكر الحميد . والأجر العتيد . فما ارتاع للروع . ولاا ستطاع الانقياد بالطوع . ولامكن العدو من مكانه . وأخذ مدم الشانيء بشدنانه . ولولا أن ملاحيه جبنوا وفروا . ومناصحيه خذاوه وما قروا . لجنى بسيفه ثمر النجاة . لكن الأجل قطع عليه طريق الحياة فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع . وسدوا عليه سبل البصر والسمع . وقالوا خدد منا الأمان واستأسر . وهون الأمر عليك ولاتعسر ويسر . فسالعاقل يختار البقاء على الفناء والوجود على العدم . وأنت في عين الهـ الاك أن لم تعطنااليد وثبت على هذه القدم . فقال ماأضع يدي الا في يد مقدمكم الكبير . ولايخاطر الخطير الا مع الخطير . فسموا له كندا أرضاه . وأراد ان يشركه فيما الله قضاه . فلما بنا ليأخذ يده لزممه وعانقه ، وقوي عليه وما فارقه ، ووقع الى البحر وغرقا ، وترا فقا في الحمام واتفقا . وعلى طريق الجنة والنار افترقا . فارتوى الشهيد السعيد بماء النعيم . وصلى الكند الكنود . بنار الجحيم . واستشهد ايضا في ذلك اليوم الأمير نصير الحميدي جرح فمضى حميدا. وشهد مقامه في الجنة شهيدا . وسعى دهره حتى قضى سعيدا . ولم تخل وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من امراء العسكر . وسعداء المعشر وكرماء المحشر . وندماء الكوثر . وحلفاء المفخر . واستشهد يوم تاسع جمادي الأولى القاضي المرتضى بن قريش الكاتب . وكان صدرا تجمل به المراتب . وجريا جاري القلم . بليغا بالغ الصكم . مهيبا يخشى مرهوبا لايفشى . وهو في أهبة من المهابة . وكتيبة من الكتابة . صوبه في الصواب منتجع وخطابه في الخطب مستمع . ولرأيه رى وريا. وتدبيره للأمور بتنفيذ الأوامور السالطانية بينا وبنيا . ولم يكن له في الكفاية كفء . ولم يزل لخروق الخطوب بقلمه رف، وكان رجل دمشقى بنابلس له ملك بدمشق قد تـركه . ورغب في ابتياعه القاضي المرتضى ليملكه . فتقاضى بيناره فانفضلا على التراضى . ونجح سعى القاضى القاضى . وبكر البائع الى سلام المشتري ووثب وذوب المجتري وطعنه بمدييته . وهدو آمدن مدن في خيمته . وفتك به فتك اللعين ابي لؤلؤة بالفاروق . وخرج من الخيمة كالسهم في المروق فلقي قاضي نابلس فقتله . ومضى بسدك سدبله . فادركه الناس وقتلوه . وكاد يفلت لولم يعاجلوه . ففجد المنصب بمصابه وناب عنه اخوه مع نوابه .

ودخلت سنة سبع وثمانين والشتاء لم يشمله شتات شمله . وعقد البرد لم يقرب محل حله . وللغيث عيث ولزور الربيع ريث . وللسحب سح . والضبح شبح . ولعين الشبمس غض . واوجبه الغيم ومض ولأيدي العارض بسط وقبض . ولنواظر البرق تنبه وغمض . ولذوا جذ الدرد كشر وعض . ولفص الفصل خدم وفض . وكل صاد في بحر كانون كنون . وكل ماء بالجليد كأنه زرد مسنون . وللأوحال أحوال . وللأهواء أهوال ، والشمال شمول . وما للقبول قبول . وللجنوب ننوب . وللديور في ادبارها واقبالها هبوب . وللصبا صبابات وصبابات . والندى الندى جنايات وسرايات ، والجهو الجوي آيات وذكايات . وللفمائم غماغم . ولهام الربا مسن هامي الرياب عمادًم . وللذكياء ذكبات . ولشبا شباط شبات . وللرواعد رواعف . وللهواتن هواتف . وللأرواح رواح وغدو . وحركة وهدو ومحبة وسلو. ونزول وعلو. ونصفة وعتو، وللرعايا العرايا من الرياح الحياري رذايا أذايا . وخبايا المروج الثابته في زوايا الثلوج النازلة خفايا . والعراصف القواصف عواص غير قرواص . والعارض عارض للحب في العراص عراص . والقوارس قوارص . والخوالس خدوالص . والبحر في هيجانه والغيم في هــطلانه . والسلطان مقيم بمخيمه على شفر عم . ولطف الله به قد خص وعم . والملك العادل سييف الدين نازل على الساحل عند نهدر حيفِها . ولتجهيز البدل في المراكب الى عكا . والسفن تدخل اليها بالأزواد . وتعود وترجع اليها بالأجناد . ويحدرص ويحدرض ويرسدل الى السلطان ويستنهض . والسلطان يفاوض النواب في ذلك وإليهم، يفوض . وفي كل يوم يعرض الرجال . وينفق فيهم الأموال . والأمر مستمر . والقرار مستقر . واليزكية زكية . وسنتهم في المناوبة

سنية . ولوا فح عزماتهم ذاكية ونوا فح محكرماتهم ذكية . والمصاليك الخواص ومن خصهم وعمهم الاستخلاص . يغسادرون بسه ولايباردونه . والعدو على عكا حاشد . ولضالة ضلاله ناشد . ويدتمون ويحمون . ويرامون ويرمون . ويذبون ويشبون . ويخبون الى الكفرة بسوط العذاب ويصبون . وقد قسموا الأسوار على الأجناد والأبراج على الأمراء . واستقبلوا النعمة في البلاء والسعادة في المشقة التي تعدها الأشقياء من الشسقاء . ان وجسدوا غرة في المتبلوها . او استوعروا كرة استسهلوها . او صادفوا ملمة صدقوها . او استوعروا كرة استسهلوها . او جههم الى نائبة صرفوها .

ذكر ماتجدد من الحوادث وتكرر للعزائم من البواعث

في يوم الأربعاء تاسع المحرم، سار الملك الظاهر لقصد بلد صافيتا بالعزم المصمم والرأي المحكم . وفي ثالث صفر عزم من بقى من اصحاب الأطراف السفر . فان السلطان رخص لهم في ذلك . فانتهجوا في عودتهم الى بالادهم المسالك . وأقام السالطان في اصحابه . وخواصه وملازمي بابه . ومالابسي جنابه . ورجال رجائه . وخلص أوليائه ومقربي امرائه . وفي هذا اليوم رحـل الملك المظفر تقى الدين ليتسلم مافي شرقى الفرات . من البلاد التسى كانت مع مظفر الدين . مضافة الى ميافارقين . فصارت معه جبلة واللاذقية والمعرة وحماة وسلمية والرها وحران وسميساط والموزر وميافارقين . وشرط معه ان يحافظ على عهد صاحبي أمدد وماريين . والبلاد المظفرية كانت قد بقيت الى هذه الغاية . مع كثرة الطالبين لذلك الولاية . مضدونا بها على الخطاب غير مسموح بشيء منها للطلاب. فانه مارامها من الملوك اخي السلطان وأولاده الا من يشترط الفسحة له في استضافة بيار بكر الى بالاده . ويقال له لاسبيل الى قصد أحد ولاانتزاع بلد ولاازالة يد . فان أرباب البدلاد اكثرهم لنا معاهد . وعلى ودنا معاقد . وفي شغلنا مساعد . فاما من

هو عنا متقاعد . ومنا متباعد . فما هذا أوان مكافأته ولا زمان كف أفاته . وهو منا في حصر مخافاته . وهذا المعدو الكافسر شسخلنا بعه مستغرق وعزمنا في قمعه متحقق . فلا نثير علينا من المسلم الكاشح والحاسد الحاشد . ومن يشسخلنا عن هسذا المهام الفرض والرأي الراشد . فقال تقي الدين انا لي في ذلك الجانب ميافارقين فاذا أخنت حران وسميساط والرها . أدركت من تكثير العساكر وتقويتها المشتهي . وبلغت المنتها . وأنا الخل على الشرط وعنه لأخسرج وأجماع العساكر والى نصركم مسورد في الروع ومصدر ، ومازال يستسعف السلطان عمله . ويساتره في الموع تخصيصه بتلك الولاية عزمه ويسأل ويتوسل ويرسل ويتوصل . حتى اخد دستوره . واسار على أنه يسرع ايابه ، ويحكم في العود اسبابه . واذما يلبث ريثما يقسم تلك البلاد على مقطعيها ، ويرسم ذوا به فيها . ثم يطلع علينا طلوع السحاب . ويتراك ويأتي بالآتي العباب . ويعارض عساكر لاتدخل في الحساب .

وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد . والجدوا الماجد . أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه . وهدو الجدري الذي اذا جاري اضرابه من الملوك في حلبة المجدد لم يدركوه ولم يشركوه . ومضمون الكتاب أنه خرج في أخدر المحدرم على جشير العدو بطراباس واستاقه . ولم يطق الكفار لحاقه . واقتطع لخاصة منه اربعمائة رأس تلف منها في الطدريق أربعون . غير ماكان اصحابه منها يقتطعون . وأنه غنم ايضا ابقارا وأب قارا . وسار بالغنيمة سارا . وأهدى لي من ذلك بغلة سرجية عالية فسارهة فرنجية . وقال رسوله لما ابصرها واستحسنها . قال تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها . وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت . كبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الكبت . وكان فيها من الفرنج خلق . ففرق في بحر الأسر من لم يسر اليه في البحر غرق . الفرنج خلق . ففرق في بحر الأسر من لم يسر اليه في البحر غرق . وفيهم امرأتان سبيتا . وماهديتا بل اهديتا . وشاهدت الأسارى . قدام السلطان وقد احضروا فردهم على الذين اسروا .

وفي أول ليلة من شهر ربيم الأول. خرج اصحابنا من البلد على العدو بالنائب الاعضال والناب الاعصال . وكبساوه في مخيمه . وخيموا عليه في مجثمه . فما انتبهوا لهم حتى اسروا من الفرنج وقتلوا جمسها . وأوسعوهم الى ان ضويةوا قمعا . وعادوا سسالمين غانمين . كاسرين كاسبين . ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السدبي . وعرف الله لهم حق ذلك السعى، وفي الأحد ثالث هذا الشهر. شهر سلاح الحرب اهل الكفر . وخرجوا على اليزك وكانت الذوبة للحاقسة المنصورة خواص السلطان مساعير المعتدرك. وعظمت الوقعه. وفخمت الروعه . وصدمت الصدعه . واحتدمت على الفرنج بنارها الصرعه . وهلك منهم عالم كثير . وقتل منهم مقدم معروف كبير . ولم يفقد منا الا خادم رومي صعفير عثر به في الحملة فرسه فلم ينتعش . واستشهد ليعيش في الأخرة من في الدنيا مات في سبيل الله ولم يعش . وهذا الخصى كان فحلا من الفحول . ناهضا على الكفر الاسلام بحمل النحول . وانتهى الينا ان الفرنج على عزم الخروج . ليحتشوا ويحتطبوا مما حولهم من المروج . فلا مرعى لدوابهم ولا علف. وأن لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التلف. فأمر السلطان اخاه الملك العادل . أن يذهب ويقصد الساحل . ويكمن بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قليما منزلته . وهناك نصرت وقعته ووقعت نصرته . ومضى السلطان بنفسه في خواصه واجناده . وأقاربه وأولاده ، فكمن وراء تل العياضية . في العصببة المنصدورة الناصرية . وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول . مستظهرا بصحبة ولده الملك الأفضل. ومعه ايضا اولاده الصغار ليستأذسوا بالحرب ويدمذوا على مباشرة الطعن والضرب . فعدرف العددو الخبر. فما اقدم على الخروج ولاجسر ، فضربت للسلطان على التل خيمة حمراء . فبات فيها وحوله المالوك والامراء . ووصل اليه من بيروت خمسة واربعون اسيرا من الفرنج . اخذوا بالمراكب في البحر من اللج ، وفيهم شيخ هم هرم ، عمره في الكفر منصرم ، قد طعن في السن . ووهن كالشن . وانحنى كالحثية . وما أمن من المنية . وتحاماه الحمام . وعامـت في بحـر لياليه وايامـه الأعوام . وهـو ممسوخ الحليه . ممسوح اللحية . قد بلي مما بلي . وقلي من طـول

مالقي . وسئم حياته وسئم . وعدم لداته ولذاته وما عدم . وكم جاوز قرنا وعبره أري قرن . وبارز قرنا ونازله بعد قرن . حتى لم يبق منه الا اهابه . ولم يرقب منه الا ذهابه . فتعجب السلطان مسن مجيئه من البلاد الشاسعه . واختياره الضييق على الارجاء الواسعة . فسأله كم بينه وبين وطنه . ولأي سبب حركته من سكنه . فقال اما بلدة فعلى مسافة شهور . وانما خرجت بقصد كنيسة القيامة لأظفر بالحج المبرور . فرق له ومن عليه بالاطلاق . واخرجه من ذل الرق الى عز العتاق . ورده الى الفرنج راكبا على فرس . ولم ير قتله ولا اسره حيث رأى نفسا مرتهنة بنفس . وسأله خدام اولاده الصغار . ان يأنن لهم في تجريب سيوفهم بجرح خدام اولاده المعار . ان يأنن لهم في ذلك واباه . فأرضى كل منهم بامتثال الأمر الذي أباه . فقيل له لأي سبب منعتهم من ثواب الجهاد بامتثال الأمر الذي أباه . فقيل له لأي سبب منعتهم من ثواب الجهاد المغتنم . فقال بلئلا يجترئوا من الصغر على سفك الدم . فانظر ما تحت هذا القول من الرأفة والكرم .

ذكر جماعة وصداوا من عسكر الاسلام

اول من قدم من العساكر الاسلامية علم الدين سليمان بن جندر . وكان بحلب المقدم المؤمر . وهو شيخ له رأي وتجربة . ومنزلة كبيرة ومرتبة . ومعه حصنا عزاز وبغراس . والسلطان بقربه ومجاورته الاستئناس . فقدم في شهر ربيع الأول في عسكره . وابيضه واسمره وبيضه ومغفره . وجني جنده وسني سنوره . وجابه ولجبه . وزمره وعصبه . وبيارقه ويلبه . وبوارقه وسحبه . وقدم في ذلك التاريخ بقدومه الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه صاحب بعلبك وقد استصحب معه مماليكه الترك . وقد ذوى بالمشركين الفتك . ولسترهم الهتك . ولدمائهم السفك . فوصل بقواطعه وقواضبه . وصوا فنه وسلاهبه . وطلائعه ومقانبه . وحضر من المحاسن بكل ما يعرب عن مناقبه . وقد زين ليل القساطل من اسنه العوا مل بكوا كبه يعرب عن مناقبه . وقد زين ليل القساطل من اسنه العوا مل بكوا كبه وظمأ حواده ليرد به دماء اهل الكفر فانه يعدها من مشاربه . فعن

ذلك اليوم من القادمين والمتستقبلين بذلك الفضاء جيش زرت الربسا عليه جيوبها وغطته من العجاج بالرداء . وجرى ذلك الوادي مسع الأجناد والأمراء بسيل خيلتردداماء (٤٩) الدماء . وخرو ذلك الخرق أرعن في حافاته الخرق . ومن عاداته بعداته الحرق ، ومن أفاته عند موافاته من فرق الكفر الفرق . ومن علاقته عند الظماء ان لا يرويه الا العلق . ومن صبابته بالسير الى عناق الاعداء بسواعد سيوفه الخبب والعنق . ومن شيمته عوض التغلف بالعبير التضمخ بالنجيع . ومن ديمته وبل النبل من الاحداق والنواظر في نواضر حدائق الربيع . ومن صنعته اسماء حنين الحنية بسهمه . واسماع أنين المنية لخصصمه . وجلونا في ذلك اليوم فصوارس لا عرائس . وقوانس لا عوانس . وقدم بدر الدين مودود والي دمشق بعدد ذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر ، وبشر بورود العساكر ووصول الجمع الوافر

ذكر وصول ملك ا فرنسيس لنجدة الفرنج على عكا واسمه فليب

وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل ملك ا فرنسيس الى القوم وصان حبلهم وشملهم من البت والشت . وكان وصوله في بطس ست حملت من الفرنج كل ني شؤم ومقت . وقد كانوا يهددون بوصوله وصوله . ويقولون لنا من تهديده ووعيده ما يجري على قوله . وانه اذا جساء حكم واحكم . ونقض وا برم . وقدم ما قدم به من المال وأقدم . ونحن منه على مواعدة . فهو يأتينا بكل نجدة مساعدة . ووجدة عن الفقر مباعدة . فقلنا لهم رب صلف تحت راعدة . وما هذه الأراجيف منكم بواحدة فلما وصل في العدد القليل ، والنظر الكليل ، اعجبتنا قلته ، وتشابهت عندنا عزته وذلته ، وقلنا ما يكاد تصل صولته او تدوم دولته .

نادرة

وكان مع هذا الملك باز اشهب . كانه عند ارساله نار تتلهسب . ففارقه يوم وصوله . بحيث عجز عن حصوله . وا فلت من يده وطار . وحشا حشاه الباز الذي نار النار . ووقع على سسور عكا . وحسنن الملك يوم سروره بفراقه وابكى . واستجابه فما اسستجاب ، وابسى وما آب . وثبت وما تساب . فبصر به احسحابنا فسأخذوه . والى السلطان انفذوه . فأبدى للسرور به الاهتزاز وجمل بتشريفه بزة من بز الباز ، واظهر به احتفالا . وعده للظفر والمنحة فسألا . وبسنل فيه الملك الف دينار فمسا اجيب . ولا وهسب له ولا هيب . ومسا بيع ولا عيب .

خبر نادرة في غنيمة وا فرة

كان المستأمنون من الفرنج الينا . تسلموا براكيس يغزون فيها . ويجرون بجواريها . وينهضون بسواريها وروا سيها . وينهشون بعقاربها وافاعيها . ووصداوا الى ناحية من جزيرة قبدرس يوم عيدهم . وقد جمع القس في كنيسة لأهلها شمل قريبهم وبعيدهم . فصداوا معهم فيها صلاتهم . ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم ليأمنوا افلاتهم . واسر وهم باسرهم وسبوهم . وبغتوهم من البلاء بما اتوهم به وبلوهم . وكنسوا كل منا كان في الكنيسة . من الاعلاق النفيسة . وقسوا على قسيسهم وعادوا بها وبهم الى براكيسهم . ولاذوا باللانقية وباعوا بها كل ما اخذوه من البيعة ومن الجملة وهنرون نسوة سبايا . وصبيان وصبايا . فباعوها رخصنا . واقتسموها خرصا . واستغذوا ممن استغذموه . واثروا بما اثاروه . واثروه وفرحوا بما راحوا به من مغذم . وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعمائة درهم . وفي معذم . وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعمائة درهم . وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية

فاقتطعوا من غذم الفرنج غنيمة . وخالطوهم في خيامهم وامسطروهم من وبل النبل ديمه ، وركبوا باسرهم بخيلهم ورجلهم في اثرهم . فلم يظفروا بطائل ، ولم يرجعوا بحاصل .

خبر وصول ملك الانكتير واسمه ليجرت الى قبرس واستيلائه عليها

وصل الخبر أن ملك الاذكتير وصل الي جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر . في الجمع الوافر . حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر . وتقدمته الى الجزيرة . مدراكب وشوان على قصد الجزيرة . فخرج صاحب قبرس اليها واستولى عليها وغنم اموالها وصدم رجالها فاما وصل ارهف حدد عزمه. وأفضى فيض غيظه الى غيض حامه . وهـو مغضب غير مغض . مريض من الم الحقد ماله سوى التشفي شاف مدرض . فلبدت مفكرا . ومكث متحيرا . وتروى متخيرا . فدرأى ان قبدس في يده فاستن من جده في جدد . وناشب القتال . وواظب النزال وقارع بالنصال النصال. وحلت المنايا حباها لاحتباء البيض بالأعناق. واعتناق الغلاظ مع الرقاق . وذفذ يطلب من الفرنج على عكا نجده . ليجد شدة ويوجد شده . فذفذوا له جفرى اخسا الملك العتيق . في جموع مترافقة الرفيق . وامتدت الحروب . واشتدت الكروب . ورأى ان فريضته تعول . وان حالته تحول . وان شهله يطول . واتفق ايضًا أنه كان رأم الروم من الفرنج الفرج . وخطب كل وأحد من ضيق الخطب المحرج المخرج ، فترا ساوا في الصلح ، وخدرجوا من ليل الحرب المظلم في سنى السلم الى اسفار الصبح . واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكتير . واثقا بما تمن من التقسريب والتقرير ، وحمل له إهدايا ، وتحفها سهنايا ، ووسع له الأزواد . وبذل له الامداد . فأخذه في مأمنه . وابرز له مكره من مكمنه . وغله ثم غله . وشده وما حله ، وجازاه لما اعزه بدأن اذله ، وغادره بغدره . في القد والقيد . ومابطشت يد عادمة الا يد كيد الكيد . واستولي بالاستيلاء عليه على تلك الجزيرة ، وغرق في جماء (٥٠) امسواله الغزيرة . وسيئتي ذكر وروده ، وماتم به لاحزاب الشيطان وجنوده وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاحد . وصدات من ثغر بيروت كتب مبشرة . وبالنجع متجددة ، وهو ان اصحابنا اخدوا عند الثغر بمراكبهم الغازية في البحر من مسراكب الانكتير خمسة وطرائة . ولم تكن لولا اباء رجالها للضيم معتاده . وبحدزام القهر مقتادة . وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال . ونخائر اخاير مسن عنة ومال ، واثقال وانفال . واخشاب والات واحمال واحوال . وفي الطرائة اربعون رأسا من الخيل الجياد . قد جلبوا البلاء بجلبها من الطرائة اخرجن على البيع بالنقود والنسايا . واما الاسراء فقد السبايا فقد اخرجن على البيع بالنقود والنسايا . واما الاسراء فقد عمتنا بخصوص ضرائهم السراء .

وفي يوم الخميس رابع جمادي الأولى زحف العدو الى البلد . بالجد والجلد . والعدد والعدد والمدى والمدد والجمع المحتشد والجمس المتقد . والبيض واليلب . والبيض والقضب . والسمر السلب . واللجب والجلب والصياح والضجيج . والعجاج والعجيج والوشيج بالوشيج والامدر المريج . والقصد بالقصد . والزغف والزرد ، والحديد والعديد . والقريب والبعيد . والاتباع والعبيد . والاوباش والاوشاب . والكلاب والذئاب . والسباع والضبياع . والضواري الجياع . والاساود والاسود . والزرق والحمر والسود . ودبوا وذيوا . وشيوا وسيوا . وصابوا وصيوا . ونابوا ونبوا . وغبوا وعدوا وجابوا وجبوا . وزحموا ورجمدوا . واقدموا وتقدموا ، وقدموا سبعة مجانيق وقربوها . ونصبوا فيها ونصبوها . فعلت كأنها قلاع . وارتفعت على التلاع كانها تالاع . وهي في الجو متراميه . وبالجو رامية . وفي السماء سامية . ولاهل النار الحامية حامية . مرتفعة على مرافعها . مقتلعة بمقالعها . منقضة احجارها لانقضاض الجدار. منفضة اسواؤها لانفضاض الاسوار. حاصرة حاصبه . عاملة ناصبه . قائمة قاعدة . بارقة راعدة ، صادمة صادعه . صارمة صارعه . حبال من الجبال آجنتها . وحنايا للحنين على سهامها من الحجارة رنتها . ومواضع ف حجورها الاحجار . ومرابع تنهد بدوائرها الربوع والديار . حوامل على الطلق . صوائل بالفلق على الخلق . مسطايا للمنايا . روايا لخبساياها البسلايا . في كفاتها افاتها . وفي حـركاتها ادراكاتهـا . وللتعـنيب عنباتها . وللترهيب جدنباتها . ومااعظم جنايات جنادلها . واظلم غوايات غوائلها . وهي الروائم الروامي . والحوائم الحوامي . والهوادم بالهوادي . والصوادم الصوادي . ودواعي العوادي . وذواعي الذوادي . والذواعب بالذوى . والجوائب بالجوى . والصوائب بالمصائب . والنوائب بالشوائب . اذا جدنبت جدنت . واذا قدنفت اقنت . واذا طوحت طرحت . واذا حلقت حلقت . واذا اطارت ابارت . واذا القت القمت . فشق على اصحابنا باليلا شقاقها . وكادت تفتح اليه الطريق طوارقها وطراقها . فاستصرخوا بنا وانهضوا . وحضوا على حظنا وحظهم وحسرضوا . واستنفروا . واستنصروا . واستعدوا . واستدعوا . فاصبح السلطان راكبا في العساكر . طالبا شغل العدو الكافر الحاضر الحاصر . وسيير من كشف هل للعدو كمين . او كيد دفين . ثم وقفت العساكر عنه ومر الى تل الفضول بالقرب . وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب . وذكايتها في الضر والضرب. وعرف اماكن القتال. ومكامن الرجال . وكلما شاهد الفرنج عسكرنا قد اطل واظلل . ذل جمعهم وكل . وترك الزحف وانفل . واذا عادوا وعدوا . واناروا في الحسرب واسدوا ،

قصة الرضيع

كان لصوصنا في الليل استلبوا طفلا من يدامه . وقطموه رضيعا له تلاثة اشهر في غير أوان قطمه . واستحلوا بحكم الجهاد في جنح الظلام ظلمه . وقجعوها بواحدها وساعدها . وكدروا صدفو

مواردها . وقطعوا عنها فلذة كبدها . واسعروا عليها جذوة كمدها . وحرموه در لبنها فدر دمعها . وابعدوه عن مناغاتها ومناجاتها فوقر عن كل حديث سمعها . فخرجت والهة . وللحياة كارهـة . وللخـد خادشه . وللوجه خامشه . معولة مولوله . مــنهلة مشــتعلة . وقــد شدهت ودهشت . وتاهت واستوحشت . قد سلب عقلها . مذ سلب طفلها . وغاب ذهنها . مذ غاب ابنها . وتدكرر بالحنين والانين ترجيعها . وتردد القلوب مما فجأها وفجعها من الكروب تفجيعها . وهي نائحة في كل ناحية نادبة في كل ناد . نادية لكل فدؤاد . عادية في كل واد . فلم يشعر السلطان الا بامراة بالباب واقفه . وبالنحيب هاتفه . وللدموع حادرة بتصاعد انفاسها . ومن الخلق مســتوحشة لذهاب استئناسها . قارضة صدرها بتقطيعها . ضارعة لفقد رضيعها . معولة على الطفل معولة على اللطف ، متذكرة من النكر متعرفة الى العرف. فاحضرها السلطان وهي باكية . ونار اكتئابها ذاكية . تتحدر عبرانها . وتتصعد زفسراتها . وتتلهسب حسراتهسا . تبكي ببكائها . وتشكي من دائها . وتنشد ضالتها . وتلطلب مهجتها . ودسأل عن حشاشتها . وتشتعل نار قلبها على فرا شتها . فلما شاهد السلطان حريبة حــزينة . مسـكينة مســتكينه . متجننة متحننة . مولعة مولهة . موجعة متوهه . سمع شكواها وفهمها ، ورثى لبلواها ورحمها . ورق بلطفه للطفل الرقيق . وسلك بفضله طريق التوفيق . وطلب الرضيع . فقيل له انه بيع واضيع . فان أخذيه باعوه بثمن بخس . ولم يعسرضوه في سسوق بسز ولا سسوق نخس . فما زال يبعث ويبحث عنه . ويلوم باذله كيف لم يصنه . حتى جيء به في قماطه . وقد كادياف في عباءة اعتباطه . فلما بصرت واحدها . ضمت عليه ساعدها . ودعت وعدت . وشدت يدها به وشدت . فأعادها . وبنواله افادها . وبرد حرها بـرد روحهـا . وأسا مااساء الاسي من جروحها وقدروحها . وروحها بدروحها . وفرع دوحها . واغناها بغنائها الشكر عن نوحها . وظهر سر سرورها عليها ببوحها . وشيع معها من اوصلها الى موضعها . وقد اجتمع شمل المرضعة بمرضعها . ومارد الطفل الا بعد ما اشتراه من مشتريه بثمن يرضيه . وهذه نادره من جملة اياديه .

-71-7-

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

لما اصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم . وخطبوا متاعبهم في ابتياعها بكل سوم . وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل خوض وعوم . وداروا حول حمى دارها بكل حوم . ولم يكن بد من ركوب السلطان بالعساكر اليهم في كل بكرة وعشي . وارعاب الذوم بكل حد مسرهوب وجد مخشى . وكانت المسافة نائية . والأفة دائية . انتقل السلطان الى تل العياضية . بعساكره واثقاله بالكلية . بالعزادم والصرادم الماضية المضية . الراضية المرضية . ولم يكن انتقاله دفعة واحدة . بل مهد له قاعدة . فان يوم الثلاثاء تاسع جمادي الاولى بلغه ان القوم قد عادوا العوادي . ورفعوا من ضلالتهم الهوادى . وضايقوا البلد اشد مضايقة . وعالقوه أجد معالقه . فامر الجاووش حتى نادى . وباكر الغدو بالعساكر وغادى . ووصل بالفارس والراجل الى الخروبة وقوى اليزك . والزم المقدمين والامراء بحفيظ ذوبهم الدرك . وقدم جماعة من الخيل لعلل العلدو اذا عاين قلتها خرج بالكثرة ، وتورط في العثره ، فلم يشغل بهسا بسالا ولم يلفت اليهسا جنانا . بل تصرف على عناده ولم يصرف نحوها عنانا . واشتد على البلد زحفه . وامتد عسفه . فساق السلطان بالعساكر وهجم وتسرك العدو الحصار واحجم . فلما جاء الظهر رجع العدو الى مجثمه . والسلطان على قصد العدو الى مخيمه . ولما وصل الى تل الخروبة . ونزل في خيمة لطيفة لأجله مضروبة . وصل من اليزك من اخبره ان العدو لما علم أنه قد أنصر ف. عاد إلى أشد ماكان فيه ورصف. وأنه قد ارعب وارعف ، وأرهق وأرهدف ، والهسى والهدف ، وأرهب وأرهج ، وأعجز وأزعج ، وثار وأثار ، والحم الملحمة بناره وأنار . فبعث السلطان هذا الخبر على ان بعث الى العساكر بسالخيم فأعادها . واستنهض الى الفريسة اسادها . واجرى في حلبة الحمية جيادها . ودعاها الى طعن يبدرح بسالذوابل . وضرب يرنح اعطاف المناصل . وامرها من الحرب بأمرها . وأدارها مسن مسرى اخلاف الدم بأدرها . ثم سار اخر ليلة الاربعاء عاشر جمادي الاولى الى تل العياضية قبالة العدو . وضرب خيمته باعلاه ظاهر العلو . والعدو بالحصر والزحف مصر مضر . وعلى عنائه وعناده مستمر . والسلطان في كل يوم يصابح القوم بالقتال ويماسيهم . ويرواحهم ويغاديهم . ويفاتحهم ويبادلهم . بضرب كما اشترطته حدود الظبا . وطعن كما اقترحته كعوب القنا . وفتك كما تمنته المنية . ورمي كما حنت اليه الحنيه . هذا ومجانيق الكفر على الغي مقيمه . والرمي مديمه . وبالاحجار متقاطره . وعلى الاقطار حاجزة . وللجلاميد قارعه . والصخور بالصخور قالعه . وتمكن الفرنج بها من الخندق . فدنوا منه دنو المحنق . وشرعوا في هجمه . واسرعوا الى طمه . وداموا يرمون فيه جثث الامروات ، وجيف الخنازير والدواب والموا يرمون فيه جثث الامروات ، وجيف الخنازير والدواب واصحابنا في مقابلتهم ومقاتلهم قد اقتسموا فريقين . وافترةوا قسمين ففريق يلقي من الخندق ماألقي فيه . وفريق يقارع العدو ويلاقيه .

ذكر وصول ملك الانكتير

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور . اشاع اشياع الكفر سر السرور وعقدوا حبا الحبور . ووصل ملك الانكتير . واظهروا انه في الجمع الكثير والجم الغفير . وكانت معمه من الشرواني خمس وعشرون قطعة . كل واحدة منها تضاهي تلعمة وتوازي قلعمه وأحدث في القلوب روعة . وأرث في النفوس لوعة . ولعمت لنا من خيامهم تلك الليلة نيران زائدة . وأنفاس للشرارة متصماعدة . والسنة للشعل نضناضه . وأشعة على الجو مفاضه . فكانما أوردت والسنة للشعل نضناضه . وأسعة على الجو مفاضه . فكانما أوردت الجميم لقدوم وارد نارها نارها . وأوصلت لوصول اولئك الشرار شرارها . وأورت لهم أوارها . وشاهدنا تلك البسيطة قدد بسطت على أهل الدياجير الاضواء وهتكت عنها لهتك ستر الظلام ضلالهم الظلماء . فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم . ولما كانوا من أهمل النار

ببرهانهم . وأتتهم باتيانهم . وأضاً فتهم في مكانهم ، وملك الملك بامره أمرهم . وأراهم أن بيده نقعهم وضرهم . وملا عين الملاعين . وأطال لتطاولهم أشطان الشياطين . وحفر للمكايد آبارا . وأثـر في المكر أشهارا . وأرث للشرنارا . وأنار لنصرة النصرانية شهارا . وتحدث الناس بحادثه وحديثه . وبما تأثرت القلوب به مسن تسأثيره وتاريثه (٥١) . وارتابوا وارتاعوا . والتاحوا والتاعوا . وغدت الألسنة ترجف والقلوب تجف . وكاد البناسل يجبن . والبناطل يخشن . والحق يلين . والدين يدين والسلطان قدوي الجنان . روى الايمان . صاف يقينه . واف بينه . شاف نصحه ، كاف نجحه . مثبت جيشه بثبات جأشه . عامل لمعاده . ونصر الحق في معاشه . متأن في تفكره ، متأت في تدبره ، متوكل على ربع في نصرة بينه . متوسل اليه في تأييده وتمكينه . لاتروعه المخسسافات ولاتخيفسه الرائعات . ولاتزعزع الخطوب طود وقاره . ولاتفض الذوائب خيم ذماره . ولايلين للشدائد . ولايستكين للروائع الرواعد . وكم سكن الاسلام بحركاته . واخصبت الآيام ببركاته ونام الأنام ليقطانه ، وآمنت مصر والشام بنهضاته . فما راعه ماعرا . وما درا عزمـه لما درى . ولارد وجهه عما قصد . ولاصدف رأيه عما عليه اعتمد . بل ازداد قوة بصيره . وازدان بسريرة لكشف اسرار الغيب مستنيرة . وعمد إلى السماء فاستعار من أنجمها أسنة الذبل. ودلف في الارض فوهب تربها للقسطل. وأعلم ملك الانكتير ان جمع كفره للتبتير. وان نشاط سره للتفتير . وان أسنة اهل التوحيد مولعة من نحور أهل الاشراك بهدك الستير . وركب في مراكب حلت المنايا الحبا في كتائبها . لتحتبى اعناق العدا وطلاها وتتصل بقواطعها وقواضبها . بخيل تأبى الضيم مثل إبائه . وفخر مثار النقع ينوب عن لوائه . ووجه كلمع البرق في ضيائه . وقلب كصدر العضب في مضائه . وأقام السلطان على هذه الحالة . ساميا في مطالع الجلالة . لم ينض سلاحه . ولم يخفض جناحه . ولم يركز رماحه . ولم يردع للروع مراحه.

ذكر غرق البطسة

كان السلطان قد عمر في بيروت بـطسه . وزادهـا مـن العـدد والالات . وأودعها من كل ذوع ميره ، وكلاها غلة ونخيرة . وأركب فيها زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لعكا ، من كل من طهر وترزكي . وشكره الاسلام إذا الكفر منه تشكى . فلما توسطت تبع اللجة . وتورطت على نهج المحجة . صادفها ملك الانكتير . بحكم قضاء الله والتقدير . وأحدقت بها شوانيه . وعدتها عوادية . وقاتلتها نصف نهار . وهي لا تذعن لا قتسار . فاكبت من العدو مراكب . وجبت لها غوارب . وأحرقت وأغرقت . وهتكت وخرقت وفرقت وما فرقت ٠ وقتل من الفرنج خلق عليها . وما امتدت يد عدوانهم اليهما . فلمما يدُست من سلامتها . وزات عن استقامتها . وجسالت على الاصطلام . قال مقدمها : علام نسلمها والموت بسالعز خير لنا مسن الحياة بالذل. والشع باللين أحب الينا من البذل. فنزل إلى البطسة فخرقها ومانع عنها حتى اغرقها . وسعد أهلها . وأ فتسرقت وسيجتمع في دار النعيم شملها . ووصل الينا خبرها اليوم السادس عشر من جمادي الأولى . فقلنا الدهر يومان : نعمي ويؤسي . ومـــا يزالان على ذلك حتى يزولا. وكانت هذه الوقعة أول حادثة الوهسن محدثة . وللهم مورثه . ولنار الأسى مؤرثة .

ذكر حريق الدبابة

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة . قد أظهرت لها في الشر غائله . ولها أربع طباق . شدها على الارتباط باق . ولها من الاحكام باس ولباس . وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس . وقربوها الى أن بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس . وفي طباقها سباع ضوار وذئاب طلس . وبلي البلد منها بكل بلية . ورزي بكل رزية . وكانت هذه الدبابة على العجل . ليقربوا بتقدريبها أسسباب

الأجل . فباتت القلوب منها على الوجل . وكاد أصحابنا يطلبون الامان . وخضم كل أبي واستكان . فقارعوا عندها أشد قراع . وماصعوا أجد مصاع . وتوالت عليها من مساعير الرهط . قدوارير الذفط . وهي تضرب في حديد بارد . وتضرب عن كل شيطان مارد . وتنبو عن الاحراق وتنبى عن الاخفاق .حتى بدرت قارورة انقضت على شيطانها كالشهاب . فاخذت الدبابة وقلوبهم قبل جسومهم في الالتهاب. قعونناها بسورة (والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى) فجاء من انقلاب القارورة قدرار القلوب. ومن حدر انفاسها برد النفوس . وكشف شعاعها ظلم الكروب . ونزعت بشاشتها عن الوجوه لبوس العبوس. وأنارت نارها لنا بكل ذور. ولهم ببوار قوم بور . ودبت شعلها في أضلاع الدبابة وجنوبها . فاحرقها الله احراق أهلها بنذوبها . وكما أضاءت الافاق بنيرانها . اظلمت بدخانها . فجلت لنا بياض النصر في السواد . فكانه سواد الناظر أو سويداء الفؤاد . بل سواد المداد يأتي من أذواره بالامداد . فجلا حريق هذه الدبابة صدا قلوبنا المغتمة بالبطسة الغريقة . وأحمت نارها في حماية الحق حمية حماة الحقيقة . فانما احترقت الدبابة يوم وصول خبر غرق البطسة . فكان تشميتا لتلك العطسة .

ذكر وقعات في هذا الشهر

كانت العلامة بيننا وبين اصحابنا في عكا عند زحدف العدودة الكؤوس . حتى اذا سمعناه جدنا في الزحف الى العدو بالنفائس والذفوس . ولما اصبحنا يوم السبت التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد نعراته . ونظرنا من جانب العدو مثار غبراته . فعلمنا بزحفه . وعملنا في حتفه . وضرب الكوس السلطاني اصراخا لمراخ ذلك الكوس . فتمايلت أعطاف ذوي الحمية من حميا العزائم لامن حميا الكؤوس . وركب السلطان في كل مشمر للبدد . مضمر للجرد . مضاف السرد . مضاف الورد . مضاف الورد . مضاف الوريد الى الورد . من التدرك والأكابيش

والعرب والكرد . يهوي الى الاقران هوى المصلتات الى الرقساب . ويظمأ الى إرواء الأسل الظماء فيطيل صدى الخيل العراب. وكل ثمل كأنه نزيف الحميا . يعيد السماء من الارض بسركضه شساحبة المحيا . وكل ضرب تكاد تفيض مضارب نصله من خفة الطرب لولا وقاره . وكل طلاع مع الذوب لاينام ناره . ولايثبت في الجفن غراره . وكل منصلت ينير في ظلام العجاج بنجوم الاسنة . وكل مطرد يعيم السوابح السوابق في بحور الأعنه . وكل رام فروج المازق حتى تفرى بأيدى المذاكي . وكل شاك في السلاح مشكور في اشكاء الحق الشاكي . وكل مصهم مصه درعه غير محقبه ، وسهامه غير مجعبه . وسيوفه غير مقدروبه ، وقبابه لمدا ومدة اجدراء فيه غير مضروبة . وسار السلطان وقد اسودت لوقع السنابك جوانب حدفله . وأبيضت بلمم الترائك مذاهب قسطله . وأشتبهت في الذقع الوان خيله ، وامتدت الى قرار اللقاء أعناق سيله ، فكانما غارت الشمس من شموس شمسه فتوارث بالحجاب . وعد الذقع في وبل النبل من حساب السحاب . وولجت العساكر عليهم في خيامهم -وحملت ليالي القتام إلى أيامهم . وغلت الصدور بما فيها . حتى وصداوا الى القدور على اثنافيها . وهتكوا وفتنكوا . وادركوا وسفكوا . فتراجع الفرنج واصطفوا على خنادقهم . ووقفوا بقنطارياتهم وطوأ رقهم . واجتمع عسكرنا لعلهم يحتمون ويحملون . ويعلون من دمائهم وينهلون . ودخل الظهر وحمي الحر . فا فترق الفريقان . وتراجع الى خيامهم الجمعان .

وقعة اخرى

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر . ضايق أهـل الكفـر البلد على الحصر . وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شـبيهة . وكانت من أشدها واجدها كريهة . غير انه في هذه النوبـة عرضـت نبـوة . وكانت تتم كبوة ، فان الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجـدوا فـئة مـن

عسكرنا داخل خنادقهم . فحملوا عليها بسباق رجلهم وراكبي سوابقهم . فانتشب الحرب . واستجر الطعن والضرب . وكشرت الجراحات . واستشهد ممن عرف مسن المسلمين اثنان تسلمهما رضوان الى الجنان . وقتل من المشركين جماعة اسرع بهم مالك الى النيران .

ومن عجائب هذه الوقعة . أن رجلا من منازندران من اهنا الرفعة ، وصل في ذلك الساعة وافدا . واستأنن وقنت السلام على السلطان أن يقدم مجاهدا . فحين شهد الوقعة استشهد . فلقي الله بعهده كما عهد .

وقعة أخرى

وفي يوم السبت الثامن والمعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا . وراحا ونابلا . وامتدوا من جانب البحر اطللا . وتحزبوا في ذلك الفضاء أحرابا . وركب السلطان من مجالس عادته . الى مجال سعادته . موقنا ان اداء عبادته . في إبارة العدو وإبادته . وتقدمت المقدمة وأقدمت . وجحمت نار اقدامها وما احجمت . ومازالت نجوم النصول تذقض . وختوم النحور تنفض . وعيون العيون ترفض . وديون النحول وحقوق الحقود تقتضى وابكار الدروع بحدود الذكور تفتض . في شعواء خضرها الثياب الغائب ، ونكباء لها من الذوابل ذوائب . وبحر تسبح فيه السوابح . وشرب بكاس المنية منها المهج غوابق صوابح . وغبراء اساود نبالها تتواثب عن عقارب القسي . وثعالب لهائم صدعادها تتسلاعب في أراقسم تحلق إلى مطالع السحاب ، وغدران سوابغها تفيض عليها جداول القواضب . وغران سوابغها تغيض في غطامط الغياها ب وارواح المقادها البارية عن الاجسام بريه . وقاوب اسادها الضارية على

الردى جريه . حتى دخل على ليل الذقع الليل . وجرى من ديمة الدم السيل . والتفت لما التفت بالخيل الخيل . وأفرج المازق عن قتلى جرى عليها من السوافي الذيل . واستشهن من المسلمين بدوي وكردي . ولكم وقع من المشركين رد رديء . له في الهاوية هاوي وعليها من زفير جهذم دوي . وأسر من العدو فارس بفرسه . ولامته وقونسه (٥٢) . وتفرق الفريقان عن المعترك عند معتكر الدجسى . وقد عم من الشجب ماشجا .

وقعة اخرى

واصبح العدويوم الاحد التاسع والعشرين . وقد أخرج من جانب النهر راجلا في عدد رمل يبرين . بقواطع يبرين . وقواضب يفرين . وطوالع غروب في الطلى يغربن وبالردى يغربن . وانتشر وا ممتدين وامتدوا منتشرين . فلقيهم اليزك بكل من يزكيه عند شهوده مضاء كالقضاء . ويوا فقه القضاء في المضاء وكل معتقل للربيني اخف الى الوغى من سنانه . وكل مشتمل المشرفي خضيب الغرار ريانه . وكل ملتم بعثير حصانه . معتق لعطف مدرانه . وكل صبح كالصباح نضارة وجهه في شحوبه مدفونة . وكل قارح على قارح شرارة عزمه في سكونه مكنونة . وامتد راجلنا أمامهم . وأثبتوا اقدامهم . وطال القتال وطارت النبال . وحاضت الذكور . وفاض التامور (٥٣) نوره بين يبيه الى دار القرار . واسروا منا واحدا فاحرقوه فصحب نوره بين يبيه الى دار القرار . وأسرنا منهم واحدا فاحرقوه فصحب به تلك النار إلى النار . وشاهدنا النارين في حالة واحدة تشتعلان .

وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان ذكرا انهما الأخصت ملك الانكتير وانهما كانا يكتمان ايمانهما في سر الضمير . وأخبرا انها زوجة صاحب صقلية فلما هلك . صادفت في الاجتياز بها اخاها هذا الملك ، فالزمها بان تتبعه واستصحبها معه . وقدراما النجاة من تلك

الفاجرة نجاة الآخرة ، فاكرم السلطان وفادتهما ، وأجازل بالاحسان افادتهما .

ذكر المركيس ومفارقته القوم ووصيف السبب في ذلك

وفي الاثنين انسلاخ الشهر ذكر عن المرقيس أنه هرب الى صدور. وأنه كشف للجماعة المستور. ونفذوا وراءه قسوسا. والقوا عليه من الضلالة في الاستمالة دروسا . فنبا قبوله . وانقطع وصوله . وكان سبب نفاره ، وموجب استشعاره ، ان هنفري كانت زوجته ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده . وعادتهم أنه اذا مات ملك ينتقل ملكه الى ولده . وسلمواء في هماذا الميراث . بين الذكور والاناث . فيكون الملك بعد الابن اذا لم يخلف ابنا للكبرى . فاذا توفيت عن غير عقب كان الصغرى . وكان الملك العتيق كي اخذ المك بسبب زوجته الماكة فعزاوه عن الماك لما احتوت عليها يد الهلكة. وبقيت هذه زوجة هذفرى . فاصبح المركيس عليه يجترى . ويقول لست من اهـل الملك لتكون الماكة لك زوجة . ولابدلي من تقويم هذا الامر حتى لاأبقى فيه عوجه . وغصبها منه وصرفها عنه واتخسنها له عروسسا . وأحضر لذكاحها قسوسا . وقيل انها كانت حبلي ولم تضرج من حبالة الحبل . فما شفلتهم حرمة الرحم المشتفل . وادعى المركيس ان الملك انتقل بها اليه . وأن أمر الفرنج بشرعهم في يديه . فلما جاء ملك الانكتير تظلم اليه هذفري والملك العتيق فسانفتح بسذلك له إلى مؤاخنة المركيس الطريق . فاستشعر المركيس منه وما قسر. وأخسد معه الملكة وقر.

ذكر من وصل في هذا التاريخ من العساكر الاسلامية

وفي يوم الاثنين انسلاخ جمادى الاولى قدم عسكر سنجار . وقد سد يسواد عديده النهار . وافاض ببياض حديده الانوار . ومقدمه

مجاهد الدين يردقش الشهم الشديد . والسهم السديد . والالعسى اللوذعي . والكميش الكمي . والنقاب النقي . والعف التقي . وهـو ذو همة في الغزو عالية ، وعزمة بالمضاء المضى حالية . وقيمة في سوم السلطان لقربه غالية . وسريرة خالصة صافية من الكدر خالية . وأكرمه السلطان في استقباله بذفسه واقباله عليه بسأدسه . وسمار بعسكره الى أن وقف تجاه العدو من جانب البحــر ممـايلي النيب. وقد احسن في عرضه التدبير والترتيب . ثم عاد في خدمة السلطان مكرما الى جنبه . مقدما على صحيه . فأنزله في خيمته وخصه بمواكلته . وتقدم اليه بالنزول في ميسرته . وفي يوم الاربعاء ثاني جمادي الأخرة . وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة . بالعدة الوا فرة والقوة الظاهرة . مثل علم الدين كرجسي . الذي يسرع الي لقاء اقرانه ولايرجى . وكسيف الدين سنقر الدوري دي الزند الوري والسيف الروى وأمثالهما من المناليك الناصرية . والسناعير الاسدية . اسد العرين . الشم العرانين . الفر الميامين . وفي عصر هذا اليوم وصدل علاء الدين ابن صاحب الموصدل الى الخسروبة ونزل بها . ليصل بكرة الى المعسكر بالعساكر في أحسن أهبها . فركب السلطان اليه ولقيه وعاد . وكمل لكرا مته وضيا فته الاستعداد . وأصبح يوم الخميس في خميسه . سائرا بأساده في عريسه . مقبلا بكل فارس من جيشه فارس من خيسه . في غلب كانهم اجادل والجياد مراقبها . وخيل كانها الظلماء والترادُك كواكبها . وذقع كانه الاتي والمقربات قواربه . ومجر تصادم مناكب الاكام مناكبه . وتملا الوهاد طوالعه وغواربه . عاريات غروبه . عاليات غواربه ، ثقال منذاكيه بناعباء عواليه م كانمنا نهضت لاذكاء نار الهياج حواطبه . وعبرت علينا كتائبه وأعربت عن مناقبه مقانبه . وتلقاه من أولاد السلطان الملك المعز فتح الدين أسحق. وهو من جملتهم البصر بل الغيداق. والملك المؤيد نجم الدين مسعود، وهـو كاسـمه مسعود مجدود ، وتلقاه الامراء والعنظماء والضواص والا ولياء . وساق على تعبيته . واجابته دعوة الاسلام وتلبيته الى جانب البحر ، ليرعب اهل الكفر ، وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض ، ولما انفصل السلطان أخسنه معه الى خيمته

واحضر له اسباب تكرمته . وأنسة بانبساطه . ونظمه مع اصحابه في سمط سماطه . واجلسه الى جنبه . وعقد له حباحبه . وخصصه بخلع وثياب . وحصن عراب . ومايليق به مسن كل باب . وانصر ف عنه ونزل على ميمنته . نزوله عام اول في منزلته . وفي يوم الجمعة رابع جمادى الاخرة وردت من مصر كتيبة ثانية ، صارفة اعنة خيلها الى الجهاد ثانية . ساطية على الكفر بباسها جانية . وقدد علمست الوقائع انها لثمراتها اليانعة من ورق الحديد الاخضر جانية ، فمسا نزلت حتى عرضت على العدو مقانبها . وابرزت لعينه قناهسا وقواضبها . وارنت برسل المنية اليه قسيها . شم جاءت والقيت بمضاربها عصيها . وكانت العساكر تتوارد . والجموع تتوافد

ذكر ضعف البلد

والفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة آيست منه . واسات القلوب عنه . والمجانيق قد رمت شرافته . وسمت اليها بأفاته . واعالت جـــــــــوانبه مهـــــــدومة . وزواجزه مهتومة . وانحطت بمقدار قامه ، فلم يتمكن احد من عليه من اقامه . وضعف البلد والجلد . وخلا بالهم عليه الخلد ، وقد حفظ القوم من جانبنا خنادقهم . ووكلوا بها فيالقهم . ونحن لا نألوا في الجهاد جهدا ولانترك جدا . ولا نجد من مضايقهم بكل نوع بدا . وجاء الخبر ان ملك الانكتير قد اشفى من المرض . واشرف من المضض ، حتى حلق راسه وحلق لحيته . واستلقى لانتخال منيته ، فتثبط الفرنج وتثبتوا . وسكنوا وسكنوا ، الى ان يركب فيركبوا ويثب فيثبوا ، وكان في هذه الفترة للبلد بقاء رمـق ، وزوال فرق ، وانتعاش عثرة وانجبار كسره ، وانطفاء جمره ، وانسداد فرق .

-7117-

فصدل من كتاب الى صاحب الموصدل في شكر وصدول ولده ووصدف الحال في ضعف البلد

قدم علاء الدين دام علاؤه في مقدمي الجذود الانجاد ، ووقف اجتهاده على موقف الجهاد ، وما اكرمه قائما في المقام الكريم . وعظيما خاطبا دفاع الخطب العظيم . ووصل فوصدل جناح النجاح . وانشر الصدور بما صدر به لها من نشر الانشراح . وجاء والكريهة ذا همية بالأروام . والحرب ساقية طلاء الطلى في صحاف الصفاح . وشارك في الجهاد وشد الأزر . وسدد الأمر وآزر وعضد . وظلهر واسعد . ولاخفاء عن العلم بحال الفرنج في هـنه السنة واجتماع ملوكهم وكنودهم . ودوافد امداد حشودهم . وقد استشرى شرهم . واستضرى ضرهم . واعضل خطبهم واستفحل امرهم . واشتفاوا منذ وصالوا بنصب منجنيقات . وتركيب الات ودبابات ، وزحفوا الى بلد عكا بجمعهم . ووقدوا بجمرهم . واخذوا فيه ذقوبا . وحكموا في الاسوار من الاسواء بضرب المجانيق ضروبا . والثفر الآن قد اشرف. والعدو بخندقه محتجز ، وافرصة الفقلة عنه منتهز ، ومن جِنْوم الموت عليه في مجنّمه محتزر . ولم يبق الا أن يتدارك الله النّغر بلطفه . ويجريه على المعروف من عادة نصره وعرفه . والمجاهدون فيه قد هانت عليهم المهج . ووضع لم في ثبات جنانهم المنهج . وفي كل يوم يسدون بأشلاء الهاجمين الثلم . ويجلون عنهم بما يشبون مسن نيران الظبا الظلم . والعدو قد لج . والحديد من قرع الحديد قد ضيع . والبلد مشف . والبلاء عليه موف . والمأمول من الله أن يأتسى من نصره بما ليس في الحساب وان يعيد ما جمع من امر الأحساب الى الأصحاب . ويكفى هدنه النوبة الصدعبة فهدو كافي النوب الصنعاب .

ما ١١١٨ ـ ماد الدين فصل في وصف عسكر عماد الدين

وصلت العساكر التي وفت بعدتها المناجده . ووافت بعدتها المنى جده . واقبلت اقبال الآساد في عرين الوشيج . وماجت موج البحار في غدير الزغف النسيج . واستهلت استهلال الرواعد البوارق . والمت بالعدا المام العوادي الطوارق . ولقد جاءت في وقتها منجدة مسن جده . موجدة للانتقام من الكفر بكل موجده . واستظهر الاسلام بظهورها . وسفرت وجوه النصر بسفورها . فاعتجم الكفر بالقدامها . وانتظمت احداق المشركين في عقود سهامها . وخيمت مضارب المضاء بمضارب خيامها . وفض بالفضاء ختام قتامها . وما اشكر الدين والاسلام لعزائم عماده وغيائه . وابعث امداد الظفر وما اشكر الدين والاسلام لعزائم عماده وغيائه . وابعث امداد الظفر

فصل في الاستنفار

قد عرف ان العدو قد احتشد بجميع ملوكه . وغصت مسالكه وطرق بطوارق سلوكه . وهو حديد الشوكه . شديد الشكه . قد لج في حصر الثغر ونصب آلاته . وركب عليه منجنيقاته . ووالى الضروب من الضرب ، واخذ منه مواضع في النقب . وقد اشفى على خطر عظيم . وخطب جسيم . واذا لم يصل في هذا الوقت فمتى . ومن اتى في غير الوقت المحتاج اليه فما أتى . وهذا اوان رفض التواني . ونهوض المسلمين من الأقاصي والأداني . والوصول بكل ما يقدر عليه من العسكر . والظهور لمظاهرة المسلمين بالعزم الأظهر والجد الأوفر . وهذا يوم الحاجة وأوان الضروره ، والنهوض بعسكره الى نصرة عساكرنا المنصورة . فلا يجنح الى عدر فللاعذار اوقات ، ولا يلتفت الى غير هذا المهم الذي ليس للمسلمين الى سواه التفات . ولا يلتفت الى غير هذا الموقف الكريم وهو كريم ، ويتقاعد عن هذا المقام العظيم وهو عظيم .

ذكر خروج رسل الافرنج

كان قد خرج مذايام رسول ، وسال ان يكون له الى السلطان وصدول. فاجتمع والملكان العادل والأفضل. وفالا له لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل . وما كل مقصدود عليه يعدرض . ليعلم في الأول هل هو مما يقبل او عنه يعرص . فأعلمهما الحال . وعرفهما ما سبب الارسال . فأحضراه بالنادي السلطاني فمثل بين يليه . وأوصل تحية ملك الانكتير اليه . وقال هدو يؤتدر بك الاجتماع . ولخطابك الاستماع . فان اعطيته امانا حرج اليك . وأورد مقصوده عليك . أو شئت كان الاجتماع به في المرج ، خاليين من مقتضيات المرج ، وكلاكما عن عسكره مذف رد ، ولحسيته في الخلود مدورد ، فأجابه السلطان وقال لو اجتمعنا فهو لايفهم بلساني وانا لا افهم بالسانه . ونحيل بالبيان على ترجماني وترجماته . فيكون ذلك الترجمان رسولا . فلعله يرد بسول ويصدر رسولا ، فلما لح في الطلب . وألح في الأرب ، استقر أن يكون الحديث مع الملك العادل . وان تنجح من عنده وسائل الرسائل . وبخل وقد أخذ أمانا . وانقطع بعد ذلك زمانا فشاع عندنا أن ملوكهم منعوه . ومن ركوب الخطر فزعوه ، فأذفذ ملك الانكتير رسوله بعد ايام . يذكر ما شاع من تأمر للفرنج عليه واحكام . وقال الأمور مفوضة الى . وأنا أحكم ولا يحكم على ، واذما تأخرت بسبب مرض عرض . فأفاتني الغرض . ثم قال الرسول من عادات الملوك المهاداه ، وإن دامت بينهم الحسرب والمعاداه . وعند الملك ما يصلح السلطان فهل تأنذون في حمله وقبوله . وأخذه من يد رسوله . فقال الملك العادل ذقبل الهدية بشرط المجازاة . واستدامة المكافأة الموازاه . فقال عندنا بزاة وجوارح . قد لقيتها في سفر البحر جوائح . وقد ضعد فعدى طللائح روازح ، وذريد طيرا ووجاجا (٥٤)تصلح لطعمها . فاذا استوت حملناها الهدية على رسمها . فقال العادل لا شك ان الملك مدريض وقد احتاج الى دجاج وفراريج ، ونحن نحمال له منها كل مااليه احتيج . فلا تجعل حاجة طعم البزاة في طلبها حجـة . واسلك غير

هذه المحجة محجة . وانفصل حديث الرسالة على قول الرسول ها لكم حديث . فقلنا انتم طلبتونا لا نحن طلبناكم وما لنا معكم حديث قديم ولا حديث . ثم انقطع حديث الرسالة الى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم . ومعه اسدير مفربي مسلم . واحضره على سبيل الهدية واوصال الى الساطان ماحمل من التحية . فشر فه بخلعته . واعتد له بهديته . ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلاثة . وماكانت رسالتهم تسافر عن مقصود بل فيها رثاثة وغثاثه . وهؤلاء طلبوا للملك فاكهة وثلجا . ولم يسلكوا في غير الحاجة نهجا . فاكرمهم السلطان بما سائلوا . ووفر لهم منه فحملوا . وسألوا ان يتفرجوا في الاسواق . ففسح لهم فيه على الاطلاق .

ذكر ضعف الثفر من قوة الحصر

وكان غرض الا فرنج من تكرير الرسالات تفتير العرامات وهم مشتغلون بموالاة الرمى بالمنجنيقات وتسوية المنصوبات وتعبية الالات . وتعديل العرادات وتثقيل الحجارات . حتى تحلحل السور وحان انهدامه . وتخلخل وبان انثلامه . وتزعزت اركانه . وتضعفت ابدانه . وكاد يهي ليهوى . ولايقي ولايقوى . كي يشوى . واهمل المئينة قد كثر تعبهم لكشرة النوب ولقلة العمدد والحجر هساتك . والمسهر ناهمك . والعمل دائم . والخلل لازم . والقلوب قلقه . والظنون مخفقه . والمتاعب شاقه . والمشاق متعبه . والاحسوال متصعبه . والاهوال مرهبه . وكانت في البلد المنجنيقات تنصب . وتغيض بها قوى الرجال وتنصب . فلما اشتد الزحف . وزاد الضعف . احتاجوا الى رجال المنجنيق للمقاتلة . والتناوب على المنازله . وهناك ظهر ان العدد لايقمي ولايفي . وان القليل لايكف ولايكفي . وان خروج من كان في البلد لاجل دخول البدل لم يكن صوابا . وان تقصير النواب ابتداء في الاعطاء جلب في الانتهاء

اعطابا . ولما علم السلطان سابع جمادى الآخرة يوم الثلاثاء . بما عليه البلد من غلبة البلاء . زحف بعسكره ولج حتى ولج خنادقهم . وطرق اليهم بوائقهم . ونهب ممن خيامهم مماتطرف . واسر ف في ارهاقهم بما اشرف . وحمل الملك العادل بنفسه مرارا . واجرى من الدم انهارا . واراهم بالنقع النهار ليلا وبالبيض الليل نهارا . وامسى السلطان تلك الليلة ساهدا لم يذق طعاما . ولم يستطب مناما . ثم امر بدق الكوس سحرا حتى عادت العساكر الى الركوب والقساور الى الوثوب والفوارس الى الفرس والانداب الى الندوب . واعادت الى الطلوع غروبها بعد الغروب . بكل ممن يلقي الجيوش على الجيوش . ويرعف الصدور على الجيوش . ويرمف الصدور الرواعف . ويشير بالامن عن مواقف المضاوف . وكل ممن الضرب في جبينه شامة . وللطعن في جبينه علامة . على خيل كامثال القنا تحمل القنا . وضمر كالحنايا تهوي هوى السهام إلى الوغى : في غداة صباحها في حداد

نسجتها ايدى المطهمة القب

وظلام يجاوه بريق اليمانية القضب . فجرى ذلك اليوم من القتال اشد مما كان امس . واتصل من طاوع الفجر الى غروب الشمس . وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة مضمونها ان العجز بلغ بهم الى غايته . وانتهى الضعف بهم الى نهايته . ولم يبق الا تسليم البلد إن لم تعملوا شيئا. ولم تنجحوا في الذب عنه سعيا . فضقنا بهذا الكتاب ذرعا . وقلنا لاحول ولاقوة الا بالله لانملك لانفسان ضرا ولانفعا . والسلطان من هذا في امر عظيم . وهم مقعد مقيم ، وهو مجتهد في بذل وسعه . سائل من الله لطف صنعه . معاود الى الحرب في كل صباح . طائر الى اللقاء بجناح كل نجاح . وفي يوم الاربعاء . بعث العساكر على اللقاء . وبخل راجلنا الى خنادقهم وخالطوهم . وتقابضوا على بسيطة واحدة وباسطوهم . وذكر انه وقف في ثغرة من تلك الثغر افرنجي . كأنه جني مستشيط نجسي . وهو يدا فصع ويمانع . ويكافح على تلك الثغرة ويقارع . قد اتخذ طارقته لجسمه وحماد السهام المنية هدفا . وهو كانه مما نشب فيه النشاب

القذفذ . وذلك السهام من ليس الحديد لاتذفذ فلم يزل واقفسا الى ان احرقه بقارورة الذفط زراق . فأمسى وهو حسراق . ووقفت ايضسا امرأة بقوس من الخشب ترمي . وتديم اصماءها وتدمي . فلم تسزل تقاتل حتى قتلت . والى سقر انتقلت .

ذكر خروج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الا فرنسيس

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكا من جانب . وعروه بكل نائب . ومل اصحابنا فيها لكثرة من استشهد وجرج . وقلة البدل الذي كان قد اقترح . ونقب العدو الباشورة حتى وقعت منها بدنه . وزادت المخافة فلم يبق معها امنه . خرج المشطوب الى ملك الافرنسيس بامان . وحضر عنده بترجمان . وقال له قد علمتم ماعاملنا كم به عند اخذ بلادكم . من النزول عند طلب اهلها الامان على مرادكم وانا كنا ذؤمنهم . ومن المسير الى مأمنهم نمكنهم . ونحسن نسام اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسام . وانا فعلت هذا فقد حدرت المغنم . فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدي . وانتم اليوم مماليكي وعبيدي . فأرى فيكم رأيي من وعدي ووعيدي ، فقام المشطوب من عنده مغتاظا ولم يلبث لحظه ، وأغلظ له في القول عملا بقول الله تعالى (وليجدوا فيكم غلظه) (التوبه ١٢٣). وقال نحن لا نسام البلد حتى نقتل بأجمعنا ، فيكون مصر عكم قبل مصر عنا ، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين . ومتى عرف ان الاسد يسلم العرين .

ذكر هرب جماعة من الأمراء والأجناد من البلد

ولما عرف رجوع المشطوب . ولم يظفر بالفرض المطاوب .قال جماعة من الأمراء قد تضجروا بما هم فيه من التعب والعناء ، هذا

الأمير الكبير، والمسشتار والمشير، قد اشتفل باله. فسواه ماباله . وعمروا بركوسا . وراوا في هربهم رأيا مذكوسا وربحا في دار البقاء مبخوسا . وذلك ليلة الخميس التاسع . وقدربوا عليهم الأمر الشاسع . وجاؤوا الى العسكر مختفين . ومن رفقائهم في نسب الموفاء . والوفاق منتفين . فنمى الى السلطان الخبر بهرب الجماعة . وانهم خرجوا اله وله عن الطاعه . وانهم جبدوا عن بــذل الاستطاعة . وخفضوا عنهم صيت الشحاعة . وأبعدلوا الأضاءة بالظلمة والدفظ بالاضاعة . وكان فيهم من الأمراء المعروفين . وذوي الشهامة الموصوفين . عز الدين ارسل . وهو الذي كان المثل بشهامته يرسل . وحسام الدين تمرتاش بن جاولي . وهو شاب أول ما تنوفي والده وجاولي . وسنقر الوشاقي من الأسدية الأكابر . ومقدمي العساكر . وكل منهم محظوظ بالاقطاع الواقدره فقطع السلطان اقطاعاتهم واقطعها وحبس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها . واستعاذ أرسل بالاسدية ثم بالملك الأفضل . المفضل المؤمل . وتوسل ابن جاولي بالملك العادل . وكلهم تدوسل بفضل الأجل الفاضل فلم تعبد معيشتهم . ولم تعدنب عيشتهم . وعاييا ممقوتين . ويحدود السن الذم منحوتين . وبضعف القلب وقوة الخور منعوتين . وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقب الجاندارية الناصرية ومقدمها . فشفع فيه على انه يضمن على ذفسه العودة ويتلزمها . فعاد في ليلته . واسقط عنه المذمة بأوبته . ووقع بعد ذلك في الأسار . واستفكه السلطان بعد سنة بثمانمائة ىينار .

فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصدف الحال

قد سبقت مكاتبتنا اليه بشرح الأحوال ، وما نحن عليه من رجاء النصر الذي هو متعلق الآمال ، وأن ملوك الفسرنج وجمسوعهم قسد وصلوا ، ونازلوا الثغر واحتفلوا ، والآن فان منجنيقاتهم . هسدته

بكثرة الضرب . وكثرت ثلم السور في ماواضع الذقب . وعظام الخطب . واشتدت الحرب واشدفي الدلد واشرف . واشتفى العدو بما فيه واسرف. ولما لج العدوفي الزحف. واستسهل في التطرف الي البلاطريق الحتدف . ركبنا في عسكرنا اليه . وهجمنا عليه لكنه بسوره وخندقه محتم . والى مطمحه البعيد من أمدره مدرتم . ولما عاين اصحابنا بالبلد ماعليه من الخصطر . وانهم قد اشدفوا على الغرر . فر من جماعة الأمراء من قل بالله وثوقه ، وأعمى قلبه فجوره وفسوقه . ولقد خانوا المسلمين في ثفرهم . وباءوا بوبال غدرهم . وماقوى طمع العدو في البلد الا هـربهم . وماأرهب قلوب الباقين من مقاتلته الا رهبهم . والمقيمون من أصحابنا الكرام . قد استحلوا مر الحمام . وأجمعوا أنهم لايسالمون حتى يقتلوا من الأعداء اضعاف أعدادهم . وأنهم يبذلون في صون ثفرهم غاية اجتهادهم . وكاذوا قد تحدثوا مع الفرنج في التسايم فاشتطوا واشترطوا ، فصبروا بعد ذلك وصابروا ومدوا ايديهم في القوم وبسطوا. فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من الذقوب، والله تعالى يسهل تنفيس ماهم فيه من الكروب . ونحسن وان كنا للقدوم مضايقين وبهم محسدقين وعلى جمسوعهم مسن الجسدوانب متفرقين ، فانهم يقاتلوننا من وراء جندار ، ويعلمنون انهم أن خرجوا الينا في تبار، والهجاوم على جمعهام مساتصعب ممتنع ، والعسكر على مسركزهم متسالف مجتمسع ، أولله قدر لايرد ، وقضاء لايصد ، وسر لايشارك في علمه ، وأمر لايفسالب في حكمه ، وعلى الله قصد السبيل ، ونجح التأميل وتدقيق الطاقة في دفع الخطب الجليل ، وماتوفيقنا الا بالله وعليه تـوكلنا وهـو نعـم الوكديل.

ذكر ماجري من الحال

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس . وحمي الوطيس وتحرك بالضراغم الجيش واسود الجو . وانسد الضو ، وانقضت

القضب انقضاض الشهب . واشتبهت الدهم والكمت بالشقر والشهب، واختضبت البيض وتألق من بوارقها الوميض ورقصت قدود السر على غناء الصواهل . وحسركت رياح السوابق ذوائب الذوابال، فللدروع من الضرب قعساهم، ولعسوا صدف الألوية زعازع ، ولغربان الرماح نعيب ، ولغران المقدربات لتقدريب النصر البعيد تقريب ، ولحريق الظبا معمعه ، ولرحسى الحسرب الزبون جعجعة . واللاحقيات سابقة ولاحقه، والسريجيات راعدة وبارقة ، وشموس الترادّك على بدور الأتراك شارقة ، وذبال النبل من عيون أعيان الكفر مارقة . وأيدى الأسنة هاتكة لحرز النحور سارقة . وثعالب الأسل في لبة الأسد ضابحة ، ونشاوى اللاان من نجيم الأقران غابقة صابحة . في رايات يجاذبها ذراع الفلك فتقدود عقبانها العقبان . وصفاح يصافحها شعاع الشمع فيكسرو لجينها العقيان . وتقدم السلطان الى الأمراء فترجلوا ونازلوا حين نزلوا . وهجموا على الضراغم في أجامها . واحدوجوها بحد الأقدام الى احجامها . ونصب صارم الدين قايماز النجمي علمه على سور الفرنج بيده . ووقف عنده بجلاده . وجلده . ووصل في ذلك اليوم عز الدين جوريدك ومعه من النورية المماليك . فترجل وقساتل الليلة على الخيل تحت الحديد ، منتظرا لنجح الأمل البعيد فقد كنا تواعدنا مع أهل البلد أنهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل ، ويسرون بأجمعهم على جانب البحر سري السيل ، ويذبون عن انفسهم بسيوفهم ، وينجون بـانفهم وعز انوفهـم ، ولوصـح هـنا الموعد ، لنجح المقصد ، ولكن الفرنج اطلعوا على السر ، فاضطلعوا مالشي، وحرسوا الجوانب والأبواب، وارتابوا بما أراب، وكان سبب علمهم اثنان مسن غلمسان الهسساربين ، خسسرجا الى الملاعين ، وأخبراهم بجلية الحال ، وعزيمة الرجال ، واصبح يوم العسكر الجمعة العاشر، وقدد جمدع مدن الخيل والرجدل المعاشر . واقفة على ترتيبه صدفوفه . ومدرهفة على عدوه اسسنته وسيوفه . ودام ذلك اليوم على التعبية وقوفة ، ولم يتحرك من القوم ساكن . ولم يظهر من العدو كامن . بل خدرج شلاثة من الرسال واجتمعوا بالملك العادل . فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من

أقسام الرسائل. وانقضي النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلا محيط . ولأذى مقامه بمقامه مميط . وبتنا على تلك الحالة . وأهل الهدى مراصدون لأهل الضلالة . واصبحنا يوم السبت وقد ركبت الأفرنجية وتدرعت . وتحزبت وتجمعت . وحتى ظننا أنهم على عزم اللقاء . فهاجت العزائم منا الى الهيجاء . وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا واستوقفوا . واستدعوا ببعض المساليك الناصرية فلما عطف اليهم . عطفوا اليه وأخبروه . أن الخارج صاحب صيدا في اصحابه ، وهو يستدعي نجيب الدين ابسا محمد العسدل لخطابه ، وهذا العدل من أمناء السلطان . وقد انس الفرنج به لتردده في الرسالات نحوهم في سالف الأزمان . فلمسا حضر أرسله الى السلطان . ليتحدث في خروج من بعكا بانفسهم بحكم الأمان . وطلبوا في مقابلة ذلك مالايدخل تحت الامكان . وزادوا في الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط • فانفذ السلطان الملكين العسادل والأقضل . ليفصلا المجمل . ويجملا اذا حزا (٥٥) المفصل فتردد العدل مرارا . ووجد منهم على الاضرار اصرارا . ولم تتحرر قاعدة ولم تظهر فائدة . وانفصدلوا على غير قدرار . وعادوا والأمدر بغير إمرار .

ذكر جماعة من العسكرية وصلوا

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر، وفي يوم الاربعاء بدر الدين أيوب بن كنان وقد حشد وحشر، وفي يوم الخميس أسد الدين شيركوه وقد ابهج بقدومه العسكر، وفي هذا التاريخ ضعف البلد. وعجز من فيه ضعفا لايمكن تلافيه . ووقدف كرام اصحابنا وسحدوا الثفروه بصدورهم . وباشروا الأسنة المشرعة اليهم بندورهم . وشرعوا في بناء سور يقتطع جانبا. حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا ،

- 717V-

ذكر ماطلبه الفرنج في المصالحة على البلد

وكانوا اشتطروا اعادة جميع البلد . واطئلاق اساراهم من الأقياد . فبذل لهم تسليم عكا بمنا فيهنا دون من فيهنا فلم يفعلوا . وبذل لهم في مقابلة كل شخص استير ، فلم يقبلوا وسنمح لهم برد صليب الصلبوت اليهم فانفصلوا عن الأمر ولم يفصلوا .

ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة . ماجت الفرنج ببدور جموعها الزاخرة وسالت الى تغسر البلد سيل الآتى الى القرار . وطلعت في السور المهدوم . طلوع الأوعال في فدرج الأوعار . وانحدر عليهمم اصمحابنا انحمدار الصمحور المدهدة ، وفرسوهم فرس الأساد المحرجة المكرهة . وردوهم اقبح رد ، وصدوهم افظم صد ، ومازالت الكرات تتناوب والحمالات تتعاقب حتى كلت الرجال وفلت النصال وعرفوا أن الفرنج يستولون وعلى احد منهم لايبقون ، ولايخاون فخدرج سييف الدين على بن أحمد المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذوا أمان الفرنج على أن يخرجوا بأموالهم وأذفسهم على تساليم البلد ومائتي الف بينار وألف بينار للمركيس وأربعة آلاف بينار لحجابه فلم نشعر الا بالرايات الفرنجية على عكا مسركوزه ، وأعطساف أعلامهسم مهزوزة ، وماعندنا علم بما جرت عليه الحال وماأحد منا الا والبال منه قد عراه الوبال، وعم البلاء، وتم القضياء وعز العيزاء وقنط الرجاء ، ولوت أعناق المسار اللأواء ، ونسب السلطان ذلك بعد قضاء الله وقدره الى تقى الدين وماعن له في سفره ، فانه مضى على أن يعود بأضعاف عسكره فاشتغل بقصد خلاط وأثار في ديار بكر الاختباط ، والاختلال وتأخرت عساكرها عن القدوم فنتسج تسأخر نصف العساكر فوات الغرض المروم، وكذلك لم يكن في البلد عدد

يفي بصونه ، وماكان يضبطه السلطان الى هدنه الغاية لو لم يكن الله في عونه ، ونقال الثقال تلك الليلة الى منزله الأول بشال عم ، واقام بخيمة لطيفة متلهفا على ماتم ، ثم انتقال ساحرة ليلة الأحد تاسع عشر الشهر الى المخيم ، صابرا على حكم القضاء المبرم ، وحضرنا عنده وهــو مغتـم ، وبـالتدبير للمسـتقبل مهتم ، فعزيناه وسليناه ، وقلنا هـنه بلدة مما فتحـه الله وقــد استعادها عداه ، وقلت له ان ذهبت مسدينة فمسسا ذهسب الدين ، ولاضعف في نصر الله اليقين ، وماوعكت بعكا القلوب ، الا ولكربها يوم النصر على الأعداء تنفيس ، ولو حشتها بعد الصادثة الموحشة تأنيس ، ولهذا الدين وان تداعت قواعد بقعسة من بقساعة بالعز ليفاعه تأسيس ، وخرج في هذا اليوم أقوش ، رسولا ندبه يهاء الدين قرا قوش يخبر ما قرروه من القطيعة ، ويصدف كيفية الملمة الفظيعة ، وقال : ادركونا بنصدف المال وجميع الأسارى وصليب الصلبوت قبل خروج الشهر ، وان تسأخر شيء من ذلك بقينا تحت الأسر ، ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر ، فأحضر السلطان الأكابر وفاوضهم في ذلك وشاور ، فقالوا الحوائنا المؤمنون ورفقاؤنا المسلمون ، وهل لنا عذر ونحن لهم مسالمون ، فتقبال السالطان بتحصيله وتعجيله بجملته وتفصيله .

وأنشأت في استيلاء الفرنج على عكا هنه الرسالة وسدرت بها كتبا

قد عرف أمر عكا وأن العدد وقصدها ورصدها ونزلها ونازلها . وقابلها وقاتلها وبرك عليها بكلكلة . وحفل عندها بجدفلة . وتواصلت اليها جموعه أفواجا . وجلب البحد نحوها على أثباجة أمثال أمواجه أمواجا . وجاءت رابضة أمامها . ضاربة خيامها . ملهبة بها غرامها . ملهبة فيها ضرامها وانتهت المدة الى عامين كل عام تحمل مدود البحر من أمدادها بحارا . وبرد الماء

بأهل النار مستصحبين من ماء الحديد الجامد نارا . وتصل مراكبهم كأنها الأعلام السود . والامدواج ناشرة بيض اعلامها مائة جبالها بأكامها . مازجة اصباحها باظلامها .

وتتنا فس ماوكهـــــم البحساغية . وطحسحوا غيتهم الطاغية . في الورود بذفوسها وذفائسها . والوصول بما ذفضت فيه كنائن كنائسها . مستخرجة ضمائر خــزائنها . مســتفرغة نخــائر مكامنها . موضعة ظعائن ضغائنها . مستبضعة متاع متاعها . مسرعة الى معاطن معاطيها . وتسرد بقناطير امسوالها، وجمساهير رجالها . ومساعير مصالها . ومشاهير ابطالها . ويحدقون بها من برها وبحرها . ويجثمون بين سحرها ونحرها . ومازالوا يقاتلون أبراجها بالابراج . ويسومون جدتها بالانهاج . ويرومون علاج كرامها بمراماة الاعلاج. ويقارعونها ليلا ونهارا . ويقلمون افسواه خنادقها أحجارا . ويناجونها بألنسة المجانيق الطوال . ويطيرون إليها على حمام الحمام كتب الاجال . ويكافحونها قراعا ويدبون اليها للمضايقة خطا وساعا . ويناطحونها بالكباش . ويعاقرونها من حرابتهم وحرابهم بكلاب الهراش. وحيات النهاش. ويرامونها يكل منجنيق عظيم الخلق . كانه حسامل على الطلق . لاتلد إلا أمسات الدواهي . ولاتدع الراسخ الراسي إذا قابلته غير الواهن الواهسي . ويقتل الله منهم العدد الدهم . والجمع الجم . ويهلك الوفا . حتى يعود نافرهم المنون الوفا . وقد تجاوزت عدة القتلى منهم في هدنه المدة . سوى من هدك بالضائقة والشدة . خمسين الفا قولا لايتسمح فيه المعبر بالبيان . بل يتصفحه المحرر بالعيان إلى هدده السنة . والحالة في تحقيق قمعهم وتفريق جمعهم جهارية على الوتيرة الحسنة . واشتعلت في قلوب أهل النار نار البدواعث ، وتحدثوا في الحادث . وثاروا للثار . وزاروا بالزار . وانبسرى ملكا افسرنسيس وانكتير . وملوك آخرون دبروا أحكامهم وأحكموا التدبير . وجاؤوا ف مراكب بحرية حربية . وبطس حمالة فرنجية ، وأجروا في البحــر منها السيول . وجروا من ذوات الشراع عليها النيول . وحملوا فيها الخيالة والخيول. ووصلت كل قطعة كأنها قلعة . وكل بطسة كانها تلعة . وكل سفينة فيها مدينة . وكل مجرة على سماء البحر بنجـوم الرجوم مزينة . فاحدقت بالثفر مسن البسر والبعسسر . واحساطت بمركز الاسلام دائرة الكفر ، وأطافت منها الأساوار بالأسوار . والظلماء بالاذوار . ومنعت الداخل والخارج ، وسدت على ناقل الميرة وحامل السلاح . الموالج والمناهيج . وزاحفوه بكل منجيق كنيق . وكل برج وثيق . وكل دبابة كأنها دابة الارض التي تقدوم عندها القيامة . وكل سلم لا ترجي معه العلامة . وكل آلة آلت إن الفتح منها بالحدف . وأقسمت أنها تقسم سهام سهامها لذوي الحفز بالزحف . هذا والعدو قد حفر من جانبنا وعمـق . وسـور وخندق . وتدرع بأسواره وخنادقه . وتساتر عن طاوارق البلاء بستائره وطوارقه . فلا يخرج منه إلى معاركه . ولايدخل إليه لضيق مسالکه . وهو متحر متحرس . متستر متترس . عاص على الهجم . عاس على العجم . لايقتحم سده . ولاينثلم حده . ولم تسزل الحالة تتمادى والواقعة وليدها لاينادى . والمدى يتطاول . والمدد يتواصل . والقضية تترامى . والرمية تتقاضى . ومقاتلة الثفر صابرون مصابرون . مكابرون مضابرون (٥٦) . فمن مستشهد عدله الجرح . ومن مستنجد عطله القدرح . ومن دام بالجرح رام عنه . ومن نازع في القوس نازع منه ، ومن متعرض للمـوت خـوف عار عارض . ومن ناه عن السسلم آمر بالحرب ناهض . ومن ندب فيه ندوب . ومن ضرب فيه مسن أثسر الضرب ضروب . حتسى ضسج الحديد من قرع الحديد . ومجت الشفار الظامئة ورد الوريد . هــذا وعدد المقاتلة في كل يوم يذقص . وظلل المصابرة يقلص ، والعدم يتمكن من الوجود . والقيام للا ثخسان في زي القعدود . وكاد البقساء يودع الباقين . والمنون تلاقي الملاقين . فلم يشعروا إلا وبعض المقدمين المشهورين قد تاخر وتسترر واستشعر الذعر فتعدر وتحذر . واستبدل الجبن من الشهاعة . واستملى العجه من الاستطاعة . وقدم العصبيان على الطاعة . وظنن إنه لانجناح له في العزيمة . ولا نجاة له إلا في الهزيمة . وجنب امتاله من الجبناء . وجمع إلى أمره جماعة من الأمراء . فخرج بهم من الثفر فارا وذهب على وجهه معهم مارا . ورهب فهرب . وحسب فتحسب . فأضعف قلوب البقية استشعارا . وأعدمهم عدم قراره قرارا . لكنهم ثابوا

إلى صبرهم ، وثبتوا على أمرهم ، ودفعوا مكر العدو بمكرهم ، ومابرحوا على مصابرة ومكابرة . ومقارعة ومعاقرة . ومكافحة وملا فحة . ومواقعة ومدواقحة . ومسطاحنة ومناطحة . وجلد على الخنادق التي طمت . ورمى في خروقها التراب ورمت . وطرقها العدو بالسوء إلى السور ، وطرق الظلمة إلى الذور . وهجم على السنى بالديجور . وكشه فقساب عروس البلد بالذقب . وأسهر بمساعيره حر الحرب . حتى ثلم حمى الثفر وكلم حامية . وأشرفت مرابيه . وكثرت ندوب نقوبة . وكرثت خطاب خطوبه . ودخل العدو بالسوء الى السور . وطرق الظلمة الى الذور . وهجم على السنى بالديجور . وكشف ذقاب عروس البلد بالذقب . وأسعر بمساعيره حر الحرب . حتى ثلم حمى الثفر وكلم حامية . واشرفت ماراميه . وكثرت ندوب نقوبه . وكرثت خطاب خطوبه . ودخل العدو في النقب فلم يجد لكونه مجدلا او مجرحا او مخرجا . وتوغل في الباب فــوجد باب الخلاص المرتجى مرتجا . وكل من اصحابنا قد سد الثغرة بذفسه ولقي الوحشة بأنسه . وفارق لوصال أهل الجنة أهله . وأثبت في مستدقع الموت رجله . ولم يزل النقابون يوسعون ويمشون . ويعلقون ويحشون ويخرقون ويحرقون . ويجمعون ويفرقون . حتى تساقطت الأبدان فعادت تلولا ، وتعاذقت الاسسياف فزادت فلولا ، وتكشفت الوجوه لقبل الطعان وبدردت بحدرارة الدم قوادًم اليمانية في الايمان . وبردت بمجالدة أجالاد الشرك أيمان أنجاد الايمان وأصحابنا لايهولهم الهائل ولايميلهم ألى الحذار الجدار المائل . ولايزعهم الخطب الوازع ، ولايردعهم الرعب الرادع . يواصلون بسالقواطع ويتسوا قعون على الوقسائع . ويردون بغربهم الطالع ، ويقدون بحدهم الدارع . اذا انتظموا مع العدو ذثروه . واذا نهضوا له اقعدوه وعثروه . وأذا صعد اليهم حــدروه · واذا بادر اليهم بدروه وندروه . حتى أقاموا منه عوض أبدان السور أبدانا . وكم تركوا على تلك المصارع من جاثميها جثمانا . ومازالوا يقتلون ويقتلون . وينهلون مسن ورد النجيع وينهلون . ويصسلون ويقطعون . ويشعبون ويصدعون . ويكيلون بصاع المصاع . ويجيبون للعمر الراحل داعي الوداع. ويتناجون بألسنة المناصل.

ويتقابلون بوجوه الصواقل. ويتشاركون بكلام الكلام. ويتلاقون بسلام السلام . ويتساقون بصحاف الصفاح . ويتما شون بمراح الرماح . ويستحلون ضرب الضراب . ويسجلون صفحات الصفائح من قراب الرقاب . الى أن انتقل القتال من السور الى الدور . ومن الستائر الى الستور . ومن الطوارق إلى الطرق والسطوح . ومن المضايق الى السفاح . ومن المراقب الى السفوح حتى لم يبق من المجاهدين الا سبائك زحوف . وترائك حتوف . وبقايا طرائح . ورذايا طلائح ، ومشوق (٥٧) جرائح ، ومشوقو ضرائح ، قد فصالتهم المشرفيات . وخاطتهم الخطيات ، ورشاقتهم القسي القاسية . ورشفتهم الظبا الظهامية . ولاينهض قدويهم من الكلول ولايفرى فريهم من الفلول . وقد شعفلوا بسد تلك المضايق . ورد أولئك الخلايق. فما شعروا الا وقد بخلت من أقطارها. وتدوغلت من ا سوارها . وأزدهم العدو في مشارعها وسبلها ، ودخــل المدينة على حين غفلة من أهلها . ولما عرف العدو الداخل . والعادى الواغل . أن القوم مستقلون وللمدوت مستقبلون . وأنه لاطاقة له بمقاومتهم . ولا قوام له بطاقتهم . وأنهم لايسلمون وهم يسلمون ولايبةون وهم يبقون . اعطاهم أمانا أخطر من المخافة ودخــل على الاغارة باسم الضيافة ، وعز اصحابنا بما بذلوه من الوسع وما هاذوا . وما وهذوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا ومسا استكاذوا . ولامرد لما فيه الله من المراد . ولامدفع لحكمه في البلاد والعباد . وأن ذهبت مدينة فلم يذهب الدين . وإن غاض معين فما غاب المعين . وان ارتاب المبطلون فما فارق الحق اليقين . وإن فتــح المرتج فما فات المرتجى . وإن أدلهم الديجور فسلابد أن يسسفر عن الصبح الدجى . ولايشمت عدو بما جرى . فعند الصباح يحمد القوم السرى .

فصل من كتاب الى قطب بن نور الدين بن قرا ارسلان

قد أحاط علم المجلس بما حشده الكفر في هــنه السـنة مـن مـدد ملوكه . وكثر على نهار الاسلام باظلام ليل الكفسر وحلوكه . فالاسلام يذشد ظهيره . ويطلب الدين لكشف غمته من ابن ذوره نوره . وهذه عكا التي كنا عنها ندافع . وعن تغرها نمانع ونجدري دماء الواربين في البحر لقصدها في بحرها . ونرد للرد عنها مكايد العداة في نحرها . قد تمكن منها الكفر على كره من الاسلام . واجتاح من أبي اسلامها بعد أن صابر وصبر إلى الاسلام . وكانت مودودة فعادت مؤودة . وصارت مفصوبة بعد ان كانت عارية من الكفر مردودة . واذا أفكر من خذلها . وما اخذلها . وغاب عنها وما حضرها . علم أنها أسيرة إهماله . وأخينة إغفاله . وحاشى أن يكون المجلس بالغيبة عنا راضيا . وعن النجدة عند تحقـق الحـاجة اليها متغاضيا . ومابقي الفرنج مع استيلائها على الموضع . الا زائد قوة في المطمح والمطمع . وقد عزمنا على المصاف وصد صدمة الكافر بالجد الكافي الكاف والله كافل بينه بالنصر . والمردي بمكره أهل المكر وما هذا أوان الوني . بل هو زمان استنجاح المني . فان العدو الخادر قد أن أن يصحر . وليل الهدى قد قرب أن يسفر .

ومن رسالة أخرى في استدعاء مظفر الدين من إربل تشتمل على حادثة عكا ووصف الحال الجارية فيها

قد علم مادهم المسلمون من العدو الكافر . والطاغية الحاشد الحاشر . وأنه ورد في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزائر . وماقصده الا بيضة الاسلام وحوزته وان الله تعالى هو الذي تكفل بذلة اعدائه عزته . ولا شك انه عرف ماتم منه على عكا بعد ذبنا عنها

في هاتين السنتين . والمضايقة للفريخ ممين بعكا ومنا بين . الحصارين . وانهم كلما دبروا أمرا دمسرناه . وكلمسا حققسوا كيدا ابطلناه . وكلما قدموا منجنيقا . اخسرناه وعطلناه . وكلمسا ركبوا برجا احرقناه . وكلما كشفوا حجابا خرقناه . وكلما ا وقدوا نارا الحرب أطفأها الله ، حتى لم يبق لمكرهم ولالكيدهم مجال ، ولم يتسق ف هذه المدة لهم حال ، وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين ألف مقاتل ، من فارس وراجال . ولم نشاك في اساتيعابهم بالردى ، وأن حزب الضلال قد أفناه حزب الهدى ، وحسبنا انهم بائدون . فاذا هم زائدون ، وظننا أنهم هالكون ، فاذا هم في نهج القتال سالكون، وهم حصطب نار الحصرب، وطعهم الطعصن والضرب، وكم بذاوا ارواحهم على حب المقبرة، وحصالوا تحت العجز لزعمهم انهم يأتون بما فوق المقدرة ، ولما دخلت هذه السنة اشفقنا على من في عكا ، من الأصحاب والأجناد ، وقلنا هؤلاء قد بذلوا في الجهاد ماكان في وسعهم من الاجتهاد ، ورأينا أن نجدد لليلد البدل . وأن نسد ونسدد بما نستأنفه الخلة والخلل ، وكان فيه أكثر من عشرة الاف رجل ، ومن كل ذمر مشيح وكمي بطل ، فخرج هؤلاء ولم يدخل اليه مثل تلك العدة ، ولم يكن ايضا من دخل بدلك الجد بدلك الشدة . فان البحر قبل استكمالها منع راكبه ، وحمسي جانبه . ووصل العدو وعجل مراكبه فاكتفى البلد بمسن فيه ومسافيه كفاية واتكل على الله الذي عصمته من كل واقعة وقاية . وجاءت ماوك الفرنج خلاف كل عام ، في جد واعتزام وحد واهتمام ، وجمع لهام ونار تعجلها العدو مسن جهنمسسه وضرام وغرام بسالواقعة وعرام ، واحتداد للحادثة واحتدام ، وباس واقدام ، وناس واقوام ، وحشد ملأت به سفنها، وأخلت منه مدتها . ووصـل ملكا ا فرنسيس وانكتير . وقد احكما التحدبير . وأجلبا بخيلهما ورجلهما ، واناخا بكلكل كلهما ، ويركا بثقلهما ، وزحفا بجهدهما وجهلهما ، ووافوا بكل برج وثيق وكل منجنيق كنيق . وكل آلة هائلة ، ودبابة البلايا حاملة ، ونصبوا ثلاثة عشر منجنيقا على موضع واحد ، واهبطوا حجارات السور باكل حجار صاعد ، وباشروا الباشورة بالهدم ، والخندق بالطم والسور بالذقب

والثلم ، وخرج من نقابي البلد من ارتد عن الدين . وأعان نقابي الملاعين ، حتى وقعت ابدان السور وأبراجه وتبادر الى الثلم أعلام الكفر وأعلاجه وأصحابنا مع ذلك ثابةون ، ناكبون كابتون ، قد سدوا تلك الثفر بذفوسهم . وجعلوا حجارات الفرنج وجراخاتها مغافر رؤوسهم ، وكشفوا وجوههم لقبل السهام ، وتلفعوا من وقع بيضها بحمر اللثام، ترشف شفاه الشفار دماءهم، وتشكر ملائكة السماء سماحهم بالمهج وكلما اجتمسم بسه فسرقوه بسطعنهم وضربهم ، وهم يوا قعون ويوا قحون ، ويكا فحون ويلا فحون ، وكل قد وقف في موقف الكرام وسل نصله . وأثبت في مستنقع الموت رجله . وودع للجنة في لقاء أهل النار أهله ، فضانهم بعض الأمراء الجبناء ، وأخذ للحياة بترك الحياء ، وفسر مسن البسلاء الى البلاء . وحسب النجاة في النجاء ، وهرب في بركوس قد اعده لذلك اليوم . وأثر على جراح السيف جراح السب واللوم ، واستصحب أمثاله . واستتبع وابعد في فراره وابدع ، وأضعف بضعف قلبه قلوب الباقين ، وأمطى أفساعي الكفسر في نهش الراقين ، على أن الأصحاب مساأنذوا بسالأصحاب ، ولم يقسسابلوا الضراب بالأضراب . ومازالوا يواصداون بسالقواطع ، ولايرتساعون للروائع ، ولأيريمون مقام المقامع ، ويطالبون مان الأرواح بالودائع . حتى انتقل القتال من السور الى الدور ومن القوارع الي الشوارع ، ودخل العدو المدينة على سلم بالحرب شبيهة ، وأمن أخوف وأخطر من كريهة . وقطيعة فظيعة . كل منة لها غير مستطيعة ، ولولا مااتفق بعد قضاء الله من الأسباب الموهنة ، لم تكن عكا بالمكنة العدو ولاالمذعنة ، وأن ذهبت المدينة فالدين لم يذهب وان عطبت فالاسلام لم يعطب ، وان ملكت واحتلت فما اختل الملك . وأن سلكت ووهت فما وهي السلك ، وأنما نبه الله بها العزائم الراقدة ، وأجرى مياه الهمم الراكدة ، وبعث الحميات الناعسة . وحرك النخوات المتنافسة . وكما أظهر عجزنا عن قدرته وقدره . وسيظهر عزنا بنصرته وظفره ، ونحن الى الآن كما كنا محدةون بخنادقهم آخذون بمخانقهم ، ونوسعهم الردى في مضايقهم ونجذبهم في كل يوم الى مصارعهم ، وذكدر بعلق نجيعهم صدفو

مشاربهم ومشارعهم ، فما خرج منهم من بخل . وما انقطع الا من وصل . وما اصحر الا من ندبه عريسه وعرسه . وما بدرز الا من واراه من بطون الخوامع رمسه ، فهسم مقيمسون لايريمسون مخيمهم ، ولايرومون ان يهجروا مجثمهم ، وماانسوا بمرابض المضارب . الا لذفرتهم من مضارب القدواضب ، وهدم مدع ذلك يرجفون تارة بالخروج الى المصاف ، وآونة بالنهوض الى بعض الأطراف. وفي كلا القصدين أن شاء الله دمارهم المعجل، وبوارهم المؤمل ، فانا نعترضهم اين واجهوا ونواجهم أين اعترضوا . ونعثرهم اين نهضوا . ونثيرهم للموت أين ربضوا . وربما غرتهم عكا فطمحوا وطمعوا . واتفقوا على المصاف واجتمعوا ، ووقعوا على نار الحرب وقوع الفراش . وتعوضوا مصارع امثالهم والثرى لهم وثير الفراش . فان برز العدو فالمذون له بارزة ، والعرائم له مناجزة . والعساكر الاسلامية اليه وعليه زاحفة حافزة . والمجلس اولى من يتنخى ويحتمى . والى هذا المرام من قهدر الكفر يرتملي وينتمى .. ويصل بجمعه اللهام الملتهم . وبجمسره المحتسد المحتدم . وبفيلقه الفالق ترائك العدا . السافك السابك في نار الوغى سبائك الظباء الحاص الحاصد بحدود الشفار سنابل الطلي . وهو لا شك ينهض ويستنهض من وراءه . ويستدعى من اذا ناداه اجابه وجاءه .

ذكر لطف من الله في حقى خفى

كان السلطان قبل استيلاء الفرنج على عكا بسنه عمل ترجمة تفرد بها القاضي ابن قريش لمكاتبته الاصحاب . ليكتب بها اليهم ويعود بها الجواب . فلم يبق المكاتبة ابتداء وجوابا بخطي ، وخرح حكم عكا في الكتابة عن شرطي . فقلت لاصحابي ماصر ف الله قلمي عن عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها يعود . وان النحوس تحلها وترحل عنها السعود . واستعانني الله من استعادتها . وردها الى شقاوتها بعد سعادتها . ولقد عصم الله قلمي وكلمي . وعرف شيم مخايل الطافه من شيمي . وهذا قلم جمعت به اشتات العلوم مدة عمري .

ومااجراه الله الا باجري . فالحمد لله الذي صانه . وعظم شانه . وماضيع احسانه . وهو للفقه والفتيا . ومصالح الدين في الدنيا . وماعرف الا بعرف . فما صرف الا عن صرف . وماسفارته الا في نجح . ومااسفاره الا عن صبح وماتجارته الا لربح فهو يمين الدولة وامينها . ومعين الملة بل معينها . بمداده يستمد امدادها . وبسداده للثغور سدادها . ودواته دواء المعضلات . وبعقده حل المشكلات . وبخطه حط عوادي الخطوب . وبقطة قط هوادي القطوب . وببريه برء الامراض . وبجريه جري الجياد للجهاد . وبسعيه سحي الامجاد للانجاد ، وبحركته سكون الدهماء . وببركته ركون الرجاء . فما كان الله ليضيعه في صون مالا يصونه . وعون من الرجاء . فما كان الله ليضيعه في صون مالا يصونه . وعون من الله فانه صانه ولم يصنها . وشكرت الله على هذه اللطيفة . والعارفة الطريفه .

ذكر ماجرت عليه الحال بعد استيلاء الفرسج على عكا من الوقائع

وفي يوم الخميس انسلاخ جمادى الاخره . خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة الوافرة . وانتشر وا بالمرج الى الآبار التي كان حفرها العسكر . فضرب الكوس السلطاني . فتار المعشر وقام المحشر وانهض السلطان الى اليزك من قواه . واتبعه بمدد تلاه . وقد طار غراب الغبار . وتبرقعت بالتراب عراب المضمار . وشبت الوغى بكل شبوب تمانع سوى فارسها ركابها . وتعير الشمس من نسج حافرها نقابها . في غلب كالقواضب .يروون القواصب . وطوالع من الغروب يعدن في الغوارب غوارب . وحمل على ابطال الباطل حماة الحق . فردوا الكفر بذلك الخرق المتسم متسم الخرق وانهرم الفرنج فجالت العرب دونهم . وحالت بينهم وبين اسوارهم واحالت عليهم منونهم . وصرعوا زهاء خمسين رجلا . كروا عليهم بكاسات

المذون نهلا وعلل . وردوهم الى مراكزهم ولم يبن لقادرهم فضل على عاجزهم . ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمة . كادت تحدث هزيمة . فوقف اصحابنا وثبتواثم وثبوا . واسمعروا نار الحـــــيد والهبــــوا . ونظمـــــوهم بالقنا . وذثر وهم بالظبا . وفرشوا منهم قتلى على الربا . واحتبت سيوفهم بالاعناق والطلى . وحلت من حياة العدا الحبا . ونخل القوم الى خنادقهم ووقفوا وراء اسوارهم ببإثارة عثيرهم وأثار عثارهم . وانتصف الاسلام في ذلك اليوم بعض الانتصاف. واخدد يد النصر على المصافاة بمصافحة المصاف. وفي يوم الجمعة ثامن رحب حاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة . لخسلاص الجمساعة المستأسرة . واخبروا أن ملك افرنسيس صار الى صور ورتب الدوك نائبه وولاه الأمور . وأنه قد عزم على العود الى بلاده . بعد ما جرى الامر بعكا على مراده . وأنه وكل المركيس في قبض نصيبه ورضى بتدبيره وترتيبه . فانهض اليه السلطان وراءه رساولا بتحف تليق به . يستخرج ضمائره فيما هو من اربه . ونقل خيمته يوم السبت العاشر الى تل بازاء شفر عم وراء التل الذي كان عليه نازلا . وحلى الموضع الذي حله وخلى الذي اخلاه عاطلا . ومازالت الرسل تتريد . والرسالات تتجدد ، والاراء تجتمع وتتبيدد . حتى احضر مائة الف بينار والاسارى المطلوبين وصليب الصابوت . ليوصــل ذلك كله الى الافـرنج في الاجــل المضروب والوقـت الموقوت . ووقع الخالف في كيفية التسليم والتسلم . وكيف يحصل الوثوق بالكفار مع تحمل هذا المغرم. فقال السلطان اسلمه اليكم على ان تطلقوا اصحابنا اجمعين . وتأخذوا بباقي المال على سسبيل الرهن قوما معينين . فابوا الا اخسد الجميع . في الزمسان السريع . والوثوق بأمانهم وامانتهم . والتفويض في اصحابنا الى خيرتهـم . فقلنا لهم تضمنكم الداوية فما بخلوا في الضمان . وساء فيهم ظن السلطان . وقال اذا سلم اليهم من غير شرط الاحتياط عليهم . كان فيه على الاسلام غبن عظيم . وعار الى الابسد مقيم . فلو أيقنا خلاص أصحابنا . وعرفنا بنجاتهم انتظام اسباتنا . سمحنا لهم في الحال ، بصليب الصابوت والاسارى والمال . وبقى الامر واقفا الى ان انقضى الاجل. وانتهي الترم الاول. وجاء الرسال وابصر وا الأسارى حضورا . والمال موزونا موفورا . وظنوا ان صليب الصلبوت قد ارسال الى دار الخلافة فليس له وجود . فسالوا احضاره وهم شهود . فلما احضر خروا له ساجدين . واقروا به شاهدين . وعرفوا ان الشرط بالوفاء مقرون ، وان الاداء بخلاص اسارانا مرهون . وظهرت علامات مكرهم . ولاحت امارات غدرهم . وفي يوم الاربعاء العشرين من رجب اخرج الفرنج الى ظاهر المرج خياما ضربوها . وقبابا نصبوها . وخرج ملك الانكتير الى خيمته . ومعه خلق من خيالته ورجالته .

ذكر غدر ملك الانكتير وقتل المسلمين المأخونين بعكا

وفي عصريوم الثلاثاء سادس رجب ركبت الفيرنجية بسأسرها وخرجت من مستقرها وسارت بخيلها ورجلها . وجدفلها وحفلها . وجاءت الى المرج الذي بين تل العياضية ودل كيسان . وذف اليزك وأخبر السلطان . وركبت العساكر نحوها متسابقة متلاحقة . وشامت صوارم صادفة وعزائم صادقة . وكان الملاعين قد احضروا اسارى المسلمين . وفي الحبال واقفين . وحملوا عليهم وقتلوهم بأجمعهم . والقوهم على مصرعهم . فحمال عليهمم العسمكر وهاجمهم . وضرب بأمواجه امواجهم . وقتل منهم خلقا . وأوسع فيهم خرقا واستشهد منا كردي حميدي وبدوي . وكلاهما من الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر روي . فلمسا انصر ف العدو الى خيامه ، وركد الروع بخار قتامه . شاوهد المستشهدون بالعراء عريا . وانما عروا ليكتسوا من حلل الجنان التي اكرمهم الله بها وشيا . ومضى الناس اليهم فعرفوا معارفهم . ووصفوا في سبيل الله مواقفهم . ومااكرمهم رجالا ، واحسنهم في الشهادة والسعادة حالا . ولما غدر الفرنج بسفك الدماء . وهتك ستر الوفاء . تصرف السلطان في ذلك المال . وبسلط فيه يد النوال . واعاد اسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى اربابها . وتسرجع الى

ايدي اصحابها . فانهم كانوا جمعوا من اهل البلد للحاجة اليهم . فلما استغني عنهم ردوا عليهم صليب الصلبوت الى الخلائة . لا للاعزاز بل للاهانة . فان غيظ الكفار بحفظنا للصليب شديد . والمصاب به عندهم على مر الجديدين جديد . وقد بذل فيه الروم شم الكرج بذولا . وانفذوا بعد رسول رساولا . فما وجدوا قباولا ولاصادفوا سولا .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر . وقاربت البحر . وضربت بينهما الخيام . واثبتت من الرماح المركوزة على سباعها وضباعها الأجام . فقيل للسلطان . ماحركة القوم الا لقصد عسقلان . فجاشت همدومه وعب عبابه . واجتمع بناديه لاجالة قداح الرأى اصحابه . وسع سحابه وصح حسابه . وحكم فأحكم . ويري فايرم . واستشار وأشار . واستثار وأثار . واستورى زناد الاراء ، وامترى مراد الامراء . وقال هذا العدو طغى واستكبر . واصحى له الافق وا فاق واصحر . وقد تحرك بعد سكونه . وظهر بعد سكونه . وظهر بعد كمونه. وغرته عكا فطمع في عسقلان . واسترق جانبنا الخشن الشديد عليه واستلان . وهذه جموعه بارزة ، وكعوبه راكزة ، وعوراته بسانيه ، وثسوراته عانيه ، ونكراته معروفة . وغدراته موصوفة . وكنا نقول اذا برز نبارزه . واذا خرج نناجزه . واذا فارق مكانه نتمكن من تفريقه . واذا ركب الطريق نركب الى طريقه . واذا توجه الى موضع اوضعنا الى مواجهته . واغرينا ألسنة الاسنة بمشافهته ومسافهته . والان الان الله لنا الشديد . وادنى علينا البعيد . واخرج العدو من الضييق الى السعه . وأبرزه من وراء الأسوار والضنادق المتنعه . وأن لم نلقه في طريق مسيره . ونجد في التدبير لتدميره . وصل الى عسقلان فصلار لنا منها شغل عكا واصعب . وحينئذ نتعب . وصدعنا بها لايشعب . فقالوا هو يسير بالبحر محتميا . وعن النهاج منتائيا . ويقصد الساحل الساحل. ويقتصر المراحل. والذي يلى الساحل في الطريق اما اجام وغياض غلقه متأشبه واما رمال وتللل ضيقه متكثبه. وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق . ومواقعته

بالعوادق. فتقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر. وامير من اهل الخبرة آخر بالمسير الى تلك المناهج. ومشاهدة مالها من المخارج والموالج. وكشف المواضع التي يلقى فيها العدو. ويؤمل بمقاتلته فيها من الله النصر المرجو. فسارا ينقضان تلك المسالك ويكشفان الاماكن التي تكون معارك. ونتخذها لمبار المرام مبارك. ولمدار المراد مدارك. وعادا وقد ظفرا بقاع وبقاع وعينا على اماكن ومكامن. ومواطىء ومواطن. ووقع الاجماع على الاجماع على اللقاء والقراع. في مدناهب تعينت. ومسارب تبينت وسهول عرفت، ومروت وصفت. وصمم العزم على ان الفرنج اذا ساروا سرنا على عراضهم واستقمنا على جدد الجدد في اعتدائهم واعتراضهم.

ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا القاهم

وفي سحرة الاحد غرة شعبان . اضرم الفرنج في منازلهم النيران . واصبحوا على الرحيل . والاصوات مختلطة بالصهيل . والارض مضطربه والسماء محتجبه . والقباب تقدوض . والعياب تنفض . والجعاب تنشل . والهضاب تنتقل والنئاب تعسل . والزغف تفاض ، (٥٨) والحقف يخاض . والخيل تسرح . والسيل يمرج . وذوائب الذوابل تنتشر . وانبات النوائب تسكشر . ولواء اللاواء يعقد . وضرام الضراء يوقد . والبيارق تختفق . والبوارق تسأتلق . والدو دو . والجوجو . والحديد تبوج وللعديد تماوج . وقد شارت الجواء . وفارت الجاواء . ودجت الاضواء . ورجت الضوضاء . وسال الوادي . وعدت العوادي . وسار الاعادي . وعلم السلطان تدبيرهم . وعرف مسيرهم . فرعدت كوساته . وغردت بوقاته . وصاحت طبوله . واسحت سيوله . وانسحبت نيوله . واصطحبت خيوله . وبرقت لوامعه . واشرفت طوالعه . ومضات عزائمه . وومضات عوارمه . وحاقت العقبان الى ماطار ماطارده . وتألفت الخرصان في معاقل معاقده . وسار وارضه جردالضوامر . وسماؤه

نسج الحوافر . في بحار سوابح يموج على شكائمها اللعاب . وغدران سوايغ كالزلازل لمعه الحباب . ومجدر ملتهب الجوانب . مشتعل القواضب . وقب معقدودة السبائب ، مقودة الجنائب . معصوبة الهوادى هاديه العصائب . وعرب ماوية العمائم بالشهب ملوثة البرود بالقضب . ودرك كالاقمار في هالات التروك . ومماليك في حالات الماوك. عتاق الوجوه على الوجيهيات العتاق قد خلقوا للثبات مع قلق الاخسلاق . واعاجم على العسراب . هضساب على هضاب . وكرد بحصون الدروع محتمين . وبقباب اليلب مستعصمين . في مسرودة الحلق . مسدودة الحدق . تقهقر عنها اللهاذم . وتقهقه اذا فلت بها الصدوارم . وجيش يصيب العدو ولايصاب . ويعيب الاقران ولايعاب . من كل ناصر للحق على ضامر للسبق . خارق للنقم راقم للخرق . فاتق رائق للفتق . معنق الي الضرب ضارب للعذق . وفيلق همسه فلق الهسام . وجدفسل ملتهسم الجحفل اللهام . يحوى كل اغلب عبل الذراع . واشم رحب الباع . خواض الكتائب . فياض القدواضب . رواض الرعان . نضان في السنان . موار العنان . فوار الجنان . قائد الخيل زائد السيل .

رائد الليل وهاجت العساكر وماجت الزواخر، فرزات القساور، وأزهرت الزواهر، وتناوحت جذبات الحديد . وعنبات الحدير . وأشبه سهك الماني بعبيق العبير وكانت ذوبة اليزك في ذلك اليوم الملك الافضل وهو في نخبة الجدفل بدور ليل اقسطل . وشدوس يوم المحفل في فوقف لهم وقفا أشرهم والهبهم بنيران النصال . وأسعرهم . وقصد تفريقهم وسلطا على وأسعرهم . وقطع طريقهم وقصد تفريقهم وسلطا على أوساطهم ، ونادى بايراء زناد إيراطهم فانقطعت أواخرهم عن أوائلهم وسدد سهام المنون إلى مقساتلهم وأرهق إليهم الأجل وأحرق عليهم العجل . وطرق نحوهم الوجل . وانهرم من تقدم ولحق الأول . وتعكس من تأخر وانخذل وانخزل ، وأوقد نارا على ولدق الأول . وتعكس من تأخر وانخذل وانخزل ، وأوقد نارا على اهلها مشعلة . وترك تلك الوقعة للمجاهدين المساضرين مشاهله . وذفذ الى والده يستنجده ، حتى يسرع اليه مدده . ويقول ان امدت بألف ما أبقيت من هؤلاء واحدا. ومتى تتفق مثلهنه الفرصة لوارى لى

مساعدا . وترددت الى السلطان رسل استنجاده واستمداده . وهـو متحقق أنه لو ساعده القدر بالقدرة لمرى در النصر على مدراده . فسار من كان حاضرا من العسكر على عزم انجاده واسعاده . شم قيل السلطان ما كنا ركبنا بنية المصاف في هذه المرحلة . والناس قد سبقوا الى المنزلة . وهناك عند قيسارية الحرب امكن . والقلب الى انهاز الفرصة أسكن . وأبطأوا عن الاصراخ . فأنن روح الفرنج بالافراخ . وعرف ملك الانكتير بما تم على ساقته . وان الذي وراءه في عاقته فصر ف عنانه وصر ف عناده . وعاد عابيا بحماته . فحمسى دمدده امداده .

والملك الأفضل قد بذل وسعه . واوضح في الجد بشرعه ، وقتل من ____لت اليه يده ولقد كان يضعف عدد الاعداء او تضاعف عدده ، وبقى يتلهف على ما فاته من الفرصة . واعوزه في حصة ذلك الحصة . فقد انهاض مانتهاضة جناح الكفر . وكان يفتح لارتجائه رتاج النجاح في النصر . ومن جملة من كان مع الملك الافضل من خواص الامراء والممالك . سيف الدين يازكوج وعز الدين جرديك . واتفق قولهم على ان العدو كان قد انكسر . وتبدد نظمه وتبتر . وانه لو اتصل بهم مدد . لم يبق من الأعداء أحد ونزلنا تلك الليلة بالقيمون في الوقت الميمون . وعلى الساقة المنصورة لحفظ الاثقال لتؤمن على ما تخلف فيها من العدو الغاره . علم الدين سليمان وحسام الدين بشاره . ورحلنا يوم الاثنين ثانى شعبان ونزلنا بقرية يقال لها الصباغين وبتنا بمنزلة يقال لها عيون الاساود . وامدر السدلطان المشدورة بحضور أوليائه وأمرائه . الأماجد الأجاود . والفرنج لما وصلوا الى حيفا وقد وصل اليهم الحيف. وساق ساقهم السيف. وخلصوا من نواجد النصال . وانياب النبال . اقاموا بها حتى يندمل جـريحهم · ويستريح طليحهم . وتهب بعد الركود ريحهم . وركب السلطان الى الملاحة وهي بعد حيفا منزلة القوم . وكشف ما حولها بالحوم . وعرف هل عليهم منها مدخل . وهل يصاب منهم فيها مقتل . ثم عاد الى منزلته واقام بها يوم الثلاثاء . وسير الاثقال الى مجدل ياباليلة

الاربعاء . واصبح راحلا . فما حل حياه بارض الا احيا ماحلا . ونزل على النهر الذي يجري الى قيسارية . وعسكره قد طبق تلك البرية . وكان العدو قد تحول الى الملاحة . ومكث بها للاستراحة . واقام السلطان بتلك الناحية يجول من رابية الى رابية . ويرهف القاء الفرنج بحضه وحثه كل عزيمة نابية . وأتى مرارا بأسارى خطفوا من مواقفهم وقطفوا من منابتهم ، وطرق الانكدار الى ثواقب توابتهم . فامر باراقة دمهم . واطاحة رممهم . واخبره بعض الأسارى انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى وطرح منهم وجرح كثير ، سوى من اخذ فهو الأن اسير . وهلكت بين عكا وحيفا اربعمائة فرس . ونجوا منكم بانفسهم على اخر نفس ، واو انكم بهم التبستم .

فصل من كتاب الى مظفر الدين

بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هنه الغاية لا ستدعائه

ولما فرغ العدو من شغل عكا حسب ان كل بيضاء شحمه . وان كل سوداء فحمة . فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه . باحثا عن حتفه بظلفه . زاعما انه على قصد عسقلان خذله الله وخيبه في قصده وزعمه . وهو حاصل منا على صده ورغمه . وكان رحيلهم مستهل شعبان وملك انكتير قائدهم الى البوار . ووافد اهال النار الى النار . ولقيناهم من بواترنا بواتر التبار . وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم . وتعثيرهم في طريق انتهاضهم . ولقوا يوم رحيلهم من اليزكية الزكية كل نكاية فيهم شديدة . وكل روعة لهم مبيدة . فانهم قطعوا ساقه العدو عن اللحاق بمقدمته و وفلوا عن الحدة في الحركة حد عزمته و وقتلوا خيلا وخيالة وفوارس ورجاله وقدروا وتمكنوا وجرحوا فانخذوا . ونهبوا وسابوا واخذوا رؤوسا قطعوها وغنموا اقمشة واساحة و

وحصوا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحة ونزلوا على نهر حيفا وقد تم عليهم الحيف وتحكم في فلهم السيف. فأقاموا إلى هنه الغاية لمدا واق جريحهم ومواراة طريحهم وراحة طليحهم وإثارة ماركد من ريحهم وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم عازمين على تبديدهم وتفريقهم وتشيتهم أيدي سبا وتمزيقهم فقد تمكنت بتأييد الله أيدي الأيد من سبيهم وقتلهم والله يجمع شملنا لتفريق شملهم ، وما يجده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة ولأعداننا من عبطة والا ونبادر ببشراه الى المجلس لتقوى في نصر تنا عزيمته ، وتشيم بارق التوفيق في مواقفنا شيمته وتروض من الدين ماظن أنه رخصت قيمته وكيف لايأخذ ذلك الكريم بتار الاسلام وقد سبيت من عكا كريمته ، واذا تأمل عرف أن الخطب عظيم وما لدفعه الا العظيم ، والهم مقيم وما لرفعه الا بأسه المقعد المقيم وسيقتضي دين هذا الدين الغريم الزعيم .

وقعة قيسارية

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان ، جاء من اخبر برحيل الفرنج السلطان ، وانهم سائرون ثائرون وعلى اجنحة الجرد طائرون وحول رجالهم بخيلهم دائرون . وهم في جمع لهام . وقد انقسموا ثلاثة اقسام كل قسم راجله بخيله محفوظ . وبأعين القسمين الاخرين من خلفه وقدامه ملحوظ . وكان السلطان تقدم من الليل بركوب الخيل . فركب في كل خواض للغمرات . فياض بالعزمات ، رواض للجامحات نهاض بالجانحات ملتدم مع اللام بالنقع والدجى ، ملتحف لولا الروع بالحلم والحجا ، مقتحم في حومة الوغى مضطرم بجمرة الظبا ، على نزائع يذقلن الردى على صهواتها وصواهل يقذفن الحمام من لهواتها . ويكشفن الظلام بجهاتها . وبارين يوخال الحاقة المنصورة كل سابق الوما بالمنون على سابق ، وكل تائق

إلى المازق مازق • وكل طائر في الغبار على سابح • وكل غابق بالنجيع صابح ، في عراب متمطية بالعراب ، ورقاق متخطيه إلى الرقاب ، وسار العدو وسرنا نبريه ونباريه ، ونجتاري عليه ونجاريه . والجاليشيه ترمي وتدمى • وتصدمم وتصدمي ، وطيور السهام تقصد من الاحداق اوكارها • والأوتار تنشد بالارنان اوتارها • وهم في لباس حديد سد على السهام المنافذ • واشتك النشاب فيهم فاشبهوا قنافذ . وكانت هناك بركة كبيرة . ومياهها غزيرة . وهم على عزم ورودها . والاحاطة بحدودها . فحلاناهم عنها . وأبعنناهم منها . وكان الحزم تـركهم حتـى يخـرجوا الى الفضاء . فيدخلوا من تمكننا منهم تحت القضاء . لكنهـم ارتـابوا وارتاعوا . وطلبوا النزول بها فما استطاعوا . فانحرفوا الى الساحل . وانضر فوا بالفارس والراجال . واجتمعاوا سارين . وساروا مجتمعين . ومازلنا نلزهم ونهزمهم ونحف زهم ونحدزهم . حتى تمت مرحلتهم . وعمت مقلتهم . وتثلمت الصدفاح . وتحطمت الرماح . واجرت الأنهار الجدراح . وجدرى بالأرواح السماح . وحضر السلطان مم الجاليشية . ناجح الارادة نافذ المشية ، ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب . وقد انصبوا الى النصب ، وما كاذوا يرجون . وما كادوا ينجون . ولما نزلت بهم في مسيرهم النوازل نزاوا . وحين وليتهم نصالنا ومناصلنا انعزاوا .

مقتل اياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدام . الاسد الضرغام ، الطاعن الضارب . الباسل السالب . الغضد فر الهدرماس . الفصارس الفراس . اياز الطويل وطالما عرض نفسه في سوق الشهادة ، واقدم اقدام الساعي إلى السعادة . وكان الى الصريخ اسدم متنصت . ولعطاس النقع اسرع مشمت . والى ضيف الحمام اسبق متلفت . ولسيف الاقدام ارشق مصلت . لايروعة الروع انا حفزته عزمته . ولا يهولة الهول اذ همت به همته . وهو اول من يركب وآخر من ينزل

ويدبر سواه وهو يقبل . ويسابق الى المضار ولا يهمل ، وهو ابسدا يدعو الى المبارزة . ويعدو على المناجزة . ويقف بين الصدفين على صافنه . ويرحل على مطايا الحنايا من بنات كنائنه الى مقاتل المقاتلين ظعائن ضعائنه . فما برز اليه الا من برزت اليه مذونه . وفاضت بالدم من عيونه عيونه . فكم كف للكفر كفها . وبكر المنصر زفها . واذف للشرك جدعه ، وذي انف للفتك صرعه ، ولبه للفضدفر ضبحت لثعالب رماحه . وطلبة المتقشمر طنت فيها انيه صـفاحه . واجفان للاقران نبتت فيها أهداب سهامه ، ووجوه الشجعان تفصلت في حساب حسامه . فلما جاءه الاجل ما أجل . ولكن الى الجنة به عجل . قان حصائه خانه وما صانه وقعث به في حالة الاقدام. وجلا قمره في هالة الحمام. ولم يخف لذقل الحسبيد للقيام وطعن وضرب وأتاه من الكوثر سالسبيله فشرب، ولما أدركه الأصحاب ألفوه ، وقد فات ، ورافق في عليين الأحياء في سبيل الله لا الأموات ، ونزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركة ، شديدي الشوكة حديدي الشكة ، ثم رحلنا ونزلنا على أعلى نهر القصب في أوله ، وهدو الذي نزل العدو في اسفله ، وتقاربت مابيننا تلك الليلة المسافة ، وعندنا الأمن وعند العدو المخافة ، ولما اصبح السلطان يوم الثلاثاء مكث على الثبات والهدو، ينتظر مايكون من خبر العدو ، وأقام الفرنج على حالهم ، لتعبهم وكلالهم ، ولأسباب منها جراحاتهم ، عدموا منها منهاج راحاتهم ، وكذلك ماملكهم من رعب الهلاك، والايتراك في ارتباك.

وقعة لعز البين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في ساقة اليزك ، مستيقظا للحفظ والدرك ، فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين ، كبدوا بغير عدة مسترسلين ، ولأخبار عسكرنا مستشرفين . وهم مما تم عليهم غير متخوفين . فعبر اليهم النهر من ورائهم واستظهر عليهم في اقائهم فقتل منهم عدة ، واقوا منه شدة ، واسر ثلاثة ، قبدل ان ينالوا

اغانة ، ثم ركب الفرنج اليه . وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة . جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة . واحضر الاسارى عند السلطان . بحزام الذل والهوان . فأخبروا أنه جرح بالامس منهم المف . وسرى فيهم وهن وضعف ، وقد جرى عليهم أمر عظيم ، وبلاء مقعد مقيم ، ورحلنا وقت الظهر وعبرنا شعراء ارسوف في الطريق الوعر ، ونزلنا وقت غروب الشمس بعدد الخصروج من تلك المناهب ، على قرية يقال لها دير الراهب ، ومضى السلطان جريدة الى قرب ارسوف واطال هناك الوقوف ، حتى رأى أرضا في طريق العدو تصلح للقائه ، والاحداق به من أمامه وورائه وأقام يوم الأربعاء في ذلك المنزل ، والعدو في منزله الأول

ذكر إجتماع الملك العادل وملك الاذكتير

كان ف اليزك علم الدين ساليمان بن جندر ، قدد ظهرر فيه واستظهر ، وراسله العدو على أن يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به ، وينزل على أربــه ويعــرب عن مــطلبه فـاجتمعا ، يوم الخميس ، على التأسيس ثم تحدثا في الحوادث ، وعوادي الحروب العوائث ، وان السلم متعينة والسلام فيها متبينة ، والمصالحة مصلحة ، والفائدة مترجحة ، قال وما جائنا الا لاصراخ اهال الساحل، فوقعنا في الشـفل الشـاغل. فـان اصـاحتموهم واصطلحتم . استرحنا واسترحتم ، فقال له الملك العادل : مالذي فيه تحاور وله تحاول ، فقال رد البلاد برد البلاء ، وسلوك مسلك الأسعاف والاسعاد ، فقال العادل : هذا لامطمع فيه ، وهذا رسم باطل حقنا معفيه ، ودون حدود البلاد حدود الحداد ، وخلط القتام وخــــرط القتـــاد وصرف عنان صرف العناء الى المتصرفين بالعناد ، وأدركه حكم الحمية والحفيظة ، وغلى مرجل غيرته في الكلمات الكالمات الغليظة ، وكان الترجمان بينهما هذفري بن هذفري ، فلمــا ســمع ملك الانكتير مـاراعه ، مـاا ستطاع سماعه ، وثار ثورة المحذق المحرق ، وأل اجتماعهما الى التفرق .

وقعة ارسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العمادل مماجرى بينه وبين ذلك الطاغية ، وأنه مصر على ذلك المباغى الباغية ، جمع يوم الجمعة وقت الاصباح الأصحاب، واستحضر من استد غابية مسن غاب، وأمر برحيل الأثقال، وأقسام في رعيل الرجسال، وركب في عجم انجاب وعرب على عراب ، وكرد على جرد ، وكل سابق ورد على سابق ورد ، على خيل من سماتها أثار الطعن ، وعلى جبهاتها أذوار اليمن ، بأكباد غلاظ على العدا ، ورقاق حــداد على الطلي . ونبال مصمية لبان المصمم . ورماح لدتها ضعفم الضيغم المعلم . فأقام العدو بسواد قومه بياض يومه ، وبات وقد فارق جفنيه غرارا نصله ونومه ، فلما اسفر صباح السبت رابع عشر شهبان ، ركب العدو على صوب ارسوف وقد ضم الرجال والفرسان ، وهو سائر في ليل حالك ، وسيل سالك ، وخيل عالك ، وحدزب الشيطان . وحرب الايمسان ، واصححاب الجحيم ، واقسطاب الضحلال النهيم، وخصطاب الخصطوب، وانداب الندوب، وكفصصاة الكفاح ، وصدفاة الصدفاح ، وأجناس الكفار ، وانجاس الداوية وأرجاس الاسبتار، وكل غيران غير وان، وأفعوان معتقلل ا فعدوان ، وكل ارقدم في جلد ارقدم ، وكل ازرق ا شدقر على أدهم ، فأحدقت به أحلاف عساكرنا احداق النار بالحلفاء ، ونقلت بذســور ضــوامرها الأرض الى الســماء ، وخــاضت الغمرات ، وأفاضت الجمرات ، وأفاظت المهجات ، وشبت نيران الهنديات ، وأهبت رياح العربيات ، والهبت شعل اليمانية . وألهت يها مقل الفرنجية ، وجال عليهم في الجساليش . التسرك على الأكابيش، وأحدقت سهامها كالأهداب بالأحداق، وبرزت بيضها لمعاذقة الأعناق ، ولمع شرار النصال في دخسان العجساج ، وخسرقت بنات الحنايا الخرق حجاب الحجاج ، وافضى ينابيع النبع الى اعجال الاعلاج ، فإن الفرنج اغذوا في سيرهم وجدوا ، واحتدموا وامتدوا وقربت منهم الاصلاب، واختلط بهم الاصحاب وتعانقت

الرفاق والرقاب، واحرج القوم وتقطعت بهم الأسباب، وقربوا من ارسوف، وقد لاقسوا منا الحتسوف والخسسوف، وضساق خناقهم ، وحاق بهم ارهاقهم ، ونشببت الجساليشية فيههم بالنشاب، وشبت نيران المرهفة في أولئك الأوشاب، فاحتملوا في جلودهم الجرح ، ومن اجلادهم الطرح ، ووجدوا الموت الغسالي مسترخصا ، وايقنوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا ، وعرفوا ان البلايا عليهم متصلة غير منفصلة ، وأن قواهم لما فوق ما لقوه مسن النكاية غير محتملة ، فحملوا على الأطلاب المنصورة حملة واحسدة زحزحتها عن مواضعها ، وكادت تحلئها شوارع القنطاريات عن مشارعها ، لكنها تحيزت الى القلب المنصور ، وفازت من وجوه النصر بالصفور، واستشهد في ذلك الفورة الثائرة، والثورة الفائرة ، سعداء استقبلوا بالأسنة الأسنة ، وأجابوا دعوة الله بأن لهم الجنة ، فما صرعوا حتى صرعوا ، ولما اشرعت اليهم الرماح اشرعوا ، ثم كرت عليه منخصب الرجال كرة اردته م وردتهـــم، وصــدفتهم عن الاســتنان في جـــد تلك الحملة وصدتهم ، وفرست منهم فوارس ، واتعست معاطس ، وفررشت بالعراء لهم أشلاء ، واتخذوهم طعانا ورماءا . فنزلوا في ارسوف وقد كسروا وخسروا ، وقدل قوم منهم وأسروا ، وفي ذلك اليوم ثبت على صدمة القوم الملك العادل سيف الدين . وحمل في اصحابه اسد العرين وسدد الى نحورهم الشوارع وقلع منهم قلائع . وثبت عسكر الموصل . وكذلك قايماز النجمي في موضعه الأول ، وكانت العساكر في شعراء أشبه ، وشجراء منتشبة ، إفاما رأى العدو اندفاع المسلمين قدامهم ، لم يأمن رجعتهم وإقدامهم ، فعاد وعبدر ارسوف ونزل قريبا من الماء ، وبات السلطان ذلك الليلة على نهر العوجاء ، واقام العدو يوم الأحدد في مدوضعه ، مذكوبا بتعبب تبعه ، ثم رحل يوم الاثنين سائرا الى يافا ، ليستدرك بها ورطه ويتلافى ، ونازلتهم العساكر بالنوازل الى ان نزاوا وقطعوا طرقاتهم حتى وصلوا.

فصل من كتاب السلطان الى الديوان العزيز

يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من عكا

وسداكوا في مواضم مالليزك عليهم فيها سبيل. ولا لقداح القراع في مجالها مجيل، وعساكرنا تضايقهم في كل مضيق ، وتطرقهم بالبلاء بل المنايا في كل طريق ، وهم على البحر لا يفارقونه ، ومن المورد الى المورد في كل مرحلة لا يتجاوزونه ، فان المياه قريب بعضها من بعض ومسيرهم بمقدار مسافة مابين المنهلين ، واذا لزوا لم يبعدوا بين المنزلتين ، وكانت لنا الى هذه الغاية معهم في كل بقعه وقعه ، وفي كل مسرحلة مقتله ، وفي كل منزلة منازله ، وأوردناهسم الردي في كل مورد ، وقصدناهم بالشدائد في كل مقصد . وسلبنا حماهم للحمام في كل سبيل ، وسار صباحهم منا في كل مفدى ومقيل ، وطريقهم على البحر كلها مضايق وأجم ورمال ، ومواضع لا يتسع فيها مجال ولا يتهيأ قتال ، وكلما وجدنا فسحة ضايقناهم ، وأرهفنا حدود العزائم والصوارم وارهقناهم ، وجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر فيها يبور . ودائرة السوء على اهله بنا تدبير ، وماء اهدل النار بفيض بأسنا عليهم يغور ، ولولا أن الله تعالى قد أخر موعده في نصر اوليائه ، وقهر اعدائه ، لوقع الفراغ من شهلهم ، وشهلت نعمته لنا بتبديد شـملهم ، فمنها يوم رحيلهـم عن عكا ارهقتهـم اليزكية الزكيه ، وذكأت فيها منهم الرمية باللنيه ، وكان الولد الافضل يومئذ متولى اليزك فتولى اسعار لهب المعترك ، ووقف لهم في المضيق على الطريق . وباشر جمعهم بالتفريق . وقطع أخرهم عن اولهم، وعاق الساقة عن الوصول الى منزلهم وبتر وبتك ، وفتك وهتك ، وقتل وسدفك ، وطلب وأدرك ، وعبر الفرنج نهسر حيفا لما دهمهم من الأمر ، واحتموا بالمنزل الوعر ، ووصل عسكرنا وقد تمنعوا بالنزول. وتجمعوا في الوعور عن السهول. ولم يبق اليهم

نهج الوصول ، واقام الفرنج في ذلك المنزلة اياما ، وقد نالت معاطسهم ارغاما ، حتى استجدوا عندا ، واستنجدوا مددا ، واسسستجدوا ممسسن وراءهسسم عددا ، وأحسسكموا التدبير ، واستادفوا المسير ، ومنها يوم انفصالهم عن قيسارية ، بارتهم الرماة وبرتهم بالمبرية ، وأذفذت اليهم رسل المنية ، وقتلت منهم مقتلة جيدة ، ولن تسزل السسهام الى مقساتلهم مصوبة مسدده ، الى ان احتموا بالنزول وحلوا عقد ذلك البلية عنهم بالحاول ، وقد قتلت من خيلهم عدة الفراس ، لم يذفصل راكبها الا وهو من ثوب النجيع كاس ، ثم كانت المياه في طـريقهم متقـاربة المناهــل ، والمسـافات غير متبـاعدة المنازل ، فــاذا لزوا بــالمنازلة ، ارتــزوا الى المنزلة ، ولاذوا وهــم اهـــل النار بالماء ، وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاحتماء ، ثـم ا سـتقلوا منتصف شعبان سائرين على البحر بعادتهم . وعاديهم شاكين في منهتهم ممتنعين بشوكتهم وشكيتهم . والخيل تجري بهم جريان السيل ، والراجل يلتف عليهم في متلل سواد الليل ، والعسماكر الاسلامية جادلة في عراضهم ، مائلة الى اعتراضهم ، موفقة في مرامها ، مفوقة لسهامها محرقة أهل الجحيم بضرامها ، ولما ذشب فيهم النشاب واعجزهم وازعجهم واحسرجهم بكثرة النكاية فيهسم وأرهجهم ، كابروا وصابروا الى أن وصلوا ارسوف ، وقد شارفوا الخوف وقاربوا الحتوف ، فحماوا بحملتهم حملة واحدة ، وجاؤوا كالسحاب بــارقة وراعدة ، واندفعــت الأطــلاب الاسـلامية امامها ، ولم تثبت قـدامها ، حتـي ابعـدوا بحملتهــم في جملتهم ، وتفردوا بحدركتهم في معدركتهم ، وظنهدا السدلطان هزيمة ، وبانت بالعاقبة انها كانت عزيمة . فإن القلب المنصور ثبت فئة المتحيز، وموئلا المتفرز المتحرز، ووقف الأخ العادل ثابتا قلبه ، ثابتا طلبه ، وكر عليهم في حربه ذوى الحمية ، والأذف والأبية ، والهمم العلية ، كرة ردتهم واردتهم ، وصدفتهم عن بلوغ الغاية وصدتهم، فاستدركت مسا فـــرط في النوبـــة مــن النبوة ، واستمسكت بما استأذفته في العرزمه من القوة ، وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا ، وعاد نظيم هامهم بالعراء نثيرا .

ونزلوا بارسوف، راغمي الأنوف. قدد فال جندهام، وقتال كندهم ، وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين ، كان مسطاع أولئك الملاعين ، وابليس تلك الشياطين ، والمعسروف بسسير جاك ، واستمر حكمه قبل وصول ملوك الاشراك ، وتحت حكمه عدة كثيرة من القوامص والبارونية ، ونفاذ امسره على الداوية والاسبتارية ، وكان من عظم شأنه ، وفخامة مكانه أنه يوم صرع قاتل دونه جماعة من المقدمين المحتشمين فما قتل حتى قتلوا ، ولا بذل روحه حتى بذلوا ، وجـزع ملك الانكتير لصرعه ، وفـزع مـن ورود مشرعه ، ونزلت العساكر الاسلامية على الماء وهدو بعيد من مخيم الكفار، وخيمت عليه بحكم الاضطرار، ثم رحاوا وقصدهم العسكر فصادفهم بقرب يافا ، وكل منهم استدرك بقصده اياها تلفه وتلافى ، فحال دونهم لقدح مذونهم مجيلا ، ومن جمعهم بقمعهم مبيلا ، وعلى قــومهم بــوقمهم محيلا ، حتــي بـاسطهم في ميانينها ، وخسالطهم في بسساتينها ورابسطهم بسسالأسود في عرينها ، وأسرى الحين الى سراحينها ، فما وصلوا المدينة الا وقد تخطفوا من حولها ، واستولى الرعب على قلوبهم من بأس الحرب وهولها ، وخافوا من فريضة مسألة النكاية وعولها ، وما صدقوا كمف نحوا وأفاتوا ، وسكنوا فيها بنية الاستيطان وتثبتوا ، وعلموا انهم ان خرجوا اخرجوا وان سالكوا هلكوا ، وزعموا انهم اذا صبروا ملكوا .

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلاثاء سلابع عشر شلعبان ونزل بالرمله ، واجتمعت الاثقال كلها به في ذلك الرحله ، ورحل ليلا واصبح على يبنى ، وجاوزها الى نهار امار ان الخيام بله تبنى ، وزرنا قبر ابي هريرة رضوان الله عليه ، وتبادر الناس التيمن به اليه ، ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر ، وشرع فيما عزم عليه من الأمر .

ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة احضر عنده اخاه العادل واكبر الأمراء ، وشساور في عسقلان ذوى الآراء ، فأ شار علم الدين سليمان بسن جندر بخرابها ، للعجز عن حفظها على ما بها ، ووافقه الجماعة ، وقالوا قد ضاقت عن صونها الاستطاعة ، فأن هذه يافا وقد نزلوا ولا تفيى الحال بحماية البلدين ، فإن كل واحد منهما يحتاج في حفظه الى عشرين الف مقاتل ، والى الاستكثار لأجل نخسائره ، مسن كل حاصل ، فانظر الى اصوب الرأيين فقدمه ، وابصر اخطر الداءين فاحسمه ، واعمد الى اشرف الموضعين فحصنه واحكمه ، وتيقن ان عسقلان اذا وصداوا اليها هي سالمة تسداموها ، واستظهروا بها واحكموها ، وثقووا بها على سواها ، وبلغوا من بغيتهم وبغيهم الى منتهاها ، واقتضت الآراء ، اقامة الملك العادل بقرب يافا مسع عشرة من الأمراء ، حتى اذا تحرك العدو كاذوا منه على علم ، ومن قصده على عزم، ووصل السلطان الي عسقلان، وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان ، ولو حفظت لكان حفظها متيقنا ، وصونها ممكنا ، لكن وجد كل له متجنبا متجبنا. وقد راعتهم ذوية عكا وحفظها شلاث سنين . وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين ، وقال من تعلل واعتذر عن بخولها . وحل عقد عزمه عن حلولها ، تــدخلها انت أو احــد اولادك ، فندخلهـا اتبـاعا لمرادك ، فحينئذ لم يجد بددا مدن نقض اسدوارها ، وغض انوارها ، وفض سوارها ، وتعفية آثارها ، ولو كان وقع الاعتناء بابتنائها ، مذيوم فتحها واقتنائها ، لما تطرق الى ايدها خلل ، ولا الى يدها شال ، ولا الى حدها فال ، ولا الى ودها ملك ، وقد كنت ركبت اليها وطفتها واستحسنها واستلطفها ، ورايت سورها قبل فصم ســـواره . ونورهـــا قبـــل نيول نواره ، فمـــا رايت احسن منها ولااحصن . ولااحكم من مكانها ولاامكن . وسكانها كانوا في رفاهية . فانتقلوا منها على كراهية . وباعوا انفس الاعلاق

بابخس الاثمان . وفجعوا بالاوطار والاوطان . وساءت اسواؤها . ونأت انوا ؤها . واناخت لا وا ؤها . وباخت اضوا ؤها . وسسمع غناء المعاول في مفانيها المعوله ، ورئيت دائرة الزلزال في دورها المتزلزلة ، وناحت تلك النواحي . ومسحتها المساحي . وجروفتها المجارف . واخافتها المخاوف . وذكرتها المعارف . وبهر رجتها الصيارف . ونعتها النوالعب . ونابتها النوائب . ونزلتها النوازال . وغالتها الغوائل . وسفتها السوافي . وعفتها العوافي . وخلت مدارس اياتها من التلاوة ، وتخلت مجالس مكرماتها عن الطلاوه ، وصوحت مجانى مبانيها ، وطوحت معانى مغانيها . ودجت معالى معاليها . وعادت مقاوى مقاريها . ووقفت على طاولها واستوقفت . واسيت عليها واسفت . وتلهبت وتلهفت . وشاهدتها وقد حسرت وحفيت . ومحى سنا محاسنها وخفيت . وبكيت تلك الربوع . وأهديت لسنقياها الدموع . فلقد اصيب الاسلام بعروسها . وعبست الوجوه لعبوسها . حين ثار نقع بوسها . فلما خلت مساكنها من سكانها . وتخلف بالبيوت رماد نيراتها . رحل السلطان يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان ونزل على يبنى . بعد أن ترك سور عسقلان وقد تعدر أن يبنى . ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرمله . وتفضيل جميله باد على التفصيل والجمله . وا مر بتخريب حصنها وتخريب لد . وبذل كل في ذلك الجهد . وركب جريدة الى البيت المقدس واتساه يوم الخميس. واعاد اليه رسم التأنيس. وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت ذوبة . وقد نال بما رتبسه مسن مصالح القدس المثوبة . وعاد الى المخيم يوم الثلاثاء ضحوه . وقد اكمل من كل مارا مه حظوم . وفي يوم الاثنين ثـامن شـهر رمضـان وصل صاحب ملطية معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان . ملتجئا من اخيه وأبيه الى السلطان . فتلقساه الملك العسادل . وجساءت منه الفواضل. واقام في الخدمة السلطانية مدة . واستجد بها جدة . وقوة وشدة . واستظهر بالمصاهرة . وقوى منها بالمضافرة . فانه تزوج بابنة العادل . وعاد بتاريخ مستهل ذي القعدة ناجح الوسائل . وفي هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكتير في خيالته متنكرا . ليكون لحشاشة لهم وحطابة مخفرا . فضرح عليه الكمين . وذشب به اللعين . وجرى قتال عظيم . وكان لاصحابنا موقف كريم . وكاد الملك يؤخذ ويوقذ . والطعن في لبته يذفذ . فقداه فارس من اصحابه بنفسه . وشغل طاعته بما عليه من حسن لبسه . فاشتغل بسه واسره . واقلت اللعين وأخفى أشره . وقتال واسر من خيالته جماعه . وانهزموا من امر تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم مرتاعه ، وجرت ايضا يوم الجمعة ثاني عشر الشهر . حرب بين اليزكية وبين اهل الكفر . سفرت لنا بها وجوه النصر . وقتل مقدم لهم معروف بالشجاعة موصوف . ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل بالشجاعة موصوف . ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل والعيون . فأمر بهدها وهدمها . وفل غربها وثلمها . واشاع بها لاقامة . وافاض فيها على الاثقال . وانفاذ الجمال لذقال الازواد هناك من الاحتياط على الاثقال . وانفاذ الجمال لذقال الازواد

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في وصدف مطاولة الحروب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح

قد نهك العسكر طول البيكار . وانضاه قتال الكفار بالليل والنهار . لاسيما في هذه السنين الاربع . فانه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومغامرة الكروب على مصيف ولامربع . ولاشتا ولاصاف . الاحيث صف العدو وصاف . وقدد تكررت عليه الزحوف . وتعثرت به الحتوف وتفللت منه السيوف . وتحلحلت به الصفوف . وتمخصت لجني بيضه الصفوف . وتمخصت لجني بيضه وسمره من ورق الحديد الاخضر القطوف . حتى سئم ومل . وضجر وكل . وكم عقد عزمه وحل . وانهل نصله من دم الكفار وعل . وامل النصر فقال عسى ولعل . واما خيوله فقد اجهدها الجهاد . وانضاها الطراد . وفرى جلودها الجلاد . وعزت منها لكثرة الجراح الجياد .

واعادت شهبها كمتا حدود البيض الحداد . وحيث داخلها الرعب من خروج الجروخ للجروح . وتفريق السهام منها بين الجسم والروح . صارت تذفر من رنة الحنيه . وأنة المبرية . كأن عندها للاوتار ا وتارا . ولطائرات النصال في لباتها اوكارا . أو كانها لما رأت أنها تباريها في المطار، وتجاريها في المضمار، ثارت لادراك الثار، وهذا سبب ماحدث من الذفار . وماعادت الآن تبخل على راجل الكفار . واما العدد فقد فقدت بالكلية وعدمت . وتكسرت وتحطمت . وتقصفت وتقصمت . وقتلت قبل المقاتل بها وفي يد من استشهد استشهدت . واما النشاب فانه قد فنى . بعد ان اتخد من اخشابه جميع ما وجد واقتنى . وقد عدمت اشجاره في منابتها . واعوزت اخشابه من مناحتها .وذفضت الكنائن . وانفضت منه ومسن كل مساينخر الخزائن . وماتبرح الصناع في الممالك بمصر والشام . ومايجرى معها من بلاد الاسلام . يبرون ويريشون . وينصداون ويعماون . ويكلمون ويحملون . واحتيج في هذه السنين التسي استمر فيها القتال . الى احمال كثيرة لايفي بها الصناع ولايرفعها العمال . وحسبها ان نصولها اعدمت من حسيدها المعساين . وخلت مسن نخائرها الاماكن . هذا والخادم قائم باداء هسذا الفرض وحسده . مسترهف في قطع دابر المشركين غرب عزمه وحده . وماا ستمر على مساعدته . وموازرته ومعاقدته . الا صاحب الموصل وسنجار . وكلاهما عن سنن الاسعاف والاسعاد ماجار ، فهو يحضر تاره بذفسه وآونة بولده . ويستمر من جدد الموازرة على جدده . ويواظب يعدده وعدده . ومدده في مطاولة مدده .

ذكر ماتجدد لملك الاذكتير من المراسلة والرغبة في المواصلة

وصدات رسل ملك الانكتير الى العادل بالمصافحة على المصافاه . والمواتاة في الموافاه . ومدوالاة الاستمرار على الموالاة . والاخدن بالمهاداة . والترك للمعاداة . والمظاهره . وتدريدت

الرسل اياما . وقصد التئاما . وكادت تحدث انتظاما . واستقر تزوج الماك العادل باخت ملك الانكتير . وأن يعول عليها مسن الجانبين في التدبير . على ان يحكم الملك العادل في البلاد . ويجدى فيها الامر على السداد . وتكون الامرأة في القدس مقيمة مع زوجها» وشمسها من قبوله في اوجها . ويرضى العادل مقدمي الفرنج والداوية والاسبتار ببعض القرى . ولايمكنهم من الحصون التـي في الذرا . ولايقيم معها في القدس الا قسيسون ورهبان . ولهم منا امان واحسان . واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد . وجماعة من الامراء من اهل الرأى والسنداد . وهم علم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشارة وقال لنا؛ تمضون الى السلطان . وتخبرونه عن هذا الشأن . وتسألونه أن يحكمني في هذه البلاد . وأنا أبذل فيها ما في وسع الاجتهاد . فلما جئنا الى السلطان عرف الصواب. ومااخر الجواب . وشهدنا عليه بالرضا . وحسبنا انه كمــل الفــرض وانقضى . وذلك يوم الاثنين تاسع عشري رمضان وعاد الرسول الى ملك الانكتير لفصل امر الوصلة . واراحـة الجملة،وازاحـة العلة . واعتقدنا ان هذا امر قد تم . وذشر انضه . وصلاح عم وصلح أذم ، وحكم مضى ، واستحكم به الرضا ، وان الانشى تميل الى الذكر . وتزيل وساوس الفكر . وان بسركوب الفحل . النزول عن النحل . وان الشكر يجلب الشكر . ويبذل بالعرف الذكر . وان الوقاع يؤمن من الوقائع ، وأن القراع ينقضي بانقضاض القارح القارع . وان الحرب بكسر الحاء وحدذف الراء سدلم . وان غرم العرس في العسر يسر وغذم. وان هذا الاخلتك الاخت كفو. وان هذا العقد للخرق المتسع رفو . وان الكدر يعقبه صفو . وان التزويج ترويج ، وتقويم لما فيه تعويج ، وشاع الذكر ، وضاع النشر ، وذاع السر . وبلغ الخبر الى مقدميهم ورؤوسهم . فقصدوه على قسوسهم . وعسر وا على عروسهم ، فجبهوها بالعذل واللذع . ونجهوها بالقدع والقذع . وقالوا لها كيف تفجئننا بافجع ملم مؤلم . وتسلمين بضعك لمباضعة مسلم . فان تنصر تبصر . وان تسرع فما تعسر . وأن أبي أبيناه ، وأن أتي أتيناه . وأن خالف خالفناه . وأن حالف حالفناه . وأي وجه ههنا للائتلاف . ونحسن لاختلاف الدين ندين بالخلاف . فرهبت بعد مارغبت . وبطلت بعد ماطلبت . وسالت بعد ماسألت . ونزت بعد مانزلت . وكرهت وكانت شرهست . وكانت اكتحلت فودت انها مسرهت ، فأرسلت الى الرسسول واقبلت عليه القبول . ثم تصلبت في القسم بالصليب . انها مجيبة الى التقرير والتقريب . وانها مسارعة الى التكمين . لكن بشرط الموافقة في الدين . فانف العادلوعدل عن استئناف الحديث . وابى الله ان يجمع بين الطيب والخبيث . واعتذر الملك بامتناع اخته ، وانه في معالجتها وتعرف رضاها في وقته . وكان قد استقر مع تمام العهد . وانتظام العقد . مفاداة كل اسير بأسير . كبير بكبير وصغير بصغير . وبشر ولياء الطاغوت بصليب الصلبوت فبطل التدبير . وعطل التقدير .

وفي يوم العيد الثلاثاء اعد السلطان من الليل خلع الاكابر حتى سارت اليهم بكره. واحدث بحسن احتبائه لكل عين وقلب قرة ومسرة . ثم استدعاهم الى سماطه . ونشر لهم بساط نشاطه . وجلس الملك معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان عن يمينه واعزه بتقريبه وتمكينه . ويليه حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل . ولسمو منزلته بنو المنزل . وعلاء الدين ابن اتابك الموصل عن يساره . وهو يؤثره باختصاصه ويخصه بايثاره . ومجاهد الدين يرنقش مقدم عسكر سنجار جالس . والاكابر كلهم هناك في منزلته منافس . ثم تفرق الناس بانس جامع . وعرف شائع ، وعرف ضائع .

ذكر نزول السلطان جريدة بالرمله ليقرب من العدو ومواقعته له في كل يوم ·

تواتر الخبر بان الفرنج على عزم الخروج . وانهم على الاجتماع في دلك المروج . فسار يوم الاثنين سابع شوال . وقدد اركب العسكر

القتال . فلما بلغ قبلي كنيسة الرمله . جميل الحال حالي الجملة . خيم وبات . ونوى البيات والثبات . وجاء الخبر في غد . بانه خرج العدو الى يازور في ا وفر مدد ، وتسارع العسكر اليهم . وتحكاثروا عليهم . وقربوا من خيامهم . واخذوا عليهم من ورائهم وامامهم . ونا شبوهم بالنشاب . وكاثروهم بالأوباش والأوشاب . فركب الفرنج اليهم ركبة . أوجبت رهبة . وحملوا على الناس حملة واحدة . وحلت عجاجة عليهم عاقدة . فاندفعوا بين اينيهم . فادركوا ضعافا طمعوا فيهم ، وفقد من المسلمين ثلاثة بالشهادة . وكانت مسعاتهم الى السعادة . وكذلك في كل يوم ركب السلطان مايخلو من وقعه . ولابد للكفار فيها من صرعه .

ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعاء سادس شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة . بان يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة . فكمنوا وامنوا وصبروا وانتظروا . وخرجت الفرنج للاحتشاش . وباشر واعثار انحصارهم في الاصحار بالانتعاش . ولقيتهم اعراب على عراب . بصوارم في ايمانهم كانها بروق في سحاب . فركبت اليها من الخيام . ورحبت في ترحيب صدورها بصدور الحمام ، فاندفعت العرب امامها . وحققت انهزامها . وماقدرت على قصدموضع الكمين . لانسداد الطريق بالاساد الشم العرانين دون العرين . الكمين . لانسداد الطريق بالاساد الشم العرانين دون العرين . فمرت العرب في جانب والكمين في جانب . والخيل تركض بسالب من سالب وناهب من ناهب . ونجا العرب . وفاتهم الطلب . وحضر وا باسارى ونهاب . وافراس واسلاب . فاما اصحابنا في الكمين فانهم باسارى ونهاب . وافراس واسلاب . فاما اصحابنا في الكمين فانهم ابصر وا الفرنج ناهضين وفي المعترك راكضين . ففرجوا على ظمن ابصر وا بهم نشبوا بردهم عن وردهم . وركضوا اليهم على بعد . فاتعبوا الخيل بما جدوا فيه ممن احضار وشد . ووصلوا الى الفرنج والجياد قد رزحت ، والقوى قد نزحت .

فاضطروا الى القتال وقاتلوا على الاضطرار . وقتلوا جماعة من كفاة الكفار ، واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص الكبار . وهم اياز المهراني . وجاولي الفيدي . وصارو . وسرو افي جنات النعيم بما اليه صاروا . واسروا من الفرنج فارسان معمروفان واحضروا عند السلطان وانفصلت الحرب وقت الظهر وعاد حزب الاسلام عن حزب الكفر . وجلس السلطان والقلائع تعرض عليه . والخيل تقاد اليه . والأسارى يحضرون بين يديه . واخوه العادل عنده جالس . وكلاهما لأخيه مؤانس .

ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك لأجل ملك الاذكتير ثلاث خيام . واعد فيها كل ما يراد من فاكهة وحلاوة وطعام. وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة. ودامت المثافنة والمنافثة . ثم افترقا عن موافقه اظهراها ومصادقة قرراها . ومضى الملك واستضحب معه الكاتب العادلي المسروف بالصنيعة ليتفقد الأساري النين بيافا . ويتدارك المرهم ويتلاف . وكان قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة المركيس. وأنه يرغب في سلوك نهج التانيس . وان يكون للسلطان مصالحا . وله على الطاعة مصافحا . حتى يقوى يده على ملك الانكثير . ويفرد هرو بالملك والتدبير . وعرف ملك الانكتير بالحال . فوصل رسوله ايضا بالاحفاء بالسؤال. ومضى العدل مع صاحب صيدا. الى المركيس على شرائط قررت وذسخ ايمان حررت واما مراسلة الملك فلم تسفر عن المقصود . ولم تجر من تلونه الا على المعهود وكلما ابرم عهدا دقضه وذكته . وكلما قوم امرا عكسه وعلته . وكلما قال قدولا رجع عنه . وكلما استودع سرا لم يصنه . وكلما قلنا يفي خان ، واذا خلنا انه يزين شان ، وعن كل خزي ابان ، وفي يوم الاحد سابع عشر عاد السلطان الى المخيم بالنطرون . وأقام على التبات والسكون وفي يوم الخميس مستهل ذي القعسة سارابن قليج

ارسلان صحاحب ملطيه محودها وركب السحلطان وسحارمعه مشيعا ، وعقد له على ابنة الملك العادل بصداق مائة الفدينار . ومضى وقد حصل على نخائر من استبشار وافتضار . واستبصار ، واستنصار . ويسر ويسار .

ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها .وخيموا في اقطارها وسهوبها .ولم نشك في انهم على قصد القدس بأهل الرجز والرجس . وأقام السلطان وفي كل يوم له سرايا ، للكفر منها زوايا ، ولنا في كل يوم وقعة شديدة وفتكة بالكفر مبيده . وما يخلو يوم من اسرى تقاد . وغنائم تستفاد ، ثم توالت الأمطار ، وتوعرت السهول ، وتوحلت الأوعار . فعزم على الرحيل ، وامر بالتحويل .

ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة التـــالث والعشرين ذي القعدة.

وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل . والنصر شامل وفضل الله متواصل . ونحن معه سائرون . ومن بركة الجهاد الى بسركة القدس صائرون . والقاضي بهاء الدين بن شداد يسايرني . وفي مسألة من الخلاف يباحثني ويناظرني حتى وصلنا الى القدس قبل العصر . وقد نشر للسلطان لواء النصر . ونزل بدار الاقساء المجاورة لكنيسة قمامه . ونوى بها الاقامة . وشرع في تحصين المدينة . لتحصيل السكينة . وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في قية الصخرة . وضجت الألسنة في الدعاء له بالنصرة .

وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة وصل حسام الدين ابو الهيجاء من مصر ، بعسكر مجر . وتبعته بعد ذلك العساكر المصرية . ووصل الخبر بنزول الفرنج بالنطرون . وأنن ذلك بتزاحم الافكار وتدراجم

الظنون وتزايل السكون . وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة .
تم على العدو بها صرعه . فان السلطان نفذ تلك الليلة الى اليزك
قريب بيت نوبه . عدة من الفرسان مجدة لم يستصبحوا الا حصنهم
المجذوبة . فوقعوا على سرية للفرنج فاستأصلوها . واسر وها
وقتلوها . ووصلوا بزهاء خمسين اسيرا الى القدس . وعاد ذلك منا
ببرد القلب وطيب الذفس . وكانت بشرى عظيمة . ونعيى كريمه ،
وحسنى عميمه . وكذلك سابق الدين صاحب شيرز . ومن معه من
العسكر واقعهم يوم العيد فقتل من مقدميهم ساتة واسر اربعة ،
وترك بالمعركة منهم مصرعه . وكسب منهم خيلا . وكسبهم ويلا .

يوم عيد الأضحى بالقدس

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة وتضاعفت الحسانة على الحسانة غير ان العيد بالقدس كان يوم الأحد، فلم ير ليلة الخميس الهلال احد. ونصب السلطان خارح قبة الصخرة الخركاه الخاص. وصلى الناس في القبة العيد حواليها العراص، شم انصر في السلطان وقد بر عمله. ودر امله، ووفر اجره، واسافر فحره.

وقعة

في يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجمة أغار على طريق الفرنج بالرملة سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر وكلاهما يجد في الجهاد ولا يقصر . واخذا غنائم واموالا . وساقا خيلا وبغالا . وكسبا احمالا واثقالا . واسرا ممن كان مع القافلة ثلاثين . ووقفوا بين يدي السلطان على ركب الذل جاثين . وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب وكسرت وكثرت منهم الكسوب . واستعرت فيهم الحروب . وزادت الكروب وضاقت عليهم الارض . واستولى على

عقود عزائمهم النقض ، ورأوا انهم قهروا فقهقروا ، واحاط بهم البلاء مسن الجسوانب فمسسا صسسبروا . ورحلوا الى الرملة عائدين . وبالسهول من الحزون عائدين ، فان الثلوج دامست على اولدك العلوج . وصدتهم عن الدخول والخروج . ونزلت بهم النوازل في ذلك المنازل ، فنفروا راحلين الى السواحل . وذلك يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي الحجة . فطابت قلوبنا بما وضح في النصر من المحجة . وثبت الحق على الباطل من الحجة .

ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القددس وحفر خندقه وتجديد سوره واعادة رونقه

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين ، وعدتهم خمسون رجلا . اذا اجتمعوا قطعوا جبالا وقد سيرهم صاحب الموصيل الى القدس للعمال في الخندق وتعميق الحفار . والقاطع في الصخر . وقد سفرهم بذفقة . وجعلهم من الاحسان على ثقة . واصحبهم بعض حجابه . ونداهم بندى سحابة ، وسير مع المندوب مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر . ويتعاهدهم في كل يوم بتفقد بر. واقاموا نصف سنه. واتوا في صنعتهم بكل حسنة . وصدمم السلطان على حفر خندق جديد عميق . وانشاء ساوروثيق وأحضر من اسارى الفرنج قريب الفين . ورتبهم في العمارتين . وجدد ابراجا حربية من باب العمود الى باب المحراب . وأذفق عليها من المال ما خرج عن الحساب. بناها بالأحجار الكبار الثقال، فجاءت ارسى وارسخ من الجبال . وكان الحجر الذي يقطع من الخندق يستعمل في بناء السور وانا تكملت العمارة على ما رتبه للقدس المعمور . كان آمنا من قصد العدو المدحور . وفي عصدمة الله من المخوف المحذور، وقسم بناء السدور في مدواضعة على ا ولاده واخيه الملك العسادل وامسرائه . وصسار يركب كل يوم ويحض على بنائه . ويخرج الناس على حمل الحجر الى مدواضع البناء . ويتدولي ذلك

بذفسه وبجماعة خواصه الأمراء . ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية . وحواشي العسكر والاتباع والرعية والسوقية . وكنت اركب في غلماني واتباعي واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر واراعى . فبني في اقرب مدة ما تعذر بناؤه في سنين وبذل جهده في التحصين لتأمين المؤمنين .

ذكر من توفي من الأكابر والمعروفين في هذه السنة وفاة تقى الدين

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهدشاه بن ايوب ابن اخي السلطان . يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان . وهو على حصار ملاز كرد من عمل ارمينية وقد سبق ذكر مسيره الى بلاد الجـزيرة . لاستمداد الامـداد الكثيرة واسـتجناد الانجـاد . والاسـتنجاد بالاجناد . والجمع من جميع الجهات الجهاد . والعـود سريعـا بالحشود الجـامعة والجمـوع الحـاشدة . والجيوش المتـرادفة المترافدة . والجنود المتوافرة المتـوافده . والقـواضب الفاصلة . والمواضب الهاطلة . والمصافحين بالصفاح . والمختالين في اعطاف المراح بـاطراف الرمـاح . والحـاملين الجبـال على الرياح . والمتعطشين الى انتجاع النجيع لارواء الأرواح . ومـكث السـلطان والمتعطشين الى انتجاع النجيع لارواء الأرواح . ومـكث السـلطان على انتظاره . متوجسا لأخباره ، مستوحشا من ابطائه ، متعطشا الى انبائه . منتظرا لوفائه . فلما اخذ الفـرنج عكا نسـب ذلك اليه واحـدسب الله عليه .

فأما تقي الدين فانه عن له ان يمضى الى ميافارقين . واستصحب اليها عساكر ماردين . وذفذ الى السدويداء وانترعها من ايدي اصحابها . واستحوذ على جميع مابها . وحاصر مدينة حاني فتملكها . وكانت له مقاصد في ديار بكر فأدركها . واقتطع بلادا من ولاية ابن قرا ارسلان واقصعها . وارعب القلوب بما ابتدا به

وابتدعه وروعها . وتأخرت عنا بسبب ذلك عساكر بيار بكر . وحصلت منه على عذر وذعر . وراعت هيبته ، وهبت روعته . ودبت الى الخواطر مخافة اخطاره . وشبت في القلوب لوا فع ناره . وارتجت تلك الآجام من زاره . وازورت من مزاره . وبليت تلك البلاد ببالنه . وهاات الأعداء هباة اعدائه . وزلت الأقدام لاقدامه ، وانخفضت الاعلام لاعلاء اعلامه . نفي عدله من جبل جور جبلة الجور ، وأنهــــب بـــبنهابه اليهــــا فــــوران الفتنة على الفور ، وبخل قلب قلب ، وحكم في عداتها الغلب القضي ، وقصد عسكره عسكر بكتمر فكرسه ، ثم سرح بالاحسان وأطلق من أسره ، فغار بكتمر واشتعل بنار الأذف أذفه ، واعتلق بانن الشذف شنفه ، وانتخت حميته ، وحميت نخوته ، وغيرته غيرته ، وعيرته رعيته ، وأودعته الههمة همته ، وحسركته عزمته ، فاجتمعت جماعته وأمته أمته ، وماأرجاً له نجح رجائه رجاله ، وماأبطأ له عن اعانته أبطاله ، وأجناه ثمر الطـاعة أجنابه ، وأنجاه بجهد الاستطاعة انجابه ، وجرر عسكرا مجرا ، وساق الى الحرب بحرا ، وأوقد بالجمع جمارا ، وجلب بيضا وسمرا ، ودهما وشهرا ، وصوارم بتهرا ، وصواهل ضمرا ، وانهض كمته وكماته ، وحشد رعيته وذوى حميته وحماته ، وساكني ولايته وولاته ، ونساوره وبفاته ، وسامانه وغثائه ، ومتانه ورثاثه ، وشباعه وغراثة ، وجاء في سـواد ا سـود منه الجو ، وانست بتظلامه الضيو ، وتحلي بنجيومه ليل العجاج ، وتجلى بسفوره صبح الهياج ، وأبدرق وأرعد ، وتحدر وتصحد ، وسار بين الأكام بالآكام ، وضاهى الأعلام بالأعلام، وأذكى مذاكيه الجياد، وأجرى ضوامره وهـواديها قـد ملأت الوهاد ، وأدنى الى الأساد الآساد ، وأغرى بـالجلاد الأجلاد ، وجدنب الجماح عرانه ، وجلب الكفاح رعانه ، وضرع المراح رماجه ، وأطلع في سنى الصباح صدفاحه ومساجت غدران دروعه ، وهاجت غران جمدوعه ، ومسالت المراز، ، وجسالت الأقران ، وسال المرت ، ومرت السيول وتسهلت الوعور وتـوعرت السهول ، وانقض القضاء وانقض الفضاء واشتكت الأرض من

الحواقر الحوافر وقعا فأثارت لفرط تسألمها على شرط تظلمها الى السماء نقعا ، وحثت في وجه الفلك ترابا ، وحثت الأتراب الأتراب طعانا وضرابا ، وخاف على خلاط واختلط من المخافة ، فقصر الى الملك المظفر طول المسافة ، فلما عرف اصحار خادره ، وانتشار بوادره • وانتهاض قوادمه ، وارتكاض صلادمه ، وانقضاض شهب قواضيه ، وانفضاض دهم سلاهبه ، اصطف بمن اصحطفاه من الأنجـاد الأنجـاب ، وفض على الفضـاء سـحاب الصحاب ، وبسلط على البسليطة رداء الردى ، وأعدى بعلوه على العدا، وركب في كل ضرب بعد الضرب ضربا من الضرب، وكل بطل لحق المبطل محق الطلب ، وكل باسل سالب من كباش الأقدران القرون ، وكل عاسل بعاسل يمين بالمني ويمون المنون ، وكل شجاع اشاجعه وصائل القواطع ، وكل مقدام قوادمه عوائق الوقائع، وكل طائر بأجنحه السوابق ، زائر بأسلحه البوائق ، محلق بخوافي الخواذق ، مطرق لطوارىء الطوارق ، وكل ذمسر مشيح بسالذمار شحیح ، وكل قاس قدوسه عاطف ، وكل راع نصدله را عف، وكل صاد عزمه صادق ، وكل رام لحظ سهمه الى المقاتل رامدق ، وأيد رجاء الرجال باياديه ، وقدوى عزائم أوليائه لأضاعاف أعاديه ، ورغب بالرغائب واملى ضيوف الآمال بفيوض أمدواه المواهب ، ونخى المنتخين ، وانتخب المنتخبين ، وأقدم في كل مقدم مقدام ، وضيغم ضرغام ، وهمام همام ، ومعتقل اسمر يرشف ظلم القلوب ، ومشتمل ابيض يكشف ظلم الحسروب ، وكل من يخال الطعن ضرب القداح والضرب بحد السوام ، وكل من ينال اعتنزاز الجد بجد الاعتزام، وكل من يعيد اقاحي البيض شقادًق، ويصل بها اذا فارقت اغمادها المرافاق ، وكل مسن عنانه في يمين الجماح ، وسنانه مرود عيون الجراح ، وكل من ذبال سمهريه يلتهب ، وذباب مشرفيه يضطرب ، ووجوه صدوارمه تبكى وتضحك ، وعيون تفتك وتبتك ، ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه ترمى ، وسواعد سيوقه من أيدي الأيد تمد وتدمى ، وكل اشدعث الهامة ذي همة ، تشعب صدع كل ملمة ، وكل شهم شيظمي • أباء حمى • مجرب محدرب • مقدرب على مقدرب • مصطهر على

- ٦١٦٨ -مطهم • جار بمرجم ، باز بمخدم ضار بأرقم ، جواد حليم تحمد في الوغي جهلاته ، على جواد كريم ، تدعو الى الردى صهلاته ، وكل بحر مستلئم بفسير ، وكل مس عنده اذا لبس الحسيد انه لابس حرير ، فلما بصر عسكر خالاط بعسكره اختلط ودّاو استدرك الفلط ، وجاش وطاش ، ورام من عثرته الانتعاش ، وولى هزيما ، ولوى هشهيما ، وأغنم العسكر التقوي سلاحه وخيله ، وجــر على تــراب الذلة نيله ، وظفــر الملك المظفــر بالدلك ، واسلم العدا الى الهلك ، وقيد اليه امراء اسرو إ واصحاء كسروا ، فأطلق سراحهم ، وانهض بتشريفاته جناحهم ثم رحل من صمراء موش ، وساق الى خلاط الجيوش ثم بدا له من حصارها فأقرها بسلب قرارها ، وعرج على قلعة شميران فتشمر لها ، وفتح مقفلها وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط بها محبوسا ، ومن حياته يؤوسا فخلصه واستخلصه ، وكسر حتسى طهار منه قفصه ، وانه لمن اعجب القصيص لو شرحت قصيصه ، شم راح الى ملار كرد ونازلها بالتضييق، وقاتلها بالمنجنيق وحشد اليها الأمداد ، واروى فيها من عزائمه الزناد ، وجاءته عساكر ارزن الروم منجدة من جده ، موجدة لما لها من موجدة ، تقدمها الملكة ماما خادون بنت سلدق ، وكأنها في الأهبة والأبهة مسن ملوك سلجق ، ووفد الى تقى الدين الجدود، ووافقته السعود ، وخافته في غاباتها الأسود وغربت به العقول وعلقت به العقود وتوطدت له البلاد وتوطأت وتهيبت وتهيأت ، واستدنته الممالك القساصية ، وأطساعته المقاصد العاصية ، وتشذفت له مسامع الأقسطار بافراط السمم والطاعة ، وعم الأمحال ذلك المحال ففض بما افاضه من فدواضله مجاعة الجماعة ، ورجى وخشى واعتفى وغشى وامتلات الطرق بالوفود والجنود ، وتوالت اليه أمداد البأس والجود ، فبينا هـو في غفلة من القدر ، وغفوة من الكدر ، وغرة من الغير ، وقد الهام حديث الدنيا عن الحسادث الداني ، وجنى الحياة عن الموت الجساني وزيادة الأمـــل ، عن زيارة الأجــل ونزل المنى عن ذوازل المذون ، وسكن الأتراب عن التراب المسكون ظهر له سر الغيب المكتوم ، وأدركه القضاء المحتوم ، ومرض اياما ثم قضى وانقرض عهده وانقضى ، وكتم ولده الملك المنصدور ناصر الدين محمد وفاته ، الى ان خرج من ذلك الاقليم وجاوزه وفاته ، وفتحت مسلاز كرد بابها ، وسلم الرب اربابها ، وخرج ولد تقي الدين بعسكره وماله سالما ، وجد في مقام والده بإظهار شعاره قائما ، وجاءت رسله الى السلطان تسأله في ابقاء بسلاد ابيه بيده ، حتى يبقى مستمرا على جدده ، وطلب من السلطان الميثاق له باغلظ الايمان فلم يقبل الشرط واشتط فشط وجلب له الشطط السخط ، واقام على التباعد ولم يتدارك بالوصول مامنه فدرط ، ونسدوه في استيحاشه الى العصيان ، وسعوا له في اسباب الحرمان ، حتى انتخى له الماك العادل فمضى لاحضاره وجدرى الأمر على أيثاره وسيأتى ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان .

وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجبن ابن اخت السلطان

توفي بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين فأصيب السلطان بابن اخيه واخته في يوم واحد ، كلاهما له اقوى ساعد ، وأوقى مساعد ، فيالله من حسام أغمد ، وهمام ألحد ، وركن وهن وكنز دفن ، وبحر غاض ورزء هاض ، وصبح كسف وبدر خسف لقد غامت الأيام لغمه ، وثكلته الدولة شكل امه فانه كان واحدها وعضدها ومعاضدها وهدو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان معه ، وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه ، وقد سبق في الكرماء مسانكره ، وذكر في المكارم سيفه وقدرظ حذقه ، ووصفت مقاماته ، وقمت بصفاته ، فان له مواقف في الجهاد مشكوره ، ومقاطف لحني النصر مشهورة ، فقطع الأجل عليه طريق الأمل ، وأعاد حلية الزمان به الى العطل ، وأوهن عقد شبابه الطري وحله ، وثام حدد شسباه الطرير وقله ، ومازال في غزواته مثيرا للتراب الى أن سكن عليه التراب وسكنه ، وطالبه

الثرى بحق خلقه معه فاسترهنه، وغارت عليه الأرض بانطلاق سموه ، الى السماء فاعتقلته ، ووجدته في اوج الفلك في النيرات فنقلته ، وماكان إزكاه واذكاه ، واصحه واصحاه ، وابهجه وابهاه ، وأضوعه وأضواه ، وأوعاه للفضائل وأحواه ، ولقد فجعت به صديقا صدوقا ، وشقيقا شفيقا ، ورفيقا رفيقا ، فلهفي عليه من شهم توطن التراب ، وسهم اصيب بعد ماأصاب.وجواد بلا حساب لم يخطر بالبال من رزئه حساب (لكل أجل كتاب)(الرعد ٣٨)

وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان بن جندر وقد سبق ذكره في غزواته ، ومواقفه ومقاماته ، وكان في الخدمة مقيما ، والسلطان الى الأنس به مستنيما ، فعرض له مرض استأنن لأجله في العدود الى وطنه بحلب ، وسمح له السلطان بجميع ماطلب ، وتدوجه من القدس سادس عشر ذي الحجة ، واستقام على المحجة ، وقضى نحبه عند قربه من دمشق في قدرية غباغب ، وستر التدراب منه المناقب ، ووصدل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس شامن عشري الشهر .

وفي هذه السنة فتك بأتابك مظفر الدين قزل ارسلان ابن ايلد كز في همذان ليلة الأحد مستهل شعبان .

كان تولى الملك بعد وفاة أخيه المعسروف ببهلوان في سانة اثنتين وثمانين وخمسمائة ونجحت ارادته ، ورجحت سعادته ، وصلحت عاداته ، وكان السلطان السلجقي طغرل بان ارسالان تحدد حكمه ، وهو ابن أخيه لأمه ، وله اسم السلطنه ولقزل حكمها ، وله سموها ووسمها ، فأنف السلطان من كونه تحت حجده ، وبحدكم نهيه وأمره ، فانه لم يكن له صاحب ولاغلام الا مان عنده ، ولم ينفرد منذ تولى بحله وعقده فهرب وحده تحت الليل ، واتصل به بعد ينفرد منذ تولى بحله وعقده فهرب ودام غائبا في نواحي دامفان نلك من انضم اليه مان الخيل ، ودام غائبا في نواحي دامفان مماليك

بهلوان الخواص، وسلكوا معه نهج الاخلاص وأعادوه الى سرير ملكه ، وانتسق امره في سلكه ، وقدويت يده ، وتأيدت قدوته ٠ واجتمعت كلمته - وتكلمت في الأمر والنهي جماعته ، ورهبه قزل ارسلان ولازم ذعره • وأخذ منه حذره ، وتنافس الأمراء وممساليك بهلوان النين تبعوه . وأعلوا شأنه ورفعوه . وسعى بعضهم ببعض وقابلوا كل ابرام من مكرهم بنقض . وقالوا له هؤلاء البهلوانية يغتالونك . وبالسوء ينالونك . فابطش بهم قبل أن يبطشوا . وعثرهم قبل أن ينتعشوا . فسمع مقالهم . وتبع محالهم . وقتلهم بحضرته وهم غارون . وساءهم باغتيالهم وهم بالغالاة فيه سارون . فذفر منهم كل آنس . وحفظ نفسه من كل منافس . وزال بشره وبقي بوجه عابس . وفارقه بذو البهلوان بجنايته على مماليك أبيهم . ولقوه بتأبهم . وقصده قزل ارسلان فأزعجه . وأخرجه من دار ملكه وأحرجه • وأجاس سـالطانا أخـر مـوضعه . وكدر عليه بالشوائب والنوائب مشرعه • وخطب لمعز الدين سنجر بن سايمان شاه وأطعمه طعمه . وأرضاه بالاسم ، وأجدراه على الرسم • وكاتب سلطاننا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد • وانتظمت بينهما 1 سباب الانجاد . وكان السلطان طغرل إذا خلت همدان من قرل ارسلان يعود إليها • ويستولي عليها • ثم اذا عرف قدربه بعد • واذا علم بعده قعد • وشرع يقتل أصبحابه بالتهم • ويشتد في النهب اشدة النهم • فقتل فضر الدين رئيس همذان • وبـث العـدوان • وقتل وزيره العزيز بن رضي الدين المستوفي الأمر توهمه ولخاطر لم يكشف مهمه • فالجأ الزمان إلى الوصول إلى الامير حسن بن قفجاق • وشكا إليه من أهله وأصحابه الشقاق • فخرج معه وأذره وضافره • وظاهره بعد أن صاهره • وزوج أخته منه • وحمي جانبه وذب عنه • وراسل سلطاننا قزل ارسلان حتى يصالحه • ويصافحه على الوفاء ويسامحه • وكاد أن يتم الصلح . ويسفر بعد ليل الفتنة الصبح • فلما تقاربا للمصالحة تحاربا • واتهم كل واحد منهما الآخر فتواثبا • وأوقع قزل أرسلان به وبالتركمان • وعادت الفتن ملتهبة النيران . وساق السلطان طغرل الى همنذان • فمضى وراءه قزل ارسلان • فخرح اليه ثقة بما سبق من الايمان . فصر ف

عنانه • وقيضه وأعرض عنه واعترضه • وحيسه في بعض القلاع • وابعد عينه وأثره عن الابصار والأسهماع • فهاتسقت له المملكة • واستقر منه السكون والحركة • وكانت أصفهان منذ تـوفي البهلوان قد اضطربت واحتربت • واقتربت الساعة بها وخربت • وقتل في ثلاث اربع سنين منها في محاربة العوام الوف • وتوالت بها حتوف وزحوف. وكانت الشحن من جانب قزل على الشافعية • وقووا أيدى الترابية في تخريب المدرسة النظامية • فاحوجت الضرورة إلى أن اصحابنا دعوا بشعار السلطان • ووجدوا القوة به أمام قوته والامكان • فلما اعتقل طفرل • واستمر أمر قرن • مضى إلى أصفهان فاخذ رؤساء الأصحاب في المحال • وأجرى عليهم القتل والاغتيال • ثم عاد الى همذان وقد قوى وروى . ونال ما هـوى . وذشر من أمره ما كان طوي . وجاس على سرير الملك وضرب الذوب الخمس . ووجد بعدم من يوحشه الانس . ولها ولعب . وشرب وطرب . وغفل عن القضاء المشتبه . ونام عن القدر المنتبه . واغتـر بالعيش الرفه . وحلم عن الخطب السفه . وبات في قصره . وقد غاب في سكره . وهو بين خدمه . وحشمه . وعسسه ، وحرسه . وعتقائه وأرقائه ، ومستخصية ، ومستخلصية ، فــوجد على فــرا شه وهــو قتيل ، ولم يذكر كيف قتال ولم يكن عليه سابيل ، فنساب قتله إلى الاسماعيلية تارة وإلى الخاتون الانيانجية أخرى ، والله أعلم بما به حكمه أجرى ، ولما أصبحوا قتلوا صاحب بابه وحل العقاب بسه دون اربابه ، وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان مـوضعه ، وجمـع له ملكه ومتعه ، ومضى أخوه نصرة الدين أبو بكر إلى اذربيجان وأرانيه سائقا إليها واستولى عليها . وأما السلطان فانه أيس منه . وسلا من كان يواليه عنه . فتعصبت له أمراة متولى القلعة ودبرت في خلاصة . وهونت على زوجها أمر استتصعابه واعتياصه . واستعانت بمن أعانها . وأعلت بإعلاء شأنه شانها . ولما برز بخل مدينة تبريز . وكانما الكير أخرج الابدريز • ثـم جمـم ومضى على سمت همــذان • فلقــى قتلغ اينانج وعسـكره بين أوه وزنجـان • فكسره وهزمه • وفل حده وثلمه • ومضى إلى همذان • وجلس على سرير ملكه وذلك في سنة ثمان • وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله •

وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من أصحاب السلطان صدفي الدين أبو الفتح ابن القابض وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد كان سريا . وبالحمد حريا . وفي حلبة المكارم جريا . ومن الخيانة في ولايته بريا . ومن العار عريا . ولم يزل زند مضائه وريا . وكانت له سياسة ورياسه . ونفس ونفساسه . ورأي وفراسه . وفطنة وكياسه . ومروة وفتدوة . وثبات جنان وقدة . وكان قد خدم السلطان أيام عدمه . وهو في كفالة أبيه وعمه . فلما ملك مصر أمرجه في أموالها . وحكمه في أعمالها حتى نال المنى . ووجد الغنى . فقال له قد اكتفيت واستغنيت . وإن صرفت الان ما باليت . فاصرفني عن العمل . فقد ذلت غاية الأمل . فعاش غنيا . ومات جشريا . وورث السلطان بعض ماله . وذلك ما فضل عن الفضاله ، فانه فرق على مماليكه املاكه وماله ، واخفى بعد وفاته وما بذله حاله .

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول توفي الحكيم الموفق ابن مطران وكان بارعا طريفا ، نظيفا عفيفا ، وفقه الله في بدايته لهداية الاسلام ، ونال اسباب الاحترام ، وتقدم عند السلطان . وماشانه وهو كبير الشان ، وكانت له دراية ودراسة ، وذكاء وفراسه ، ولم يزل متلطفا في طيه ، متعطفا بحبه ، متحببا الى القلوب . متقلبا من قبوله في المحبوب ، صبيح البهجة فصيح اللهجة ، صحيح الحجة بسوضوح المحجة ، ولم يزل له عند السلطان وذوي الجاه ، ولجده انتباه ، ولدا واته بالشفاء شافه ، حتى حان اجله . وخان امله وبان عنه حلى حاله وبان عطله . وكانت له عندي يد اذكرها واشكرها . وعارفة اعرفها ولا أذكرها . وذلك انني في ني القعدة سنة ثمانين كنت متوجها في خدمة السلطان وفي صحبته متوليا للانشاء مذفردا بمرتبته . فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بها لمرض عرض وشكا جوهري العرض ، وانتهى اليه بدمشق ما الم بي من الألم ، فتقسم فكره من خبر السقم ، وركب ووصل في يومه حتى ادركني ، ومرضني وما تركني ود اواني حتى

ابلك ، وازال الله انحراف مزاجي بطبه فاعتدلت ، وصحبني الى دمشـــق وســبق الى اوليائي بـالبشرى وشـــكرت الله على النعمي ، وكذلك كان يطلب مرضاتي ، في جميع مـرضاتي ، فلما مرض الطبيب لم ينجع في مرضه الطب ، وتوفاه الرب .

وفي آخر هذه السنة تـوفي الفقيه العالم الزاهـد نجهم الدين الحبوشاني بمصر وهـو الذي بنى المدرسة عند ضريح الامهام الشافعي رضوان الله عليه واحيا شعار التوحيد، وبنى امهره على التشديد والتسديد، وحفظ شمل الشافعية مهن التبهديد، وكان السلطان مجيبا له الى كل ما يستدعيه، ويقضي له من الحوائج مها يقتضيه، ووقف على المدرسة التي بناها وقوفا واعطاه في بنائها الوفاء وفاما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء، فلقوا بالاباء، ثم شفع الملك العادل في صدر الدين على بهن حمهوية وههو شهييخ السيوخ، ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ، فكتب بها له، ورتب بوقفها وتدريسها استقلاله، وذلك في اواخر سنة ثمان وثمانين ثهم مرف بعد السلطان عن المدرسة، وبدلت الوحشة من الانسه.

فصل كتب الى يعض الأكابر في الدخول الى القدس

اتفق دخول الشتاء وتواتر الأنداء ، وتوفر الأنواء وسلح الأرض وشح السماء وانقطاع الجلب واتصال الغلاء ، وبعد الراحة لقلب الأعداء ، وملل العساكر لدوام الهيجاء ، والمقارعة واللقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفر الهمم على شحنها بالرجال والميرة والقوة والعدة والنخيرة ورأيناها من أحسان المدن واحصانها واحكمها واوجدنا بها جدتها بعد عدمها ، ورتبنا بناء ساوارها على جوانب اودية وسفوح ، متى تم لم يبق فيها لطمع من طموح ، وهذا املار الله وفي طلاعاته ولحفال بيتسله ولنصرة دينه ولاعلاء كلمته ، ولحماية امته ، ومالنا فيه الا السمسرة ، وما رجاؤنا الاحر والمغفرة ، وما نصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجدين .

والمؤمنين المعدين للدين . فما اسعد من ساعد فيه . ووفى باسعاف عافيه . هذا والكفر قد اناخ بكلكله . وحفل بجحفله وبرزالى عافيه . هذا والكفر قد اناخ بكلكله . وحفل بجحفله وبرزالي الاسلام بكليته . وعراه ببليته . وقامت قيامته لقيامته . وثار لنار قمامته ، ورمى مهجته على الموت لمقبرته ، والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه ، وعصمه كما عصم وحرم حرمه ، مقام الأنبياء المرسلين ، ومقر الأولياء والصديقين . ومدوضع معراج سديد المرسلين ورسول رب العالمين . وفيه نزل جبريل بالبراق . وصعد المصطفى صلى الله عليه وسلم . الى السبع الطباق . واهدى الله ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الأشراق الى الافاق . وهؤلاء الملاعين قد اغذوا لقصده ، واعدوا لورود ورده ، وقد فرض في هذا الأوان رفض التواني ، واستدعاء ذوي الحمية من الأقداص والأداني ، وان لم يتساعدوا في الربيع القسابل ، على انهساض والجحافل ، صعب الأمر واشتد واحتدم الخطب واحتد ،

فصل في شكر صاحب الموصل على انفاذ الجصاصين لحفر الخندق

قد اصبح البيت المقدس يقدس ويسلج ، ويعرف عن فضيلة منجده ، ويفصح ، فقد وصل الرجاءه ، وما فيهم الا من ابان عن ارجاءه ، الحامون بحفر خندقه ارجاءه ، وما فيهم الا من ابان عن جده ، وابان بحده والان الشديد بشده ، وثلم الحديد بثلم الصخر وهده ، وهذه لا شك مقدمه لما وراءها من نتائج النجدات ، وجدوى سابقة للواحق في مناهج الجدات . وعارفة معرفة في قمل العداة باجراء العادات في انجاز العدات ، وللعدو انتظار لنجدات بحدية وارتقاب . وومضات جمر تحت رماد كيده يوشك ان يكون لها التهاب ، والهمة السامية لاتفتقر في هذا الباعث الى باعث ، وعند عزائمه حديث كل حادث .

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حسام الدين سياروخ النجمي بولاية القدس .

وكانت ولاية مذيسر الله فتحه ، وحقق للامل فيه نجحه ، واطلع الليل النصر صبحه ، الى الفقيه ضبياء الدين عيسى مفسوضه . وصبعاب اعماله وشسعاب احسواله بنصرة آرائه ونصرة آلائه مروضه ، وقد استناب فيه اخاه الظهير ظهيرا ، ولم يزل رواؤه وبهاؤه به شهيا شهيرا الى ان استشهد في شعبان سنة خمس وثمانين ، وتوفي الفقيه عيسى في ذي القعدة منها وانتقال الى عليين . فأبقى السلطان نوابه من بعده ، محافظة على عهده ، وكان الأمير سياروخ بالقدس مقيما . والنظر في مصالحه مستديما . ويضم من امره مايراه منشورا ، وكتبت له في التاريخ الذكور باستقلاله منشورا :

الحمد اله الذي اقصى من المسجد الأقصى من داناه من الكفر ودنسه ، ونزه البيت المقدس من رجس اعدائه المشركين بأيدي اوليائه الموحدين وطهره وقدسه ، وانطق محرابه ومنبره بتلاوة الذكر المبين وأسكت الناقوس واخرسه نحمده على ما عصمه من الحوزة وحرسه . وفرجه من الشدة ونفسه ، ونسأله ان يصلي على نبيه محمد المصطفى الذي شرع الدين وشرحه، ومهدد الشرع واسسه . وبطل الكفر وعطله . وارغم الشرك واتعسه ، وعلى اله واصحابه النين اعلى الله بهم منار الحق . واضفى ملبسه واصفى مورده ، وازكى مفرسه ، وبعد فانا مذ فتح الله لنا بيته المقدس وخفض باعلاء اعلامنا راية الكفر ونكس ، وكسا بأيامن ايامنا وجه الدين البشر من بعد ما كان تعبس ، وخصنا بفضيلة فتحه وجعل لنا به الحظ الاجزل الأفضل الأكرم الأنفس ، مانزال نطلب وليا لله يكون له واليا ، ويعود عاطله بتأثير احسانه وحسن آثاره وايثاره عاليا ، ويرجع بنظره الشائي وتدبيره الكافي ما انخفض من رسوم الايمان

-7177-,

ونجدد من معالمه ماظل بمقام اهل الضيلال فيه دارسا باليا ، وقد اختبرنا الأمير حسام البين فسألفيناه لاهلية هسنه الولاية جامعا ، والى مضمار السبق في هذه المكرمة مسارعا ، ووجلناه باعباء الأمانة ناهضا ، ولزبد المناصحة والصحة فيه ماخضا ماحضا ، فاستخرنا الله تعالى وعولنا عليه في ولاية مدينة القدس واعمالها ، وعذقنا برأيه الراجيح وسيعيه الناجيح مهيام اشغالها . وحسكمناه في تحصييل مصسالحها ، وتسسهيل مناجحها ، وسداد ثفرها ، وسداد امرها . ورعاية امروها وعمارة حريمها وسورها ، وتطويل باع ساكنها ، وتسأهيل رباع اماكنها ، واسكان مواطنها ، وتوطين مساكنها ، وتسطهيرها من ابناس ابنى الناس . وتعميرها بالعدة والعددة والشددة والقدوى والباس. فليتول ذلك بقوة ناهضة ونهضة قدوية وروية مبصرة وبصيرة روية . وليستشعر تقوى الله التي تقوى بها العزائم . وتتوفر منها المحامد وتكمل المكارم. جاريا على مقتضى الشرع في كل ما يحله ويعقده. ويقدره ويمهده . ويصدره ويورده . والله عز وجل يوققه ويسعده ويعضده .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس في دار الاقساء جوار قمامه ، واظهر بها لتقوية البلد الاقسامة ، وقد قسم سسور البلد على اولاده ، واخيه واجناده ، فشرعوا في انشساء سور جديد ، محدق به مديد ، وكان يركب كل يوم مصح ، مشسمس مضح ، فينقل الصخر على قربوس سرجه ، فيسستن الأكابسر والأمراء في نقل الحجارات بنهجه ، فلو رأيته وهو يحمل حجرا في حجره . لعرفت أن له قلبا كم حمل جبلا في فكره . ولقد جد في حماية الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصسخور ، وانشرح صسدره لانضمامها الى صدره حتى باشر صدور ممالكه به الصدور ، وما تفلو دار يبنيها في الجنة بنقل حجارتها ، ليكون ملكا في دارها وقمرا في دارتها ، وكل بناء قفلت حجارته ، ووقفت عمارته ، ركب وبكر اليه ، وجمع الحجر بنفسه واجناده عليه ، فإذا اكتفى انتقل الى موضع آخر ونقل اليه الحجر ، ولقد بنى به في غرفات الجنات الجنات

الحجر . وأثر رواة سيرته الحسنة منها الأثر ، وما أعمر احسانة واحسن مساعمر . وداوم البحكور بالركوب وعرض وجهسه الكريم للشحوب ، والتزم الأمر التـزام الوجـوب ، ولان له الصـخر لين الحديد لداود . وجد في فض جدته وافاض الجود . وكان حجر الخندق صلداً لايتاتي قطعة . ولايتهيأ بكل آلة صدعه . فاتخذ من الفولاذ قطاعات . واخترع على الحدادين آلات . فأمكن الصلد ووهن انجلد . وتيسر الصعب ولان الصلب . وصرخ الصخر لما حاف الحفر ، وضبج الحديد لجلد الجلمود ، وصنفا قلب الصفا الاصاخة الصيخود ، واعولت المعاول ، وجدلت الجنادل ، وسمعت الصاء صوت السطو، وخرح جرج الاساءة اليها عن الاسو. وفلقت القطع وقطعت الفلق ، واتسع الضيق وتعمق الخندق ، وطاب العمل وطال الأمل ، وحز الحزم وحــزن الحــزن ، وركنت القـوة وقــوي الركن ، فلا ترى الا سورا يعلو وخندقا يسفل ، وبناء يسمو وحفرا ينزل ، ويرجا يسقف ، وبدنا يشرف ، وحجارة تبنى ، وعمارة تثنى ، وكلسا يحرق ، وأسا يوثق ، وطاقا يعقصد ، ورواقسا يمهد ، وطلاقات تطلق ، ومرامى تخرق ، وستائر تحجر ، وحفائر تقعر ومصاعد تهندس . وقواعد تؤسس . ومعارج تسفح . ومخارج

تفسح . وموالج تسرب ومدارج ترقب . حتى احكم المكان بكل ما الامكان . واتصلت الابراج بالابدان مشيدة الاركان . والسلطان يشرف في كل يوم . على عمل قوم . فيمدحهم باحسانهم ويجازيهم باحسانه . ويعير جنان المتولى من قوة جنانه . ويدركه بما يستأنفه من عمله . ويحلي بالفضل مايبدو له من عطله ، وكان ذلك دأبه مدة اقامته ، وقد جد غرامه بغرامته بل يرى ان كل مال ينفقه نخر باق . وانه إن فاق كريم فبإذفاق ، وماعنده خشية املاق . بل يده جاريه باطلاق جوائز وارزاق . وانه تتجلى له اعماله الصالحة يوم يكشف عن ساق ، وان وفق الله واستمر مادبره في حفر الخندق وبناء السور ، بقي بيت الله المقدس مع الاسلام على ممر الدهور . ولايبقى عليه لمسلم فزع . ولا فيه لكا فر طمع . ولو عاش بخت نصر لعرف عجزه . وساب عز الاسلام عزه . ورأى من المعجازات

ماحيره . وقهقر عن البأس الذي ان ثبت له قهره . فسـبحان الذي اقدر السلطان على ماعجز عنه الملوك، وهداه مـن الفضـل الى نهـج ضداوا فيه السلوك .

ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة

رحل الفرنج يوم الثلاثاء ثالث المحدرم من الرملة الي عسقلان ونزلوا يوم الاربعاء بظاهرها . وتشاوروا في اعادة عمائرها ، وكان سييف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسسدية نازلين في بعض اعمالها ، مجدين في نقل غلالها ، وركب ملك الانكتير عصر يوم الخميس ، ومعه حزبه من جند ابليس ، فشاهد نخانا على البعد ، وماعرف ماعنده من العسكر المعد، فساق متوجها الى تلك الجهـة وجد ، وتبعه عسكره وامتد . فما شعر اصحابنا الا بسالكيسة وقسد بغتت ، فما ارتاعت قاوبهم بل ثبتت ، وذلك وقت المفرب وهمم مجتمعون على الافطار. فارغة الافكار من شهفل الكفهار، وكانوا نازلين في موضعين ، مقيمين في منزلين ، فلم ير العدو الا احسد القسمين فقصده بحزبه ، واطلق عنانه لحزبه ، فعرف القسم الاخر هجوم العدو ، فهجروا مهاد الهدو ، وركيوا الى العدو فدفعوه حتيى ركب رفقاؤهم المقصودون ، واجتمعوا وهم المسعدون ، وردوا العدو شوطا . وصبوا عليه من عناب القراع سوطا ، ثـم تـكاثر الفرنج عليهم ، وتواصلوا وسبقوا اليهم ، فاندفعوا من بين ايبيهم ، والفرنج تباريهم ، وساقوا اثقالهم قدامهم ، وقد ثبت حفظها على الاقدام اقدامهم . ومافقد من اصحابنا ممن عرف الا اربعة : ونجسا الباقون وخواطرهم لاجل اولئك متوزعة ، وكانت نوبة عظيمة دفع الله خطرها ، وهون ضررها ، وبتاريخ الثلاثاء عاشر المحسرم ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة ، والجدد في العمارة ، ومعه الملوك اولاده والأمراء . والقضساة والعلمساء والصدوفية والزهساد والاولياء . وخرج كل من بالبلد . وجاء المدد بعد المدد . وهو قد حمل على سرجه . واستوى في نهجه . والناس بنقاون معه على خيولهم .

في قفافهم وندولهم . ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها ولده الملك الظافر بالصحراء . واحضر فيها السماط لمن يدعوه من الامدراء . فحضر على ذلك السماط ، واحضر طعام مطابخه وبسلطه على ذلك البساط . وكنت قد مضيت فريني ، وبتقريبه امديني ، فلما فدرغ وفرغنا ، وبلغ مراده وبلغنا ، صلى هناك الظهدر وركب عائدا الى داره ، آيبا بايثاره وحسن آثاره ، فائزا بسر ور اسراره وخير اختياره .

ذكر ثلاث سرايا سرت وبرت وبرت

كان عز الدين جرديك تجدد في سرية سرية . بارية رقاب ذوي المغلول من الغل بريه . فاغارت يوم الاربعاء الحادي عشر من المحرم على يبنى . وفيها الفرنج بنية السكني . فغنمت اثنى عشر اسيرا . وخيلا ودواب واثاثا كثيرا .

وفي يوم الثلاثاء ثاني صدفر اغارت السرية وفيها جربيك . وعسكر القدس وجماعة من المساليك . على ظاهر عساقلان . واوفدت بتناصرها على الكفر الخدلان . وغنمت ثلاثين اسليرا قيدت في الاغلال . سوى ماكسبته من الخيل والبغال .

سرية فارس الدين ميمون القصري

باتت ليلة الاحد رابع عشر صفر . بتل الجزر . وسرت حتى اصبحت على يبنى وكمنت . وصبرت الى ان استرسلت الفرنج الى الطريق وامنت . ثم ظهرت على قافلة للفرنج عبرت . فكبست وكسرت . وكسرت واسرت . واخذتها بأسرها مع رجالها . وبغالها واحمالها واثقالها . ثم اغارت على يافسا فقتلت وفتكت . وسدفكت دماء وهتكت ، وعادت بالغنيمة والسابايا ، واستغنت بنقدودها عن

النسايا . وعجز جماعة من الاسارى عن المشى فضربت اعناقهم ، واوجب ذلك للباقين في المسير اعناقهم ، وعادت سالمة سالبه ، غانمة غاليه .

ذكر خروج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر

قرر على ذفسه قطيعة خمسين الف بينار فادى منها شلاثين . واعطى رهائن على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر . فقام اليه واعتنقه وتلقاه بالوجه الباشر ، واقطعه نابلس واعمالها ، وحلى بايالته لها احوالها ، وعاش الى اخر شوال من هذه السنة ، وتوفي الى رحمة الله باعماله الحسنة ، فعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لمسالح البيت المقدس . وتشييد ركن سوره المؤسس ، وابقى باقيها على ولده . وتركه في تصرفه ويده .

نكتة

لما خرج الشطوب من الاسر . تلقاه ولده روي السرى قوي الازر . فوجده على زي اولاد الاتراك مضدقور الشعر . فبدأ منه الانكار والاكبار . وقال ماللاكراد في شعورهم هذا الشعار . فقطع ضفيرته ، وقصر وفرته ، فتطير الناس من قطع شعره على ابيه ، وقالوا هذا دليل مصابه الذي يأتيه .

هلاك المركيس بصور

اضافه الاسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاخر فاستوف رزقه لموافاة اجله ، ووصل الى الباب قاطع امله ، وقد دعي الى

جهذمه ، ومالك على انتــظار مقــدمه ، والجحيم في تــرقبه ، والدرك الاسفل من النار في تلهبه . والسعير في تسعره ، ولظمي في تلظيهما لتنظره . وقد قرب أن تكون الهاوية له حاويه ، والحامية عليه حاميه ، والزبانية في ايقاع العذاب به لمنزل الرجز بانيه ، وقد فتحت النار له ابوابها السبعة . وهي جائعة الى التهامه وهو ملته بسالاكل يستوفي الشبعة . فاكل وتغذى ، ومادرى أنه يتردى ، واكل وشرب ، وشبع وطرب ، وخرج وركب ، فدونب عليه رجلان . بدل ذئبسان ا معطان . وسكنا حركته بالسكاكين ، ودكاه عند ذلك الدكاكين . وهرب احدهما ودخل الكنيسة ؛ وقد اخرج الذفس الخسيسه : وقال المركيس وهدو مجدروح وفيه بقية روح . احماوني الى الكنيسسة فحماوه ، وظنوا انهم حساطوه لما نقلوه . فلمسا ابصره احسد الجارحين . وثب اليه الحين ، وزاده جرحا على جرح ، وقرحا على قرح ، فأخذ الفرنج الرفيقين ، فالفوهما من الفيدائية الاستماعيلية مرتدين ، فسألوهما من وضعكما على تدبير هذا التدمير . فقالا ملك الانكتير، وذكر عنهما انهما تنصرا منذ ساتة اشهر، ودخلا في ترهب وتطهر . ولزما البيع . والتزما الورع . وخدم احسدهما ابسن بارزان والاخر صاحب صيدا لقربهما من المركيس. واستحكما بملازمتهما اسباب التأنيس، ثم علقا بركابه، وفتكا به، فقتلا شر قتله ، وجهل عليهما اشد جهله . فيالله من كافرين سفكا دم كافـر . وفاجرين فتكا بفاجر . فلما ظل المركيس مركسا . وفي جهذم منكبا مذكسا ، تحكم ملك الانكيتر في صور ، وولاها الكندهـري وعذق به الامور . وبخل بالملكة زوجة المركيس في ليلته . وادعى أنه احق بزوجته . وكانت حاملًا فما منع الحمل من ذكاحها. وذلك ا فيظم من سفاحها ، فقلت لبعض رسلهم : الى من ينسب الولد . فقسال يكون ولد الملكة ، فانظر الى استباحة هذه الطائفة المشركه ولم يعجبنا قتل المركيس في هذه الحالة . وأن كان من طواغيت الضلالة . لانه كان عدو ملك الانكتير، ومنازعه على الملك والسرير، ومنافسه في القليل والكثير ، وهو يرا سلنا حتى نساعده عليه ، وننزع مااخذه من يبيه وكلما سمع ملك الانكتير أن رسول المركيس عند السلطان ، مال الى المراسله بالاستكانة والاذعان ، واعاد المسديث في قسرار المسلح ، وطمع في ليل ضلاله باسفار الصبح ، فلما قتل المركيس سكن روعه وروعه ، وذهب ضدوره وضوعه ، وطاب قلبه ، واب لبه ، واستوى امره ، واستشرى شره ، وكان قد تعصب لمضانة المركيس الملك العتيق . فاظهر له ود الشفيق الشقيق . وولاه جزيرة قبرس واعمالها وسند بسداده اختلالها . فلما هلك المركيس عرف انه قد اخطأ في تقويته . وخشي انه لايسلم من عابيته . ولاياً من من غائلته . فلما عدم عدوه . وجد هدوه . واب سكونه . وشاب جنونه . ولم يحدث مقاطعته . ومرى رسل مرا سلته ورمي سهم مخادعته ومخاتلته . ولم ينزل عن ادعاء صداقة الملك العادل وتصديق دعوته . ورا سل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا ورا سل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا بمدينته وقلعته . سوى كنيستهم المعروفة بقمامه . فانهم يعتقدونها للتهم الدعامة . فابى السلطان أن يقبل هذا القرار . وأبدى لهم الاذكار وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان . ويأخذوا على مايبقي في ايديهم الامان .

ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم

وهذه قلعة الداروم على حدد مصر . وكانت منها مضرة كبيرة لما كانت مع الكفر فلما فتحت حفظت وتدركت وابقيت . وبدالميره والنخائر والرجال مليت . وخربت عسقلان وغزة دونها . ودسامها علم الدين قيصر على ان يصونها . فلما شرع الفرنج في اعادة عمارة عسقلان ترددوا مرارا اليها . وداروا حولها واشر فوا عليها . وأنفق السلطان في جماعة وقواها بها . وشد بالنجدة قلوب اربابها . شم نزل الفرنج عليها . دقضهم وقضيضهم . وسعرهم وبيضهم . وفارسهم وراجلهم . وصارمهم وذا بلهم . ورابحهم ونابلهم . واشتد زحفهم عليها . ونهوضهم اليها . عشية السبت تاسع جمادى الاولى بعد ان اخذوا فيها نقبا وحرقوه . وحشوه واحرقوه . وطلب اهلها الامان فلم يجدوا . وطلبوا من قيصر وجماعته النجدة فلم ينجدوا .

والجمال والدواب فعسرقبها . والى النخسائر فساضرمها والهبهسا . وفتحوها بالسيف . وعرضوا اهلها على الحيف ، واسروا منهم عدة يسيرة . وكانت هذه الذوبة على الاسلام كبيرة . ثم لم يلبثوا بها ولم يرغبوا فيها . ورحلوا عنها وتنحوا عن ذواحهيها . ونزلوا على مساء يقال له الحسى . وقد طاش بهم الفي والبغسي . وذلك في يوم الخميس رابع عشر الشهر . وقد انسوا بما ظنوه من اسباب الغلبة والقهر . ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الحباب . فخرجت عليهم اسد اليزكية المكمنة من الغاب . فقاتلتهم قتالا شديدا . وتركتهم بحد الحديد بديدا . وغادرت حبل قصدهم الجديد جديدا . وكرت عليهم فكررت في ردهم عن جهتهم ترديدا ، وقتل منهم في جملة من قتل كند كبير . واتاهم من مباريها لهم مبير . وعادوا مفاولین مثلومین . مخذولین مهزومین . مثلولین مهضومین . شم رحل الفرنج من الحسي يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين. وبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبرين . فتقدم السلطان الى العساكر والامراء بان يكونوا لهـم مبـارين . وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافية ، بجموعهم الوافرة الوافية . ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بـالنطرون . فأرجفت الالسنة بانهم على قصد القدس على حسب تدراجم الظنون . وسرت اليهم السرايا . وتوالت عليههم البلايا . واظهر السلطان مقامه بالقدس . لتبعد وحشة المقيم فيه من قربه بالانس ، وفرق الابراج والابدان على الامراء والاجناد . وذوي القروة والاستعداد . وامرهم بذقل الازواد . ثم زال الرعب ، وطاب القلب . وخــرج الناس الى خيامهــم يتخـــطفونهم . ويعســـفونهم ويتحدفونهم ، وجرت وقعة بعد وقعة ، وكبسناهم دفعة بعسد دفعة ، ومن ذلك أن بدر الدين دلدرم كان في اليزك ليلة الجمعة التاسع والعشرين، فبعث من أصحابه والعسكر الى طريقهم من يافا من لزم الكمين ، فجازت بهم فرسان من الفرنج مستقيمون على النهج ، فخرجوا عليهم وقتلوا وأسروا ، وفازوا ونصروا ، وفي يوم السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم في خيامهمم ، والهبروهم بضرامه ، وركب العدو ساق الى قاونية وهي ضيعة من القدس على فرسخين ، ثم عاد بأيد الشأن بادي الشين ، وعساكرنا قد ركبت اكتافه ، وهي تقطع اطرافه ، وتهرز اعطراف البيض لتحرز اعطافه ، وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأخرة ، خرج كميننا في طريق يافا على السابلة العابرة ، فظفروا وفازوا ، وحووا وحازوا وكسروا واسروا .

ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله . ويدعوه نجدة لأهل القدس على الكفر وأهله ، فضرب العسكر خيامه على بلبيس مدة حتى اجتمــع الرفـاق، وتهيأ لمن تـاخر عن الســابق اللعاق، وانضم اليهم التجار، وحصال لهام بالكثرتهم الاغترار ، وللعدو لقدومهم الانتسطار ، وعنده بجدوا سيسه الأخبار ، فجاء الخير من اليزكية الى السلطان ليلة الاثنين التاسع من جمادى الأخرة ان العدو ملك الانكتير ركب في سبعمائة فارس والف تركبول ومعه الف راجل ، وسار عصر يوم الأحد سير مخادع مخاتل ، ولايدري اي جنانب قصد ، ولأي نائب رصد ، وجدرد السلطان اميرا آخر اسلم ، خوفا على الواصل ليسلم ، وندب معه الطنبة وعدة من العادلية ، وأمرهم بأن يأخدوا بالناس في طريق البرية ، فعبروا على ماء الحسى ، قبل وصدول العدو اليه ، واتصلوا بالقوم وأخبروهم بأنهم كشفوا الماء وليس أحد عليه ، وكان مقدم العسكر المصري فلك الدين أخدو العدادل ولم يسدأل عن المراحدل والمنازل، وقصد اقرب البرك، وغفل عما يعرو مسن الفدرق والفرق، وترك الأحمال على بدرك اخدرى سدائرة، ورأى الأمنة ظاهرة وأوجه السلامة سافرة ، وجاء ونزل على ماء يعسرف بالخويلفة ، والأماني تغره بالمواعيد المخلفة ، ونادى تلك الليلة انا جزنا مظان المضافة ، وفزنا بالسلامة من الآفية ، فيلا رحيل الى الصباح ، فيساغتر الناس بسالنداء الصراح ، ونامسوا مسترسلين ، وباتوا متغفلين ، فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح

بالصدمة الشاقة والحدمة الحاقة ، وعاق ابن ذكاء باذكاء بنت الداهية العاقة ، فجاءهم فجاءة ، والصبح لم يبد اضاءة ، والخيط الأبيض من الخيط الأسود لم يتبين ، وهبوب الأعين من هبوة الففوة لم يتعين ، وكل غرار في جفنه قسار ، وكل قلب بسسأمنه سار، وكل جنب على فراش، وكل عاش له النعاس غاش، فلمسا يفتوا بهتوا ، وطلبوا ان يفلتوا فما التفتوا ، وركب كل منهم على وجهه . وربمسا كر بسكرهه ، وفيهسم مسن ركب بغير عدة حصانه ، وا سلم اخــوانه وغلمــانه ، وانهــزموا نحــو الأثقال ، فاوقعوا العدو وهو وراءهم على الجمال والأحمال . فوقع العدو في سوابقها ، واشتغل بها عن لواحقها ، فتفرقت في البرية وعاد معظمها الى الديار المصرية ، ومنهم من عاج الى طريق الكرك، فلم يقع في الشرك، ولم يحصل في الدرك، فسأخذ الكفسار جمالا لاتعد ، وأحمالا لاتحد ، وكانت هذه ذكبة عظيمة ، ونائبة عميمة ، ونوبة ذات نبوة ، وكبسة ذات كبسوة ، ووقعسة ذات روعة ، وعولة ذات لوعة ، فــــــفلنت الظنون وارجفــــت المرجفون ، وقالوا قد حصل للفرنج مسن الظهدر مسايحملهم وينهضهم ، ومــن المال مـايبطرهم ويحـرضهم ومــن الآن يقابلهم ، وبسأى عسكر وعدة نقالهم ، ووصال الجند مساوبين ، ومذكوبين منهاوبين ، فسالاهم السالطان عن أموالهم ، بما قوى من أمالهم ، وحضهم على الحيظ من الأخذ بثارهم ، والجد في دمار القوم وبوارهم ، ولها الملاعين بما ملا العين من المال ، عن القيل والقال والقتال والقتال ، وحالا لهم ماحا ولوه من الحال ، وجرى هذا كله والملك الأفضل والملك العادل غائبان ، وعساكر الموصل وسنجار وبيار بكر متباطئة في الاتيان .

ذكر سبب غيبة العادل والأفضل وماجرى لهما من الأول

كان الملك الأفضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات ، ونذل عن جميع ماله من الولايات ، وأنه إذا عبر إلى الرها وحران ملك تلك اليلدان ، وعنا له من بها من ملوك الأطراف ودان ، ورحل من القدس في ثالث صدفر وقد ازمع السفر، ووجه عزمه الماضي المضيء قد سفر ، وأقام في دمشق حتى استعد ، واستجدى من ابيه ماكمل به الخزانة واستجد ، واطلق له السلطان عشرين الف بينار ، سوى ماأصحبه برسم الخلع والتشريفات من مستعملات ثياب ومصوغات نضار ، ثم سار في مجر مجر سيل خيله جــار نيل نقعــة على المجرة ، شاغل بالسير والسرى اسرار ذوي الأسرة ، بالية على صفحات صفاحه نضرة النصرة ، ووصل الى حلب ، وقد مدرى ا فاويق التوفيق وحلب ، واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدومه ، وقام له بسنن الكرم ورسومه ، ورحب للتسرحيب بسمه صحدره وجنابه ، وسحب على روضه سهابه ، واصحب فيض فضله صحابه ، ووقف لخدمته مناثلا ، وهـــز عطــف الابتهـاح اليه مائلا ، واحضر له مفاتيح بلده ، وقدم له كل مافي يده ، ولم يبق من الحميل شيئًا الا عمله ، ولاذوعا من الفضيلة الا كمله ، وعرض عليه الحصن العراب ، والتحف والثياب ، وخلع على خواص اصحابه وعوام اجناده ، وخصيهم وعمهم من الجود بامداده ، وعول ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها ، ويساعده على الضالة التي يذشدها ، وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما اقلقه ، ودفع منه الى ماأرهجه وارهقه ، ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله ، وراجيا لفضـــله ، ولائذا يجنابـــه ، عائذا ببابه ، مستجيرا بارعائه ، مستجيبا لدعائه ، مفوضا ماحل به الى انوار آرائه ، مــروضا مـاحل بـانواء آلائه ، فــاحتمى له واحتمله ، وقوى على تقويته امله ، وخساطب السلطان في حقه واستعطفه ، وشدقع في امدره واستشفعه ، وقال أنا أمضى اليه

وأستحضره وأؤمنه مما يحذرة ، وتبقى هـنه السـنة عليه حـران والرها ، وتشد من رجائه بذلك ما وهي ، وتعطيه في السنة الاخسرى حماة والمعرة ، وتكفى المضرة والمعرة ، ثم قرر السلطان مع أخيه العادل ان يأخدذ ذلك البسلاد ويحدويها ، ويملك حدورتها ويحميها ، ويكف عنها ويكفيها ، واستقر ان ينزل عن اقتطاعاته بمصر ونصف خاصه ، واذا اخذ ذلك البلاد فما يجاوره يجتهد في استخلاصه ، فأبدى على الرضا باذلك وجاه كراهيتا واعتياصه ، واستزاد قلعة جعبر، فتمنع الملك الظاهر من تسليمها حتى استظهر من ابيه بأضعافها واستظهر وتقرر مسير الملك العادل في العشر الأول من جمادي الأولى . وكتب السلطان بعود الملك الأفضل فجاء هذا راجعا ، وذهب ذاك مسارعا ، ووصل الى حران والرها ، ففاز من تدبيره بالنجح المشتهى ، وبلغ من مراده الى أمد الأمل المنتهى ، وعاد في أخر جمادى الآخرة وقد استصحب ابن تقى الدين ، ووصل في هذا الشهر الى دمشق ابن صاحب الموصل مجاهد الدين يردقش ، واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر بها الاسلام يأذس ، والكفر يستوحش ، وأقامت منتظر مسير الملك العادل لتسير في خدمته ، وتتجلى راياتها في مطالع رايته .

ذكر رحيل ملك الاذكتير صوب عكا مطهرا أنه على قصد ثغر بيروت

لما تعذر على الفرنج قصد القدس ، وعرف ان مرضهم به في النكس ، وراوا ان ثفر بيروت قد براهم ، وعراهم من القوة مامنه عراهم ، وأنه قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه ، وقد فجع المصائبه ونوائبه فقالوا أخذ هذا البلد هين ، وقصده متعين ، واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبه وخلا القدس من جملة كتائبه وجمرة مضاربه ، فنبادر اليه من يافا وعسقلان ، من يجد في تملكه الامكان ، فلما عرف السلطان ماعزموا عليه من

القصد ، ودبروه من الكيد ، امر الملك الأفضال بمباراة القدوم في الرحيل ، وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبيل ، وسابقهم الى مارج عيون ، وحتى اذا تيقن من قصدهم المظنون سابقت العساكر الى بيروت ودخلتها ، وذكت الفرنج وذكبتها وحولتها ، وكتب السالطان الى العساكر الواصلة الى دمشق ان يكونوا ماع ولده وأن يضاوز أمدادهم الى مدده ، ونزل بمرج عيون والفرنج بعكا بعد ، تجاوز ولم تعد .

ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها

ولما رحل ملك الانكتير وسار وخلى وراءه الديار ، ترك في مدينتي يافا وعسقلان ، جمعا من منتخبي الرجال والفرسان ، ووصاهم بالجلد ، في حماية البلد ، فانتهز السلطان فرصة الغيبة ، وأوفد الى مساغ رجائهم غصة الخيبة ، ونهض بعسكره الحاضر ولم يتمهل لا نتظار العساكر ، ووافي يافيا ووفياها بسكيل المنجنيق أحجارا ، وأراق دماء وساق دمارا .

وزحف الناس وحفز الباس وفرعت المدينة ، ورفعت منها السكينة ، وقتل من بها ومسح وأخذ مابها وكسح ، ووجدت الاحمال المأخونة من قافلة مصر فأخنت وحملت وعلت الأيدي والسيوف من الدماء والأموال ونهلت ، ونفضت كنائن ونظفت غزائن ، واستخرجت دفائن ، وولجت مكامن ، وحصل استمتاعنا بأمتعة ، وانتفاعنا بكل مذفعة ، وامتسالا البلد الكافدر بالمسلمين ، وبقيت القلعة وطلب حماتها الأمان ليكوذوا لها مسلمين وكان الناس قد سبقوا اليها ، وقدرب ان يستولوا عليها وذلك يوم الجمعة العشرين من رجب . وقد شارف مسن فيها الشجب ، فلما طلب الأمان رد الناس وكفوا فظن ان الغنيمة تصفوا فانه خرح البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين الأكابر ، على

أن يدخلوا تحت حكم الأسار ويسلموا جميع المال والعدة والذخائر على أن يطلق كل واحد منهم بأسير

ويفدي صغير يصفير . وكبير بكبير وشرعوا في الخدروج احادا وعشرات. وعصبا متفرقات في ساعات حتى بخل الليل فسا ستمهلوا الى الصباح . وطلبوا واقترحوا من يقف لحفظهم فبذلنا لهم ما عيدوه من الاقتراح . ومازال يخرج منهم من يسسندعي زيادة التسوثقة وتنفيس خناقهم بالمضايقات المرهقة . حتى وصل ملك الانكتير في البحر . في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر . ودخل هـو القلعــة من الجانب اليحرى ونادوا بشعار الغدر . فاكتفينا منهم بمن حصل في الاسر. وندمنا كيف خرجت اللقمة من الفم. ولانفع بعد فوات الفرصة للندم . ولو ان السلطان توقف في تأمينهم . واستمر على توهيمهم ، لقلعت اساس ذلك القلعة ، ونفضت رقعة ذلك البقعة . ولقد كان ذلك فتحا عظيما ، وفضلا من الله عميما . فقد امتسلات الايدى بغنائم تلك المدينة . ووهت اسباب قواهم المتينة . واستعيد ما نهبوه من الكبسة المصرية . وفزنا بالغنائم السنيه . وقتـل مـن اقام بالبلد واسر وكشط جلد تلك المدرة وبشر . وحصل في البد من مقدمي القلعةنيف وسبعون . وتركوا وهم بالثبور يدعون . وكان القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت . وخشى على فرصة حفظها ان تفوت ، فمن الله تعالى بحصول المقصود . وفزنا بجنى الجهاد بغير بذل المجهود . وجرى الامر على الوجه المحمود . وانما وقم التندم ؛ كيف لم يقم في اخذ القلعة التسرع والتقدم . فتعاصت بعد الاذعان . وتعذرت بعد الامكان ، وجمحت بعد الاصحاب . وجنحت بعد الاكثاب . وا فلتت وقد وقعت في الصبالة . واستقلت بعد العثرة والاستقالة . وضعف ١ فرنج من تلك الكرة . وانن نشاطهم بالفترة وماانتعشوا ولاانجبروا من تلك العثرة والكسرة . وعاد السلطان وخيم على النطرون . والعسكر قار القلوب قرير العيون وجاء اليه الملك الأفضل ولده والملك العادل أخوه . واسفرت بالمسار الوجوه . وكان ولده الملك الظاهر ايضا قد وصل . وفي هدنه الفزاة حضر وبينهما حصل . وكذلك كان قطب الدين سكمان بن محمد بن قدرا

ارسلان حاضرا . واخذ من السعادة حظا وافرا . وحصل بيده جرح يدس ان يؤسى . وظن تلك النعمة بؤسى . ثم اندمل جرحه . وفازت قداحه وحاز السنى قدحه واقام السلطان حتى اجتمعت العساكر ولحقت اوائلها الاواخر . ووصل الملك المنصور ناصر الدين ابن تقيه في بيضه وسمره ومشرفيه وسمهريه . هذا والملك متأخر في المخيم . بسبب عارض السقم وملم الالم . ورحل السلطان ونزل بالرملة والعساكر في عدد الرمل والاسلام قدرير العين من اهله بجمع الشمل . والفضاء قد امتلا . والقضاء قد اجترا . والقدر قد اسعد والسعيد قد قدر . والنصر ابدى الصفو واذهب الكدر . وتلك البرية قد حوت البريه . وجمعت العسكرية والكمت الجارية والكماة الجرية . والاعراب والعراب والعساد . والاجاود

فصل في وصدف الحال من كتاب الى الديوان العزيز

الخادم حاله على ماانهاه غير مرة في مرابطة اهل الكفر مستمرة . والفاويق النصر على حفولها تارة وبكئها اخرى مستدره . والحدرب سجال . وللاسلام في مضمار الظفر مجال . وقد تجاوزت القصة عن حد الانهاء . وكلما شارفت القضية الانتهاء . عادت الى الابتداء . والحادثة متصله والواقعة مستقبله . والنعمة من الله في اجدراء وليائه على اجمل عاداته بانجاد عداته في قمع عداته مدؤمله . وما يذقضي يوم الا عن نصرة تتجدد ، ونعمة تتمهد . وجمع للعدو يتبدد . ينقضي يوم الا عن نصرة تتجدد ، ونعمة تتمهد . وجمع للعدو يتبدد . وجمر لذكاية فيه يتوقد . وخد للسيف من حده بدم الشرك يتورد . وفتح بكر من العوان بلقاح البيض الذكور يتولد . واخر ماتم في هذه وفتح بكر من العوان بلقاح البيض الذكور يتولد . واخر ماتم في هذه الايام . من مرهجات الكفر ومبهجات الاسلام . حظوة حلوة . ودوبة مالها نبوه . وهي ان الفرنح لما اعجزهم قصد البيت المقددس . ولم يستقم لهم ما سولوه في الانفس عكسوا زعمهم . ونكسوا عزمهم .

وشرعوا في شر خلف الشرك به يمري . واجمعوا على قصد مدينة بيروت ، وتآمر على الاتجاه نحدوها اعداء الله اولياء الطحاغوت . فسارت العساكر الاسلامية على مباراتهم . لمضايقتهم في مضايق طرقاتهم . وتجرد الخادم في خواصه ووافي يافسا . مسوقنا مسن الله تعالى أن مدد نصره اليه يتواف . وحمدل اليها من معتقلي نبات الاسل ومشتملي بنات الخلل الأسد والعرين . (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين)[الصافات ١٧٧] فاخذها يسالسيف عنوة . وأعاد ضرام النيران بها جنح الليل ونزل البطرق والقسطلان والمرشان وحماعة من المقدمين خرجوا ودخلوا تحت القهر فبيناههم مشتغلون بالنزول . ومنقطعون الى الوصدول . جاءهم الغدوث في امارة الغدر . ورجم العدو عن مقصده ورده الله وخدنله . ونصر الاسلام واخذ له . وسره بما يسره له واجذله . ونال سيف الدمسار من سيب دمائهم عله ونهله . وكان المقصدود ردهم عن مدوردهم . وصدهم عن مقصدهم . فابي ماقيضه الله من فتح الهدى وحتف العدا على الارب. واهتزت اعطاف البيض والسمر المنشية من كاس نجيعها للطرب . والقوم الان قد اشتغلوا بمصابهم . واجتمعوا لضم ماانتشر من اسبابهم . وراساوا في الصلح على ان تخلى لهم عسقلان فما اجيبوا . وعلموا بجهلهم انهم مااصابوا فيما دبروه لادبارهم فاصيبوا . والعساكر الاسلامية اليوم مجتمعة . ومسالك المهالك لضائقتهم ومضايقتهم متسعه ، وقد أن أن تحل معاقد معاقلهم التي هي ممتنعه . وكل مايجده الله من عاو يظهر . وعدو يقهر . ونصر يزهر . واصل بالظفر يشهد ، فهدو ببدركات الاستمساك بطاعة المواقف الشريفة الامامية الناصرية. وبحمد الله ويمن ايامها وفضل انعامها دلائل النصر ظاهرة . واسباب الظهرور متناصرة . ووجوه الامال بذشر نجاحها وبسر مافي اقتراحها سافرة

ذكر الهدنة العامة

لما عرف ملك الانكتير أن شمل العساكر قد اجتمع . والخرق عليه قد التسم وان القدس قد امتنع ، وان العداب به وقع ، خضعه وخشم . وقصر الطمم . وعلم انه لاقبل له بمن اقبل . ولاثبات مسم الجحفل وقد حفل . فاظهر انه إن لم يهادن اقام واستقبل . والشر استقبل . وانه عازم على العودة الى بلاده . لامور مردها يعدود الى مراده . والبحر قد أن أن يمنع راكبه ، ويسئم بالامواج غوا ربه ، فان هادنتم وطاوعتم تبعت هدواي ، وان حداربتم وعصديتم القيت ههنا عصاى واستقرت نواى ، وقد كل الفريقان ، ومل الرفيقان ، وقد نزلت عن القدس وانزل عن عسقلان ، ولاتغتروا بهذه العساكر المجتمعة من الجهات . فان جمعها في الشتاء الى الشتات ، ونحـن اذا اقمنا على الشقاق والشقاء . رمينا انفسنا على البلاء ، فاجيبوا رغبتي . واصيبوا محبتي ، واودعوني العهد ودعوني .ووادعوني وو دعوني ، فاحضر السلطان امراءه المشاورين وشاورهم في الامر ، واظهرهم على السر ، واستطلع ماعندهم من الرأي ، وسرد لهم الحديث من المباديء الى الغاي ؛ وقال لهم نحسن بحمد الله في قوه ، وفي ترقب نصرة مرجوه ، فانصارنا المهاجرون الينا ذوو دين وكرم ومروه ، وقد القنا الجهاد . والفينا به المراد ، والقطام عن المألوف ، وماتصدع الى اليوم بتأييد الله لنا شعب ، ومالنا شـــفل ولامغزى الا الغزو، ومانحن ممن يشوقه اللعب ويسدوقه اللهدو، واذا تركنا هذا العمل فما العمل ، واذا صرفنا عنهم الامل ففيم الامل ، واخشى ان يأتيني في حالة بطالتي الأجل ، ومن الف الحلية كيف يألفه العطل . ورأيي ان اخلف رأي الهدنة ورائي ، واقدم بتقديم الجهاد اعتزازي واليه اعتزائى • وماانا بطالب البطالة • فارغب عن استحالة هذه الحالة • وقد رزقت من هــنا الشيء فــأنا الزمه . ولي بتأييد الله من الامر اجزمه واحزمه . فقالوا له الامر على ماتذكره . والتدبير ماتراه والرأي ماتدبره . ولايستمر الاماتمره من الامر • ولا يستقر الا ماتقرره . وان التوفيق معك في كل ماتعقده

وتحله وتورده وتصدره . غير انك نظرت في حــق نفسـك مـن عادة السعادة • وارادة العبادة . واقتناء الفضيلة الراجحة • والاعتناء بالوسيلة الناجحة والاذف من العطله • والعروف للعرله • واذك تجد من ذفسك القوة والاستمساك. ويقينك يعسرفك بسالا ماني الادراك • فانظر الى احوال البلاد فانها خربت وتشعثت • والرعايا فانها تعكست وتعاثت . والاجناد فانها نصبت ووصبت • والجياد فانها عطلت وعطيت ٠ وقد اعوزت العلوفات ٠ وعزت الاقدوات . وبعدت عنا العمسارات • وغلت الغسلات • ولاجلب الا من الديار المصرية • مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية • وهذا الاجتماع مظنة التفريق • ولايدوم هذا الاتساع مع هـذا الضـيق فـان المواد منقطعة • والجواد ممتنعه . والمترب قد ترب . والمعدم قد عطـب • والتبن اعز من التبر ، والشعير ليته وجد وإن كان غالى السعر • وهؤلاء الفرنج اذا يئسوا من الهدنة بذلوا وسعهم في استفراغ المكنة واستنفاد المنه • وصبروا على المنية في طريق الامنيه • وابوا في الاقبال على بينهم قبول الدنيه • والصواب أن نقبسل مسن الله الآية التي انزلها وهي قوله (وان جندوا السلم فساجنح لهسا) (الانفال. ٦١) وحينئذ تعود الى البلاد سكانها وعمارها • وتسكثر في مسدة الهدنة غلاتها واثمارها • وتستجد الاجناد عدتها وتستريح زمان السلم ومدتها • فاذا عادت أيام الحسرب عدنا • وقد استظهرنا . وزينا • ووجدنا القوت والعلف • وعدمنا المشاق والكلف • ففسى ايام السلم نستعد للحسرب • ونسستجد ادوات الطعس والضرب ١ وليس ذلك تركا للعبادة • واذما هو للاستجداء والاستجداد والاستجاده • على أن الفرنج لايفون • وعلى عهدهم لايقفون • فاعقد الهدنة لجماعتهم لينحلوا ويتفرقوا · وقد شقوا بما لقوا · ومايقيم لهم بالساحل من يقدر على المقاومة ، ويستقل بالملازمة . وما زال الجماعة بالسلطان حتى رضى • واجاب الى ماا قتضى . وكانت قد بقيت بين العسكرين منزلة واحدة • والعجاجات على الطلائع متعاقدة ٠ فاو رحلنا رحلناهـم ٠ وعلى الهلك احلناهـم ٠ لكن مراد الله غلب • واجيب ملك الانكتير من الصلح الى مساطلب • فحضرت لانشاء عقد الهدنة وكنت نستختها ، وعينت مدتها وبينت

قضيتها ، وذلك في يوم الثلاثاء المحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لاول ايلول لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر ، وحسبوا ان وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر ، وتتصل امدادهم على الحشد والحشر ، وعقدت هدنة عامة في البر والبحر ، والسهل والوعر والبدو والحضر . وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور . وابدوا بما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور . وادخلوا في الصلح طرابلس وانطاكية . والاعمال الدانية والنائية .

فصل من كتاب الى الديوان العربيز في شرح نوبة يافا ثم افضاء الامر الى عقد الهدنة

قد سبقت مطالعة الخادم بانهاء حاله . وماهو لايزال مستمرا عليه من جهاد العود وقتاله . وماكان عليه الكفر من الجمع الملتهم والجمر الملتهب . والحشر والحشد المضطرم المضطرب . وانهم قد اجتمعوا على قصد البيت المقدس . وعزموا على بذل المصونين من الذفائس والانفس. وسلكوا في القصد كل طريق. ودوا فوا ودوا فدوا من كل فج عمدة . ودنوا على ظن ان جنى الفتح لهم دان ، وان شبا الحتف عنهم وان . ولما قدربوا عرفوا ان المرمسي بعيد المرام ، وانهسم لايستطيعون مقاومة عسكر الاسلام . فذكصدوا على اعقابهم . وذكسوا ماضربوه من ارائهم وارابهم . وعلموا عقبى ماجهلوه . وقطعوا من اسباب العزم ماوصلوه . وذكاتسوا مسن عقد القصدد ما يرموه . وشرعوا في أمر آخر توهموه • ومضوا واستأذفوا الاستعداد . واستنهضوا الامداد ، وحصنوا بلادهم . وجمعوا فيها طرافهم وتلادهم. وشحذوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعة. والعدة النافعة . والشوكة الرادعة . والشكة القاطعة . واستظهروا فيها بكل ما قدروا عليه من المنعة الحاميه . ورجال الصبر على النار الحامية • ثم ساروا بحشودهم المجموعة وجمسوعهم المحشسودة .

وظلال الضلال المدودة وصلال الصلادم القدودة . مستمطري شأبيب الانابيب . مستذفري سراحين السراحيب ، وتـوجهوا على ســـمت ثفــر بيروت بنية العصر . وغفلوا عمـــا اجــراه . الله لاوليائه على أعدائه من عوائد النصر . ولما نمى خبرهم . وطار شررهم . وخيف ضررهم . أنهض الخادم العساكر المنصورة إلى مقابلتهم . ومباراتهم ومقاتلتهم . ونزل في مماليكه وخواصه . ورجال الاقدام ذوى استخلاصه . على مدينة يافا فأخذها بالسيف عنوة . وجب بها من سنام الكفر نروة . وحل منه بفروته اليها عروة . واستكمل للاسلام . بتملكها حظوة . وقتال كل من حاوته وسبى . وناب المشركين بما بني مجده ومضى حدده فيه وما نبا . وغذم من أموالها المسلمون ما خف وثقال . وأسر من وجد فيها وقتل. ونهب من الات الحصر ما خرج عن الحصر. وابتذل كل ما صبين من الغلال والعدد والمال الدثر للنخر . وطلب أهل القلعة الامان من القتل خاصة دون الأسر . وشرطوا أنهم لايمكنون من الدخول اليهم من جاءهم للنجدة من البحر . وأخرجوا على سربيل الرهينة مائة رجل من محتشميهم . وكنودهم ومقدميهم . مثل البطرك الكبير والقسطلان والمرشان ومن يجرى مجراهم من الفرسان . فلما أصبحوا جاءهم ملكهم في البحر فغدروا . وامتنعوا بعد انقيادهم للعجز حين قدروا . وخيم العدو هناك في جموعه . وندب الى عسكره من يأمره برجوعه . ووا فت في البر جحافلة حافلة . وتواريت في الاسراع إلى الصريخ ظلمانا جافلة . فاجرى الخادم على الرهائن حكم الاسترقاق. وسيرهم إلى دمشق في أقياد الوثاق. ورجم الي القوم فهزمهم وردهم الي عكا . بعد ما نكي فيهم وأضمحك من دمائهم البيض وأبكى . وعاد إلى العدو ونزل عليه . وكدر الموارد لليه حين زحف إليه . واجتمعت من أهل الاسلام العساكر . واقسعت على المشركين في المضايقة الدوائر . ورجا المؤمس وخساب الكافر. وجالت بأوجالها الضدمائر لما جالت عليهم الضدوامر. وعاينوا العذاب الواقع . وعدموا الدافع . وشاهدوا المصارع . فما زالت رسلهم تتردد بـالضراعة . وبذل الطـاعة . والنزول عن الاشتطاط. والدخول تحت الاشتراط. والغبطة بما هز له الاسلام

عطف الاغتباط . واحتوى عليه بيد الاحتياط . وكانوا لايجابون إلا بالاباء . ولا تلقى رسلهم إلا بتصميم عزم اللقاء . حتى حضر أكابر الدولة وأمراؤها . وأولياء الطاعة والباؤها . واشاروا بعقد الهدنة . والانتهاز فيها الفرصة المكنة . واستقرت المسائنة على مسا أعزه للاسلام الانوف وأذل من الكفر الرقاب. ورجح وأنجع من أهل الايمان الآراء والآراب ، بعد أن نزلوا عن البنلاد والمساقل التسي تملكوها . وبعدوا عن الطرق التي سلكوها . وسسألوا الأمسان على الاماني التي استدركوها وما أدركوها . وسلموا عسقلان وغزة والداروم، ويبنى، ولد وتل الصافية . وغير ذلك من الاعمال والامساكن الوا فرة الوافية . وا قتنعوا: بيافها، وعكا، وصدور. . واستبدلوا من تطاولهم وقدرتهم العجز والقصور . ورأوا عزهم في ذلهم ، وصونهم ف بذلهم . وسلامتهم في سلمهم ، وغناههم في عدمههم ، ولانوا بعد الاشتداد . ودانوا للاذقياد . وهانوا بعد الاعتازاز وهابوا بعد الاغترار . وأقروا بعد الانكار لتعود جفونهم الى الغرار . وأمورهم الي القرار . وخلوا بيارهم وأخلوها . وما سألوا عن حب الا وطان والاوطار وساوها . ومدة الهدنة التي اخددوا بها اليد واعطوا الدمين . ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها أول أيلول يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين . ووضعت الحرب أوزارها . ورحضت بماء السلم أوضارها وأخذت من أهل النار نارها . وقصدت الفرنج من وراء البحدر بيارها . ولا شك أنهم يستعدون في هذه المدة . ويستمدون ما يستطيعونه من القوة والعدة . ويستجدون عزمة العودة . وقد شرع الخادم في تحصين الثفور . وإمرار الامور . وابرام معاقد المعاقل . وإحكام قواعد الحق بتعفية آثار الباطل. وإتمام أسوار القدس وخنادقه . حتى يبقى على الدهر آمنا من طروق العدو وطوارقه . وإعادة الاعمال والاحوال إلى عادة عمارتها . وحلية نضارتها . وإجمام العساكر واراحتها . ليوم تعبها الذي هو عين راحتها . ولقد كان الخادم للسالم متكرها . ولايرى أن يكون كشسيمة ملوك العصر عن الفرو مترفها . لكنه أجمع من عنده من الأمراء وذوى الاراء على ان المصلحة في المصالحة راجحة . وأن صنفقه الكفر فيها خاسرة وصنفقة الاسلام را بحـة .

وان في اطفاء هذه الجمرة وقد وقدت سكونا عاما . وأمنا تساما . وتفريقا لجمع الكفار لشمل النصر عليهم ضاما . فهي سلم أذكى من الحرب فيهم . وانها تقصيهم من هذه الديار بل تنفيهم . والى متحتجتم هذه الاعداد الهائلة لهؤلاء الاعداء . وتتفق هذه الامداد المائلة لهؤلاء الاعداء . وتتفق هذا الجمع على المتواصلة من أهل النار في الماء . وما صح لهم هذا الجمع على التكسير إلا في خمس سنين . وما وافي اليهم مددهم من الوفه سوى مئتين . وكل ما كان لهم من أموالهم في بالادهم نقلوه وانفقوه . وأيقنوا أن مرامهم صعب وتحققوه . فمتى انفضوا انقضوا . وقد أن ان يرفضوا ويرفضوا . وإلى أن يتفق مثل هذه الجموع . ويعزم ناهبهم على الرجوع . يكون الاسلام قد استظهر بقوته . واستكثر من نجدته ومن جدته ، فرأى موافقة الاجماع . وقبل مناصحة الاشياع . وتفرق جمع الكفر وباخ جمره . وأمن ذكره ومكره . وانشرح صدر الاسلام وتضوع نشره . وتوضح بسنى النصر فجره .

ذكر ما جرى بعد الصلح

عاد السلطان الى القدس وعادت عادة سعادته . واشتغل باتمام السور والخندق وتكميل عمارته . وفسلح الفرنج كافة في زيارة قمامة . فجاؤوا ووجدرا الامن والسلامة . وزاروا ورازوا . ولما عجزوا أن يحتازوا سألوا ان يجتازوا . ففسح لفريق من بعد فريق . وتوافوا في طريق وراء طريق وقالوا إنما كنا نقاتل على هلنا الذي وجدناه مع الصلح ومازلنا سائرين في ليل القصد حتى وصلنا إلى الصبح . وكان ملك الانكتير راسل السلطان وسأل منع الزيارة الالمن وصل معه كتابه أو رسوله . ورغب في أن يجاب سواله في ذلك ويصاب سوله . فقيل مقصوده انهم يرجعون إلى بلادهم على حسرة الزيارة . فيبقون على الاستنفار والاستثاره . ومن زار برد قلبه . الزيارة . ورغب في أن يجاب ساؤله له النيارة . فيبقون على الاستنفار والاستثاره . ومن زار برد قلبه . وتنفس كربه . ولم يبق له في مشقة العود أرب . ولم يتصل له لهاده وتنفس كربه . ولم يبق له في مشقة العود أرب . ولم يتصل له لهاده والديار سبب . فكان الامر كما حسب فاعتذر إليه في الجواب الذي

كتب. وقيل له أنت أولى بمنعهم . وردهم بردعهم . فانهم يصالون إلينا وافدين . ولزيارة الكنيسة قاصدين . وما يقتضي كرمنا أن نرد الوفود . ولانبلغ من يقصدنا المقصود . ومرض ملك الانكتير مرضا ألهاه عما اشهاه . ولم يبلغ في هذا الفرض إلى منهاه . وركب البحر وأقلع . وعجل في مفارقته وأسرع . وسلم الامر الى من يليه . وهو الكند هري ابن أخته من أمه . وهو ابن اخت ملك أفرنسيس من أبيه وتبعه فرنج الجزائر . ولم يقف الاول على الاخر .

ذكر ما عزم عليه السلطان

عزم على الحج وصدمم . وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم . وأمر بأن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج إليه من الازواد والذفقات . والثياب والكسوات . فقيل له لو كتبت إلى أمير المؤمنين وأعلمته بحجك وعرفته بنهجك . حتى لايظن بك أمر انت منه برىء وبيعلم أن قصدك في المضى مضىء . والوقت قد ضاق ويبلغ الخبر الافاق . ثم هذه البلاد اذا تركتها على ما بها من الشعث . لم تبرم مدرر حبلها المنتكث. وهذه المعاقل التي في الثغور، حفظها من أهم الامور. ولايغير بعقد الهدنة . فان القوم على ترقب المكنة . والغدر دا بهم . ومليء البغي إهابهم . فمازال الجماعة بالسلطان حتى حلوا من العزم ما عقده . واطفأوا من نار جده فيه ماأوقده . فشرع في ترتيب قاعدة القدس في ولايته وعمارته . وتهنيب عمله ومعاملته . وكان الوالي بالقدس حسام الدين سياروخ . وهـو تـركي يقتدى بـه في زهادته وحسن سيرته الشيوخ . وكان فيه دين ولين . وحبله في الخير متين . ولم يزل مستوفيا لحق الامانة . مستعفيا من الولاية لطلب الصيانة . فانصر ف حميدا أثره ، كريما مورده ومصدره . وفوض السلطان ولاية القدس الى عز النين جرنيك . وقال تهنيك في الامور يغنيك عن أن نهديك . وإنما اعتمدنا عليك لاجتماع خالال الكفاية والشهامة والديانة فيك . فتول آخدنا بالحزم في تثبتك

وتأنيك . وترويك وتأتيك . وولى علم الدين قيصر اعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وما والاها ، فضرج اليها وتولاها . وامر بذقل الغلات من البلقاء لتقوية الفلاحين . واعانة المقلطعين ، وكذلك أمر بذقل الغلات من مصر الى أعمال عسقلان . ليعيد إليها الزراعة والعمران . وسأل الصوفية عن أحوالهم وآذن سؤاله عنها باجابة سؤلهم وسولهم . فانه كان وقف دار البطرك مجاورة قمامة لهم رباطا . وجعل لهم كل يوم فيه سماطا . وزاد في الوقوف . وحكمهم في الانفاق بالمعروف . وكان قد جعل كنيسة صندحنا عند باب الاسباط الفقهاء الشافعية مدرسة . وردها بنية على التقدوى مؤسسة . وزاد في أوقافها . ووفر مواد تلادها وطرافها . وأمر بان تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب قمامة بيمار ساتانا المرضى ، واتخذ فيها بيوتا فيها حاجات أصحاب الامراض على اختلافها تقضى ، ووقف مواضع عليها . وسير ادوية وعقاقير عزيزة الوجود اليها . وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم . وعول منه على أمين كريم .

ذكر خروج السلطان على عزم دمشـق مـن القـدس وعبوره على الحصون

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال . وقد دبر الاحوال . وأقام بعدله الاعتدال . وأفاض الفضل والافضال . وجاوز ناحية البيرة . وقد جلا جلاله سني راياته المنيرة . وبات على بركه للداوية . بالهمة الروية والعرزمة القوية . ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعة . وجمع شتات مصالحها المتسوزعة . وكثرت الاستغاثات على سيف الدين علي المشطوب صاحبها . وأنه قد طرق الرذق الى مشاربها . وزاد في رسومها ونوائبها . فاقام بها إلى ظهر يوم السبت حتى كشف منظالها . واضحك بالعدل والاحسان ماسمها . واسقط رسومها الجائرة . وأمات سننها الضائرة .

وأصفى بها شرعة الشريعة. واضفى ظلال الرعاية للرعية في مراعيها المربعة . ورحلنا بعد الظهر . وبتنا ليلة الاحد عند عقبة ظهر حمار بموضع يعرف بالفريبيسة . ورتعنا في مسروجها الانيسسة . وأصب بحنا راجلين . ونزلنا ضعدوة على جيئين . وهناك ودعنا المشطوب وداع الآبد. قانه انتقال بعد ايام الي رحمة الواحسد الصمد . وكانت وفاته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال . ورحلنا يوم الاثنين وجائنا ضحوة الى بيسان . وأزال هاول السلطان عنها البؤس واشاع الاحسان . وصعد إلى قلعتها المهجورة الخالية . فابصر قللها العالية . وقال هذه اذا عمرت دامت في حضانة الحصانة . وكان جبلها لوثوقه مستودع الامسانة . والصواب بناء هنه وتخريب قلعة كوكب . ولم يزل حتى بين كيفية بنائها ورتب. وووعد باحكامها ، وإعلاء اعلامها ، ثم ظهر ظهرا وبات على قلعة كوكب . وشاهدها وصعد نظر رأيه فيهما وصدوب . ورحل عنها ضحوة الثلاثاء ونزل بظاهر طبرية وقت العشاء . وهناك لقينا بهاء الدين قرا قوش وقد خسرج من الاسر . وتلقيناه بالبشر والبر . واقمنا بها يوم الاربعاء لتسوا فر الانداء ، وتسواتر الانواء . ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صفد تحت الجبل. وصعد السلطان اليها وامر بتسديد ما فيها من الخلل . ثم ساريوم الجمعة على طريق جبل عاملة ونزل صَحوة بضيعة يقال لها الحبش. وهسى عامرة محدوية على سكانها . كأنها العش ، وسرنا منها وخيمنا على مرج تبنين . وبتنا باحوال قلعتها معتنين . واصدبح السلطان حوالي حيطانها باحوالها محيطا . ممتطيا قدلة قلعتها ولاسباب اختلالها مميطا . ووصى الوالي بعمارتها وجعل مصالحها بكفايته منوطة . وسدادها بسداده منوطا . ثم رحلنا بكرة السبب وجنانا على قلعة هـونين . ونزلنا من الجبل . وبتنا على عين النهــب واجتمعنا بالثقل. ورحلنا يوم الاحد وخيمنا بمدرج عيون. وجلس السلطان على عادته معنا في تدبير المسالك تلك الليلة وسسهرت العيون . ورحلنا عصر يوم الاثنين ووصلنا السير بالسرى . وقطعنا ف الطريق الوعر الوهاد والذرا . وعبرنا بين عمل صيدا يسرة وعمل وادي التيم يمنة على الضياع والقرى . وعرسنا على مدرج تلفيائا

مقابل مرج القنعبة . ودفعنا إلى ساوك المسالك الصحبة . شام اصبحنا يوم الثلاثاء على الرحيل الى البقاع من تلفياتا فخيمنا على جسر كامد . والسلطان مشغول في طريقه من تقرير العمارات وتحرير سنن الحسنات باقتناء المحامد . شم غدونا يوم الاربعاء وخيمنا بناحية قب الياس وقد اصحرنا الى الفضاء . وأقمنا ذلك النهار راتعين نت الفواضل السلطانية في النعماء . ولما جن الليل جمعتنا بالفضرة السلطانية الانوار . وسرت اسماعنا منه اسماء رجال الفضل والكرم وسنتهم لا الأسعار ، وبخل السلطان يوم الخميس الى بيروت ، وانجز بالوصول اليها وعدة الموقوت ، ونزلت الاثقال على مرح قلميطية بالبقاع ، وأقامت خمسة أيام على الاستراحة والايداع .

ذكر وصدول السلطان الى بيروت ودخول بيمند الابرنس صاحب أنطاكية عليه والاستجارة به وذكر سامة

ولما وصــل السـلطان الى بيروت تلقـاه واليها عز الدين سامة ، بكل ما توفرت به الكرامة ، واسـتقبل الأصـحاب بصـدر رحيب وظل خصيب ، وسـماحة اريب وسـجاحة لبيب ، وفتحـت الأهراء على غلاء الغلات بالثغر ورفع اغلاقها ، وسـبلها وما قيد اطلاقها وقـرى واضـاف ، وادنى القــطاف ، واصــفى العطاف ، وتلطف في الهدايا وأهدى الألطاف ، وفرق على الصـغير العطاف ، واحضر للسلطان ولكل من معه الطـرف ، واغنى واقنى ، واعدم في الجود الموجود وافنى ، واعطى الخيل والماليك والمواري والملابس ، وبذل النفائس ، وزف على اكفاء المحامد من البكار المناقب العرائس ، واظهر في مكان الشدة الرخاء ، وفي مـظنة الضن السخاء ، واهب في اعصار الاعسار لرجال الرجاء من سماء السماح الرخاء ، واحضر كل ما عنده مما كسبه في الغنيمة ، جـريا السماح الرخاء ، واحضر كل ما عنده مما كسبه في الغنيمة ، جـريا

على كرم الشسيمه ، ومسان الجسوخ الأفسرنجية والثياب البندقية ، والهنايات الفضسيسية والأكواب اللجينية ، والسروج واللجسم ، والأكسيية والحساميز والملاليط واللجافيور ، والمعروض والدراهم والدنانير ، ففرق من ذلك ما جمعه * ورفع الى كل منه ما اسمى قدره ورفعه . وما انفصل عنه الاكل مواصل بشكره ، مساجل امتاله بدنكره ، مضوع كل ناد للكرام بنشره ، وقام بالسلطان وبكل من صحبه مدة مقامه ، واعجب واعجز ما صدق باهتمامه .

ذكر وصول الابرذس بيمند ودخوله على السلطان

ولما اراد السلطان عن بيروت الانفصال ، وذلك في يوم السبت الحادي والعشرين من شوال ، قيل له إن الابردس الأنطاكي قد وصل الى الخدمة ، مستمسكا بحمل العصمه . داخلا حدكم الذمه . فثنى عنانه ونزل واقام وما ارتحل ، وانن للابردس في الدخول ، وشرفه في حضرته بالمثول ، وقربه وأنسه ، ورفحم مجلسه ، وأظهر له البشاشة والهشاشة ، وسكن ممن روع روعه الحشاشة ، وكان معه مدن مقدمي فرسانه اربعدة عشر بارونيا ، ووهب كلا منهم تشريفا سريا ، وأجدزل له ولهدم العطاء ، وابدى بهم الاعتناء وكتب له من مناصفات انطاكية معيشة بمبلغ عشرين الف دينار ، وخص اصحابه بمبار ، واعجبل بمبلغ عشرين الف دينار ، وخص اصحابه بمبار ، واعجبال استرساله اليه ودخوله عليه بعير امان ، فلا جرم تلقاه بدكل احسان ، وودعه يوم الأحد وفارقه ، ووافق مدراد السلطان انه بمراده وافقده ، وانصرف المذكور مسرورا ، بين اسرت

ذكر وصول السلطان الى دمشق

لما خرج السلطان من بيروت يوم الأحد بات بالخيم على البقاع ، واحضرنا تلك الليلة في نادى فضله للموانسة والامتاع ٠ وتجاذبنا اطراف الآراء ، وهززنا منه اعطاف الآلاء ، واستدنينا قطاف النعماء ، وقد قرب الدخول الى البلد ، والوصول الى الأهل والولد ، وكل يقترح مقصودا ويقصد اقتراحا ويظهر الى سكنه ومسكنه ارتياها والتياها . فردلنا يوم الاثنين وعبرنا عين الجر وبتنا على مرج يبسوس ،، وقسد شرح الله الصسدر واطسساب الذفوس، ووصل الينا من اعيان دمشـق مـن سـبق للتلقـي والاستقبال ، واظهـــروا بقــدومنا أســباب الاحتفــاء والاحتفال ، وجاءتنا فواكه دمشق واطايبها ، واغتصت بالواصلين الينا مسالكها وماناهبها ، ورحلنا يوم التاليا وبتنا بالعرادة ، وجــرى المتلقــون في التحفــي بــالتحف على العادة ، واصبحنا يوم الأربعاء ودخلنا الى دمشــق وقـد اخـرجت ا تقالها ، وابرزت نساءها ورجالها ، وكان يوم الزينة ، وخسرج كل من بالمدينة ، وحشر الناس ضحى ، واشاعوا استبشارا وفسرحا وكانت غيبة السلطان عن دمشــق اربــم سـنين في الجهــاد طالت ، فاهتزت بقدومه واختالت وقرت بفضائله الأعين ، واقسرت بفواضله الألسن ، وذاعت اسرار السرور ، ورقت حبرات الحبور ، وطابت الأذفس ، وغابت الأبوس ، وانجلت المكاره وتجلت المكارم، وافتـــرت المبــاسم وهنيت بمـــوسمه المواسم ، وتهوييت التهاني ، وهديت الأماني ، وغنت المغاني ولذت المجاني ، وسسفرت المجالي ، وظفرت المعسالي ، وتحلت الأحــوال، وتملت الآمـال، وراج الرجـاء، وآرجـت الأرجاء ، وفاض الجود • واستفاضت السعود • وعم العدل • وتم الفضيل • واشرقت الافساق • وأفساق الاشراق، وكرم الفضلاء ، وفضل الكرماء . وحال في القلعة حلول الشهمس في برجها ، وقد جلت ا وجه السعود بأوجها ، وأخذت بحار سماحه في موجها ، وسلكت المناجع في نهجها ، وجاءت المنائح في فجها بفوجها ، وصدفت شرعة الشرع لواردها ، وضدفت حلة الكرامة على وا فدها ، وفتحت مرتجات ابواب الآلاء لمرتجيها ، واستجدت عادات انجاز عدات الجوائز لستجديها ، ويسر اليسسار لاسسعاف العافي ، وتمت على السن الأنام اوصاف الصافي ، وجلس السلطان في دار العدل فأعدى المستعدي ، ولبسى المستدعي ، واجساب واجار، وأنال وانار، وجاد واجاد، وبدأ واعاد، وفي هذا الشهر خلص بهاء الدين قراقوش من الأسر ، واجتمع بنا يوم وصدانا الى طبرية ، ولقى من السلطان الألطاف الخفية ، ووصل معه الى دمشق واقام الى أن خلص اصحابه من الأسر، وتسوجه الى مصر ، وقد صان نفسه ببذل ماله ، واخسرج تسدروته ودخسل في اقلاله ، وخرجت السنة والسلطان في اسنى سنانه ، وابهى جلاله وأجلى بهائه ، والناس راتعون في رياض نعمائه ورسال المالك الفربية والشرقية عنده يخطبونه ويطلبونه ، وينتظرون عزمه ويرقبونه ، وهو يعدهم بانحسار الشتاء وانكساره ، وابتسام ثفر الربيع وافتراره ، والتهاب زهر ازهاره ، وانتهاب سرح سالاح اسحاره ، وانتباه عيون بهاره ، واندلاق غرار عراره وائتلاق انواء انواره ، وانطبساق نواظسر تمسساره ، واصسطفاف اوراق ا شجاره ، وانفتاق كمامه واتساق نظمامه . وانتثمار منظمومه . وانتظام منثوره ، وانفجار صبح استفاره ، وانفسراج وجسه ســـفوره ، واجتمـاع لفيف اعشـابه ، واســـتماع حفيف اقصابه ، والتماع بريق سحابه واتساع طريق صحابه ، وانشاق اق شقائقه ، وانعقاق عقائقه ، واشهامال شهمائله ، واقتبسال قبائله ، وتأرج صبا صباحه ، وتبلج صبا صبابه ، وتدورد وجنات جناته ، وتوقد جمرات ثمراته ، وتنسم ضمير ضميراته ، وتصدور خدود تفاحه ، وتدور نهود رمانه ، واخضرار آس عذاره ، واحمرار خد جلناره ، وتشذف اقطار النادي اقراط قلطار الندي ، وتفوف حافات الوادي بالوشي الوشيع من حول الرباب حدول الربا ، فإذا طاب النسيم وذسم الطيب ، ودعا البلبل ولبسى العندليب ، وتعسطر عبير الربيع وتصور الشقيق كأنه تخمر من عجين النجيع ، ووافدق

مراد المرعى من المراد المريع ، وحلا الجني اللجيني . وحلى النضير النضاري ، وبقل العذار البذهسجي . واشتعل الخد الجلناري الناري ، ونجم في الروض النجم السمائي المائي ، وابتسم الثفر الاقاحي، وتنسم الضوع الصباحي، وتحدرك العدرف السحري الشجري ، وتأرج النشر الروضي ، وتبلج البشر الوضي ، وانتشى الذشأ الشكالي الشمولي . وانتعشت عاثرات اعشاب الشعاب ، وقابلت القيول خطبة الفضل بفضال الخطاب ، وصابت، الصبافي محل خطيئة المحل بصوب الصواب ، فحينئذ آل جماح الأصحاب الى الاصحاب، وصرفت اشاجيع الشجعان وأيمان أهل الأيمان كل مواج العنان رواج السنان ، ونزعت النزائع الى الحلاب ، ورشفت القواطع بشفاه ضرب الضراب ، واجتمعت العساكر وعسكرت الجموع ، وسرت الطلائع وسر الطلوع ، ونهض اهـل الجـد وجـد النهوض ، وفاضت المنابع ونبعت الفيوض ، وضرب السرادق الســلطاني حيث النصر ينزل ، والســعد يقبــل ، واليمـــن يشمل ، والنجح يسهل ، والظفر يمثل ، والأمر يمتثل ، والجد يسمن . والهزل يهزل ، والعزم يولى، والونى يعزل ، ويعم العدل مع اعتدال الزمان كل مكان ، ولا يتذفس الا بحديث الطاعة من يحدث نفسه بعصيان ، واقمنا على هذا العزم الى آخر السنة ، والاجفان مغضوضة على طيب السنه ، وظل البرد الشديد مديد ، والجلد واه والهواء جليد ، وحد الشتاء في التشتيت حديد . والجبال قد اشتعلت رؤوسها شهيبا ، والثلوج قهد زرت على اعناق اطها جيباً ، والجوفي نظم ونثر ، والثرى من التراث مثر ، والهتون ناكب ناكت ، والهدوف ساكن ساكت ، والمزن مسزين ، والحسزن حزين ، والسماء سماط ، والنشاص نشاط ، والسحاب حساب ، وللبرق والرعد انتحاء وانتصاب ، وللبسرد مسن ثلجسه برد . والمطر في نهجه طرد ، والغيث عيث ، والوحل ريث ، وكانون قد اكن الربا • وشباط قدد شبب الشببا . والنار محبوبة مشبوبه ، وحــدود النكب مــدزويه ، وخــدود التــرب مضروبه ، والسلطان مشغول بالصيد والقنص ، منتهز في العمر الفرص ، مبتز بـالبزاة والصـقور ، حشـاشات الوحـوش

والطيور ، بكل جار جارح ، وطائر طارح ، يدني اجال الحجال وحمام الحمام ، كأنه غريم لها لاهمى الغرام ، وكل شهم ينقض انقضاض السهم ، ويبط يعطن البعط بعالجزم ، وأكثر الجلوس بدمشق في دار العددل ، واغزر لمنتجعيه در الفصل . وحدكم وقضي ، واسخط بالحق وارضى ، ووقف وامضى ، وما منع بل اعطى ، واصاب وما اخطا ، وجاد واجاد ، وابدى واعاد ، وواوفد وا فاد ، واحسن وزاد ، واغنى واقنى واجدى واسدى ، وأولى وولى ، وأجار وأجاز ، وحاز وفاز ، وقرب العلماء ، وأكرم الفضلاء ، وفضــل الكرمـاء ، وتـكلموا عنده في المسـائل الشرعية ، وظفروا من جوده بالوسائل المرعية ، وماكان احسن الى الحق اصعاءه ، وأسرع الباطل إلفاءه • ولكل ذي فضل منه حظ • ولكل ذي حفظ منه حفظ ٠ ولكل محسروم منه رزق ، ولكل مسرزوق الى حمده سـبق، ولكل فهـم عنده سـسوق، ولكل سـسهم عنده فـــوق، ولكل أدب لبيه داب، ولكل عاتــب عدم مــن جــوده أعتاب ، ولكل مكرمة عنده بساب ، ولكل دعوة عاف من استعافه جواب ، ولكل مستجد اجداء ، ولكل مستهد اهداء ، ولكل سائل نائل ، ولكل ما حل وابل ، ولكل ظلمام ري ، ولكل حسائم ورد هني ، فما أسح مزنه ، وماأصح وزنه ، وماأسمح يده ، وماأ وضح جدده ، وماأعلى جده، وماأجد علاه ، وماأجدى كفه وماأكفى جداه ، وماأكثر حياءه وأغزر حياه ، وأرج رباه وأبلج محياه . وممن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسالان ، وكانت وفاته يوم الخميس منتصف شعبان .

كان له عشرة من البنين قولى كلا منهم اقليما ، وقصد به لمناد امر ذلك الجانب تقويما ، فقدوي كل منهم في تغره ، واستقل بأمره ، ودب في طبعه حب الاستيلاء والاستبداد ، ومد عينه الى مافي يد صاحبه من البلاد ، وكان أكبر بنيه قطب الدين ملكشاه قد استحكمت قواه . واستقطال هدواه ، وهدو حينئذ متدولي سيواس ، فأطاع في المتملك على ابيه ملكه الوسواس ، وسعى الى

أن أبعد من عند والده اختيار الدين حسن بن غفراس ، وصرور له انه يريد ان يستولى على الملك ، ويذفرد بانتهاج المسلك وانتظام السلك ، وساعده صاحب ارزنكان وأمسن اختيار الدين الى المذكور واختاره ، واستأنن السلطان ان يقصد بياره ، ويقيم عنده الى أن يصلح أمره مم أولاده ، ويأذن له في العود الى بلاده ، فاستصحبه صاحب ارزنكان ، وأوقع عليه في الطريق التركمان ، فقتلوه شر قتله ، ومثلوا به وبولده مثله ، فلما عرف ملكشاه أن وجه والده خلا ، وأنه عن حسن بن عفراس سلا ، سلا ، وأخنى عليه ، ودخل قونية دار مملكته ، واستبد بحدوز حدوزته ، وقدوى بعـزته ، وعز بقــوته ، وقـال لوالده انا بين يديك ، واشــفق عليك ، وأذفذ أوامرك ، وأوفر مأشرك ، وقتــل أمــراء كاذوا لأبيه ، وألزم خدمته من لايشتهيه ، فبقى معه كالمعتقل ، يظن حاليا وهو في العطل ، واستكتبه أنه ولى عهده ، والقائم بالسلطنة معه ومن بعده ، وتدمر ف في خزانته وملك أقسرا ، وفرع وفرى ، وقدرع وقرا ، وقلطع وبدرى ، وقد مضى حسديث ملك الألمان ، في ذلك الأوان ، وكيف وصل وعبر الى الشام ، وكيف قوي بهدم في وهدن الاسلام ، واستصحب معه والده الى قيسارية ولقسر اخيه نور الدين سلطانشاه وحصره ، واظهر انه بسأمر والده وانه شلساد ظهره . وخرج عسكر البلد وصدف ، ووقدف وكف ، ورأى قليج ارسلان ، أن ولده عنه مشغول ، وان عقد حراسته له محلول فخرج من الصدف مفارقا للولد ، وانفصل ملكشاه الى قدونية وملك تلك الأمكنة ، وقد استبد بالسلطنة ، وبقسى قليج ارسالان يتردد في بلاده ، وفي ضيافه أولاده ، ويندقل من بلد الى بلد ، ومن ولد الى ولد ، وكلهم يضجر منه ، ويعرض عنه ، حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسر و صـاحب بـرغلو فقـرواه وأزره وضـافره وظاهره ، وجمع وحشد له وأخدُ له وما خذله وجاء به الى قونية فدخلها ، وحلى به عطلها وخرج ليأخذ أقسرا فتعذرت وتمنعت عليه وتعسرت ، واسترغب الأوجيه ، وجمع العسكرية ، فمرض فجاء به وقد توفي الى قونية في محفه ، ونزل يمشى قدامها ويظهر انه من المرض الثقيل في خفة ، حتى بخال المبينة وقلعتها ، واجتازها واجتاز مملكتها ، واستدعى الأعيان ، فاستحلفهم ، واستمالهم وتألفهم ، ثم اظهر لهم وفاة ابيه وأنه وارث ملكه ومتوليه ، وقدوي على قطب الدين ملكشاه اخيه .

وتوفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش وكان من أهـــل الفضـــل ، والرياســة والنبل ، وهو قــاضي العســكر الحــاكم المحـــكم ، والكريم المكرم ، والســلطان يعــول عليه في المهــام ، وفي الأمــور العظام ، وبؤهله للرسائل وأخذ المواثيق والعهود ، وتولى الولايات والعقود ، ولما أخذ شهرزور سلمها اليه ، وعول فيها عليه ، ومابرح بها حتى أنعم يها على صاحب اربل مظفر الدين فعاد القاضي شمس الدين فأرسله السلطان الى قليج ارسلان وأولاده ، ليصـلح بينهـم ويعيد امرهم الى سداده ، فتردد بينهم سـنه . ولم تــزل مساعيه مستنجحة مستحسنة . وعاد ووصل الى ملطية ، وقد استكمل مسن عمره الله العطية ، وتوفي بهــا في شــهر ربيع الأخــر مـــن السنة ، واندقل الى الله بأعماله الحسنة .

ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بدمشق في داره ، وممالك الآفاق في انتظاره ، والآيام مشرقسة بمسطالع أنواره ، والليالي مترقبة صباحها لاسسفارة ، ورسال الأمصار مجتمعون على بابه ، منتظرون لجوابه ، والوافدون قاطفوا جني جنانه . والضيوف في فيوض انعامه عائمون . وبفروض حقوقه قائمون ، والفقراء في رياض صدقاته راتعون ، وفي كلاء كلاءت راعون وادعون ، ودار العدل بالفضل داره ، واسرار المنى بالمنائح ساره ، والسلطان يجلس في كل يوم وليله لاسداء الجود وابداء السعود ، وبث المكارم وكشف المظالم وتنفيذ المراسم وامضاء العزائم ، وتشييد الدعائم وتقرير العظائم ، والاهتمام بمصالح الاسلام ، ومناجح الانام ، والاغتنام للمسلمين بما يتم في بالدهم من الخطوب ، ويتم من الكروب ، وبمجالسة العلماء ومساجلة

الفضلاء ، ومدوالاة الأولياء ، ومصافاة الأصدفياء ، واعداء الملهوف ، واسداء المعروف ، ومل ملازمة البلد ، وخدرج عن حكم الجلد ، وبرز الى الصيد شرقي دمشدق بدزاد خمسة عشر يوما ، وأوسع من لم يوافقه على الخروج لوما ، واستصحب معه أخاه العادل وأبعدوا في البرية ، وظهروا عن ضمير ضمير الى الجهة الشرقية ، وطابت له الفرص ووافق مدراده القنص ، شم عاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ، ووجه بشره قد سفر ، ووافق ذلك عود الحاج الشامي فخرج المتاقبي ، وسعاداته في الترقي ، ولما لقي الحجاح استعبرت عيناه ، وكيف فاته من الحج ماتمناه ، وسالهم عن أحوال مكة وأميرها وأهلها ، وخصبها ومحلها ، وكم وصلهم من غلات مصر وصدقاتها ، وعن المجاورين والفقراء ورواتبها من غلات مصر وصدقاتها ، وعن المجاورين والفقراء ورواتبها من غلات مصر وصدقاتها ، وعن المجاورين والفقراء ورواتبها وادراراتها ، وسر بسلامة الحاج ، ووضوح ذلك المنهاج ، ووصل من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام ، فتلقاه بالاكرام وأنزله في كنف الاهتمام ،

ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق

جاس ليلة السبت سادس عشر صدفر في مجلس عادته ، ومجلى سعادته ، ونحن عنده في أتم اغتباط ، وأتم نشاط ، حتى مضى من الليل ذائه ، وهو يحدثنا ونحن نحدثه ، ثــم صــلى بــه وبنا إمامه ، وحان قيامه ، وانفصلنا باحسانه مغتبطين ، وبامتنانه مرتبطين ، وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في الايوان ، ننتظر خروجه لوضع الخوان ، فخرج بعض الخدام ، وأمر الملك الأفضل أن يجلس موضعه على الطعام ، فجاء وتصــدر وتــربع في دسته ، وجلس بسمته وسمته ، وتطيرنا من تلك الحال وتفللنا بحد ذلك الفـال ، ودخلنا اليه ليلة الاحــد للعياده ، ومــرضه في ذلك الفـال ، ودخلنا اليه ليلة الاحــد للعياده ، ومــرضه في الزيادة ، وتوفي بـكرة الأربعاء السابع والعشرين ، وذقله الله في دسته العالي الى أعلى عليين ، ومات بموته رجاء الرجـال ، وأظلم بغروب شمسه فضـاء الأفضـال ، وغاضـت الأيادي ، وفــاضت

الأعادي ، وانقطعت الأرزاق ، وادلهم ت الأفساق ، وخساب الراجون ، وغاب اللاجون ، وخاف الأمن وخاب الأمل ، وقنط السائل وشحط النائل ، وطردت الضيوف ، وذكر المعروف ودفن بالقلعة في داره وفجــع الزمـان بـانواره ، وعدمــت الأيام صباحها ، والأمال نجاحها ، ودفن معه الكرم ، وغلب بعد وجوده وجوده العدم والعدم، وبقيت تلك الأيام لاأ فدرق بين الدجدي والضحى ، ولاأجد قلبي من ســقم الهــم وســكره صــح ولاصحا ، وحالت حالي وزال ادلالي ، وبطل حقي واتسم خرقي ، وتنازل جاهي ، وتنازق اشباهي واعضلت ادواء الدواهي وبقيت المعسسارف متذكره والمطسسالع مسسسكفهرة ، والعيون شاخصة ، والظلال قالصه ، والأيدى يابسه ، والوجوه عايسة وعادت أبكار خواطري عانسة ، ونجوم قرائحي وشواردها الأنسة خانسة كانسة ، وبقى باب كل مرتجى مرتجا ، ومنهج كل معروف منهجا ، وظن الغنى عنى ، واختلف في ضنن الاحسلاف بني ظنى ، حتى تولى الملك الأفضل بدمشق مقام ابيه ، وقام بالأمر بعزم تأنيه وحزم تأتيه وعز تأبيه ، فعدرف افتقاره الى معدرفتي وفقري ، والى عطل الملك ومحله من غزارة حلب درى ونضارة حلى درى ، فكتبت له ، وحليت من الملك عطله ، ووشبيت الكتبب ووشعتها ، وجليت الرتب ووساعتها ، وهاززت اليراعة • وأغزرت البراعة ، وهجرت الجماعة ، ولزمت القناعة .

ذكر الملوك من أولاد السلطان وذويه بعده

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر والأذكرا وابنة صفيرة ، وأبقى له مآشر أثيرة ومحاسن كثيرة ، ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحدا وستة وثلاثين درهما ، فانه كان باخراج مايدخل من الأموال في المكرمات والغرامات مغرما ، وكان يجود بالمال قبل المحسول ، ويقطعه عن خسرانته بالمحالات عن الوصول ، فاذا عرف بوصول حمل وقع عليه بأضعافه ، وخص

الآحاد من ذوي الغناء في الجهاد بآلافه ، ولاجبه أحد بالرد اذا سأله ، بل يلطف له كأنه استمهله فانه يقول ماعندنا شيء الساعة ومفهومه أنه يعسطى وأن كان يبسطى. وإنه يصسيبه بسالنوال ولايخطى ، وكان ولي مجده بالشام الملك الأفضل نور الدين علي ، وأنه كاسمه سام علي ، وذور فضله كسمته جلي ، وهو الذي حضر وفاته ، وفاز بملكه فما يقال حضر وفاته ، وقام بسانة العزاء ، وفرض الاقتداء بأبيه في إيلاء الآلاء وادناء الأولياء ، وخلع على الأماثل والأمراء والأفاضل والعلماء ، وكان بالباب رسل ووفود وملوك ، ورجال لهم في مسالك الرجاء سلوك ، فخابوا وغابوا ، وفهوا وما إيوا ، وما إيوا ،

ذكر من تولى ممالكه بعده من اهله

تولى ولده الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمسان مصر وجميع اعمالها . وابقاها على اعتدالها ونقساها من شدوائب اختسلالها واعتلالها . وأحيا سنتي الجود والباس . وثبت القواعد من حسن السياسة على الأساس. واطلق كل ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاه . وضاعف ما كان يطلق برسم العفاة . وجاد واجاد وابدى الكرم واعاد وبسط وقبض ، وأبسرم ونقض ، وحسل وعقد ، وبر وافتقد ، ووضع ورفع ومنح ومنع . وابصر وسمع وضر وذفع ، وقطع واقطع ، واصل وفرع ، ووعد وانجز ، وأوعز بغني من اعوز . وبرز وابرز . وجاهد وجهدز . وعرض الكتائب . وفدرض المواهب . واجرى الصدقات . وتصدق بالجرايات . وادر وادار . واجاز واجار . وأغنى وأسعد ، وأدنى وابعد ، وقدم امسر بيت الله المقدس . واعتمد في اعتماد الأشوس الأسوس . وعجل له بعشرة الاف بينار مصرية . لتصرف في وجوه ضرورية . ثم امده بالحمل . وأفاض عليه من الفضل. وقرر واليه عز الدين جربيك على ولايته. وقوى يده برعايته ووالى حمل الغلات من مصر الى القددس وابسدل وحشته بوفاة السلطان من وفساته بسالأنس. وجلس في دار العسدل

فقصل ووهدل . وأحسسن وعدل . وقضى وحكم . وامضى واحكم . وأحضر ذواب ديوانه في ايوانه ، واستعرض منهم قوانين سلطانه ، واستقرى الضياع والاقطاع . وعمم الاصطفاء والاصطناع . وحدل من اقام بالشام . وألزم جند مصر بالخدمة والمقام . وما أبقى إلا ما في يدى من الضياع . وصان حقوقي من الضياع . وأمدر بتخليده . وأجد جدي بتجديده . فجاءني كتابه الكريم بكل كرم مكتوب . ومحدويه من الرفد محدوب . ورعى في عهد الوالد . واضاف الطارف عندي من العدرف الى التالد ، هذا وأنا غائب ، وبدرائي رائب . واسواء كاتب ونائب . وما حوجني في النوال الى السؤال . وأغناني عن الأرسال. ولم تفتقر مقاصدي ووسائلي الى تسبير القصائد والرسائل . وما أغرب بدار فواضله حلول بدار الافاضل . ثم اشفق من غدر الفرنج في فسخ الهدنة . فأتى من تجهيز العساكر الى البيت المقدس بكل ما في الكنه . ثم سمع بحركة المواصلة ومن بسايعهم . وتابعهم وشايعهم . قد خرجوا في ايمانهم حانثين . ولعقد ايمانهم ناكثين . فضيم ببركة الجب . واستشار امراءه . أهل الرأي واللب . وجهز جيشا جادشا . وبعثا لعثار الدولة ناعشا . في كل مقدم مقدام . وهمام همام . وضيغم ضرغام . وقرم قمقام . فوصلوا الى دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم وسلمهم. وهز منهم اعطاف الاستكانة له بعد هزمهم . فرأى ان الحمد أعود والعدود أحمد . وسيأتى ذكر ذلك في مكانه ، عند ذكر الملك العادل ومارفع الله مسن شأنه.

ذكر دمشق وما يجري معها ومن تولاها

ودولى الملك الافضل ذور الدين ابو المسن علي ولد السلطان دمشق والساحل وما يجري مع ذلك من البلاد وذفنت البلاد أوا مره . ونفدت في الرجال نخائره . ورتب الأمدور اجمل ترتيب . وهذب الشؤون اكمل تهنيب . وجلا السرير السلطاني بذوره . واسفر صباح الاقبال باقبال سفوره . وهدى وهدا وملا بالبشر المتبلج

والذشر المتأرج الملأ . وهذب واذهب . ورغب وارهب ، ورتب وربت واصلى واصلت . وأثر وأرث . ولم الشعث . وابهى وابهج ، وأجد المنهج المنهج . ورجح ونجح . ومن وشح ، وارسى وارسخ . وبد وبذخ . ووعد وا وعد . وجدد الجدد . واذاع بحميته سر حمايته واعاذ . ووجد الملاذ من وجد منه الملاذ . وامر وأمر . ونضر ونظر . وعز واوعز . وحاز وحز . وسياس وراس وملك البياس والناس . واشاع البر واعاش . واشبع الجياع وروى العطاش . واستخلص ذوى الاختصاص . واختص اهل الاخلاص . ونهض وا ستنهض . وعرض واستعرض . وربط عزمه الرباط واحساط علمه وحساط . وحفظ أولى الحفائظ . ولاحسظ العسرف وعرف أنه لا حسظ لغير اللاحظ . وصنع واصطنع . وابدى وابدع . ومدد الظل واسبغ . وسوى الفضل وسوغ . واهمى العوارف . وامهى الرواعف . وحقق الحقوق . وردق الفتوق . وضم الملك ونظهم السلك . وجلس ف دار العدل ، وأتى بالحكم الفصل ، وحزم وجزم ، وعزم والتزم ، وزاد وزان . وأغاث واعان . وابر ارباب الهوى . وامر من ارباب التقوى -القوى . وحمى النابه . ومحا المكاره . وفاض بفزارة العطايا . واستفاض بطهارة السجايا . وأوي اليه اخوته . وضم جمساعته . وجهز اخاه الملك الظافر منظفر الدين خضرا . واصحبه عسكرا مجرا . وانهضه لانجاد عمه الملك العادل . فانار في فضاء الفضائل . وسار الى الجدفل الحافل. فالتزم الشروع. وهرزم الجمروع. وقارع القروم . وكان الهازم والعدو المهزوم .

وكانت حمص والمناظر والرحبة وبعلبك وما يجري معها في المملكة الافضلية داخلة . وامداد طاعات الولاة والاولياء بها متواصلة . وصاحب حمص والرحبة الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن محمد ابن شيركوه ابن ابن عم السلطان وهو اثير الشأن اثيل المكان .

فوصل الى دمشق مطيعا . ولسر صدقه ونشر صداقته منيعا . مشيعا . فأحلى له الملك الأفضل جنى شهيا واحله جنايا وسيعا .

وعقد له حبا الحب ، وحياه بكل ما سفر عن سسفور مدودة القلب . ووفور مواد القرب .

وكذلك وصل صاحب بعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب طائعا . وللأمر الأفضاي تابعا . فأدناه واجناه . واحبه وحباه . وأسناه وأساه . وأواه وأساه . فتأكدت بينهم القرابة المتشجه . وتشديكت اللحمة المنتسجه . وتمهدت الآصرة الممتزجة . وتفتحت أبواب الالفة المرتجه . وتوا قوا على التوا فق . وتعاضدوا على الأخذ بالتساعد . وتعاقدوا على ترك التقاعد .

ذكر حلب وما يجري معها

وتولى حلب واعمالها وحصونها ومعاقلها . وكرائم البلاد وعقائلها . الملك الظاهر غياث الدين ابو الفتح غازي ، وهو برجاحته وسماحته للطود والجود الموازن الموازي . ودلك مملكة اقطارها واسعه . وامصارها شاسعة ، فحواها وحماها ، ويماء العدل رواها وقواها . واعز رجال الرجاء . وهز اعطاف العطاء ، ورحب لوراده . ورواده رحابه . وسحب بحيا الاحياء سحابه . وابدرت مبراته . واثرت مأثراته . وسع وصع غيثه وغياثه . ورعى رعيته فشبعت ورويت ظماؤه وغراثه . وزخرت امواجه . وزهرت بثدوا قب المناقب ابراجه . وصابت سماء سماحه ، وطابت صدبا صدباحه . وعزت بسيرته كتب التواريخ . وعزى قلمه وسبقه الى عطارد. والمريخ ، وسعدت وقوده ، ووقدت سعوده ، وأثر من امره الذفاذ . وكثر بظله اللياذ . وادنى الأبرار . واقصى الأشرار . وخص الأعزة الخواص . وتمهد لسلطانه الأساس . واطرد لاحسانه القياس . ووجد من عثر من ايد يده الانتعاش . وعشا الى جدواه المجتدى وعاش، وقرض القرص . ورقض الرخص . وأدى القروض . وقضى القروض . واستدنى من المناجح شاحطها . واستدرك من المصالح

فارطها . وملك خلق التحفظ . وسلك طرق التيقظ . وفرق وجمع . وخرق ورقع . وغلب وبلغ . ودمى اهل الكفر والنفاق ودمغ . وشفى واشتفى . وكفسى واكتفسى . وراع وراق . وفسات وفساق . وطلب وادرك . وأخذ وترك . وفساض بالفضل . وراض بالعدل . وقدم العزم . وفساض بالفضل . وراض بالعدل . وقدم العزم . وأحيا السنن . وأولى المنن . ولها بالجد عن اللهو. وانتهى بالعدو الى اليأس المر وبالولي الى النائل الحلو . وأمر ونهى . وأوهن معاقد ذوي المكايد وأوهسى . ووف للوفي . وصدفا الصفي . وأقر البيره واعمالها وما يجري معها على اخيه الملك الزاهر مجير الدين داود . ولم يزل مقبولا امره غير مردود . ونخل في امره صاحب حماه . وأعزه وحماه . وهو ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين واتسع الملك واتسق المسلك . وكاتب الجوانب وراسل . وفارق من رأى وواصل . وطال باعه . واطاع اشسياعه .

ذكر الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب اخي السلطان وما جرى له بعد وفاة اخيه

كان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته . وكان موا فقه ومرا فقه في مقتنصاته . فلما عاد السلطان الى دمشــق ودعه ومضى الى حصنه بالكرك للاستراحه، غير مطلع في سر الغيب في الاقضية المتاحة . فنابه النائب ، ولم يحضر وقت احتضاره الأخ الغائب . فلما عرف وصل الى دمشق بعد ايام ولم يقم لتنفيس كرب الحادث ولم يحدث نفسه بمقام . ولم يرم ثلاثا ولم يرم لباثا . ورحل طالبا لبلاده بالجزيرة . حذرا عليها من اهل الجـريرة . وكان السلطان جعل له كل ما في شرقي الفرات . من البلاد والولايات . ومضى كما الفرات . وجد مما خافه دلائل الفترات . فأقام بقلعـة جعبـر . ولم يحشد ولم يستحضر العسكر رغبة في السلم والسلامة . ومحبة للدعة المستدامة . وسـير الى الولايات الولاة . ووصى بـرعاياه الرعاه .

واستناب في: ميافارقين، وحاني، وسميساط، وحران، والرها . وشحنها بالشحن واستقام امرها وحسب ان الاعداء اذا سمعوا بسمعه . جمعوا لجمعه وتدافعوا لدفعه . وسكن وسكت وتبين وتثبت . وعلم العدا أنه في خف فخفوا وعرضوا وصفوا . وما كفاهم مساهم فيه فهموا وماكفوا . وسافوا تراب الطمع واسفوا . فجسرت حسركتهم وهلكتهم . واذهب الله عند مجيئهم بركتهم .

ذكر اهل الشمات وماقدر الله لجمعهم من الشتات

كان الامير بكتمر صاحب خلاط . قد هجر الاحتياط ووصل الذشساط . وضرب البشسائر لرزء مسلاح الدين . وظهسر في الذوب الخمس بشعار السلاطين . وتاقب بالملك الناصر . وحدث امله بجسر العساكر . ورا سل صاحبي الموصل وسسنجار . وطير اليهم كتب الاستنفار . وضم اليه من ماريين ، ماريين ، وطار وطاش . وارتاش وانتاش . وخلط من خلاط الاوشاب والاوباش . فبينا هو في اتم غرور . وانم سرور . واحب حبور . واشب سهفور . وارقسد عين . واغفل قلب . واذهل لب ، واطول امل في اقصر امد ، واكثر مدد في اقل مدد . وقد خدرج من الحمسام ، ولم يدر انه داخل الى مفتسل الحمام ، استشهد على ايدى الاسماعيلية . ولعل الله غفر له وذقله بشهادته الى جنته العليه ، وذلك بخلاط يوم الاثنين رابع عشر جمادي الأولى من هذه السنة . وكأن ايامه كانت احلاما رؤيت في السنة . وا ول بادىء بالخروج متولى مارىين فانه مارد . وحشد المدد ، ونزل على حصن الموزر ، بالعزم المزور والجد المزور ، وهسذا الحصن كان السلطان اقتطعه عن اعمسال مسادرين . حين كان اهله عليه ماربين . فلما صالحهم استبقاه واستثناه . وأضافه الى نائبه بالرها واعطاه . ثم تحرك عز النين اتابك مسعود بسن مدودود بسن زذكي صاحب الموصل . وخرج في الجدفل الدفل . واضافه اخدوه عماد الدين زنكي بنصيبين وخرجوا لنداء اللقاء مجيبين . وقدموا الرسل الى الملك العادل سيف الدين . وقالوا : تخرج من بالادنا .

وتدخل في مرادنا . فكتب الى بنى اخيه يستنجدهم ويستنفرهم . ويستصرخهم ويستنصرهم . فانجدوه بالامداد . وامدوه بالانجاد . فجاؤوه من كل فج ووا فوه فوجا بعد فوج . وكان انجاد حلب اقرب . ولدر الاسعاف احلب . ولما عرف الملك الافضل اغتذم واهتم . وجمم عسكره وضم . وخص وعم . وكتب الى صاحبي حمص وبعلبك . واستدعى عسكرهما الترك. فسار اخوه الملك الظافر منظفر الدين خضر ، وروض عسكره بورق الحديد الاخضر نضر ، والملك العادل لقدومه منتظر . واما المواصلة فانهم ما اسرعوا بل ابسطأوا ، ومااصابوا بل أخطأوا . وسمعوا أن الامداد العادلية الوافية متوافيه . وان فئته كافة كافيه مكافيه . فتجذبوا وتجبذوا وكاذوا قد وصلوا الى رأس عين فأقاموا وسكنوا . والملك العادل مخيم بظاهر حران في جموعه وجذوده . واعلامه وبذوده . ومساعديه وسدوده . وعزمه على اللقاء مصمم ، وقلبه بحب الظفر متيم وجده غالب . وحده سالب ، وجده لظباء النصر جالب ، ولطيب الذكر جالب . وسيف سيف الدين باتر واتر ، ولحظ الشمس من غبار خيله الساتر-فاتر . وتقارب العسكران حتى ان الطلائع تتواجه وتتجابه . ورجال اليزك تتناجى وتتناجه ، وكان من قضاء الله المحتوم ، وسر قدره المكتوم . تفليل غروب القوم وتقليلهم . وحار تأملهم وخار تأميلهم . وجفل رألهم ورتع رعيلهم . وذلك بما قدره الله من منرض اتسابك صاحب الموصل . ولم يطق الاقامة بالمنزل . واشفى على الخسطر . واشرف صفو حياته على الكدر. فعاد الى الموصل في محفه. ورجا ان يتبدل ما الم به من ثقل الم بخفه . وقهقر عماد الدين راجعا ولمن وثق به اشياعه فاجعا . وتضرع صاحب مارىين وتدرع . وتشدفع بالامراء والاكابر وخضع . حتى وقع عنه الرضا . وصفح له عما مضى . واجرى على القاعدة السلطانية معه . وكان قدد ضاق به الفضاء الرحب لولا العفو عنه وماوسعه . ورأى عمساد الدين أن القوم خانوا واستكانوا . ومارعوا له العهد كما كاذوا . فاضبطر الى الاذكفاء وكف عن اللقاء . فخلا الجو ، وجلا الضو . وعلا الذو . وأتى الملك العادل الخبر بوصول ابن اخيه الملك الظافر الى الفرات. في عسكر دمشق أهل الثبات . فكاتبه بمنازلة سروج وهي من اعمال

عماد الدين . وامده بابن تقيى الدين وابن المقدم عز الدين ليث القرين . فنزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم الاحد تاسعة واستولوا على البلد واماكنه ومواضعه . ورحل الملك العادل منتصف رجب الى الرقة وتسلمها في العشرين منه. وكانت اليد البيضاء فيها الملك الظافر على ماذكر عنه ، ثم رحمل وتملك بلد الخابور جميعه ، وعاد كل من عصاه من مقطعيه مطيعه . وجساء الى نصيبين ونزل بظاهرها ، وشرع في ضم نخائرها . فجاءت الرسسل العمادية في طلب الصلح . واستفر ليل الحسرب بستني السلم عن الصبح . ورحل ونزل دارا . وكان صاحبه دار مع القوم ومادارى . فيسط عذره . وقيض ذعره . واتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم بلده من بعده . الى ذور الدين رسلان شاه ولده . وجرى بينه وبينهم صلح . وكان له في كل سفرة تجارة وربح . وكتب الينا ان اهل خلاط كاتبوه . وعلى تأخره عنهم عاتبوه . وأن كل صاحب حصن قد ضبط موضعه ، وانتظر مطلعه ، فانه تولاهم بعد بكتمر المعروف بالهزار ديناري . فلم يرضوا بايالته لخلاط ولم يروه كفوا لذلك الهدي . ثم اشرف العادل على خلاط . فوجد اهلها قد كملوا الاحتياط . ورأى أن البرد يشتد . وأمد الحصر يمتد . فعاد إلى حران والرهاء واعرض عن مضالطة خلاط وتسأخر الى الربيع امرها.

فصل في المعنى أذشأته الى الديوان العربيز في اخرر رجب عن الملك الافضل

لاشك في احاطة العلم الاشرف بحال النين النين حالوا عن الانصاف بالانصاف ومردوا ومروا لخلاف الخلاف وعادوا عن خلق التلافي الى الائلاف . وبددوا بالانتظام في سلك الفدر شمل الائتلاف . ونكثوا بعد ايمانهم . حتى قيل كفروا بعد ايمانهم . وباءوا في بغيهم بغيهم . وابدوا قوتهم في وهبهم وعزموا انهم اذا زعموا نالوا فرصة . ووجدوا اذا جدوا في العزيمة رخصة . وجاؤوا

الى البلاد التي للخدم من انعام امير المؤنين صداوات الله عليه ليتملكوها . واستسهلوا سبل الضللالة بعد الهدى فسلكوها . واغتروا باعتزازهم واعتزوا باغترارهم . واصعيبوا اذ لم يصعيبوا ببصائرهم وابصارهم . وبخلوا في دائرة السوء وخرجوا منن بيارهم . واجتمع صاحب الموصل واخوه صاحب سنجار وصاحب مارىين وحسدوا وحشدوا وماالظن بشر الصاسيين الحاشيين . ووعدهم الشيطان فصدقوا كذب الواعدين ، وكان العم الملك العادل سيف الدين قد توجه الى تلك البلاد ؛ لابقاء امورها على السداد . واثقا منهم بالمواثيق . محتفلا بالوفاق الحافل الافاويق . وهـوفي خواصه . وذوي استخلاصه . لم ينتظم عسكره ولم ينضم اليه معشره . ولم يصدف لدفع الشوائب وردع الذوائب مورده ومصدره . فلما عرف ذكرهم . وعلم في مكرهم مكرهم . دوافت اليه الجموع . وحنت على قلبه الضاوع . وحنت الى اصله الفروع . ودوا قد اليه بذو اخيه في الجنود . وتوافوا نجدة ساعدت السعود وامد الاخ الملك الظاهر من حلب بالامداد المتظاهرة . والانصار المتناصرة . وندب الخادم اخاه الظافر خضرا وانهضه . وسار معه عسكره الذي بدمشق عرضه . وسمع الاخ الملك العزيز خبر القدوم ، وانهم من حول ورد الردى على الحوم . فاخرج المضارب وابرزها ، وأذف ق في العساكر وجهزها . وذكر عدة النجدة فانجزها . واهتبال فرصة الفريضة وانتهزها . واقبل على نخيرة الفضيلة فاحرزها . وتحركت السواكن . وثارت الكوامن . وهاجت الاقطار ، وماجت البحار ، وشابت الاكدار ، واصابت الاقدار . واظهر الله قبل الاجتماع معجز اياته في اهل الشمات . وخص جمعهم بالشتات وحبلههم بالبتات ، وحص من تلك الثبات اجنحة الثبات ، وشغل كل منهم بوباله وباله ، وحطه من بقاع اعتبلائه الى حضيض اعتبلاله . واعادهبم على اعقابهم ناكصين ، وبعقابهم ناكسين ، وفي ارائهم وارابهم ناقصين واظهر الله في كل واحد من اعداد الاعداء اية للعادة خارقة . وقدرة لاقدار الاولياء السعادة خسالقه . وقتلهم ومساقاتلوا ، وقسابلهم وماقابلوا . و غادر الغادرين عبرة للمعتبرين ، وعظـة للمتفـكرين . وعلم صاحب مارىين انه اخطأ ومااصاب ، فابان عن ندمه وأناب ،

وتعرض العفو عنه وتضرع ، وتشفع بالامراء في امره وتذرع ، فأبديت له صفحة الصدفح ، وعادت له بعد عادية الخسر عادة الربح ، واجري على القاعدة المستقرة له في عهد الوالد رحمة الله عليه . فرضوا بما فرضوه من الطاعة وثابوا اليه . وكان الاخ الملك الظافر خضر قد وصل الى الفرات . حين حكم الله لجموع اولئك بالشتات ، فعبر الى سروج يوم السبت ثامن رجب . وقلب العدو من الفتح الذي وجب وجب ، وفتحها يوم الاحد ضحوة . وجاءت هذه المنحة من الله حظوه . ورحل الملك العادل بالعساكر الى الرقة لاسترجاع وديعتها المستحقة . وهذه ببركات استمرار العبيد على طاعة المواقف المقدسة وبيمن الائتمار بأوا مرها . وسفور الوجوه لمواجهة سوافرها . وماالسعادة الالمن شملته سعودها . وماالكرامة الالمن كرمت عنده بالوفاء عهودها ، وماالعصمة الالمن لرمت في حمده النعماء عقودها .

ذكر سيف الاسلام باليمن

واقليم اليمن مستقر للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بسن ايوب اخي السلطان ، وهو هناك سلطان عظيم الشأن ، مستول على جميع البلدان . مختص في مكانه بالامكان . وكان قد وصل ولده مسع الحاج قبل وفاة السلطان بايام . فلم يظفر بمرام . ووصل كتابه الى اخيه . وهو غير عالم بتوفيه . فلما استقر الملك الافضل على سرير ابيه كاتب عمه سيف الاسلام بغمه . وهم في كتابه بما كتب الله من ابيه كاتب عمه سيف الاسلام بغمه . وهم في كتابه بما كتب الله من همه . والكتاب بانشائي عن الملك الافضل يشتمل على شرح ماالم .

وهذا كتاب يشتمل على سيرته وكتبته جميعه وهدو: صدرت هدنه المكاتبة معربة عن النبأ العظيم . والخطب الجسيم . والرزء العميم . والحادث الاليم . والكارث المقعد المقيم . والنائب الباغت . والمصاب الساحت . والفجيعة الفاجية . والنكبة الناكية . والطارقة الطارية .

والملمة المؤلمة والدلية البارية . والواقعة الرائعاة . والصدمة الصادعه . والحدثة اللافحه . والروعة الفادحة . والغمة التي غامت بها الايام ، وغم لها الانام ، واعتل منها الاسلام ، واحتل النظام . فقد عدمت المطالع ضياءها . والمشارع صدفاءها والثغور سدادها . والامور سدادها . والعيون قرتها والذفوس قرارها . والقلوب ثباتها والجفون غرارها . والايدى أيدها والوجوه سهفورها . والصدور انشراهها . والاسرار سرورها . فقد فقدت الدنيا بهجتها . وضلت العلياء محجتها . واهتدى الضلال الى الهدى . وأقدوى نادى الندى . واقفرت مغانى الغنى . واكفهرت مجالى السنى . وأمرت مجانى المنى . وخفيت مناهيج المناجيح . وعطات مناها المنائح . وعميت مذاهب المواهب واظلمت مطالع المطالب . وارتجت ابواب الفتوح . ودجت أضواء الوضوح ودرست معالم المعالى . وطمست زواهر الليالي . واضطربت الدهماء . واضطرمت الدهياء وبطلت مواسم الحق . وأبهمت مظالم الخلق . وانقطعت مسالك الجهاد . وتفجعت ممالك البلاد . وأخلفت عدات الاعداء على الاعداء . واذكسفت أنوار آمال الأولياء . وذلك بما اجسراه الله من قضسائه المحتوم . وأظهره من سر قدره المكتوم . بمصاب مولانا الملك الناصر روح الله روحه . وروض في جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه . فقد عظم الخطب وجل . وحل عرى الجلد حين حل . وثلم غرب الصبر وفل . وأجرى غرب الدموع . وازكى كرب الضداوع . وبت حبال اللاجين . وشات شامل الراجين . واعلمنا أن الدنيا الدنية حبالها رثاث . وحباؤها غثاث . وعقودها انكاث . وسلهولها أوعاث . وقصورها اجداث . وسرورها غرور ومواهبها احداث . وسكونها قلق . وامنها فرق ، وصحتها سقم ، وأملها ألم . وغيطتها ندم ، ووجودها عدم ، وبقاؤها فناء ، ونعيمها بالاء ، وراحتها عناء ، وملكها هلك ، وسترها هتك ، واخذها ترك ، وسلمها حــرب وصلحها فتك . ووفاؤها غدر . ووقاقها مكر . وعرفها ذكر . ووصلها هجر ، وخيرهما شر ، وذفعهما ضر ، وجبسرها كسر . ومتاعها قليل . وباعها في التطاول طويل . ومالعثارها مقيل . ولافي ظلها مقيل . ولاا رب فيها لأريب . ولا الباب فيها للبيب . فان ظلها قالص . وفضلها ناقص . وعمرها قصير . وغنيها فقير . وريها جرع ، وزيها خدع ، وحليها عطل ، وسلميها زلل ، وإجداؤها إجداب وإعطاؤها إعطاب . وإصحابها إخللام . وإرغابها إرغام . وسماحتها بخل . وسجاحتها عتل . وعقدها مفسوخ . وعهدها منسوخ . وربحها خسار . وجرحها جيار . ويسارها إعسار . وخصبها محال . وحبها محال . وعمارتها شعث . وشعيمتها عيث وعبث . وترابها تراث . ولالمسكنها اساس ولالساكنها اثاث . ولاكيدها في كبدها يد . ولالكرها في جد مكرها جدد . والسعيد من ا ستعد في معاشه للمعاد . واستكثر مدة مقامه في الدنيا لسفر الاخرة من الازواد . ومن نظر اليها بعين القلى . وعرف انها دار البلاء والبلى . وتقوى فيها بالتقوى . وجد في الاعراض عن جدواها الفوز المرض بالجدوى . ولقد كان السلطان السعيد قدس الله روحه بحقيقتها عارفا . ولزخرفها عائفا . ومن ملكها آذفا . وعن مالها متعففا . فاشتغل عن الدنيا بالدين . وخصمه الله بتاييده في علم اليقين . واقتدى بسنة النبي صلوات الله عليه فما زاغ بصره وما طغى . (ونهي النفس عن عن الهدوى . فسان الجنة هدى المأوى) (النازعات : ٤٠ ـ ٤١) ووقف حياته على احياء معالم الهدى . والاعلان بشعار الدقي . وإعلاء منار الجهاد . وأشاعه سنن العدل والاحسان في البلاد والعباد . وا فاضة سجال الفضل والا فضال . حتى كفل جوده بفيض الارزاق ووفى بنجح الامال . واخلص لله عمله . ولا ملك ملكا ولا تمول مالا الا في سبيل الله انفقه وبذله . وكان كما قال الذبي صلى الله عليه وسلم: (من كان لله كان الله له) . فلا جرم اذل الله له الملوك الأعزة . ووهب لاعطاف الدولة التباهي بملكه الهزة . وملكه الاقاليم والامصار . واجرى باقداره الاقسدار . فازال عن مشارع الشريعة الاكدار . وعطل البدعة بمصر واليمن والشام. وقمع اعداء الاسلام. ومدالله في عمره حتى بلغ المراد. وفتح البلاد . ووفى في حق الجهاد الجد والاجتهاد . وقدر على ما أعجز عنه الماوك . ونهسج في نصره الدين نهجا اعوز من قبله فيه السلوك . وأخرج الفرنج عن الساحل وأبادها . وملك عليها بيارها وبالأدها . وأوهى على الكفرة معاقد معاقلها . وطال بحقه على

باطلها ، واقصى عن المسجد الاقصى مسدنسيه ، وازال عنه ايدى غاصبيه . واصرخ الصخرة المطهرة وطهرها من الارجاس . وابعد عنها اجناس الانجاس . وقهر الكفر وخذله . ونصر الايمان واخذله . واحيا للكرم كل سنة حسنة . واستمرت محاسن ايامه سنة بعد سنة ، وتعدات بعدله الجوانح ، وتذالت بباسه الجـوامح . ودانت ودنت له الممالك القاصية . واذعنت إذعنت لحسكمه الامساني العاصية . وملكت القلوب والقبول مهابته ومحبته . وعمت الخواص والعوام عارفته وعاطفته . وذفذت في الشرق والغدرب مدرا سمه . وقامت بالحمد والشكر مدوا سمه . ووفست بامل الداني والقساصي والطائع والعاصي مكارمه . واسعده الله وامهله . حتى حقق في ذويه ا مله . وولى في كل ا قليم من يعمل اله في العدل والاحسان عمله . ثمم توفاه حميد الاش . كريم الورد والصدر . ظافر الرجاء رائج الظفر . صالح العمل ، ناجح الامل ، طاهر القطرة . ظاهر النصرة . كاسيا من الفخار . عاريا من العار . مرتديا بثوب الثواب . مسرتويا مسن صوب الصواب ، مبتهجها بنصرة النعيم ، متارجا بعرف نسيم التسنيم . وما كان ابهاج الايام بايامنه . والاعصار بمازاينه . والامصار بمحاسنه ، والاسلام بسلطانه ، والآفاق بسنى احسانه . وما كان اسعننا بجدوده . واجننا بسعوده . واغنانا بعدله وجوده . فقد فقد الصباح فلا سنى . ودفن السماح فلا جدوى ولا جنى . وغاض البحر فلأغنى . وهو الطود فلا ثبات . وذوى الروض فسلا نبات . ووهى الركن فلا سند . وانتهى اليمن فلا جدد • وغلب الكمد فلا جلد . وعز العزاء فلا عزه . ولا قوة ولا عضد . إنا لله وإنا اليه راجعون . ولأمره تسابعون ولحسكمه طسائعون . ولا راد لارادتسه . ولاصاد لمشيئته ، ولاصادف لمسادف قضائه ، ولا صارف لصرف بلائه ولقد كادت الانوار تغرب. والانواء تعزب. والمنابسم تغدور. والصنائع تبور . والاحوال تحول • والاهاوال تهاول . واضاواء المعارف لاتضىء . وافياء العواطف لاتفيء . وزهر السماء لاتشرق . وازهار الروض لاتؤذق ومعاقد الاسلام تهيى . وميامن الايام تنتهى . لولا أن الله تدارك الارماق بالطافة . وتسلاف الامسال باسعافه . وجلا وجه النعمى من خلال البؤس . واهدى البشر بعد

العبوس . وانزل السكينة عند الزلزال . على النفوس . واجدرى الدولة على احسن العوائد. وارشد المقاصد واثبت القواعد. من استمرارها على الالئام . واستقرارها في النظام . واستدرارها با فاويق الوفاق. واهلال بدورها غب المحاق. وطاوع شموسها من الافاق. وارتفاع فروعها في سماء السمو. وامتداد اصولها في منابت الذمو . وانفتاح احداقها النواظر عن نور الابصار . وانفتاق حدائقها النواضر عن نوار الازهار . حتى اجتمعت الكلمة المتفرقة واتحدت . وانتظمت الالفة المتبددة وتساكدت . وسكنت القلوب الراجفة وانست . وسكتت الالسنة المرجفة وخدرست . وانارت الخواطر المظلمة . وا فاقت الظنون الراجمة والافكار المنقسمة . وزاد الروذق وزال الردق . وانجلى الفسق . وتجلى القلق . واستقامت الامور . واستنامت الى حفظها الثغور . ووصلت الكتب العزيزية والظاهرية من مصر وحلب. بكل ما انجح الارب ووصدل السبب ومرى در النصر وحلب ، وبكل ما اظهر القوة وقوى الظهر • وشد الازر . وامر الامر . وسر السر . ونصر الحق وحقق النصر . مسن الموافقة والموافاة . والموالاة القاضية من الجدة المنجدة بالموالاة . والمتابعة والشايعة في كل امريبرم . وكل حكم يحكم . وكل عزم في قمع العدا يصمم . وكل عقد في نصر الهددي يلزم ويتمهم . ووصل المولى الملك العادل فتولى امر المملوك بكل ما اوفق ايثاره . واشساع على عادة الوالد رحمه الله تعالى شعاره ورفع مناره . وأخلى من كل شاغل باله ورفه اسراره . واراح افكاره . وما في الجماعة الا من خطب الجمعية وخطب في الجمع ، واعرض عن الهوى للحق المتبع . فالكلمة متحدة وإن كانت الانفس متعددة ، وما إخلقت هذه الدولة بل استمرت على تجدد الايام متجددة . وانما الشفقت في حال الصدمة الاولى وبدء الرزية الطولى على بيت الله المقدس. ومن غدر الفرنج بقصدها فان الغدر شيمة لهم في الاذفس . فوقى الله شرهم . ودفع مكرهم . واوهى امرهم ، ولم يزل من قلوبهم الرعب . ولم يؤشروا على الصلح الحرب . بل طلبوا بقاء السلامة بابقاء السلم . وخطبوا اجراءهم في الوفاء بعقد الهدنة على الرسم . وبركات نية المرحوم شملت . ووصاياه نفذت وكملت . وتوجه الملك العادل الى بالده

الجزرية . شرقي الفرات لاصلاح تلك الولايات . واخراس شقاشق الهادرين بالارجاف من اهل الشمات . ويرد بالباس مكايد الحاسد الحاشد . والحمد لله الذي اجد الامن وقد عرت المضافة . وانزل الرافة وقد فجأت الافة . وابقى الاسلام بعزه والكفر بذله . وثبت قواعد الملك الناصري بجمع شمل اهله . واحيا بهم سنني احسانه وعدله . وشيمتي افضاله وفضله . وفي دوام اقبال المجلس السامي دوام اقبالهم . ونظام احوالهم . وسبوغ ظلالهم وبلوغ امالهم .

ذكر ما افترضه الملك الافضل من خدمة دار الخلافة المعظمة وانفاذ رسوله بعدة والده مع هدايا وتحف سنايا

لما استقر الملك الا فضل بدمشق في مقام والده . وشفع طارف ملكه بتالده . واضاف موروث الفضل الى مكتسبه . واكرم نسبه بكرم حسبه . بدا بالاهم الافرض . والاتم الامحض . فقدم الى الديوان العزيز النبوي نجابين بالكتب . وانهى الحال فيما الم من الخطب . ثم ندب ضياء الدين القاسم بن الشهر زوري في الرسالة . الى منزل الرسالة وموقف الجلالة . واصحبه عدة والده في الغزاة . اوان لقاء العداة . وسيفه ودرعة وحصانه واضاف الى ذلك من الهددايا والتحف والخيل العراب ما استنفد وسعه وامكانه . فما تهيا مسير الرسول الا في اواخر جمادى الاخرة . حتى حصل كل ما اراده من الهدايا الفاخرة . وحتى كاتب مصر وحلب واعلم بمسير رسوله . الهذايا الفاخرة . وحتى كاتب مصر وحلب واعلم بمسير رسوله . فضل خوته . وفضل بفضل المؤمنين . وولي العهد عدة الدين . وامدرني بسانشاء الكتدب وتحريرها . وتقريب المقاصد فيها وتقريرها .

فصل من الكتاب الى الديوان العزيز دعد ذكر الدعاء

اصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء . وقلبسه معمسور بالصدفاء . ويده مرفوعة الى السماء للابتهال بالدعاء . ولسانه ناطق يشكر النعماء . وجنانه ثابت من المهابة والمحبة عن الخسوف والرجاء . وطرفه مغض من الحياء . ووجهسه مقبل نحصو قبلة الاستجداء . وهمته في العبودية فارعة نروة العلاء . وهدو للارض مقيل . والفرض متقبل . وبالطاعة ماثل ، والاستطاعة باذل . وللجهد والاخلاص . عارض ضارع . وفجر فخره من الصحة والمناصحة صادق صادع . وهو يمت بما قدمه من الموات . واسلفه من الخدمات وذخره ذخر الاقوات لهذه الاوقات . واتخذه عصمة من النائبات . وعوذة من الطارقات . ومؤلفا للشمل عند شمول الشتات وعروة للاعتصام بها في ازمن الازمات . وسلوة من الاسي وأسدوا الجراح المصيبات . ولاخفاء بما اخافه . وفاض له من بحدر البدرح وضافة . واغاض نطافه . وعاق اوان رجاء جنى النجاح قطافه . لولا أن الله تداركه بفضله وأولاه الطاقه . فأنه دهمه ما هدمه وفجأه ما فجعه . وبغته من الرزء ما صد عنه العيش وصدعه . ونابعه مارابه . وجرعه مصابه صابه . ووافاه من وفاة والده رحمه الله ماكدر صدفو الحياة . ومحا عن صفحة صبحه آية الآياه وألم بالم الأمل . وأحسال الحلى الى العسطل . وحسسلاً عن النهسسل والعلل . وأذهب بهجة الأيام . وأشمت الكفر بالاسلام وسر الشرك منه ماساء التوحيد . وقرب من اشفاق القاوب واشفاء الكروب البعيد . وعطل الجهاد وأراح الحديد . وشب حقود العداة على أنها ماشبت الا لتخمد . وشام حدود العتاة على أنها ماشيمت الا لتغمد . وهذا الحادث ارجف المرجفون بحديثه . وأثاروا كوامن الثار وحركوا سواكن الأوتار بتأثيره وتأريثه . وأخرج أهل الذفاق رؤوسهم من كل نقق . وعاد ثبات ثباتهم الى نفار وقلق . ومن كان مستمسكا من ولاء الدار العزيزة بالعروة الوثقى . مستلئما من عدد أيامها ومسدد انعامها بالدرع الأقوى الأوقى . فانه لايحتفل بحفول

أخلاق أهل الخلاق. ولايتحلحل طود حجاه الراسي وحصاه الراسخ لعواصف ذوى الاجحاف. وقد أحاطت العلوم الشريفة مجدها الله بأن الوالد السعيد . الشديد السديد ، المبير للشرك المبيد . لم يزل أيام حياته والى ساعة وفاته . مستقيما على جدد الجد . مستنيما ف صون فريضه الجهاد الى بذل الجهد . مستنفدا في كل مايدوز به المراضى الشريفة وسعه . ومستفرغا طاقته في الشهفل الديني الذي يهدى بصره وسمعه . فكم قبض يدا بسطتها بـالفتنة الفـئة العالية . وكم فرض سنة أعلنت سناها للمجتلين وأحلت جناها المجتدين الدعوة الهابية . ولكم أخدرس دعاة الأدعياء وحدرس ولاياته الأولياء وكانت بكتائبه وكتبه سيوفه وأقلامه للأقساليم أقاليد . ولم تزل جنود الشيطان وجموع الطغيان في الممالك بمماليك الدار العزيزة وعبيدها عبانيد وأمطر بلاد الكفر من دماء أهلها شأبيب . وأقام بها منار الاسلام ومنابره لما أناب عن أعوادها أنابيب وأسعرها من كماة الوغى وحماة الورى بمساعير وأنجدها بضوا مره . ضوا من الظفر بمضامير ، وهذه فتوحه تفوح بنشر النصر وتضوع . وعقوده تدروق في سدلك الملك وتدروع ومصر بل الأمصار باجتهاده في الجهاد شاهدة، والانجاد والأغوار في نظر عزمه واحدة والبيت المقدس من فتوحاته . والملك العقيم من نتائج عزماته . ودوفره على العبودية لمالك رقة سيدنا أمير المؤمنين أوفر حسناته . وكل ذلك في طاعته ومناصحته وبركاته . ومازال ظاهرا على العدا . ناصرا للهدى معليا معالم العلى . محييا مواسم الدقى . مسنيا سنن الشرع وفروضه مديما باعباء الطاعة بقدر الطاقة نهوضه وهدو الذي ملك ملوك الشرك وغل اعناقها . وأسر طواغيت الكفر وشد وثاقها . وقمه عبدة الصدابان وقصهم اصلابها . وجمع كلمة الايمان وعصم جنابها . ونظم اسبابها وسد الثغور . وسند الأمور وأذل للدار العزيزة كل عدو . وأخذ لها على يد كل ذي عتو . واست على الأيام مساعية في الخددمة ناحجة . ومعانيه على موازين الموازين راجحة.وسيرته حسنة وحسناته سائرة ومحاسنة ظاهرة • وسريرته طاهرة • وختم الله له بالسعادة، وتوفاه على الوفاء بالعبودية والعبادة . وقضى وقد

قضى من آرائه آرابه وقدم بين يديه اعماله الصسالحة ووفساه حسابه . وقبض وعدله مبسسوط ، وأمسره محسوط . ووزره محطوط . وعمله بالصلاح منوط . وأمله بالنجاح مشروط ، وملكه يحفظ الله وكلائته مضيروط . والمذاهيب مهدنبة والمراتب مرتبة • والأسباب محكمة والأحكام مسببة . والأحسوال حالية . والأعمال راضية . والمسالح مصونة . والمناجيح مضمونة . والرعية مـرعية . والعـوائد مـرضية والقـواعد متأثلة . والمقاصد متحصلة والثفور مسلودة . والضلوب مصدودة . واصول الدولة ثابتة . وفروع الدوحة نابتـة . وماترك أمرا بعده غير مستقيم ولانهجا غير قدويم، ولاخلف لن خلفه مايحتاج الى تقريبه وتقريره . ولاأبقى لمن بقى له مايفتقر الى ترتيبه وتدبيره . وماخرج من الدنيا الا وهدو في حكم الطاعة الامامية داخل ، وبمتجرها الرابح الى دار المقامة راحل . ولم تكن له وصية الا بالاستمرار على جادتها ، والاستكثار من مادتها ، والاستسعاد بسعادتها . والاستعداد لعيادتها ، وما بنيت القواعد الاعلى اسهاس وصهاياه . ولاأمضهات العهاس وصاياه الاعلى قياس سحاباه ، ولاأبرم الا ماعقده ، ولاأحكم الا ماأكده . واقتفيت أثاره، واجتليت أنواره . واتبع ايثاره . وأتمسرت في ائتمسار الأوامسر الشريفة أوامره، ومن كان في نصرة الدولة الامامية الناصرية فان الله ناصرة . ومايفتخر العبد الا بما ورثمه في ولائها من الفخار . وبعثه من الائها الغــرار . ونعشــه بـرفعة مــن العثار . وعرفه بعرفه المبر المبار . ولايتسم بالملك الا من يتسامى بأنه لها مملوك . ولايوصل الى السعادة الابدية الا مسلك الى رضاها مسلوك ، ولئن مضى الوالد على طاعة امامه ، فالماليك أولاده وأخوه في مقامه ، والأمر في كل مكان بالأمن والسكون جار على نظامه . والكفر مغلول الغرب . مخذول الحسرب ، مجبول على : الرعب • مغلول بقيد السلم عن الحرب • فان الله أجسري المشركين مع كثرتهم على حكم القلة ، وخصهم لابقاء عزة الثغور الاسلامية بالذلة ، وقد استمرت الحال الى الآن على الهدئة ، وهـم لايؤمذون اذا احسوا بالمكنة فان الغدر في طباعهم مدركور ، والسدوء في

غرائزهم مغروز ، والعبد آخذ بالحزم ، عائذ بتاييد الله في العرزم متيقظ لمخوف غدرهم متحفظ من مكر مكرمهم ، مستعد بكل امكان ، مستجد كل مايفتقر اليه مــن نجــدة وقــوة بــكل مكان . مستظهر بما تأكد له من مظاهرة المواقدف المقددسة في أموره ، مستبشر وجه وجاهته منها بسفوره . ظاهر بقوته من ايدها وأيانيها قوي بــظهوره . مـدل بمــا له مــن الموات الأكيدة . والسوابق الحميدة . والشوافع المقبوله . والذرائع الموصولة . ومـوقن أن الرعاية تـدركه . وأن العناية تملكه ، وأن اختصاصة بفضيلة المائة القديمة يجد له فضل الاختصاص . وان فاتحة الحمد منه والاخـــلاص تفتـــع له بـــاب الاحمــاد والاستخلاص، ولما قصر رجاءه على طوله بذلك الطول. وأنه يزداد بما يزدان به من الاصطفاء والاصطناع حسن الحلية وقوة النصرة والحول . عول على القاضي ضياء الدين في المثول بالخدمة الشريفة وانهاء حاله ، والانتهاء الى مناجح آماله . والسفارة فيما يسفر عن صبح المراشد ، ونجح المقاصد ونصح العقائد . وشرح الأحوال في المصادر والموارد . وأن بالاغته وفية بالابلاغ ، وملية باشباع القول في اعتفاء الطول المليء بالاسباغ. وقد فاوضه فيما فوضه اليه . واعتمد في استنجازه واستنجاحه عليه . ولازالت ايادي الدار العزيزة دارة غزيرة . سارة أولياءها وباحياء موات مواتها جسبرة ان شاء الله تعالى

ذكر بعض مناقب السلطان رحمه الله

كان مشغوفا في سبيل الله بالانفاق . مسوقوفا عزمه في الأعداء بادناء الآجال وفي الأولياء باجراء الارزاق . ومساعقر في سسبيل الله فرس أو جرح الا وعوض مالكه بمثله . وزاده من فضله . وحسسب ماوهبه من الخيل العراب والأكاديش الجياد ، للحساضرين معه في صف الجهاد . مدة ثلاث سنين مذ نزل الفرنج على عكا في رجسب سنة خمس وثمانين الى يوم انفضالهم بالسلم في شعبان سنة ثمسان

وذمانين . فكان تقصديره اثني عشر ألف رأس مصن حصان وحجر وأكبيش طمر وذلك غير ماأطلقه من المال . في اثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب او موعود به وصاحبه ملازم في طلبه وماحضر اللقاء الا استعار فرسا فركبه وهجر جياده فاذا نزل جاء صاحبه فاستعاده ومكلهم يركب خيله . ويطلب خيره . وهو يستعير جوادها . ويستعر في الجهاد اجتهادا ، وكان لايلبس الا مايحل لبسه ، وتطيب بصه نفسه . كالكتان والقطن والصوف .

وكسوته يخرجها في اسداء المعروف . وكانت مصاضره مصونة من الخطر . وخلواته مقدسة بالطهر . ومجالسه منزهـة مسن الهزء والهزل . ومحافله حافلة أهلة بأهل الفضل . وما سمعت له قط كلمة تسقط . ولا لفضلة فضلة تسخط . يفلظ على الكافرين الفاجرين . ويلين المرؤمنين المتقين . ويؤثر سراماع الحسديث بالأسانيد . وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد . وكان لمدا ومة الكلام مع الفقهاء . ومشاركة القضاة في القضاء اعلم منهم بالأحكام الشرعية . والأسباب المرضية والأدلة المرعية . وكان مسن جالسه لا يعلم انه جليس السلطان . بل يعتقد انه جليس اخ مسن الأخوان . وكان حليما مقيلا للعثرات . متجاوزا عن الهفوات . نقيا تقيا . وفيا صفيا . يغضي ولا يغضب . ويبشر ولا يتقطب . مارد سائلا ، ولاصد نائلا ، ولا اخجل قائلا . ولا خيب أملا .

ومن جملة مناقبه انه تأخر عنه في بعض سسفراته . الأمير ايوب ابن كنان مشتغلا بمهماته . فلما وصل سأله عن سبب تخلفه . وما الذي وقفه عن موقفه . فذكر ان غرماءه لجدوا والحدوا . وضدوا باطلاقه وشحوا . فأحضر غرماءه وتقبل بالدين وتكفل بالعين . وامرني بأن احيلهم على مصر فحسبتها وهدي اثنا عشر الف دينار مصرية وكسر . فقدم نوابه وفاءها على الحمدل لما عرفوا فيه مسن بغض صون المال وحب البذل للفضل .

ولما كنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة ابسن

منقذ من مصر وهو بها نائبه . وقد وضحت في الكفاية مسناهبه ان واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاستنض منها الفسي بينار وتسحب . وربما وصل الى الباب وتحيل وتمحل وخيل وكنب . فجاء الى السلطان من اخبره ان الرجل على الباب وخال انه اليه به تقسرب . فقال قل له ان ابن منقذ يطلبك فأجهد أن لا تقع في عينه . فعجبنا من حلمه وكرمه بعد ان قلنا قدم الرجل بقدمه الى حينه . ومما انكره له في أول سفري معه الى مصر سنة اثنتين وسبعين . ووردت بها مسن فضله العذب المعين,أنه حوسب صاحب بيوانه . عما تولاه في زمانه . فكانت سياقة الحساب عليه سبعين الف بينار باقية عليه فما طلبها ولانكرها . واراه كأنه ماعرفها على ان صاحب الديوان ما انكرها . وكان يرضى من الأعمال بما يحمل عفوا صدفوا . ويحصل عنبا حلوا . وكله يضرح في الجود والجهاد . ورعاية الوفاد والقصاد ثم لم يرض لصاحب بيوانه المذكور بالعطلة . ولم ير انزواءه في بيت العزلة يرض لصاحب بيوان جيشه واولاه ما دنت له به مجاني جاهه وعيشه .

ولما كنا بظاهر حران في سنة احدى وثمانين عم بصدقاته الفقراء والمساكين وكتب الى نوابه في الولايات باخراج الصدقات وقال لي اكتب الى الصفي بدمشق ان يتصدق بخمسة آلا ف بينار صورية فقلت له الذهب الذي عنده مصري . قال : فيتصدق بخمسة آلاف مصرية . واشفق من صرف المصري بالصوري فيكون حراما . ويرتكب في كسب الأجر آثاما . فسمح ومنح وتاجر الله وربح . وسمعت بعد ذلك الصفي . وكان في الخير مجلي كل مضمار يقول قد احصيت فقهاء المدارس بدمشق وكانوا ستمائة فأطلقت لهم ستمائة بينار،

ولما عزم على الرحيل من حران . افساض بهسا الفضسل وبست الاحسان وقال لي يوم الرحيل . انظركم بقي بالباب مسن الوافسين ابناء السبيل . وهذه ثلاثمائة بينار اقسمها عليهم بالقلم . وفضل على اقدارهم في القسسم . وكانوا عدة يسسيرة لم تبلغ عشرة . ولم

تجده ميسره . فعينت لكل اسم قسما . وعنيت بهم خلقا مني ورسما فبلغ اربعمائة دينار . ثم وقفت أفكر وأردد النظر اليه وأكرر فسألني ما الذي عملت . وهل قسمت المبلغ وكملت فقلت جرى قلمي بقسمة اربعمائة دينار . فهل انقص من كل اسم ربعا ؟ فقال اجري ما جرى به القلم واحسن صنعا ،

وكان رحمه الله اذا اطلق لعارف عارفة ، وقلت له هذه ما تكفيه ردها مضاءفة . وكان اصحاب المظالم وارباب المطالب . والراغبون في الرغائب والذاهبون في المذاهب . يحضر ون عندي . ويعدر فون في انجاز امرهم وانجاح قصدهم بذل جهدي . فأكتب لهم توقيعات بمتوقعاتهم . وانتهي في الامالاء بنهاية مأمولاتهم . فيجريها ويمضيها . ويضم علاماته فيها ويرتضيها . واذا الفي توقيعا بخطي علم فيه . ولم يقف بذشره على سر مطاويه . الفا بما الفه من صحبتي ومناصحتي . وكفاء الملمات وكفاية المهمات بكفايتي . وكان يأمرني باجابة كتب الماوك واصحاب الأطرا ف عن كتبهم في حالتي سلمهم وحربهم . وهي تشدهل على اسباب متذوعة وأراب متفرعة . بحسب الحوادث المتجددة ، والبواعث المتمهدة ، فإذا قلت له بماذا اكتب وما الذي اخطب . فيقول انت اعرف . وبحسب ما تعلم من حالنا تتصرف فاكتب من عندي بالاجابة . وتوافق منه الاصابة فقد كنت مطلعا على سره . مضطلعا بأمره ، ما يخفى عنى مراده . وانا اتيقل لن ولاؤه ووداده . فأتلى بمداناة الأغراض ومداواة الأعراض وموازنة الجواهر والأعراض . والتمييز بين اهل القبول واهل الأعراض . فكم اصلح قلمي بينه وبين مسن عاداه . وراض الجامح من سخطه وقاده الى مدى رضاه .

وكان يغضب للكبائر ، ولا يغضي عن الصفائر ، ويرشد الى الهدى ويهدي الى الرشاد ، ويسند الامر ويأمر بالسداد ، فكان مماليكه وخواصه بل امراؤه واجناده اعف من الزهاد والعباد ، ورأى يوما لي دواة ، بالفضة محلاة ، فاذكر حل الحلية ، وادعى حظر القنية ، فقلت على سبيل المدافعة ، وطريق المناظرة والممانعة ،

أوليس تحل حلية السلاح . واستصحابه في الكفاح . فدواء دواتي انجع . ومدد مدادي انفع . ويراع براعتي القصير اطول ، وسلاح قلمي أجذ وأحد وافتك وأقتل ، وما اجتمعت هذه العساكر الاسلامية الا بقلمي ولا تفرقت جموع الكفر الا بكلمها من جوامع كلمي . فقال ما هذا بدليل ولا يعيد تحريما الى تحليل . حتى قلت له ان الشيخ ابا محمد والد الامام ابي المعالي قد ذكر وجها في جوازه ونحن نتبعه فلا وجه مع هذا الوجه المحلل لمن يحظره ويمنعه . ثم لم اكتب بعدها عنده الا من دواة الشبه . وتجنبت طرق الشبه وتركت المحلاة مخسلاه . وعادت الشبهية مجتباه مجتناه . وكان محافظا على الصلوات الخمس في أوائل اوقاتها . مواظبا على اداء مفروضاتها ومسنوناتها . فما رأيته صلى الا في جماعة ولم يؤخر له صلاة مسن ساعة الى ساعة .

وكان له امام راتب ملازم مواظب . فان غاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم . أنا عرفه متقيا متجنبا للأثم . وكنت لملازمتي اياه يقدمني اماما في الصاوات . ومستشارا في المشورات . وكان يأخذ بالشرع ويعطى به . ويذفق مسن حسل المال وطيبه . ويجود بالموجود وبالمعدوم في الحال رجاء الوجود . فما تتجدد جدة الا ويستوعبها انجاز الوعود . ولم يكن الى المنجـم مصـفيا . ولم يزل اقوله ملغياً . فما عنده منجا لمن جاء بمين المنجمين ولا قبول لمنطق المنطقيين . فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل الشرع واستقصاء الدين في كل قاص ودان . ولا يتعيف ولا يتطير ولا يعين وقتا ولا يتخير . بل اذا عزم تـوكل على الله . واقبل على محكم امرء واعرض عن مظان الاشتباه . فكم فلل سلفه ذي الفلسفة . ودل بمعروفه في المعرفة . ومازال ناصرا للتوحيد . قاهرا جمع أهل البدع بالتبديد . مستجليا سنى السينه ، مستحليا جنى الجنه . شافعي المذهب اصدولا وفروعا . معتقدا له معقولا ومسموعا يدنى أهل التنزيه . ويقصى اهمل التشبيه . ويديم استفادة فقه الفقيه ، واستزائة نباهة النبيه ، ووجناهة الوجية ، فسالعالمون في عدله . والعاملون في فضله والبلاد في امنه . والعباد في منه . والبرية

في برسعيه ، والاسلام في حماية حميته ، والدين في ادالة دولته ، وشرعة الشريعة صافية بصدفائه ، ومادة المودة له وافية بسوفائه ، وقامت بعده طريرة طريه ، ومن العار عربه ، وبدر البرية من الشائبات والشائنات بريه ، وبالحرية حرية ، وبسرور السر سريه ، فقد عزت وفضلت وظهرت بعزيزها وافضلها وظاهرها وفضرت بمفاخرها ، ورويت بروائهم آثار مأثرها ، وتبجلت الآفاق وتأرجت بحسن تباشيرها وطيب بشائرها ، وبرزت الأرض في ازهارها ، والسماء في زواهرها ، والحمد لله مجري الأقصدار ومصدفي الاكدار ، ومدبر الليل والنهار ، ومدبر الإيراد والاصدار ، وسلم تسليما كثيرا أمين

- 7777-

الحواشي والهوامش

البرق الشامي

- (١) مطموس بالإصل.
- (٣) موقع ما يعرف اليوم باسم نبع السريا في حوران الذي تشرب منه بلاة الشبيخ مسكين .
 - (۲) مطموس بالاصل
 - (٤) ريموند الثالث صاحب طرابلس .
 - (٥) طمس بالأصل بثلاثة اسطر .
 - (٦) مطموس بالأصل .
- (٧) النسخة التي اعتمنت عليها هي نسخة وحينة لايعلم الأن مكان وجودها ، سدوى أنه سدبق للمرحوم المختار السوسي ان أودع عنها شريطا مصورا في الخزانة العدامة بسالرباط . وقد لحدق النسخة بعض الطمس ، وخطها مغربي من الصعب التعامل معه ، وهذا الحال اضاف لي لغة العماد معوقات وعراقيل جعلتني رغم ما بذلته من جهد غير مطمئن تمام الاطمسئنان . وقد اكتفيت بهدذا النص كنموذج ، وقديما وجد ابو شامة د صاحب الروضتين .. التعامل مع البدرق الشسامي أمسرا صعبا ، ولعله لم يكن قادرا على قراءة النص الكامل الكتاب أو وجد قلة الفائدة في ذلك لهنا اقتبس منه بضم فقرات من هنا وهناك د انظر الروضتين : ٢ ٧٤ ـ ٢ . وخيرا فعل الفتسح البنداري فيما بعد حين أقدم على تهنيب بعض كتب العماد ، وكان منها البرق الشامي هذا .

(الفتح القسي)

```
١ ـ الميعلة: قولك حي على المسلاة ، حي على الفلاح ، القاموس
                        ٢ ـ الوخش: الردىء من كل شيء، وردال الناس، القاموس.
                                            ٣ _ كرثة الغم: اشتد عليه ، القاموس .
                                                        عُ سطفر: قفر ، القاموس
                                                  ٥ _ الد أماء: البصر، القاموس.
                                                 ٦ ـ النهيت : الزئير ، القاموس،
                                          ٧ _ سحابة داوح: كثيرة الماء ، القاموس .

 ٨ ـ الريح تحركت فهي نؤوج ، وللريح نئيج : اي مر سريع ، القاموس .

                                                       ٩ ـ بلخ : تكبر ، القاموس .
                                             ١٠ ــ بظاهر بلاة نوى في حوران سورية
                                             ١١ ــ في وادي الأردن قرب عقبة أفيق.
                                                 ١٢ ــ الأوام: الدخان، القاموس.
                                                ١٣ ـ السلت : القطع والاستثمال .
 ١٤ _ أبن بارزان هو بالين صاحب يبنى ، والقومص هو ريموند الثالث صاحب طرابلس .
                                            ١٥ - البيكار فارسى معرب يعنى الصرب.
                                                      ١٦ ـ يقق ، ابيض القاموس .
                                            ١٧ - ملمرت المين : قذاها ، القاموس .
                                                     ١٨ ــ أي تنعدم الأقوات فيها .
                                                 ١٩ ـ الأمرة: الأبيض، القاموس.
                                          .٢ ـ اي بحيرة قطينة خارج مدينة حمص .
                                          ٢١ ـ حامت: شبيد الحلاوة، القاموس.
         ٢٢ ـ الأطعمة التفهة : ماليس لها طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة ، القاموس .
                                ٢٣ ـ المعنر ؛ قرس فيه نكت فوق البرش ، القاموس .
         ٢٤ - السمند : الفرس ، والغبسة : الظلمة أو بياض فيه كدرة رماد ، القاموس .

 ٢٥ ـ الشوار : اللباس والسمن والزينة ، القاموس ،

                                        ٢٦ - الملاحل: السيد الشجاع ، القاموس.
                                            ٢٧ ـ الحصن : حلق الشعر ، القاموس .

    ٢٨ ـ العنق سير فيه تبختر والذميل السير اللين ماكان فوق العنق ، القاموس .

                                                    ٢٩ ـ الأرى العسل ، القاموس .
                                 . ٣ ـ لثق يومنا : ركلت رمجة وكثر نداه ، القاموس .
                                                ٣١ ـ الأوام: العطش ، القاموس.
٣٢ _ أمهى السمن والشراب: أكثر ماءه ، وأمهـــى العـــديدة : احــدها وســـقاها
                                                                   اللاء ، القاموس .
                                 ٣٣ _ انعط العود: تثني من غير كسر ، القاموس .
٣٤ - اللوب: العطش، أو استثارة الحائم حول الماء وهو عطشان لايصل اليه، القاموس.
 ٣٥ - أبهى الخيل: عطلها من الفزو، والباهي من البيوت: الخالي المعطل، القاموس.
```

-7444 -

- ٣٦ ـ الضافو: السبوخ والكثرة وفيضان الموض ، القاموس .
- ٣٧ _ رجل نيق : كيس ، والنيق : أرفع موضع بالجبل ، القاموس .
 - ٣٨ _ السوننيق: الصقر أو الشاهين ، القاموس.
 - ٣٩ _ تتفل: أزيد ، القاموس .
 - .٤ ... حدمة النار: شدة اشتعالها ، القاموس.
 - ١٤ ـ خطا لحمه: اكتنز، القاموس.
- ٤٢ ـ باركاه : فارسية تعني خيمة ملكية ، أو جناح استقبال ملكي .
- ٤٣ ... كذا بالأصل وهو وهم قلعله اراد قوله تعالى « كذلك نجزي كل كفور » (فاطر٣٦) ولم يرد قوله جل وعلا « كذلك نجزي من شكر » (القمر ٣٥)
 - ٤٤ ـ الكنهور من السحاب قطع كالجبال ، أو المتراكم منه ، القاموس .
 - ٤٥ ــ السنى : ضوء البرق والنار ، والسنور : الدروع او السلاح . القاموس اللسان .
 - ٤٦ ساي الثفرية أو المدونية .
 - ٤٧ ــ القرب: النشاط والتمادي والحدة ، القاموس .
 - ٨٤ ــ السنور جملة السلاح ، القاموس .
 - ٤٩ سالداً ماء: البصر ، القاموس،
 - . ٥ _ الجماء: القفير النهاية لابن الأثير.
 - ٥١ ـ التأريث: الاغراء بين القوم وايقاد النار ، القاموس .
 - ٥٢ _ القونس: مايوشيع على أعلى الرأس، القاموس،
 - ٥٣ ــ التامور : علقة القلب ودمه ، النهاية لابن الأثير .
 - 10 الوج: القطا والنعام، القاموس.
 - ٥٥ سـ حزا : خمن أوحزر وقدر ، القاموس .
 - ٥٦ _ ضبر: وثب ، القاموس ،
 - ٥٧ ... الشيق: السرعة في الطعن والضرب، القاموس،
 - ٨٥ _ الزغفة : الدرع اللّينة الواسمة المحكمة ، أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، القاموس .

المتوي

٧ _ من كتاب البرق الشامي ٧ ــ سنة ثلاث وثمانين ١٠ _ ذكر سرية الأفضل على ١٣ ـ ذكر البخول الى الساحل ١٦ _ ذكر ما اعتمده الفرنج ۱۸ ـ فتح طبرية ٧١ _ ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء ذكر النشاب ورصفه ٧٤ ـ ذكر يوم حطين ** ٣٣ ـ كتاب الفتح القسي ٤٧ ـ ذكر ما كان بين ملك الفرنج وبين القومص من خلف ٤٨ ... ذكر دخول السلطان صلاح الدين الى ديار الفرنيج ٥١ _ ذكر فتح طبرية ٥٦ _ ذكر الصاليب الاعظم ٥٧ _ ذكر المتع حصن. طبرية ٥٧ ـ ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبنتارية ٥٨ ـ ذكر المتح عكا ٣١ ـ فتح عدة من البلاد ٦١ فتح الناصرة وصفورية ٦٢ ... فتح قيسارته ٦٢ ـ فتح نابلس ٦٣ _ فتح الفواة ٦٤ _ فتح تبنين ٦٦ ـ فتح صيدا ٧٧ ــ فتح بيروت

٧٠ _ فتح جبيل

نڙ _ فتح عسقلان ٧٥ _ فتح القدس ٧٧ _ كنيسة قمامة ٧٧ _ وصف البيت القدس

٧١ ــ هالآك القومص وبشول المركيس الي صور .

٣ _ توطئة

```
٧٠ ـ ذكر يوم الفتح
             ٨٦ ـ ذكر حالي في العود الى الشدمة
          ٨٧ _ حال الفرنج في خروجهم من القدس
               ٨٩ _ ما أظهر السلطان في القدس
                          ٩٧ _ وصف الصغرة
                            ۹۵ ـ محراب داود
                   ۹۸ _ ماجری بعد فتح القدس
                           ۱۰۰ ـ حصار صور
                    ١٠٥ ـ ما تم على الاسطول
                     ١٠٨ _ غروج الفرنج للقتال
                      ١١٠ ــ مادبروه من الرأي
                      ۱۱۲ _ فتح حصن هونين
            ١١٦ ... استشهاد محمود أخى جاولى
                 ١١٨ _ نزول السلطان على عكا
                            ۱۱۹ ــ ورود رسل
                     ١٢٠ _ وصدول أخو العماد
                       ١٣٦ ـ رسالة الى اليمن
            ١٣٥ _ سنة اربع وثمانين وخمسمائة
                            ١٣٦ _ حال الكرك
              ۱۳۹ ـ عمارة عكا على يد قراقوش
  ١٤٠ ـ وصدول رسول سلطان الروم قليج ارسلان
             ١٤٢ ــ رحيل السلطان صوب بمشق
        ١٤٦ ـ وصدول عماد النين صاحب سنجار
                             ١٥٥ _ فتح جبلة
                          ١٥٧ ... فتح اللإذفية
                           ١٦١ _ فتح صهيون
                     ١٦٤ _ فتح بكاس والشفر
                            ١٦٦ _ فتح برزية
                          ۱۷۱ _ فتح بربساك
                           ۱۷۲ _ فتح بفراس
                      ١٧٣ _ الهنئة مع انطاكية
١٧٤ _ عود عماد البين ثم عود السلطان الى دمشق
                            ١٧٧ ـ فتح الكرك
                        ۱۷۸ - معاشرة صافد
                          ۱۷۹ ـ حصار کوکپ
                            ۱۸۱ ـ فتح کوکب
           ۱۸۶ _ سنة خمس وثمانين وخمسمائة
                  ١٨٥ ــ رسول من دار الخلافة
                       ۱۸۷ ـ رسالة الى بقداد
                   ۱۹۱ _ حصار شقیف اردون
              ١٩٤ ـ اقامة السلطان بمرج عيون
           ١٩٧ ... استشهاد عدة من أمراء العرب
```

```
۲۰۸ _ الواقعة الكبرى
                     ۲۱۱ ـ نصرة بعد كسرة
            ٢١٢ ــ رسالة الى بعض الأطراف
                      ٣١٦ ... عرض العساكر
           ٢١٧ _ استرجاع ما نهب من الثقل
                  ۲۱۸ ــ مشاورات حول عکا
                  ٣٣١ _ الرحيل الى الضروبة
          ۲۲۳ س ما جری بعد ذلك من حوادث
                   ۲۲٤ _ وصدول ملك الالمان
               ٢٢٥ ـ رسالة الى دار الشلافة
                   ٣٢٧ ... وصدول الملك العادل
                     ٣٢٩ _ رسالة الى بغداد
             ٣٣١ ـ وصدول الاسطول المنصور
                       ۲۳۲ ـ رسائل متنوعة
                          ٢٣٤ ـ تقوية عكا
                    ٢٣٥ ـ حال نساء الفرنج
٢٣٨ ـ ما اهدأه صاحب الموصل من سلاح وعتاد
                  ۲۳۹ ـ ذکر صاحب سنجار
         ۱۶۹ سامر سني
۲٤۱ ـ وهدول رسول سلطان العجم
                         ٢٤٣ ـ وقعة الرمل
                           ۲٤٤ ـ حال عكا
                ٢٤٦ _ رسول من دار الخلافة
           ٢٤٨ _ مقاتلة الافرنج عكا بالابراج
                ٢٥٠ _ احرأق الابراج الثلاثة
                       ۲۵۳ ــ رسائل بشائر
        ٢٥٧ _ تاريخ وصدول الاكابر هذه السنة
            ٢٥٩ ـ كتاب الى صاحب الموصل .
             ٣٦٠ _ وصنول الاسطول من مصر
                 ٢٦٠ ... رسالة حدول الأسطول
                     ٢٦٢ _ قصة ملك الالمان
        ٢٦٩ ـ رسالة الى بقداد عن ملك الالمان
                       ۲۷۰ _ کتاب استنفار
                       ٧٧ ــ الواقعة العادلية
                        ٧٧٦ _ حال الفرنجة
                     ٢٧٩ ـ وصول الكندهري
                     ٢٨١ _ حريق المنجيقات
               ۲۸۲ ـ وصدول بطسة من بيروت
         ٣٨٣ ـ وصدول يطس القلة من مصر .
```

۱۹۹ ــ مسير الفرنج الى عكا ۲۰۵ ــ وقعة يوم الاربعاء ۲۰۲ ــ وفاة هسام الدين طمان

٢٠٧ _ واقعة للعرب

```
٢٨٤ _ كتاب الى سيف الاسلام
                   ٢٨٥ _ ذكر عيسي العوام
              ٢٨٥ ـ وصول ولد ملك الالمان
                       ۲۸۷ _ برج الذبان
                    ۲۹۰ ـ الكبش وحريقه
                      ۲۹۳ هوادث تجندت
        ٢٩٥ _ وفاة زين البين صاحب اربل
                    ٧٩٧ ــ نوبة راس الماء
                    ٣٠٠ _ كتاب في المعنى
                      ٣٠٢ _ وقعة الكمين
                 ٣٠٣ _ كتاب بشرح المال
                     ١٠٠٤ _ هجوم الشتاء
          ٣٠٦ _ كتاب الى صاحب الموصل
                ٣٠٧ _ ما تجيد هذه السنة
                ٣١٧ _ الشهباء هذه السنة
              ٣١٥ _ ما تجدد من الموادث
  ٣١٨ _ جماعة وصلوا من عسكر الاسلام.
             ٣١٩ _ وصول ملك ا فرنسيس
                           ۳۲۰ ـ نادرة
     ٣٢١ ... وصدول ملك الاذكتير الى قبرص
                    ٣٧٣ _ قصة الرضيع
   ٣٢٥ _ انتقال السلطان الى تل العياضية
               ٣٢٦ _ وصول ملك الانكتير
                     ٣٣٨ _ غرق البطسة
                     ٣٢٨ _ حريق النبابة
                ٣٢٩ _ وقعات هذا الشهر
              ٣٣٣ ...مقارقة المركيس القوم
   ٣٣٣ _ من وصل من المساكر الاسلامية
                      ٣٣٥ _ ضعف عكا
         ٣٣٦ _ كتاب الى صاهب الموصل
              ٣٣٨ ... خروج رسل الافرنج
                     ٣٣٩ _ ضفف الثفر
٣٤١ _ خروج الشطوب الى ملك الافرنسيس
              ٣٤١ _ هرب جماعة من عكا
                  ٣٤٧ _ كتاب الى اربل
                ۳٤٢ ـ ماجري من العال
       ٣٤٥ ـ جماعة من المسكرية وصلوا
                     ٣٤٦ _ سقوط عكا
٣٥٧ ــ كتاب الى نور الدين بن قرا أرسلان
                 ٣٥٧ _ رسالة الي اربل
   ٣٥٦ ـ ماجري عليه المال بعد سقوط عكا
  ٣٥٨ _ غدر ملك الانكتير باسرى السلمين
```

```
٣٦٣ ـ كتاب الى اربل
                                    ٣٦٤ ـ وقعة قيسارية
                                 ٣٩٥ ــ مقتل اياز الطويل
                           ٣٦٦ _ وقعة لعز الدين بن المقدم
                                    ٣٦٧ _ وقعة ارسوف
                                  ٣٧٠ ــ رسالة الى يقداد
                                 ٣٧٢ _ بشول الفرنج يافا
                                   ۳۷۳ _ خراب عسقلان
                                   ٣٧٥ _ كتاب الى بفداد
                             ٣٧١ ـ ما تجدد الك الانكتير
                             ٣٧٨ _ نزول السلطان بالرملة
                                      ٣٧٩ _ وقعة الكمين
                       ٣٨٠ _ اجتماع المادل بملك الانكتير
                                ٣٨١ ـ الرهيل الى القدس
                         ٣٨٢ ـ يوم عيد الأضحى بالقدس
                                     ٣٨٢ _ وقعة الافرنج
                                    ٣٨٣ _ عمارة القدس
                              ٣٨٤ ـ وفاة شقى الدين عمر
                             ٣٨٨ ـ وقاة حسام العين عمر
                               ٣٩٣ _ رسائل حول القدس
                    ٣٩٤ ـ رسالة شكر الى صاحب الموصيل
                       ٣٩٨ _ حوادث مع الفرنج هند السنة
                                      ٣٩٩ _ ثلاث سرايا
                  ٣٩٩ _ سرية فارس الدين ميمون القصري
                         ٤٠٠ ـ خروج المشطوب من الاسر
                                   ٤٠٠ _ هلاك المركيس
                       ٤٠٢ ـ استيلاء الفرنج على الداروم
                          ٤٠٤ _ كيسة الفرنج عسكر مصر
                        ٤٠٦ ... سبب غيبة العادل والأفضل
                      ٤٠٧ _ رحيل ملك الانكتير صدوب عكا
                           ٤٠٨ _ نزول السلطان على يافا
                                 ٤١٠ _ رسالة الى بفداد
                                    ٤١٢ _ البيئة العامة
               ٤١٤ _ رسالة الى بقداد عن نوبة ياقا والهدنة
                                ٤١٧ ـ ماجرى بعد الصلح
                              ٤١٨ _ ماعزم عليه السلطان
                        ٤١٩ ـ خروح السلطان نحو دمشق
٤٣١ _ وصول السلطان الى بيروت ونخول صاحب انطاكية عليه
                        ٤٢٣ _ وصول السلطان الى دمشق
                             ٤٢٩ ـ وفاة السلطان بدمشق
                                   ٤٣٠ ــ اولاد السلطان
```

٣٦٠ _ رهيل الفرنج صدوب عسقلان

-7787_

٤٣١ _ من تولى ممالك السلطان بعده

٤٣٢ ــ ذكر من تولى دمشق

٤٣٤ _ ذكر حلب ومن تولاها

٣٥٥ _ ذكر الملك العادل

٤٣٦ ـ الشامدون بوفاة صلاح الدين

٣٤٨ ... رسالة باسم الأفضل الى بفناد

180 .. ذكر سيف الاسلام باليمن

140 ـ رسول الافضيل الي دار الخلافة

884 ـ يعض مناقب صلاح النين 201 ـ الحواشي والهوامش